الدكتور
رسول جعفريان

تاريخ الخلفاء

[illegible]
[illegible]

تاريخ الخلفاء

الدكتور
جواد جعفر الخليلي

تاريخ الخلفاء

(١)

قدّم له

الأستاذ علي الخليلي

الإرشاد للطباعة والنشر
بيروت - لندن

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

نبذة عن المؤلف ﷺ

هو: الدكتور جواد جعفر الخليلي حفيد آية الله الحاج ميرزا حسين الخليلي أحد مراج العصر ﷺ.

ولادته: ولد في النجف الأشرف ١٩١٤/٢٤.

أسرته: أسرة عريقة في النجف الأشرف مشهورة بالفقه والاصول والطب ولها آثار بقاية منها مدرسة الخليلي العلمية في النجف الأشرف.

نشأته: نشأ في مدينة النجف الأشرف ـ العراق.

دراسته: دراسة علمية وأدبيّة في الطب والحقوق وعلم النّفس.

مسكنه وأقامته: في السابق كان في العراق ثم انتقل إلى إيران واقام بها سنين عديدة ومنها هاجر إلى كندا مع أهله وأولاده.

أعماله الإدارية: في الشئون الطبيّة، والقانون إثنى عشر سنة قضاها في مناصب طبية. وثلاثة وعشرون سنة في منصب القضاء في طهران وبعدها مارس المحاماة.

هوايته: الشعر والمطالعة، والكتابة. له ديوان شعر في مجلدين باللغة العربية، وله دائرة معارف الام والطفل (في التربية والطب خمسة أجزاء).

كتب: في علم النفس والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح وله: الحكومة العالمية المثلى في ٣ أجزاء طبعت في بيروت وله: موسوعة المحاكمات في عشرة أجزاء. جزآن في حياة رسول الله ﷺ وجزآن في حياة الامام أمير المؤمنين علي وصدر الجزء الأول منه قبل أعوام نشرته مكتبة چهل ستون في طهران. والجزء الخامس والسادس والسابع عن أبي بكر وعمر وعثمان والجزء الثامن من الموسوعة يحتوي على ذكر الناكثين، والمارقين، والقاسطين والجزء التاسع والعاشر من الموسوعة حوار فيما طرأ بسبب ما تقدم ونتج في الوضع الإسلامي من العلل والأسباب ومحاكمة المسبّبين، وأنقسام الأمة الإسلامية وتدهورها.

أولاده: الدكتور باسم طبيب وجرّاح، الدكترو عاصم استاذ جامعة في الهندسة الكهرباتية، سالم، مهندس في الهندسة المعمارية، حسين مهندس كمبيوتر، علي طبيب، حسن، بكالوريوس في الادارة، والحسابات وله ثلاث بنات حاملات شهادات عالية ومتزوجات.

زوجته: علوية هاشمية حسينيّة من خيرة السلالات ولها اليد الطولى في تربية أولادها وبناتها.

وفاته ومدفنه

انتقل الفقيد الراحل إلى جوار ربّه في مدينة (أوتاوا) ـ بكندا وذلك في يوم الخميس ١٧ محرم الحرام عام ١٤١٩ هـ ـ الموافق ١٤/٥/١٩٩٨ م ونقل جثمانه إلى مدينة مونتريال ودفن فيها تغمده الله برحمته الواسعة وحشره مع النبي ﷺ.

مقدمة الكتاب

بقلم

الأستاذ علي الخليلي

بسم الله الرحمن الرحيم

اخي الفاضل البحاثة الاستاذ جواد جعفر الخليلي المحترم

سلام واحترام وبعد فقد قضيت سويعات ممتعة في قراءة كتابك القيم (أبو بكر) والذي آمل ان يرى النور قريباً ويكون في متناول ايدي القراء وطلاب الحقيقة وكان بودي ان لا اتركه حتى آتي على آخره، لما وجدت فيه من جهود مبذولة وتحقيق في مواضعه اخرجها منصف باحث عن الحقيقة تواق إليها، وكم تمنيت ان تطول بي الساعات لأصل آخره وان يسعفني الوقت لقراءته كله فاستزيد منه معرفة بحقائق وامور كنت جاهلها وغير مطلع عليها فبارك الله فيك وجزاك أحسن الجزاء واعانك على ان تتحف المكتبة التاريخية بكتب تصحح ما زوره وزيفه المؤرخون بأمر من الحكام كما تقتضي مصالحهم ومآربهم وأرجو لك التوفيق فيما انتهجت من طرق البحث والله ولي التوفيق ومن وراء القصد والسلام .

المخلص

علي الخليلي

المقدمة : الشكوى

بسم الله الرحمن الرحيم

ربما كانت هذه السلسلة من الكتب ذات طابع جديد لكشف كثير من الحقائق التي صدرت من افراد وجماعات من البشر تجاه افراد وجماعات آخرين، وما اصاب هؤلاء من ظلم وإجحاف، فانتهى ذلك الظلم والتعدي بموت الشاكي أو المدعي، والمشتكى عليه أو المدَّعى عليه، أو بقيت تلك المظالم فترة على الافراد والجماعات والشعوب والامم، وانتهت أو لا زالت تترى الى اليوم.

وكم قاسى البشر من نفسه وعلى نفسه وجنى على غيره من الويلات، والمصائب، والظلم لغرائز شتى اراد اشباعها، ومطامع اراد تحقيقها، واغراض اراد تنفيذها. فمنها كما مرّ كانت مؤقتة، ومنها دامت لأمد، ومنها ظلت تجر الويلات والمصائب على أبناء البشر باسم الدين، وباسم العقيدة، وبأسماء وطرق لا تعدّ ولا تحصى.

واذا شئت فاستعرض العقائد الاجتماعية الدينية، والتربوية الفلسفية في شتى الامور الاجتماعية، من اخلاقية وانسانية واقتصادية وسياسية. واستعرض الماضي منذ فجر التاريخ لترى في كل شعب وامة كبيرة وصغيرة من تشتت الافكار والنظريات والمسالك في الشرق والغرب والشمال والجنوب، آخذا من أقدمها إلى أحدثها من مصريين وبابليين، وصينيين، وهنود، ويونان، ورومان،

واكاسرة. ومن عهد الانبياء من آدم ونوح، وموسى، وإبراهيم، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وما خلفته من مشاحنات ومجازر، ومن تعاليم عـقائدية وتشريعية، من بوذية وكونفوشيوسية، ومزدكية وآراء حكيمة وفـلسفية يـونانية وغير يونانية، حتى يومنا هذا عصر الذرة، او كما يسمونه عصر القوة النوويَّة، وما حدثت من حروب طاحنة باسم الديمقراطية، والفاشية، والشيوعية، وتشعب كل منها، والمجازر العظيمة التي قام بها هتلر، وماتركته القنبلة الذريـة فـي اليـابان، والحروب الطاحنة والهجمات الجوية عـلى ارض كـوريا وفـيتنام، والاعـتداء الصريح في الشرق الاوسط على البلاد العربية وفي افريقيا وباكستان والهند على الافراد والجماعات وما خلّفته المذابح الدينية والمذهبية في آسيا واوربـا ومـا فعلته البابوية باسم الدين من مجازر واعتداءات، وما تـقاسيه الشـعوب السـود اليوم، والتطاحن بين البيض، وغيرها. وقس على هذا. ولكم جاء مصلح بـفكرة انسانية قضت عليها النعرات التنابزية فذهبت هباء وخلّفت وراءها مـذاهب مـا أنزل الله بها من سلطان، كما حصل في جميع التعاليم البوذية والكـونفوشيوسية، والأديان من موسوية وعيسوية ومحمدية، واذا سأل سائل، ماذا بعد هذا ؟

فالجواب: قبول شكوى الافراد، والجماعات امام محكمتنا هذه وعرض ما قاسوه من تعسّف وتعدٍّ وظلم افراد وجماعات آخرين مـبناه الدليـل والبـرهان والحكم على المعتدي مهما كان بما يستحقه من الجزاء، وفضح ما خلقه من اباطيل وبدع واكاذيب وتزوير على خصمه المظلوم، وما نسـبه لنـفسه مـن المـحاسن والفضائل. وربَّ سائل يقول :

وما هي الفائدة؟ طالما ان الافراد حتى عقلاءهم نشأوا وتربوا وتطبعوا كل على عقيدته وطريقته ودينه، حتى اصبح عـنده المسـتقبح عـرفا والمسـتهجن والذميم عادة، والحسن والفضيلة مذموما. ورأوا برجال العنف والمـعتدين ذوي

النعرات الطائفية والنزعات القومية مفخرة، ونأكر المنكر والخسة متعديا، ومعتديا، والمنادي بحقه والمطالب بالعدل والمساواة مستهترا، والداعي الى ولاة الحق وأهل الحجى والتقوى طائفياً وبليدا، ورذلا، والكذاب والمخادع والمكار داهية، ومصيبا ومرموقا .

فانظر انت أيها القارئ وما أدري من انت، امن اسودها أو ابيضها، عربها أو عجمها، جديدها ام قديمها؟ أيَّ نزعة وفكرة تحمل، مهما كنت. انظر كيف انك تعتز بعقيدتك، وتدافع عنها، ولطالما جلست تحاسب نفسك وتنتقد ما فيها من نواقص، ولكن لشد ما تثيرك الانتقادات الموجهة لك مهما كانت منطقية .

نعم، تلك غريزة بشرية كسائر الغرائز، وهي غريزة حب الذات والقبيلة وحب الوطن، والاعتزاز بالعقيدة وحب الأولاد والآباء مهما بلغوا من الخسة، والرذيلة، والقبح والشراسة. فاللص يأبى في قرارة نفسه ان تخاطبه لصا، او تنكر عليه عمله، وافراد القبيلة يأبون الطعن في سلوك قبيلتهم، افراداً وجماعات، مهما بلغوا فيها من الانحطاط، وافراد الوطن الواحد مهما بلغوا من التأخر الاجتماعي، يأبون توجيه النقد، وبيان الحقيقة. اما حاملو العقائد فيتقاتلون تجاه عقائدهم مهما بلغت الوخامة والانهيار الخلقي، والمنطقي، كما ليس بامكانك توجيه النقد المحض مهما كان حقيقة وواقعا في أولاد أو آباء أو ذوي الافراد، الا وشعر في ذلك بالتأثر في قرارة نفسه، وجهّز نفسه للدفاع مهما بلغ، والانتقام عند سنوح أية فرصة!!! حتى اذا كان نفسه قالها، وانتقد نفسه او ذويه، او وطنه، او عقيدته، فانه يأبى ان تحط انت من كرامتها. فلماذا ؟

نعم تلك احدى الغرائز البشرية المستحكمة المستهجنة لا تتغلب عليها الا بالتسلط العقلي الشديد، والمقرون بالارادة القوية أو بالايمان المنبعث عن عقيدة دينية اسلامية اصيلة خالية من شوائب وعقائد الجاهلية، كما في قوله تعالى :

﴿ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق﴾[١].

نعم، ما اعظم الاولى، والثانية، واعظم واكرم بالثالثة، لقد بلغت غاية الخلق الانسانية المنطقية المثلى، ووضعت الحد الفاصل لتدهور الانسان الى المنزلة الحيوانية الخسيسة، ورفعته لارقى المثل العليا، ان حكم بذلك عقله وقرن بها ارادته وتغلب على غرائزه تلك، وما ابدع قول الشاعر حين يقول:

تـعيّرنا أنـا قـليل عـديدنا　　　فقلت لهـا ان الكـرام قـليلُ

والواقع ان الكرام أقل من القليل، وما اجلّ الاسلام واعظمه واجلّ نبيه الكريم، واعظم بقرآنه العظيم، الذي بلغ اوج المثل العليا في الخلق السامي، والمنطق السليم، وكم رفع منزلة العقل والعقلاء، والمفكرين المتدبرين وأشاد بكرامتهم وعلو منزلتهم، اولئك المنفذين اراداتهم للامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجامحين غرائز النفس والرذيلة لاقامة العدل وقول الفصل، والحد من الاجحاف وتتبع السبل الواضحة المستقيمة على حدّ قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً﴾[٢].

وكرّم القرآن أولي الألباب، فقال:

﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه﴾[٣] اولئك الذين هداهم الله، واولئك هم اولو الالباب.

---

(١) الحجرات، الآية الحادية عشرة وكذلك الآية الثانية عشرة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم﴾.

والآية الثالثة عشرة: ﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير﴾.

(٢) البقرة الآية: ٢٦٩.

(٣) الزمر الآية: ١٧ ـ ١٨.

وكم ذمّ الدنيا وحكامها وقصر مدتها، وأشاد بالاخرة وبيّن منزلتها ورتبها وفضيلة العاملين لها، بقوله تعالى :

﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾[١] بالمقايسة لدرجات وتفضيل البشر في هذه الدنيا المؤقتة، كل ذلك يريد الله ان يذكر به عباده المخلصين المؤمنين كي لا يتغلب عليهم الهوى وتتحكم فيهم غرائز النفس الامّارة بالسوء، من غريزة حب النفس وحب الطموح، وما فيها من الانانية والكبرياء، وما تستلزمه لبلوغها من الظلم للفرد والجماعة، والتعدي على نفوس الآخرين وحقوقهم، وأعراضهم، وسحق الحق، وما يستلزمه من كل الاعمال الدنيئة، من كذب، ونفاق، وخداع وشره وخسة ومكر، تحت لواء السياسة، والظهور بمظهر القدرة، والسطوة، يلقبهم بها من اتبعهم لبلوغ المأرب والغايات المؤقتة الفاسدة ويا ويل من اعترضهم وانتقدهم أو رد عليهم، ولم يعتبروا بالماضي، ولا يمنعهم ضمير حي ووجدان صادق، ودين مستحكم .

كل ذلك وهم يلبسون أعمالهم بعد ذلك برقعا مزركشا، وهل تخفى الحقائق؟

لا، أبدا وسيدركون يوم الحساب من شهادة اعضائهم وجوارحهم عليهم قوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم﴾[٢] بل هم في الدنيا لا يفارقهم الخزي والعار وان هي إلّا أيام معدودات ثم مأواهم التراب وبعدها اللعن والقذف .

---

(١) الاسراء : ٢١ .

(٢) سورة النور الآية: ٢٤ .

الدين والسياسة

﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً﴾[1] ومن الحكمة والعدل النظر بعين الانصاف وتركيز العدالة حتى على النفس واقرب الاقرباء لذا ادعو القارئ الكريم الى ان ينظر بعين البصيرة والحق ويبعد عنه العصبية والنعرات مهما كانت نفسية أو قبلية عنصرية أو عقائدية، أو غيرها. ويصغي اليّ لنتحدث بالمنطق السليم الذي يستمد آراءه من الحكمة وحسب، دون ان تَشُوبَهُ شوائب فتغير من لونه وصفاته كما تؤثر المواد في الماء الرائق، فتغيّر لونه وطعمه وحجمه وكثافته، والحقيقة ان العقل السليم لا يختلف عند البشر ان اصغى بتأمل وازال عنه كل ما يخالجه من عرف وعادة وانانية بالعائلة والمحيط، والتربية، وما تدسه فيه الاهواء، من الغرائز النفسية المتناقضة ببعضها، وان علم النفس الحديث تشعّب تشعباً كبيراً ومنه قراءة الافكار ونقلها للآخرين وقراءتها من الآخرين، وتمركز الفكر دون ان يشاب بأفكار اخرى نفسية أو غير نفسية. تلك التي تتوارد على الخواطر باسم تداعي الخواطر، فما تكاد فكرة ترد المرء إلّا وتواردت عليه بحكم تداعي الخواطر أفكار وخواطر قريبة وبعيدة، تتصل ببعضها بحلقات حتى لتكاد ان تضيع الفكرة الاولى. ولطالما نسي المرء فكرته الاصلية حينما تتزاحم الافكار الواردة من كل صوب. وقد ثبتت للفكر قوانين كما هي للنور والمغناطيس وكما تستطيع ان

---

(١) البقرة: ٢٦٩.

تجمع نور الشمس في عدسة وتمررها الى شيء وتحرقه، بقانون طبيعي خاص، فبامكاننا حصر الفكر في موضوع ما دون تشتت فنبعثه الى ادمغة الآخرين فيكون له حكم الايحاء لهم أو تسلط الفكرة المتمركزة على ادمغة الآخرين لقراءة ما فيها من افكار، أو نريد صياغة عبارة في موضوع ما بحيث يكون خاليا من الاغلاط المنطقية والشوائب الخارجة عنه فذلك بالتمركز، ومن قوانين الفكر والعقل.

وما حكمة الحكماء وتنبوء الأنبياء الا لما لهم من هذه القدرةالنفسية ذاتا في الحكماء، وما اكسبهم الله بها في الأنبياء وما بلغوا اليه بالدراسة والعلم في العلماء واخص منهم علماء النفس .

والعقل السليم لا يتغيّر، في مختلف البشر، وهو كالماء المقطر او الذهب المصفى عنصراً ويمتاز كهذه أينما حل، وفي أيّ امرئ كان، بنفس الصفات سواء بسواء، فهل تريد ان تحمل ذلك فهو في متناولك إن شئت، على شريطة ان لا تشوبها بشائبة اخرى، وعلى شريطة ان تربي فيك قوة الارادة، والتغلب على النفس واهوائها التي هي مقدمة لازمة لذلك .

ولننظر الامور بحقائقها دون تمويه، كالناظر بمنظار للاجسام الدانية الدقيقة أو العالية البعيدة، إذا عسر عليه معرفتها بالنظرة المجردة، فالعقل كثيراً ما يحتاج الى ما تحتاجه العين، للتوصل الى الحقائق كأن يستفيد من أدوات اخرى تساعده على الوصول لرؤية الشيء، كما هو، كما يراه الآخرون دون تغيير في لونه وحجمه وشكله وباقي صفاته، فهل اقتنعت مني أيها القارئ الكريم فاذا اقتنعت فاتبعني في البحث عن الدين والسياسة وسأورد في المقدمة بعض التعاريف كمقياس للوصول الى ما نريد .

ما هو العقل ؟

العقل هو ما يميز القبيح من الحسن، وقال علماء الدين في الاسلام، وهو ما عبد به الرحمن، وقصدهم واستنتاجهم، أن الرحمن دائماً يأمرنا بالشيء الحسن وينهانا عن القبيح في كل شيء في القول، والعمل، تجاه النفس والغير، **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** وقوله تعالى: **﴿ما جعل الله عليكم في الدين من حرج﴾**[1] والعقل ركن من الاركان الذي نتوصل به الى الدين، وقد قال الشيعة به كأصل من الاصول فكلما حكم به العقل حكم به الشرع، وهذا امر لا شك فيه، فقد عرفنا الله عقلاً، ولا زال القرآن يثني على العقل والعقلاء وأيضاً المتفكرين والمتدبرين وذوي الالباب، فكأنه في كل امر يستدل به يحكم به العقل والعقلاء ويخاطب فيه أولي الالباب، ويلقي اللوم على من ترك المنطق والعقل وراءه ظهريا.

ولا نجد ذلك في أصول وعقائد الأشاعرة حيث يقولون: كلما حكم به الدين فهو حسن، وما نهى عنه فهو قبيح، وفي هذا تعدٍّ صريح على الدين والعقل اذ الاجتهاد ركن بعد القرآن والسنة ولا يكون الا بالتمييز العقلي .

من هو العاقل؟

«من يضع الشيء في موضعه» كما قال الامام عليّ ﷺ ولا شك ان الجاهل هو عكس ذلك. وقد قيل : حدّث المرء بما لا يليق فان صدّق فلا عقل له، ومن المفهوم المخالف، حدّث المرء بما يليق، فان كذّب فلا عقل له. واذا سألت وما اللياقة وما ميزانها، فقد مرّ شرحه في تفسير العقل، فاللياقة لا تختلف في الميزان

---

(١) سورة الحج الآية: ٧٨.

العقلي بين العقلاء، كما لا تختلف درجات الحرارة من الناحية الطبيعية لحاسة الجلد والطعم لحاسة الذوق والطعام انما وضع ميزانه واحداً في جميع الناس، طبق مقاييس لا تتغيّر كماوضعت درجة الحرارة بالنسبة لحاسة الناس،وكل سنة تنتخب الدول ملكة للجمال بمقاييس وحدود يرتضيها الناس وربما اعترض البعض وقال اني أُحِبُّ تلك البيضاء، أو السمراء، أو السوداء اكثر من ملكة الجمال فالشاذ لا يقاس عليه، ولا يعتبر ميزانا، بل هو شذوذ والشذوذ لا يخلو منه البشر وعلى هذا قال الشاعر:

تعشّقها سمراء بادٍ عيوبها　　　وللناس فيما يعشقون مذاهب

والشذوذ كما هو في النظر يكون في الذوق، والسمع وباقي الحواس. ومع كل ذلك، فالمقياس الاصلي للحسن والقبيح لا يتغير وللعقل مقاييس لا تتغير.

ويجب أن لا يخفى علينا ان القوانين البشرية الموضوعة التي اختلفت منذ القدم، بين الطبقات وتختلف من حين لآخر، انما تعبّر عن عدم لياقاتها، وأنها عقلاً لم توضع في موضعها.

ما هو الدين ؟

هو عقيدة تتملك المرء العاقل منشؤها الايمان النفسي العميق، مستحوذة علي سلوكه تجاه نفسه وغيره. ويمكن القول عن ذوي الاديان السماوية هو الايمان بقدرة خارقة حكيمة مبدعة مسيطرة دائمة على كل شيء في كل زمان ومكان وما جاء به القرآن الكريم ﴿إنَّ الدين عند الله الاسلام﴾ وما انزله على رسوله محمّد خاتم النبيّين ﷺ.

من هو الكافر ؟

هو المنكر للحقيقة. وفي الاسلام هو المنكر للأصول وهي : التوحيد، والنبوّة والمعاد والامامة والعدل ولا يقول بالاخيرتين أهل السنة كأصل .

من هو الفاسق ؟

من أقرّ بالحقيقة لسانا، وخالفها قولا أو عملا .

ما هو الظلم ؟

الظلم بنظر الاسلام هو الشرك بالله أو تجاوز أوامره أو نواهيه، ولغـة هـو التعدي قولا أو فعلا، نهياً أو امرا مادة أو معنى، على النفس أو الغير، فرداً كان أو جماعة، ملحقا أياها ضرراً مادياً أو معنوياً. فمن أنكر قولاً أو عملاً لآية من سورة التوحيد فهو كافر وظالم، ومن خالف أوامر الله فيما أمر به أو نهى عنه فهو وإن أقرّ بالله كما في آية التوحيد، فاسق وظالم وإلاّ فهو كافر، وظالم من حرّم على نفسه ما أحلّ الله له عفواً، أو حبسها أو عذّبها بحرمان نفسه مما لديه من نعم الله، أو عوّدها على ما يضرّ بها من عادات مهما كانت، من قمار، مخدرات وأتعاب مضرّة، وحتى من سكن محلاً يضرّ بها وهو يطيق الهجرة كما جاء في الآية الكريمة ﴿**ان الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**﴾[1]، كما أنّ من لم ينه نفسه عن هواها حتى يتضرر فهو ظالم لها والاعتداء على نفس ومال

---

(١) النساء الآية: ٩٧.

وعرض الغير والاعتداء على مشاعر الناس، وعـقائدهم وسـلوكهم وعـاداتـهم وكل ما هو في ضررهم، فهو ظلم. وقد يـمتد الظـلم مـن لحـظات الى سـاعات الى سنين وأحـقاب جـيلاً بـعد جـيل كـما نـرئ مـؤسسي العـقائد والمسـالك والمذاهب وذوي العادات السيئة مما يفسد أجسامهم أو يسمم عقولهم وافكارهم ويبعدهم عن الحقيقة والواقع ويشتتهم ويمزقهم بالعداوة والبغضاء، ويحيد بهم عن الصراط السوي فهو ظالم واذا كان في هذه الاعمال ما يخالف أوامـر ونـواهـي الاسلام فهو ظالم وفاسق واذا كان عمله على أساس عدم عقيدته بالدين، فهو كافر وفاسق.

الجزاء

وبعد كل هذا فالجزاء للظالم يختلف بالنسبة لنوع عمله وتعدد جرمه، ظلم نفسه ظلماً خفيفاً أو عظيماً، أو ظلم غيره ظلماً على النفس أو المال أو العـرض، لفرد أو جماعة، وهل هذا الظلم مؤقت فحسب، أو يوماً، أو شهراً، أو سنة أو سنين أو جيلاً فجيلا، يتوارثه الابناء عن الآباء، نعم هذا الظلم يختلف من هذه الجهة كما يختلف من جهة نفس الظالم ودرجة فكرته وعقله وعقيدته واصراره قال تعالى: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾[١] وقال أيضاً: ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومـن يـعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[٣].

---

(١) سورة الاسراء الآية: ٢١.

(٢) سورة النور الآية: ٢٤.

(٣) سورة الزلزلة الايات: ٧و٨.

السياسة

لغة هي المداراة، واصطلاحاً هي الغاية التي تبرر الواسطة، والعمل لبلوغ الهدف، بأي واسطة كانت فكلما يوصل ويحقق الهدف مهما كان ذلك السلوك سواءٌ أكان من طريق الصدق أو من الكذب أو من طريق الصراحة أو الخداع أو الغش والمراوغة أو من طريق القهر والغلبة، أو الصداقة والموافقة، أو من الظلم أو العدالة، أو من طريق الدين والايمان، أو من طريق النفاق والمكر، أو من طريق الفضيلة أو الرذيلة، فالسياسة هي تبرر الوسيلة والواسطة لبلوغ الهدف والغاية، والسياسة هذه لا تكون الا دنيوية ولا يقبلها الوجدان والضمير، ولا المنطق السليم، فلا يمكن ان يكون الرجل الرباني المخلص في ايمانه والمؤمن في دينه رجلاً سياسياً من الطراز المذكور، لأنّ الدين ينهى عن المنكر ويأمر بالمعروف، ولا يستحل الرذيلة من مكر وخداع، وغش وظلم واعتداء وكذب وفسق وفجور، فمن قام بها فليس برجل دين. والسياسة لا تعترف بحدود ما أمر الله ورسوله ويجوز عندها أن تفسّر ما تقوم به، بل ربما يجب عليها ان توجهه بما تستطيع أن تثبت كل رذائلها فضائل، وتبرر جميع أعمالها المفتريات، وتَصِمَ أعداءها من ذوي العدل والاخلاص الحكماء والأولياء وذوي المكارم، وأهل الفضائل، وأقطاب الدين، وأعلام المنطق وسراة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذابين عن الحق والحقيقة، والمجاهدين ضد الفساد والرذيلة، بما تشاء.

نعم، للسياسة أن تَصِمَهُمْ بأخس ما يعرفه البشر، ولها ان تقتل هؤلاء وأنصارهم، وتستبيح اموالهم واعراضهم، وتسبي أبناءهم ونساءهم، بل وتقطع دابر احيائهم، لتخفي كل ما قد يظهر من الحقيقة ومن جهة أخرى، ان تنصر أعوانها وأنصارها، وتبيح لهم كل رذيلة باسم العدالة، باسم الفضيلة، باسم الانسانية، ولها ان تقدّم جدولاً من أرقى وأفضل ما يمكن ان ترتكز عليه المدينة الفاضلة

والحكومة العادلة والمثل العليا، تلك التي يتمناها البشر فتجعله منهجها الفذ وسبيلها المستقيم لاقامة دولتها ودون ذلك الحقائق المموهة، والمجازر والاعتداءات، والمظالم، فهي تحاول تمويه ذلك على العامة، وسحق العقلاء المخلصين. ولكن الى متى؟ وهل يمكن أن تدوم تلك؟ وحتى متى يستطيع الانسان أن يغلب أخاه ويموّه عليه؟ كلا، لا يمكن ذلك طويلا، وربما خفي على الجهّال، ولكن ماذا تقول بالعقلاء؟ فلنعد الى التاريخ منذ القدم، الحكومات، الاديان، ذوي العقائد والغايات والمطامع من المستعمرين وذوي القدرة والسيطرة، باسم الفضيلة والعدالة وباسم الدين، كم وكم عمّ البشر من الشقاء والويلات، واقرب من كل ذلك أمس عصر النور، واليوم عصر الذرّة، الحرب العالمية الاولى، وبعدها الحرب العالمية الثانية، وما تخلّلها من مظالم باسم الديمقراطية والفاشية والشيوعية، في الشرق والغرب، اعتداء الاقوياء على الضعفاء، أفراداً وجماعات، واستبداد الاقوياء بالضعفاء باسم الاصلاح لاخفاء معالم الحق والقضاء على الداعي الى الاصلاح والى الحقيقة ودفع الظلم، فالدول القوية تحتل الصغيرة وتستثمرها فان دافعت فجزاؤها الدمار، وافراد الشعوب الناطقون بالحقيقة مأواهم السجون، والقتل والتعذيب، وبعدها اشهارهم بالعصيان والعدوان، فانظروا المجازر في بلدان الشرق الادنى والاوسط والاقصى، وافريقيا واميركا اللاتينية، بل وداخل الدول نفسها واستبداد زعماء الدول وانصارهم في الشرق الاقصى والاوسط وافريقيا واميركا اللاتينية بالاحرار ورجال الاصلاح. ومن قبلهم خلفاء بني امية وبني العباس، بمن خالفهم وقبلهم الاشوريون والاكاسرة والرومان واليونان، والمصريون، ومن دعا للاصلاح من الاحرار امام مظالم الكنيسة المسيحية، تلك هي السياسة وطالما سمّي الساسة من هذا الطراز بذوي الرأي الصائب، والاقلية الفاضلة لا تقرّ ذلك ولن ترضاه؛ اذ يخالف الدين، يخالف العدالة، يخالف الوجدان والضمير الحي، يخالف ما أمر به الله ورسوله،

ويخالف رأي الصفوة المخلصة من البشر. وكيف يرضى العاقل الحكيم أن يستبد الجاهل المستهتر، القاسي العاتي، الذي لا يحسب للفضيلة حساباً، ولا يقيم لها وزنا، إلّا ما يسدّ به جشعه ويرضي نفسه وغرائزه، وما السياسة هذه إلّا مفسدة للبشر ومنبع للفساد والظلم، ومصدر للجهل الاجتماعي، ومبعث للغواية والفسوق والفجور، والقسوة والمظالم اينما حلت، افسدت، وجرّت معها الحرمان. لا ننسى كلمة الامام علي ﷺ حين طعنوا في رأيه ودولته فقال : «لولا التقى لكنت أدهى العرب».

ومنه يظهر انهم كانوا يندّدون بسياسته وهو رجل الحق والعدالة والدين، أول الناس ايمانا وأولهم اسلاماً ووصي رسول الله خاتم النبيين الذي عيّن ولايته بأمر من الله، فكان منه بمنزلة هارون من موسى .

وهناك من الساسة من يغتصب حقاً ومنصباً ليس له بحكم الدين بحكم النص المنزل، النص الالهي أو النبوي، ويجلس مجلساً لا يحق له جلوسه. مجلسا لأعلم أهل زمانه وأعدلهم وأتقاهم، وأشجعهم وأبلاهم بلاء حسنا. وأبعدهم وأدقهم بصراً وبصيرة. وأرعاهم للرعية، وأصدقهم لله ولرسوله، مجلسا ومقاما، دعاه الله ورسوله إليه، فإذا عصبة تحتال على الجماعة، بالمكر والخداع، والغش والتزوير لتنصب عونا من أعوانها ويتظاهر بالصلاح والفضيلة، وهو حريص على الدنيا حرص الأول على العقبى ولا يألو من الوصول الى الهدف باسم العدالة والدين ان يسلط اعوانه على المصلحين ذوي الحق وأتباعهم باسم الردة والخارجين عن الدين والمفسدين، لتسلب حقوقهم وتَصِمَ سمعتهم وتسحق من قد ينبس ببنت شفة من أتباعهم كل ذلك بالتمويه على العامة والاغواء والاغراء للآخرين، وسد أفواه العارفين الصادقين بالقهر والغلبة والتخويف، والارهاب، والسحق والمحق عند اللزوم، وبعدها اقصاء آخر فرد من المعترضين عن أي منصب. وتضعيفهم لاقصى حد ممكن، في حين يتركون اعوانهم من ذوي الاهواء

والعصبية ومن سلك مسلكهم يفعلون ما يشيد حكمهم ويذللون رقاب الناس لهم، والسياسة باعتبارها صفة من بلوغ الغايات الدنيوية. فهي تحاول في الوقت نفسه بسط نفوذها في الحاضر وتوطيد ملكها في المستقبل، ولكن هيهات أن يدوم الظلم، وان دام دمّر، وكما قيل : وما ظالم الا سيبلى بأظلم. وهاك مثلاً جلياً ما عمله معاوية بن أبي سفيان هذا الذي فتك بصحابة رسول الله وذرية النبي الاكرم، ابتدع سب أول رجل في الاسلام، هو وصي رسول الله و أخو رسوله من قد فرض الله ولايته على المؤمنين، يحتم سبّه بعد كل صلاة وكل عيد وبعدها قتل من ذكره بخير وقتل من أطرىٰ آل رسول الله وما ورد فيهم من كرامات، وتحريف الروايات الواردة في مدحهم وولايتهم واطاعتهم الى ذمهم قدر ما استطاع واختلاق الكرامات وكيل المدح لمعاديهم ممن كان تحت مراقبة رسول الله، وممن أقصاه وطرده، وممن لعنه. واستئجار واستخدام وشراء ضمائر جماعة ممن حضر عهد رسول الله بضعة ايام أمثال أبي هريرة لخلق عشرات آلاف الروايات في مدح أعوانهم[1] وقدح أندادهم وتلا معاوية وآله مروان وآله، فما اغنى عنهم ملكهم،

(١) قال الشيخ مجد الدين الفيروزآبادي صاحب قاموس اللغة في كتابه سفر السعادة أن ما ورد في فضائل أبي بكر فهي من المفتريات التي يشهد بديهة العقل بكذبه. وجاء في الصواعق المحرقة صفحة ٣٣ اعتراف مروان بدفاع علي عن عثمان وقال العجلوني (اسماعيل بن محمد بن عبدالهادي بن عبدالغني العجلوني، الشافعي، الشهير بالجراحي (أبو الفداء) مؤرخ، محدث، مفسّر ونحوي، ولد بعجلون ١٠٨٧ هـ ١٦٧٦ م، ونشأ بدمشق، وتوفي بها في المحرم عام ١١٦٢هـ ١٧٤٩ م ـ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ٢ / ٢٩٢) في كتاب كشف الخفا ومزيل الالباس (صفحة ٤١٩ و٤٢٤) فضائل أبي بكر الصديق (رض) أشهر المشهورات في الموضوعات كما كذب السيوطي فضائل أبي بكر في اللآلئ المصنوعة (ج ١/ ص١٨٦ ـ ٣٠٢) وأيضاً ما دسّه وأمر بدسّه معاوية وكتب لعماله في الآفاق أخرجه أبو الحسن المدائني في كتاب أحداثه. وتاريخ نفطويه ابن عرفه، ورواه ابن أبي الحديد في الشرح (راجع الغدير ٥ و ٦ و ٧) وفي اعمال أبي بكر راجع موسوعتنا المجلد الثالث (نفس الكتاب) أيضاً راجع المجلد الرابع عشر صفحة ٢١٥ الى ٣٩٥ من شرح نهج البلاغة في المناظرة بين علي وأبي بكر، وسنذكرها مفصلاً.

فباءوا بغضب من الله ورسوله وأبادهم العباسيون وهم الدعاة لآل بيت رسول الله فأبادوهم شرّ ابادة، وبعد تسنّم الحكم اصبحوا ألد اعداء آل رسول الله ﷺ وكلما دخلت امة لعنت اختها، وشرّدوهم وفتكوا بهم شر فتك، حذار المطالبة بالملك ونصبوا أنفسهم خلفاء لرسول الله، كما نصب معاوية ومروان قبلهم نفسيهما وذويهما خلفاء، ولم يألوا جهداً في مطاردة آل الرسول وطمس اعلامهم والحقائق المنسوبة اليهم، وقد كانت هذه كلها ويلات صبّت على الامة الاسلامية وأضعفتها وفرقتها ومزقتها شرّ مُمَزَّق. وإذا تحرّيت أساس كل تلك المظالم والمجازر والمخالفات والضعف والتفرقة وتشتت كلمة الاسلام، فانما تجدها تبدأ في سقيفة بني ساعدة عند وفاة الرسول الكريم ؛ من مخالفة أوامر الله ونصوصه وعدم اتباع أوصياء رسول الله من بعده الذين نصبهم ﷺ بأمر الله بما ورد من الآيات والروايات المسندة فشحّت عليها نفوس قوم فاغتصبوها وكانت تلك نتيجة سياستها التي سوف يأتي شرحها بالادلة القاطعة فهل من يصغي الى قول الله وبشارته ﴿فبشّر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب﴾ وما كان ذلك الا مثل قوم موسى حينما خلّف عليهم هارون أخاه فخالفوه وكادوا يقتلونه، وارتدوا وكفروا وعبدوا العجل واتبعوا السامري .

الحـــرية

ما اجملها من كلمة «الحرية» وأعظم رجل في التاريخ يدافع عن الحرية ويدعو اليها هو الامام الحسين بن علي عليه السلام الذي قدّم نفسه وذويه وأصحابه قرباناً، وعياله للسبي ؛ لاعادة الحرية الفردية والجماعية، واحياء دين جده الذي كاد يطمسه آل امية فكان ما كان، وكلمته المشهورة لأهل الكوفة حينما خاطبهم قائلاً:

«يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تـخافون المـعاد فكـونوا احراراً في دنياكم» .

فقد تأسر أنساناً بالمال والقوة وتخضعه لنفوذك وتلزمه اتباع أوامـرك، أو تحبسه وتسجنه، فتحرمه طعم الحرية البدنية، وقد تأسره رأيـا وعـقيدة فـتجعله أسيراً خاضعاً لا يحيد عن اتباعهما وما أكثر هؤلاء بل قل كل البشر أسراء ذلك الا من وهبه الله الارادة والعقل السليم والبصيرة للحقائق والمدركة للواقعيات. ومن الاسراء من استحوذت عليهم الخرافات والاديان والمذاهب التي وضعها البشـر وما أكثرها في آسيا واخص منها في الهند وافريقيا وأوروبا وأمـيركا وغـيرها، ومثلها المعتقدات السياسية التي اتخذها البعض مطية لبلوغ اهدافهم وما هي عليه اليوم في زماننا من عقائد شيوعية وديمقراطية وفاشية درجوا خواصها وسـاروا عليها اسما وحادوا عن حقائقها كما تشاهد ذلك في ما تعمله الدول الديمقراطية باسم الديمقراطية في الشرق والغرب من التعديات وتكالب الشيوعية فيما بينها وتفرق اتباعها فيما بينهم، وما فتكت الفاشية وعملته من مجازر ومذابح، وهناك العقائد الأخلاقية والفلسفية والمناقضة لها وما فتكت بارقى أفـراد البشـر مـثل سقراط وتلاميذه، وما استعبدته البابوية بالعلم والدين والعقيدة، ووو ... الخ .

وهناك الحريات المسلوبة من جراء انتشار العادات المستهجنة كاستعمال بعض المواد المخدرة والمشروبات الكحولية واستهواء بعض الاعمال مثل القمار وحضور محلات اللهو والفجور، بحيث تصبح عادة فتنهك الجسم وتسلبه كل قرار وراحة، وتعود اضرارها على الفرد والمجتمع .

ولا يجوز لنا القول باضرار جميع المعتقدات من دينية وغـير ديـنية. كـلا فهناك من بعث بدين قاصداً انقاذ البشرية من الأسر والبؤس والجهل والأخذ بيده الى الحرية والسعادة، ونور العلم، ولعمري أي مثل أرقى من الدعوة الاسـلامية

الموجهة للعالم كله. كلمة التوحيد كلمة البر والاحسان والاصغاء للعقل، والتفكير في وقائع الامور والتلذذ بملذات الحياة. قال تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا﴾**(١).

تزكية النفس، عدم ظلم النفس، وعدم التعدي على الغير، والخلق السامي، تجنب الظلم بأنواعه، واقامة العدل حتى على النفس وأقرب الاقرباء، وتساوي الحقوق البشرية على الإطلاق، وعدم تفضيل احد على آخر الا بالتقوى. المؤمن كفء المؤمن من أي عنصر كان ولون ومركز وغيره.

ويكفينا أن نرى الحجاز والجزيرة العربية كيف كانت قبل الاسلام حتى بآلاف السنين، و كيف ارتفع شأنها باقل من عشر سنوات للهجرة فتشكل امبراطورية. كيف كانت سيرة رسول الله مع اصحابه المسلمين، والقرآن الكريم وما فيه من تعاليم واخلاق وعقائد، يقصد بها سعادة البشر وخيره، وقوله **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾**(٢) وقوله: **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾**(٣) ولقد وضع رسول الله للحياة البشرية مناهج السعادة، وأنزل الله لهم كتابه الكريم، بما فيه من التعاليم، ولم يتركهم النبي ﷺ سدى بعده فعيّن أوصياءه من بعده حيث قال: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعتري أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا» وقوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»(٤) وهل يمكن ان يترك امته دون أن يعين وصيّه

(١) سورة الأعراف الآية: ٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٥.
(٣) سورة الحج، الآية ٧٨.
(٤) معالم المدرستين للعسكري ٤٢٨/١ و ٤٢٩ نقلاً عن ذخائر العقبى، لمحب الدين الطبري / ص ٢٠، و في رواية أخرى: «ومن تخلف عنها هلك» كما في كنز العمال، ط١ / ج٦/ ١٥٣ و٢١٦. وغيره من المصادر.

من بعده، وهو حامل لواء الحكمة والمنطق والعقل الذي هدى هذه الامـة وهـو خاتم النبيين .

وما تفرقهم الا لتركهم وصيته في الثقل الثاني واتباع من لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا يدلهم على طريق الرشاد، فكان ما كان، وان وصلوا هذا الحد الذي بلغوه فما هو الا بفضل القرآن والتعاليم الثابتة، وما كان قصد رسول الله ﷺ الا ان يقود هذه الامة اعلمهم واتقاهم وازهدهم واشجعهم واثبتهم على اتباع حدود الله ورسوله وأدراهم بتأويل آيـاته، وابـعدهم نـظراً وادقـهم فـي حـاضر الاسـلام ومستقبله، ولكن اغتصبوها، والمسلمون في عهد لمّا يتأصل الدين في نفوسهم بعد، واعداؤه من مشركين ومنافقين وأهل الكتاب المتربصين بالمرصاد في أي نزاع قد يقضي على الاسلام من اصله وما كان من يطلب الاصلاح الا بالصبر ورعاية الاصلاح كما جاء في الخطبة الشقشقية. وكـما جـاء فـي خـطبة الزهـراء التـي سندرجها في هذا الكتاب .

النفاق واخفاء الحقيقة

ومهما تكن عند امرئ من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

(ومثلها: ما في الجنان يظهر على صفحات اللسان). هـذه وان عـنى بـها الافراد في سلوكهم، فكثير من الافراد يحاولون اخـفاء مكـنوناتهم فـيتظاهرون بصفات ويخبئون صفات ومزايا اخرى والغالب يـتظاهرون بـالصفات الفـاضلة والمزايا الجميلة، من كرم وشجاعة، ومعروف، وصدق واخلاص وتقوى وصلاح ويحرصون على اخفاء ما يخبونه من الرذائل، من بخل وجـبن وكـذب ونـفاق وفسق وفجور وفساد، ولكن هيهات فهي تظهر في اقوالهم وافـعالهم وسـلوكهم واعمالهم، وهذا الخلق قد ينتقل من الفرد الى الجماعة، وهم يـدرجـون مـنهجا

يسردون فيه غايات سامية واموراً اصلاحية، وموارد تبعث الرغبة لاعتناق فكرتهم والانخراط في مذهبهم أو حزبهم، واذا بهم عند بلوغ الهدف رجال سياسة يستسيغون كل منكر، ويستحلون كل قبيح، ويكرهون ويتجنبون كل فضيلة تناقض غاياتهم. ومع هذا فلا تجدهم يذعنون للواقع بل دائماً وابداً يحاولون القاء جلباب الحق على مجسمة الباطل وتشويه الحقائق وتزييفها، بما تستسيغه رغباتهم وغاياتهم، وبقدر ما يبلغون من مدارج القوة يزيد ظلمهم وقساوتهم وبقدرها تزيد دعايتهم لتمويه الحقائق وتغشية اعمالهم بالصفات الفاضلة والعادلة والمعقولة. واليوم كم تجد في رجال السلطة من يتملك كل وسائل الدعاية من مال وثروة لنشر كل ما يروق له في الصحف والمجلات الاجنبية بقوة المال، اضافة الى امتلاك كافة وسائل الدعاية الداخلية من صحف وراديو وتلفزيون وغيرها وشراء ضمائر الافراد ونصبهم في المجالس العامة باسم نواب الشعب واعيانه، وبث الجاسوسية لمن تحرضه نفسه للنقد والقاء القبض عليه لزجه في اعماق السجون أو قتله أو تعذيبه، هذا اليوم نجدها في كثير من الدول في الشرق الادنى والاوسط وكثير من البلاد الاخرى، وهل لك ان تخاطب الغاصب غاصبا، والظالم ظالما، والسارق سارقا، والدنيء والرذيل دنيئاً ورذيلاً، وبيده القدرة والسلطة والمال وتسنده القوى المماثلة ذوات المطامع الكبيرة، كلّا والف كلّا، فما هو العلاج إذاً ؟

فمن هو المنافق؟ بلى هو المتظاهر بخلاف ما يبطن وهو بعرف الاسلام:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة   ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

اما ان يكون فاسقاً مرائياً أو كافراً مرائياً، فالنفاق يولد أشد أنواع الكفر والفسق[1] بعرف الشرع، وطالما حذر القرآن المسلمين من المنافقين واعمالهم، ويظهر ذلك في أعمالهم وأقوالهم وهم أشد خطراً على الاسلام والمسلمين ومن

(١) ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار.

ألد أعدائهم من اهل الكتاب ومن المشركين، وكم كان لهؤلاء الدور الخطير على حياة رسول الله ﷺ وأعظم منه بعد وفاته حيث خالفوا أوامر الله ورسوله فيما نزل في كتابه وما أعلنه على رؤوس الاشهاد مثل تعيين وصيّه وخليفته من بعده علياً وآله من ذرية رسول الله فغصبوهم حقهم وطاردوهم في حياتهم، واوصـوا لالد أعداء الاسلام بالخلافة من بعدهم، نصاً وتـلميحا، ومـزقوا بـذلك الاسـلام تمزيقا، وأضعفوه جيلاً بعد جيل كما فعل أصحاب موسى مع هارون حين غيبته بيد أن ذلك كان أشد في الاسلام، إذ أن موسى عاد واصلح ما أفسدوه، ولم يعد محمد ﷺ بل كان الواجب على وصيّه المنصوب من الله وذريته الثـقل الثـاني المعادل للقرآن في حفظ كيان الاسلام ورعايته، وان غصب حقهم وأخـذ عـلى أمرهم، فكان لا بد من الصبر وبذل الجهود قدر المستطاع لحفظ بيضة الاسـلام، واصلاح ما فسد، وعلى أقل تقدير حفظ الاصول وابعاد البدع، مـرة بـجهودهم ومرة بدمائهم، فكم تحمل الامام عليٌّ بعد رسول الله وما أصاب زوجته الطاهرة الزهراء وهم وشيعتهم يعانون ما يعانون لا من غصب حـقهم وحـسب بـل وهـم يشاهدون السفينة بيد غير ربّانها فعليهم هـدايـته، فكـم عـدلوا مـا اعـوج مـن الاعمال، واصلحوا من الفتاوى والاجتهاد الخاطئ على هذه الامة، وكم نصحوا في نصح اعدائهم الغاصبين في ادارة دفة الحكم وادارة دفة الحروب ثانية مراقبين الامور من كثب، حتى قتل عليٌّ المرتضى بضربة اشقى الأشقياء، وإذا به يـقول: «فزت وربالكعبه» فانظر الى حياته التي كان يقاسيها وهو خليفة، فيشعر بالفوز بالموت.

واما أبناؤه الأئمة فلم يكن جهادهم أقل منه، كيف انتهت بموت الحسـن مسموما وقتل الحسين وأولاده وأخوته وصحبه شهداء وسبي نسائه وقاية لدين جدهم، وهكذا كان شأن أولادهم بين قتيل ومسموم ولم يألوا جهداً لحفظ الاسلام ونشر شريعته الحقة لذا اذا قايست ما أدلوه من الروايات وما افتوه واجتهدوا به

تجد البون الشاسع بينهم وبين غيرهم من علماء المسلمين حتى اولئك الذين اخذوا منهم.

المســـــلم

من اعترف بدين الاسلام وبالتوحيد والنبوة ويكفي الاعتراف لساناً وقوله تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تريدون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة﴾**[1].

المـــــؤمن

والايمان اعتقاد قلبي عميق، والمؤمن هو المعتقد، والايمان لا يخص مذهبا أو عقيدة أو فكرة، بل كل من اعتقد بشيء وأحبه وايقن به، وعمل من أجله واثقاً وثوقاً قلبياً؛ كان مؤمنا به وفي الاسلام: من أخلص لله وآمن برسوله ووثق وأطاع أوامره وعمل بها ظاهراً وباطناً.

(١) سورة النساء، الآية ٩٤.

العدالة في الجسم الانساني

هي من ابرز العدالات التي يجب ان تجلب انتباه العاقل والمتعظ والمؤمن المخلص، وقد قيل «اعرف نفسك تعرف ربّك» .

١ ـ فالعدالة واضحة في تقسيم الطعام والغذاء على الاجهزة والحجيرات والخلايا من اعلاها الى ادناها على قدر ما هو موجود في البدن وبقدر الاحتياج دون ذخيرة خاصة لجهاز دون جهاز وحجيرة دون حجيرة .

٢ ـ العدالة واضحة في توزيع الاعمال الاختصاصية في كل جهاز ولكل حجيرة، فليس للقلب ان يعمل عمل الكبد، ولا الطحال عمل الكلية، ولا المعدة عمل الرئتين، ولا واحدة منها عمل المخ أو المخيخ ولكل منها حجيراتها فلاترى قيام حجيرات المخ مقام حجيرات القلب، وحجيرات القلب مقام حجيرات الكبد، ولا حجيرات الكبد بمحل حجيرات الامعاء، والعكس بالعكس، واذا اراد طبيب ترميم قسم من البدن فلا بد له ان يرمم ذلك بما يساويه من تلك الحجيرات، واذا أخطأ ورمم حجيرات المخ، بحجيرات أي جهاز آخر غير المخ، أو رمم حجيرات الكلية بحجيرات الطحال ؛ فمعناه القضاء المبرم لا على الجهاز فحسب، بل على البدن كله.اذن لا يجوز في البدن الانساني وضع الشيء في غير موضعه أو ترميم مركز بمركز مخالف أبداً، اذ لكل ميزته. وإذا عمل ذلك بقدر ما كان التغيير قريبا أو بعيداً، ففساد وخراب ،وذلك نفسه يجري في تشكيل المجتمع البشري. وماترى

فيه من المفاسد والمجازر والظلم والاستعباد كل ذلك لوضع الفرد في غير موضعه وإسناد المناصب لغير متخصصيها، وقد شاهدت بام عيني رجلاً حصل على درجة الدكتوراه في الآثار القديمة من المانيا وهو لا يعرف سوى اللغة الالمانية، وعند استخدامه في العراق في عهد الاحتلال البريطاني عينوه مدرساً باللغة الانكليزية، وذلك في بلاد مستعمرة وكلما نادى أن ذلك يخالف تخصصه وانه لا يعرف اللغة الانكليزية لا يرى من مجيب، وعلى هذا لا يستطيع ان يفيد ولا يستفيد. اما اذا كان المنصب حساساً كرئيس دولة أو وزير فعلى قدر حساسية المنصب تتوضح الاساءة للمجتمع، كما قيل ان في بلاد مستعمرة اخرى زيفوا قنابل المدافع في مراكز الجيش وعندها تجد الجيوش المهاجمة مرتعا خصباً للهجوم أمام هذا الدفاع المزيف[1].

٣ ـ ومن العدالة عدم التزييف والتحريف في وصول الانباء في البدن الانساني. فالأنباء والإيعازات والمطالبات والاخبار كلها تصل مراكزها صادقة حقيقية طبقاً لواقع الطبيعة البشرية واحتياجها فيكون التدارك واقعياً أيضاً والتلبية حقيقية.

اما اليوم فتجد في كثير من البلاد اختلاق الاخبار والانباء لإغراء واغواء افراد الشعب، وترى الكذب والتزلّف والنفاق في الامة الواحدة.

٤ ـ قيام كل عضو بوظيفته دون تدخل في الاعضاء الاخرى الا بالقدر المحدد له طبيعياً، وهذا ما لا تجده في أكثر المجتمعات البشرية حيث ترى الطبيب والمحامي والموظف والتاجر والعامل ووو الخ، كل منهم يتجاوز اختصاصه ماداً يده الى اختصاصات غيره ومقصراً في وظيفته التي انيطت اليه. فترى الظلم والتعدّي نفياً واثباتاً واضحاً في المجتمعات البشرية.

---

(١) وهذا ما حصل بعد وفاة محمد ﷺ فسبب انقسام الامة وضعفها الى اليوم.

وفي جميع ما مر عند عدم وجود تشابه بين اجهزة البدن الواحد والسلطات في المجتمع يولد فساد وأدواء اجتماعية قريبة وبعيدة مثل تخصص الاطباء في البدن والحكماء وعلماء الاجتماع في المجتمعات الانسانية وفوق جميع العلماء والحكماء لمعرفة تلك الادواء هم الانبياء والرسل الذيـن جـهزهم الله بأوامـره وأرسلهم لهداية البشر، ذلك بعرف الدين الحنيف فإذا بحثنا في الدين فيجب ان لا نخلط السياسة به لأنَّ الدين كما نعرف ابعد مدى وأدق في تعليم البشر لسعادته الدنيوية والأخروية وتعميم المساواة في جميع طبقاته دون قـيد أو شـرط فـي جنسه ولونه وعنصره وغير ذلك، فكلهم امام الله على حد سواء.

وبعد ان هيأنا أنفسنا دينياً فعلينا عدم ادخال السياسة الدنـيوية أبـداً فـي الامور الدينية. فالسياسة اقتضت في زمن بني امية ان تسند المناصب الحكومية للعرب فحسب، وان يكون العرب سادات العالم، وليس لغير العرب ذلك. وجاءت بعدها السياسة العباسية فأدخلت الفرس وثم ادخـلت التـرك واخـتلف الآراء والعقائد في الدين الواحد والأصل الواحد بمخالفة الآية ﴿ان اكـرمكم عـند الله اتقاكم﴾. فكان اسناد المـناصب بـعد النـبي ﷺ الى غـير اهـلها وقـيام غـير الاخصائيين الدينيّين الذين عناهم الله ورسوله مؤدياً لقـيام جـميع تـلك الفـتن والفرق والضعف وجميع تلك المظالم والمفاسد. لذلك قدمنا حديثنا مشروحا عن المواضيع الماضية أخص فيما سلف عن الدين والسياسة وان الديـن والسـياسة شيئان مختلفان. والدين انما هو من الله وبأمره أوحاه الى رسـوله مـحمد ﷺ واوجب اتباعه وقال عن نبيه ﴿لا ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحيٌ يـوحى﴾[1] كما قال الله أيضاً في كتابه الكريم﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نـهاكـم عـنه فانتهوا﴾[2].

(١) سورة النجم، الآيات ٣ و ٤.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

وكم وردت في سورة المائدة ٤٤ و ٤٥ و ٤٧[١] آيات في من يخالف أوامر الله ورسوله فقال: انهم الكافرون والظالمون والفاسقون. ولكم بيّن رسول الله وهو العقل الكلي لهذه الامة الاسلامية وهو الذي عرفه الله واوجب عليه ان يعرّف وصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام فأدلى له قولاً وفعلاً ورباه منذ الصغر وبرهن على انه اشجع واعلم واتقى اهل زمانه واقربهم الى الله ورسوله، لم يسجد لوثن ولم يدخل حرباً الا كان رئيساً بعد رسول الله وفاتحاً في كل حروبه، نصبه وزيرا ووصيا وهو بعد في الرابعة عشرة في يوم الدار حينما نزلت الآية ﴿وانذر عشيرتك الاقربين﴾[٢]، وهو الذي بات في فراش النبي ليلة الهجرة فادياً اياه بنفسه. آخاه قبل الهجرة وبعدها وقال فيه: «انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي»[٣]، وزوجه ابنته سيدة نساء العالمين وهو الذي فيه وفي زوجته وابنيه الحسن والحسين نزلت آية التطهير[٤] وهو الذي نزلت فيه آية الولاية ﴿انما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٥] حينما تصدّق في صلاته، وهو نفس الرسول صلى الله عليه وآله في آية المباهلة[٦] وهو الذي

---

(١) ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿فاولئك هم الظالمون﴾ ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٣) سير اعلام النبلاء ٣٦٢/٧، ٣٤٢/١٣، ٢١٠/١٤ بطرق مختلفة، معالم المدرستين لمرتضى العسكري ٤٠٥/١ و ٤٠٧ و ٤٩٨ بألفاظ مختلفة نقلاً عن: صحيح البخاري ٢٠٠/٢، باب: مناقب علي بن أبي طالب، صحيح مسلم ١٢٠/٧، باب: من فضائل علي بن ابي طالب، مسند الطيالسي ٢٨/١ و ٢٩ ح٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣، مسند أحمد بن حنبل ١٧٠/١ و١٧٣ و١٧٥ و١٧٩ وغيرها، مستدرك الحاكم ٣٣٧/٢، طبقات ابن سعد ٣ ق١/١٤ و١٥، مجمع الزوائد ١٠٩/٩ ـ ١١١، ومصادر اخرى كثيرة غيرها.

(٤) ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾.

(٥) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٦) ﴿تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم﴾ وقصده (محمد وعلي).

قال فيه رسول الله يوم قتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق «ضربة عليّ تعادل عبادة الثقلين». اذ لولا علي لقضى عمرو وحده على الاسلام[١] ـ وهو الذي قال فيه يوم خيبر «لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كرّاراً غـير فرّار» وفتح خيبر بعد ان فرّ أبو بكر وعمر في اليومين السابقين ، وهو الذي نزلت فيه ما يساوي ثلاثمائة آية من كرائم القرآن، وهو الذي ترك رسول الله ـ بأمر الله ـ باب داره مفتوحا على المسجد وسد جميع ابواب المهاجرين، وأعظمها يوم غدير خم يوم نزلت الآية ﴿يا أيّها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾[٢].

وما انزل اليه سوى ذكر الوصاية والولاية من بعده فرقى اقتاب الابل حتى رآه الجميع وبعد أن استشهدهم انه ادّى وانه اخلص وانـه بـلّغ وصـدقوه، قـال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»، ثم طلب ان يبلغ الحاضر الغائب وكان عددهم آنـذاك بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ الف، وسلم عليه عمر وأبو بكر بامارة المسلمين وهنّآهُ ثم نزلت الآية: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نـعمتي ورضـيت لكـم الاسـلام دينا﴾[٣] وهل يمكن لرسول الله أن يترك امته بدون وصي يرجعون اليـه وامـام يأتمون به، وحتى لو ترك رسول الله الوصية ـ والعياذ بالله ـ كان عليّ هو الاحق بالوصاية اذ عليه وبه قام هذا الديـن ولولاه لخـذل المسـلمون وانـدحروا فـي الغزوات. وبعد ذلك خذ آراءه في الدين والمنطق فـي زمـن رسـول الله وبـعده، وحتى في زمن أبي بكر وعمر وعثمان كان هو الواقف بالمرصاد لتعديل ما اعوج واداء المشورة حتى قال عمر كراراً (لولا عليٌّ لهلك عمر). ومن المعلوم انما تقدم

---

(١) قال ﷺ عند مبارزة علي لعمرو بن عبد ود «برز الاسلام كله للشرك كله».

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

المسلمون في زمن أبي بكر وعمر ليس بقدرتهما العقلية بل بالمنهج الذي وضعه رسول الله وآراء وأفكار علي بعد مشاورتهما له وتخطيطه لتلك الفتوح[١]، وانما دب الفساد والتفرقة والضعف نتيجة شغل منصب الخلافة بعد رسول الله من قِبَلِ غير أهله الذين أمر بهم الله، فكان كمن يضع الشيء في غير موضعه كما تكلمنا عن العدالة في جسم الانسان فدبّ الفساد عاجلاً وآجلا ولا يصلح الا باولها. والعود الى البدء والتمسك بالثقلين الذين قال بهما رسول الله «كتاب الله وعترتي» وهو أعلم بذلك .

نتائج وآثار

اعود لأذكر ان بحثنا دينيٌّ لا تشوبه السياسة ومساوئها، يدور حول ما أمر الله به في القرآن، وأوامر ونواهي رسوله الكريم ؛ تلك التي يعتبر كـل اعـتراض عليها انما هو اعتراض على الله، وكل مخالفة لها هي مخالفة لله، وان الله ورسول الله الذي يستمد علمه وكل شيء من الله ليسا بحاجة للتجربة والتمحيص والمداهنة واستخبار صحابة رسول الله وافراد المسلمين لمعرفة درجة اطاعتهم وايمانهم. كلا لا حاجة الى ذلك، فلا يكون هناك شيء في ضمائر الافراد إلا و يـعلمه الله ولا حاجة لأعمال يريد بها معرفة درجة ايمانهم واطاعتهم. ولا شك في أن الصحابة المقربين اولئك الذين لازموا رسول الله واستمعوا له وأطاعوه ولم يخالفوا لا في كبيرة ولا في صغيرة من أوامره ونواهيه، في حياته وبعد مماته ؛ لهم الدرجـات العليا في مقام الايمان، وتختلف هذه الدرجات بالنسبة لسبقهم، ولوفور عـقلهم، ودرجة اخلاصهم، وتلبيتهم لله ورسوله في أمره ونهيه، وهم أوفر حظاً من باقي

---

(١) راجع ما كتبناه عن عليّ عليه السلام في جزأين من هذه الموسوعة اخص ما جاء في كتاب «رب القلم والسيف» .

المؤمنين في غير عهد رسوله، لأنّ عليهم تـركز الايـمان، واسـتقرّ بـناء صـرح الاسلام، وقضى على الشرك والمشركين. اما الذين داهنوا ونافقوا وأبطنوا خلاف ما أظهروا سواء ظهر ذلك في زمان رسول الله أو بعد وفاته، تلك النـوايـا التـي ظهرت صريحة في مخالفة أوامره ونواهيه قولاً أو عملاً أو كلاهما. وعملوا على مخالفة أوامر الله ورسوله وأعظمها هي مخالفة رسول الله في وصيه (أي علياً) وهو امامهم وأميرهم وقد قال ﷺ: «من مات ولم يـعرف امـام زمـانه مـات مـيتة جاهلية»، ونقض بيعته التي هنأوه بها يوم قالوا له «بخ بخ لك يا ابن أبي طالب لقد أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة»، وخالفوا وصية رسـول الله فـيه كـما خالفوها في بضعته حينما قال: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». وقال الله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله... الخ﴾ وربما كانت حجتهم أنهم وإن خالفوا لكنهم اقاموا ما أمر الله به في قـرآنـه وسنته فالجواب: أهم أعلم من الله ورسوله بذلك؟ ثم اذا ظاهروا باقامة الحدود والسنن في زمانهم في الظاهر فكم بدّلوا نصوصاً قرآنية جهراً سيأتي ذكرها ومنعوا تدوين السنة وغيروا سنناً نبوية يأتي ذكرها، وقتلوا كثيراً من المسلمين وظلموهم وسلبوهم، وفتكوا بهم باسم الردة، والحقيقة انما كان ذلك لان اولئك انما اعترضوا عليهم بالوصية والولاية كابن نويرة وغيره واذا صح ان المسلمين بايعوا أبا بكر، فلماذا جاهر عمر بأن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسـلمين شـرها، وإذا كـانت الخلافة يجب أن تكون باجماع المسلمين، فلماذا ينص أبو بكر على عمر وحده ويخالف الصحابة المقربين من اجازة ذلك، أكان هو ادري من الله ورسوله. ايها القارئ الكريم، أنصف ولا تأخذك العصبية الجاهلية ؛ لاننا نريد أن ننزّه الاسلام ونعيده الى قوته ونعرف بعد ألف وأربعمائةسنة العـوامـل التـي أدت الى ضـعفه وتشتته والعوامل التي ادت الى المذابح والمجازر بين المسلمين، ثم مـن اسـند الخلافة الى عثمان وبعده الى بني امية مقصودة غير مجهولة؟ اليس أبو بكر وعمر

وعمر بالذات الذي عين الشورى في ستة اشخاص على تلك المشاكل في حين كان بلغ بآل أمية الدرجة القصوى من القوة والقدرة اذ أيّد ملكهم بولاية الشام وقوّى فيها ادهى افراد بني أميّة سياسة، تلك السياسة التي ذكرناها آنفاً ونشرحها فيما بعد، وهو يعرفه حق المعرفة كما صرح بذلك عمر عن معاوية، حيث قال: انه كسرى العرب، فما الذي دعاه الى تقوية أعدئ أعداء الاسلام[١] وأبعدهم عن الايمان وترك سيوفهم مسلطة على رقاب المسلمين وقد تنبأ وتفرّس باعمال عثمان هذا الذي كان كاتب سر أبي بكر وأمين سره وهو الذي كتب لابي بكر عهده لعمر قبل وفاته لماذا وهو يعترف، واعترف جهاراً ومراراً انه لولا عليٌّ لهلك عمر، وهو يعلم كما قال «اما لو وليها الاصلع (أي علياً) لأقامكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم» وهو يعلم بأن بيعة ابي بكر فلتة، وهو يعلم بأنّ رسول الله كلما بدت منه فرصة فضل علياً وبين فضله، ويعرفون أنَّ عليا نزلت فيه وفي فاطمة والحسنين مع رسول الله آية التطهير، ويعلم ان علياً نفس رسول الله في آية المباهلة ﴿تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم﴾[٢] وهو يدري ان رسول الله حتى عند وفاته حين طلب القلم والقرطاس انما اراد ان يكتب عهداً لعليٍّ فقال عمر: «إن الرجل ليهجر» وتأتي أسانيد ذلك في هذه الموسوعة، عزيزي القارئ! إني لا ازال اتكلم معك عن دين الاسلام، وأن رسول الله ﴿لا ينطق عن الهوى * ان هو الا وحيٌ يوحى﴾ فمن يدري كل ذلك ويخالف الله ورسوله ويقدم غيره ونفسه للخلافة في حياة خليفة رسوله، ثم يخالف بضعته ويؤذيها حتى تموت وهي غضبى منهما. والذي سيأتي ذكره والذي ظهر نتيجة

---

(١) راجع ما جاء في أسد الغابة ج٣ ص٣٥، وما بعدها من وصية عمر لابنه عبدالله ان يعادي عليا ويحاربه ويلتحق بالفئة الباغية، أي معاوية ومواليه وقد ذكره الكاتب محمود أبو رية في كتابه «أبو هريرة» ص١٩١، ط٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦١.

اعماله كما سيأتي فيما بعد من تشتت الاسلام بسبب يوم السقيفة وغصب الخلافة ألا يصح هذا ان نقول ان خلفاء بني امية اختلقوا الاحاديث لمدح من ولاهم وحرّفوا الاحاديث لمن نصبهم الله ورسوله؟ اليست هذه المصائب في الاسلام تبدأ من يوم السقيفة؟ فما جزاء من أسس أساس الظلم والجور في الاسلام؟ وغصب حتى اوصياء رسول الله وخلفاءه، وخالف أوامره؟ ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾[1]. ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾[2]. ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون﴾[3].

المكر في زمن الرسول ﷺ وبعده

بعض الصحابة يمكرون للاسلام في زمن الرسول وبعده. وهم يعلمون واخص منهم الخليفة الاول أبا بكر وهو يدري انه كان مأموراً وأحد الصحابة في جيش اسامة ومعه عمر وطلحة والزبير وغيرهم، وفي مرات عديده يأمرهم رسول الله بالخروج ولم يخرجوا حتى قال: «لعن الله من تخلف عن جيش اسامة» وبعد عمل السقيفة وترك جنازة رسول الله ﷺ وبعدها غصب حق ابنته فدك وهي ملكها وهبها لها رسول الله زمن حياته حتى اعادها لأهلها عمر بن عبدالعزيز والمأمون مرة من بعده وبعدها غصب الخلافة والوصاية من عليٍّ كما مر ويأتي تفصيله، وبعدها إرغام الصحابة المقربين وبني هاشم على البيعة ثم النكاية بهم، وأقصاؤهم عن أيّ تدخل وحبسهم في المدينة، وإدلاء كل حق لهم الى خصومهم حتى بعد موتهم، ذلك مع سبق الإصرار والعلم والدراية بكل اوامر رسول الله

(١) سورة الاسراء، الآية ٢١.
(٢) سورة الزلزلة، الآيتان ٧ و ٨.
(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

المشددة في وصاياه خصوصاً في عترته كما سيأتي، حيث قال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا»، وقد لعن رسول الله ﷺ معاوية ومروان بن الحكم في حياته واذا بهما خليفتا رسول الله وغاصبا تراثه، وقاتلا عترته الثقل الذي أوصي به رسول الله بالاجماع، ولا تخفى مظالمهم وحروبهم في الإسلام، واعلان عدائهم لآل بيت الرسالة سراً وجهراً، ولا ننسى مجازر كربلاء وقتل الحسين وأولاده واخوته واصحابه والمذابح التي اعقبتها للطلب بدمه وقبلها المجازر التي اقامها معاوية في الصحابة والموالين لأهل البيت والموالين لوصي رسول الله وأخيه عليّ بن أبي طالب. وأوجب سبه بعد كل صلاة وفي كل عيد. فمن اسس هذا الاساس؟ ومن أقام هذه المجازر؟ ألم يؤسسها أصحاب السقيفة الذين غصبوا الخلافة عمداً وغصباً عالمين عامدين ومصرين ان لا تعود أبداً لأهلها ولم يجدوا من اعداء آل البيت من هو اشد خصومة من بني امية وآل معيط فهيأوا لهم الاسباب وثبتوا اقدامهم. واذا نسيت فلا تنسى ان الخليفة الثاني طالما شدد على ولاته بعزلهم وتجريمهم سوى معاوية فقد كان يزيده ويقويه، ويهيء له كل وسائل الخلافة وبه كان يهدد خصومه، لماذا؟ ألأنه عادل؟ ألتقواه؟ ألعلمه في الاسلام واخلاصه له؟ ألسابقته في الاسلام؟ أَلبلائه في تشييد الاسلام؟ ألوصية سبقت من الله ورسوله فيه؟ أيُّ خصلة خولت لأبي بكر وعمر (وعمر بالخصوص) أن يجل بني أمية هذا الاجلال ويعطيهم زمام أمر المسلمين؟ لم يكن سوى خصومتهم لآل بيت رسول الله ولوصي رسول الله عليٍّ الذي سلّم هو وصاحبه عليه «يوم غدير خم» سلام الامارة وهنآه بها، لم يكن إلّا حقداً وحسداً لرسول الله ولم يهمهما شيء سوى الوصول لغايتهما وتشييد اسمهما ولم تكن قد زالت عندهما العصبية الجاهلية يوماً من الايام. وصاحبه عمر الذي قتل ابنه عبدالرحمن لاقامة الحد عليه ظلماً وعدواناً وهو مريض وقد كان قد اقيم عليه الحد وشهد على ذلك ولاته وجماعة

من المسلمين وهو الذي حبس الصحابة في المدينة ولم يجز لهم الخروج وهـو الذي كان اذا عجز عن جواب من يسأله عن شيء من أمور الشريعة يهوي عليه بدِرَّته حتى لا يجسر آخر، وهو الذي خالف النصوص القرآنية والسـنن النـبوية صراحة، ويعلم كما يأتي ذكر ذلك[1] وهو الذي اجتهد دون عـلم وكـان النـاس أصلح منه حتى النساء، وكلمته المشهورة: «كل الناس أفقه منك يا عمر» وهو الذي وقع في مشاكل كثيرة واضطر من أجل حلها لعليّ، ولطالما قال: «لولا عليٌّ لهلك عمر»، وهو الذي اعترف بشدة عدل عليٍّ وحرصه على الاسلام، حتى قال: «لو وليها الاصلع ـ أي لو ولي الخلافة عليٌّ ـ لاقامكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم»، فما هذا التناقض؟ لماذا جلس مجلس الخلافة؟ ولو قلنا غريزة حب الذات هي التي دعته لذلك، لكان الجواب: إذاً لماذا ادلى بها لآل معيط وآل امية بعد وفاته؟ ولماذا حكمه يختلف في العرب والعجم؟ وكان يكن للـعجم البـغض حتى قال: ما حن عجمي على عربي، ولم يكن هذا في الاسلام ولم يفرّق الاسلام بين احد وربما القى القرآن التبعة على العرب اكثر من غيرهم فقال: ﴿الاعراب اشد كفراً ونفاقاً﴾ واجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، لان اكثرهم كانوا مشركين وجهلة، فيهم النعرات القومية والتعصبات الجاهلية على رأسهم آل بـني امية ألد أعداء الاسلام قبل دخولهم الاسلام وبعده فيوليهم بها وواليه معاوية هو القائل مخاطباً لزوجته:

إذا مت يا ام الحميراء فانكحي   فليس لنا بـعد المـمات تـلاقيا

وقول يزيد ابنه الخليفة الأموي الثالث:

لعـبت هـاشم بـالملك فـلا   خـبر جـاء ولا وحـي نـزل

---

(١) راجع الجزء السادس من موسوعتنا هذه في عمر كتاب الخليفة الثاني.

ما اعظمها رزية كلمة تخرج من فم رجل ينصبونه خليفة لرسول الله فيقتل ذرية رسول الله في سنة ويستبيح مدينة رسول الله قتلا وهتكا وتخريبا في سنة، ويقصف كعبة المسلمين في اخرى! على من تقع تبعة كل هذا؟ ومن اسند هذا المسند لهم؟ ومن هيأ لهم هذه المناصب؟ على من تقع تبعة هذه الاوزار وما لحق بها من ذلك العهد الى هذا العهد؟ ورب سائل يسأل: وما قولك ببني العباس وهم اولاد عم رسول الله وعليٍّ، فأقول: هم الآخرون غلبت عليهم الدنيا، ورغم علمهم بأحقية آل علي فقد اثبتوا ما كان على ما كان من ظلم أولاد عمهم حفظاً لملكهم وهل يمكن ذلك من الاعتراف باحقية آل الرسول واعادة الملك والخلافة لهم ويدلك على تلك المظالم التي اقاموها ضد آل الرسول وقد صورها الشاعر بقوله :

تالله ما فعلت علوج بني امية ... معشار ما فعلت بنو العباس

ولقد اعترف الرشيد امام ابنه المأمون باحقية آل علي للخلافة وحينما قال له المأمون: فلماذا لا تعيد الملك لهم؟ قال له: «يا بني الملك عقيم ولو خاصمتني انت فيه لقلعت عينيك». كما نصب المأمون علياً الرضا ولي عهد بعده. ولكنه سمه بعدها فكانت جريمة سياسية .

الخلفاء بين الدين والسياسة

أبـــو بكـــر

كان أبو بكر في مقدمة الرجال الذين آمنوا برسول الله[1] وكان صاحبه في الهجرة وأبا زوجته عائشة، وكان رجلا بعيد النظر ذكيا نزلت الآية حين حزن مع رسول الله وهو في الغار عندما شعر بخطر قريش ﴿**اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا**﴾ فانزل الله سكينته عليه إلى آخر الآية، والتي سنذكرها ونذكر تفسيرها عندما نبحث في الدين عن الخلفاء.

اهم الوقائع والحروب التي شهدها مع رسول الله هي بدر والخندق وخيبر، واهم سياساته تزويجه النبي ابنته عائشة وهي من دهاة النساء بعيدة النظر في السياسة، وشديدة الغيرة والحسد من باقي نساء الرسول وسيأتي ذكرها، وبزواج ابنته لرسول الله، تغلغل في صميم بيت الرسول ووقف على اسراره وأعماله الداخلية والخارجية وكانت ابنته المساعد الاكبر له في الصغيرة والكبيرة وكلاهما ساعد الآخر لبلوغ اقصى ما يمكن ان يتوصلا اليه من الدنو من رسول الله والاطلاع على خباياه والمخلصين من اصدقائه وأعدائه وليس هناك اعلم منهما بعد أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير وهي ﴿**انما يريد الله ليذهب عنكم**

---

(١) قيل بعد خمسين شخصا سبقوه للاسلام. اتى ذكره في موسوعتنا بأسانيده.

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾. وهم عبارة عن رسول الله وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين هؤلاء الخمسة لا غير، وقد حاولت ام سلمة أم المؤمنين ان تدخل نفسها معهم ولكن أبى الله ورسوله ومنعت[1]. كما نزلت في آل البيت المار ذكرهم آية المباهلة ﴿تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم﴾ وقد اجمع المفسرون على أنَّ «ابناءنا» هم الحسن والحسين «ونساءنا» فاطمة الزهراء ابنة رسول الله زوجة علي وام الحسن والحسين وهي سيدة نساء العالمين. «وأنفسنا» محمد وعلي وهنا كان عليٌّ نفسَ محمد ﷺ و لم تدخل في النساء سوى فاطمة، فكانت هذه احدى منابع الحسد والغيرة لعائشة ومع هذا كان أبو بكر وعائشة يوازر الواحد منهما الآخر ولم يأل أبو بكر جهداً أن ينكب عائشة حتى ضربا عندما كانت تعاتب وتعترض على رسول الله امام أبيها حتى تجاسرت مرة عليه امامه وقالت له: أقسط، أي إعدل فلطمها أبوها لطمة ادماها اذ قولها لرسول الله هذا القول يعني انكارها عليه العدالة، وانكارها عليه النبوة، وكل شيء، ولم تكن هي جاهلة بل غلب عليها الواقع المكنون والحسد فأباحت بمكنونات قلبها، فكانت ضربة أبي بكر ظاهرها انتصار لرسول الله وباطنها انتصار لها اذ ربما ادت الى طلاقها وابعادها، ولم يكن أبو بكر من الشجاعة بحيث يبرز نفسه في المعارك ولكنه اشترك فيها ولطالما حاول ابراز نفسه وأحجم مخافة الخطر، وخسر المعركة فقد اعطاه رسول الله ﷺ راية فتح خيبر في اليوم الأول ففرّ امام الاعداء ورجع مغلوبا، كما اعطى الراية في اليوم الثاني لعمر فرجع مدحورا ومغلوبا وفي اليوم الثالث كان الفتح المبين طبق ما قال رسول الله: «لأعطين غداً الراية الى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار»، وكان علي أرمد فمسح عينيه بريقه فشفيتا وحمل الراية وانتصر

---

(١) سيأتي ذكرها في الجزء السادس من هذه الموسوعة .

على اعدائه وقتل أبطالهم وزحزح باب خيبر العظيمة من مكانها وفتح الحصن وقام على يده الفتح والنصر المبين وكانت هذه احدى امنيات أبي بكر وعمر عندما قال رسول الله ﷺ، لاعطين الراية لرجل يحبه الله ورسوله، الى آخرها، حتى قال أبو بكر: أنا؟ فقال له ﷺ: لا، وقال عمر: أنا؟ فقال له ﷺ: لا .

ومن سياسة أبي بكر مصاحبته لعمر ومؤاخاته له قبل الهجرة وتعرّفه على قسم من المهاجرين الذين كانوا يتحينون الفرص لمطامعهم لبلوغ مقاصدهم فوجد بهم غايته ووجدوا به ضالتهم مثل أبي عبيدة الجرّاح والمغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان وامثالهم ولكل من هؤلاء أهم الاثر لبلوغه الغاية القصوى من الجلوس على مسند الخلافة واسناد ملكه بعد ذلك، وكان من سياسته الاتصال والتقريب لكل من كان يكن لآل بيت الرسالة وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب العداء والحسد والغيرة، كآل امية ومن مرّ ذكرهم كعمر وعثمان والمغيرة وخالد بن الوليد وأبي سفيان وولده، وبالعكس التظاهر بالصلة مع الحذر من كل من يخلص لآل البيت ويسند امرهم كبني هاشم وعمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأبي أيوب الانصاري وعدد كبير من الانصار غيرهم .

ومن سياسته الدقيقة، الرقابة المحكمة على وضع رسول الله ﷺ وبيته في صحته ومرضه، في حروبه وسلمه، وكان شديد الرغبة في ان يحصل منه على سمة ما تضع له ميزة على باقي الصحابة، فكانت الضربة القاصمة له عندما سد بابه على المسجد ،وكان ممن ظاهر على رسول الله حتى اضطر ان يعلو المنبر ويخطب وان يقول: لم يكن ذلك من نفسه وانما كان بامر الله، وما كان لمؤمن ان يعترض على رسول الله واعماله واقواله ولم يكن تظاهره الا باسم غيره. وهذه كان لها اثر بليغ للحسد والغيرة ضد عليّ الذي بقي بابه مفتوحا. والضربة الاخرى المخلّة باعتباره اقدم الصحابة هو بعد اعطائه سورة البراءة لتلاوتها على قريش يعود بأمر الله

فيأخذها منه ويعطيها لعلي لتلاوتها، وهو وان اظهر الطاعة وهل يستطيع غير ذلك بيد أنها كانت ضربة لآماله وامانيه التي كان يضمرها في طلب الخلافة والتي يتحين الفرص لها .

ومن سياسته وتظاهره هو تهنئته عليا كلما انتصر في واقعة مثل قتله عمرو بن عبد ود يوم الخندق وانتصاره يوم فتح خيبر واعظمها وابعدها اثراً هو تهنئته له هو وعمر يوم غدير خم حينما نصبه رسول الله وليا ومولى للمؤمنين ووصيا بعده ودعا على أعدائه حيث قال أبو بكر جهارا: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب لقد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

ومن أهم سياساته كما قلت: مصاحبته عمر واضرابه، وارسال الاعتراضات والاجتهادات على لسانهم وكان رسول الله في كل مرة يردها وتنزل الآيات القرآنية موعدة وموبخة لمن يعترض على رسول الله وسيأتي ذكر الراوين بصورة مسندة وبامكانك مطالعة الآيات القرآنية والصحاح لتجد الكثير منها .

سياسته الكبرى المحققة لآماله

قام رسول الله قبل مرض موته بتجهيز حملة بامارة اسامة بن زيد بن حارثة وكان اسامة هذا شاباً دون العشرين وجهز الجيش وفيه أهم الصحابة من المهاجرين والأنصار بينهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح وطلحة والزبير وغيرهم فعز عليهم ان يؤمّروا بقيادة شاب في هذا السن فكانت ولولة ولم يجسر احد على التحدث في هذا مع رسول الله على ان الجميع قل من كان منهم قائداً لفرقة أو أميراً لجيش وفي هذا الحين كان علي بن أبي طالب معه في المدينة ولم يكن في الجيش اذ لم يتفق ولا مرة ان كان عليٌّ مأموراً تحت سلطة غير رسول الله نفسه، بل كان في أي حملة ليس فيها رسول الله، هو فيها، هو قائدها، نعم وفي هذه المرة ادلى أبو بكر برأي الصحابة واعتراضهم كباقي المرات دون أن يبدي رأيه فأغاظ ذلك رسول الله ورقى المنبر بعد أن دعاهم وجمعهم وخطب عليهم وقال: «لقد اعترضتم عليَّ في مواقع اخرى ظهر فيها غلطكم وسوء اعتراضكم وما كان لكم حق الاعتراض على الله ورسوله وفي هذه المرة أيضاً فالحق ما أمرت به وهو اصلح للأمة الاسلامية ولا يجوز تغيير ذلك»، وظهرت نتيجة قوله وصحة نظرته حينما قاد اسامة الحملة وعاد ظافراً مؤيداً، نعم رغم ما ادلى به رسول الله فقد تخلف بضعة افراد من الصحابة والذين هم على نفس الرأي منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وخصوصاً حينما وجدوا رسول الله مريضا وعسى ان يكون هذا مرض موته الذي اخبر عنه بانه دُعِيَ ويجيب، وكيف يتركون المدينة على هذا

الحال عندئذ خيبة الآمال في منصب الخلافة.

وربما اعتقدوا أن رسول الله انما أراد اخراجهم ليخلي الجو لوصيه وخليفته وابن عمه الذي آخاه كي لا يكون له منازع ورادع، ولذا في كل يوم ورسول الله ﷺ يسأل عن جيش اسامة وقد حرضه من قبل بالاسراع قبل وصول الخبر للاعداء واتخاذ الحيطة ولكن هيهات وقد اتخذوا من مرض رسول الله ذريعة لبطئهم وحرضوا نفس قائدهم اسامة بهذه الذريعة حتى جاء وتكلم مع رسول الله فأمره بالخروج والاسراع ولعن من تخلف عن جيش اسامة. ولكن هيهات فالشباك منصوبة وبيت رسول الله تحت رقابة شديدة من عائشة وحفصة من امهات المؤمنين ومن والاهن وهما تجدان ان مرض رسول الله يشتد ساعة بعد ساعة فتوعزان الى أبويهما بالإبطاء والتأخر وعدم السير حتى تحقق لرسول الله عدم سفرهم ولعن المتخلفين وهم مجموعون عنده دعا بقلم وقرطاس بعد ان تأكد من نواياهم طلب ذلك وهو في هذه المرة يهم ان يضرب ضربته القاصمة على آمالهم بيد أنه سرعان ما نطق عمر بأعظم كلمة يمكن ان يُصَمّ بها رسولُ الله وهو حيّ وأعظم كلمة أعلنت نيتهم بما يخفون ويكنون ألا وهي «إن الرجل ليهجر»[1] وعندنا كتاب الله .

الله أكبر وهل يهجر رسول الله ونسوا جميع الآيات القرآنية النازلة فيه انه لا ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى. ونسوا الآيات الاخرى التي تأمرهم بأخذ ما آتاهم الرسول والانتهاء عما نهاهم عنه. ونسوا انه ﷺ لا يتكلم ولا يأمر إلّا بما أراد الله وهم يعلمون أنه انما يريد ان يدلي بعهده كتابة الى علي (كما ابان ذلك عمر صراحة لابن عباس زمن خلافته وقال: لم تشأ قريش انّ تكون فيكم النبوة والامارة) .

---

(١) أسانيد اعتراف عمر بمنعه القلم والقرطاس تجدها في موسوعتنا الجزء الثالث والرابع والخامس وأخص السادس كتاب عمر .

فمن هي قريش؟ وهل أرادت قريش التوحيد والنبوة والاسلام؟ وهل هديت اليه إلاّ قسراً، لقد كان عمله عمل السامري في قوم موسى، وقد أراد ما ارادت قريش في جاهليتها وعمل بذلك واعادها لخصوم الاسلام بل والدّ خصومهم آل امية .

وهل كان عمر إلاّ لسان حال جماعة من الصحابة الذين على رأسهم أبو بكر من الرجال وعائشة من النساء وكل قصدهم سلب الامارة مهما كلف الامر حتى لو وقعت الفتنة وحتى لو أعادوها جاهلية. ولم يخف على رسول الله ذلك خصوصاً عندما تكلمت النساء من وراء الحجاب وقلن الم تسمعوا رسول الله يطلب قلما وقرطاسا؟ فاجابهن عمر لسان حال الجماعة: انكن صويحبات يوسف تؤذين رسول الله في حياته وتذرفن الدموع عند مماته فاجاب رسول الله انهن خير منكم[1].

انظر الى معنى هذه الكلمة في موسوعتنا وما تحويه من معانٍ وماذا عنى بها وماذا دلّت وهل دلّت إلاّ على عقل سليم ورأي صائب طعن بمن خالفه. الظاهر عمر واصحابه والباطن أبو بكر وزمرته التي يقودها فقال كلمته الاخيرة: «اتركوني»، وطردهم من مجلسه. فخرجوا وقد حالوا دون كتابة العهد وقد كان بامكانه كتابته بعد ذهابهم ولكن الذي يجسر امام رسول الله احرى به ان يكذّب العهد أو يطعن برسول الله واقواله، حتى تقوم فتنة جاهلية تهدم ما بناه الاسلام .

ولم يكن أبو بكر ساكتا. وسعيد من اكتفى بغيره فعمر وأبو عبيدة وغيرهما من الرجال، وعائشة وحفصة من النساء يدبرون الامر وليلة الوفاة تلقي عائشة الخصام بين الأوس والخزرج بقولها للخزرج: ان الاوس يجهزون لانتخاب خليفة منهم. وللأوس نفس الشيء فتتركهم ضد بعضهم وتترك العيون عليهم وفي الصباح

---

(١) تجدها بأسانيدها في الموسوعة .

الباكر يتوعد عمر كل من يقول: رسول الله قد مات فانه ذهب الى ربه كذهاب موسى وسوف يعود.

كل ذلك حتى تتهيأ الفرصة السانحة للانصار واجتماعهم ومن وراء ذلك المغيرة بن شعبة من المناصرين والهادين والمراقبين، ولما علموا باجتماع الانصار في سقيفة بني ساعدة وقد القيت بين الاوس والخزرج العصبية القبلية؛ داهمهم عمر وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح وهم يريدون انتخاب سعد وما اعطاهم فرصة الحوار والجدل إلّا ومد يده بعد هنيهة لأبي بكر وبايعه بالخلافة وبعده أبو عبيدة بن الجراح ومن الداخل يؤيدهم اكثر الاوس الذين تابعوا عمر وأبا عبيدة وقسم من الخزرج ومن الخارج كانت عائشة ترسل بمن بقي من انصار ابيها لتأييدهم وكاد سعد وهو مريض ان يسحق تحت الارجل حينما اراد جماعة التقرب بالبيعة لابي بكر حينما وجدوا انقضاء الامر، يتنفس أبو بكر الصعداء ويصعد منبر رسول الله ويخطب ويقول: من كان يعبد محمداً فأن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حيٌّ لا يموت، وبعدها يمجد بالمهاجرين بأنهم اقدم من الانصار وأهل واقارب رسول الله فهم الامراء والأنصار الذين تابعوهم؛ الوزراء، وقد نسي ـ اذا صح ذلك، كما قال علي بن أبي طالب حينما بلغه أمر الخطبة ـ انه ذكر الشجرة ونسي الثمرة، أي اذا كان تقربه من رسول الله هو الذي يستحق به الامارة فما قوله بأهل بيت رسول الله ووصيه وأخيه وابن عمه وبني هاشم. ولم يحضروا السقيفة وكان بامكان عليّ ان ينهض ببني هاشم ومن يناصرهم ولكن هل يعمل ذلك والدين لما يكتمل والاسلام لما يتقوّم والشرك والمنافقون بالمرصاد لمحو آخر آثار الاسلام، ولكنه ارادها باللين واستمالة الطامحين واتباعهم فجاءت الزهراء بنت رسول الله وبضعته التي قال فيها «رضاء فاطمة رضاي من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله». فاطمة المعصومة التي طهّرها القرآن وزوجها وأباها وابنيها الحسن والحسين في آية التطهير، ومن شك فليراجع

التفاسير، فاطمة التي عناها القرآن المثال الأوحد لنساء رسول الله في آية المباهلة، فاطمة هذه تعترض، فاطمة هذه تهاجم دارها مهبط الوحي!، ولماذا؟ لاجبار زوجها الوصي وأخي رسول الله وأمير المؤمنين الذي نصبه الله ورسوله مولى للمسلمين يوم غدير خم وهنأه بها عمر وأبو بكر نفساهما يجبرانه على البيعة وأن يصلي وراء أبي بكر ويهددونه بإحراق داره وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب فيقال له ان في الدار فاطمة فيقول: «وأن».

وفاطمة هذه عندما يبلغ بها الاسى والألم أقصاه ترفع رأسها للسماء وتتوجه إلى قبر أبيها باكية متضرعة ويتبعها عليٌّ وهو الآخر يقول: «يابن أُم ـ يخاطب رسول الله ـ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وهي كلمة قالها هارون لموسى حينما أغواهم السامري، ولم يكن خافيا على القوم قوة بطش علي وبني هاشم وانصارهم ربما كانوا اقوى سهم بيد أنهم يعلمون ان قيامهم خطر على الاسلام، وأن قيام عليٍّ ضدهم يولد خطراً داهما ربما أدى الى محو الاسلام، يعلمون كل ذلك ويدرون أنَّ علياً أحرص الناس بعد رسول الله على بقاء كلمة الاسلام، وانهم سوف لايناهضهم بالقوة لهذا وهم يعلمون من وراء ذلك وصية رسول الله له بالتحفظ وعدم اثارة معارضة وخصام يؤدي الى انشقاق المسلمين مهما ادى ذلك لظلمه وظلم ابنته وأولاده وبني هاشم، مهما كان ذلك ومهما جاروا عليه فكلمة الاسلام لا تمحى بتاتا، فكانت هذه الوصية وذلك العلم منه قد أدّيا لصبره ومن جهة ثانية علم أبي بكر بذلك وعمر اعطاهما كل السعة لاجراء مقاصدهما حتى استعادا ملك فدك الذي وهبه رسول الله لابنته فاطمة في زمن حياته. استعاده أبو بكر وقال وهو المدَّعي وهو الحاكم والشاهد: إني سمعت رسول الله يقول: «نحن معاشر الانبياء لا نورث»، ولم يقبل شهودها وأدلتها القاطعة، ولم يؤثر على القوم خطبتها البليغة المصقعة التي اظهرت فيها بلاغة أبيها وقوة حجتها عليهم، وبعد ظهيرة يوم من الايام حينما أعياها الامر توجهت

إلى زوجها معاتبة له وهي تقول: «اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين...، هذا ابن أبي قحافة يبتزُّني نحلة أبي»، والى آخر ما قالت حتى قام ولبس لباس حربه واذا بالمؤذن يؤذن، فقال لها: «ان كنت تحرصين على بقاء هذا الأذان بما فيه من الشهادات بالتوحيد والنبوة فما عليك وعليَّ سوى الصبر وإلّا فغير ضعيف ولا خائف، وانا عليّ الذي برهنت على قدرتي ولياقتي في جميع الحروب»، فسكتت وقالت: «لا، لا أرضى» وعادت ونهنهت عن زوجها، ومن هي؟ وهي تعلم من زوجها الذي لم يخلص للاسلام مثله، واذا أراد الخلافة فإنما أرادها لا تظاهراً بقدرتها وامارتها كلا والف كلا، وإنما خدمة للاسلام، فصبر كما قال في خطبته الشقشقية: «فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى» وهو يرى ما يرى ويتحمل ما يتحمل.

هكذاترى أبا بكر من الناحية السياسية علمه بخبايا البيت النبوي، وعلمه بحرص عليّ على ان لا تقوم مخاصمة أو منازعة بين الفرق الاسلامية، وأنه سوف يصبر كما أمره رسول الله مهما غصب حقه واعتدوا على تراثه، وبعد ذلك فماذا يمنعه وما كان منه وبعد ان اخذ البيعة الاولى الا ويرسل الرسل في الداخل والخارج لكل من يجدونه لأخذ البيعة وتوطيد الامر لتقوية نفسه من جهة ولتضعيف بني هاشم وعليّ من جهة أخرى، وما كان بني عبدمناف ومنهم بنو أمية[1] يهون عليهم خروج الامارة من قبيلتهم الى عتيق، ومن عتيق؟ وكان أبو سفيان قد ارسل لجمع ما يصيب المسلمين من المال من مكة واطرافها وقد عاد فوجد الامر على هذه الشاكلة فوجد الفرصة السانحة لاعادتها جاهلية والانتقام!

وهل هناك الا بالقاء الفتنة بين بني هاشم وأبي بكر وجماعته، فجاء عليّاً وهو يتوعد ويتهدّد من نازعه واغتصب حقه، ويحرضه على النهوض وأخذ حقه

---

(١) كذا في الأصل.

بالقوة، وانه سيعمل ما يعمل، فلقيه عليٌ بإيمانه وبما يعتقد ما يضمره رجل الشر هذا وقال له صراحة: انه لا يخفى عليه عدم حرصه على الاسـلام، وانـما يـريد الوقيعة به، ومن جهة ثانية، فان عيون أبي بكر تابعته وارسلوا عليه وأعطوه مـا يريد منها ما جلبه معه وانهم (سيتقاسمونها) بينهم وسوف يكون له ولأولاده السهم الأوفي. وهكذا انحاز هو الآخر معهم ولم يكن في ذلك لتأثير عثمان وهو شريكهم إلّا الأثر الاكبر. وهكذا ترى سياسة أبي بكر في هذا الأمر أيضاً نجحت وبقي عنده القضاء على الجماعات التي كانت تناوئه وهي تعلم أن الخلافة لعليّ، وعـليه أن يحاربهم باسم الردة وقد قسا عليهم ونكل بهم في البدء نكاية وقساوة كانت عبرة للباقين. وهكذا نجده يرسل خالداً وجماعته لابن نويرة الذي عطل دفع الزكـاة للمسلمين وهو يدري الخلاف وهو واحدٌ من رؤساء القبائل، حضر حجة الوداع ويوم غدير خم، وحضر خطبة رسول الله واعلام الوصاية والولاية لعلي وهو يعلم لمن يعطي المال الم يجب عليه اعطاؤه لوصي رسول الله الذي عين خلافته من بعده والذي قال كراراً: «انه مني بمنزلة هارون من موسى»، بيد ان سياسة أبي بكر تقضي الضرب على يد كل معترض مهما كان اسلامه ولا يمكن لرجل سياسي أن يقبل مثل هذا الذي يعلن مخالفته لرسول الله ويعلن تسنمه منبر الخلافة إلّا قهراً وغصبا، وما هي الحربة التي يحارب بها إلا بحربته هو وهو باسم الدين وانه ارتد وانه يجب قتله. فهل هذا يعني ارتداد بقية رجاله ونسائه وجميع عشيرته؟ وهلا يجب استدعاؤه وإلقاء الحجة عليه واستطلاع امره؟

لا، أبداً لا يجوز لرجل السياسة ذلك إذ ان ذلك فضيحة له ويـخلق له ألف مشكلة، وليس له إلّا الطاعة المحصنة بدون ان ينبس ببنت شفة، ولقد ذهب ذلك الزمان الذي كان على عهد رسول الله زمن المنطق والوحي والرأفة والمحبة ولهذا يرسل له خالداً ويخوّله ما يعمل بلا قيد وشرط. وماذا يعمل خالد!؟

فيتخذ خالد المكر معه وينزل عنده كضيف يريد استعلامه عن الامر وقد اعطى الايعاز الى جماعته بالوثبة عند الاشارة، وقد احرز خالد أن زوجة ابن نويرة من الجمال الذي لا يمكن لمثله الإغضاء عنها، فيثب بعد الاشارة وهو شاهر سلاحه ويوثق ابن نويرة واصحابه، ويعترض عليه الرجل بأنه لم يرتد وان المال حاضر وطلب منه حمله واصحابه الى أبي بكر فأبى، فقال الرجل: أني اقتل ظلماً وعدواناً وان لهذه، واشار لزوجته علة في قتلي، أي ان جمالها أغرى خالداً ولم يستطع الوصول اليها سوى عن طريق القتل، وهكذا ينفذ حكم القتل به وبجماعته ويسلب امواله ويدخل بنفس الليلة بزوجته. فانظر الى هذه الجريمة النكراء، والفاحشة التي لا يمكن توجيهها. أقبل بخيله ورجاله الى المدينة ودخل على أبي بكر ويطّلع أبو بكر وعمر على واقع الامر فيثب عمر متأثراً لتلك العملية التي لا تلائم أسس الاسلام فحسب بل لا يقبلها كل خائن وكل فاسد وكل فاسق ومنافق ومشرك، و اذا ابيح لك قتله فكيف تدخل على زوجته وهي في العدة وهي فضيحة للآمر والمأمور، نعم يثب عمر ويطلب من أبي بكر إقامة الحد على خالد بيد ان أبا بكر أبعد نظراً، وكيف يعمل ذلك ويهتك أعوانه وأنصاره وهو احوج ما يكون إليهم مهما ارتكبت أيديهم ومهما اعتدوا على ابن نويرة وزوجته، ومهما عمل خالد، أليس ذلك مما يؤيد ملكه، ويشد اصره؟!

وكأنَّ خالداً لم يعمل ما يستوجب حتى توبيخه أو تأنيبه ليستفيد منه ومن اغراضه كما طلب منه بعد ذلك قتل عليّ بعد تشهد الصلاة، فأطاع وتحضّر، غير أن أبا بكر وهو يصلي فكر ان ذلك لا يصح وربما سبب امراً يعود عليه بالضرر وقبل أن ينهي صلاته وقبل التشهُّد صاح بأعلى صوته: لا يفعلنّ خالد ما أمرته به، ثم أجرى التشهد فكانت تلك بدعة جارية لبعض علماء التابعين انه طالما تكلم خليفة الرسول ﷺ قبل التشهد فذلك جائز لهم، وقد بقي عمر متأثراً من خالد الذي بدا غير مكترث بوعيد عمر طالما جلب رضا أبي بكر بيد أنه لا يستطيع

العمل والامر بيد أبي بكر، حتى اذا حانت خلافته طرد خالداً شر طردة ونحاه عن حكمه.

ومن سياسة أبي بكر انه جرّد بني هاشم من كل صفاتهم ولم يترك بيدهم ولا امارة، وعزلهم عن أي سلطة وحكم في الدولة، وهكذا عمل مع كل من أوحت له نفسه يوماً معاونتهم أو القول بوصاية علي، ومن جهة اخرى قوّى ألدّ أعدائهم وخصومهم مثل خالد وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم وبني أمية وأمثالهم خصوم رسول الله والذين كانوا تحت رقابته التامة. والقى الرقابة التامة على عليٍّ وأولاده وبني هاشم وانصارهم وأتباعهم من الانصار والمهاجرين ومن استطاع جرّه الى حضيرته والباقين القى عليهم النسيان والاهمال وقرب اولئك الذين اقعدوه على منصة الحكم وفي مقدمتهم عمر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان فكان عمر وزيره الاول ومستشاره، وأبو عبيدة قائده الاعظم ومثله خالد بن الوليد وعثمان، كاتبه وامين سره، وابنته عائشة ذات السلطة والسيادة والمشورة في ملكه وهي ألدُّ خصوم علي وفاطمة والحسن والحسين وبني هاشم. وهي التي أقامت حرب الجمل ضد علي رغم ما سمعت من رسول الله حين قال لها وهو يخاطب نساءه من التي تقاتل إمام زمانها وتنبحها كلاب الحوأب ثم توجه اليها وقال أرجو أن لا تكوني انت يا حميراء. ولكن هكذا كان فقد نبحتها كلاب الحوأب وعرفتها عائشة ومع ذلك سارت وحاربت وسببت تلك المجزرة التي ذهب ضحيتها طلحة والزبير وخيرة الصحابة وما يقارب أربعين الف قتيل. وهي التي قالت حينما سمعت بقتل عثمان وهي التي ألّبت على قتله بقولها: اقتلوا نعثلاً قتله الله، نعم عندما سمعت بقتل عثمان وتولية عليٍّ الخلافة من بعده وهي أعلم الناس بفضله ووصايته وعلمه وتقواه وحب رسول الله له. ما أن سمعت ذلك إلّا وقالت بدون أن تدرك أثر ذلك عليها: «ليت السماء انطبقت على الارض» ثم اردفت ان عثمان قتل مظلوما. ولم يكن عليٌّ رجل مداهنة وخداع

وحرص على الامارة، فالدنيا لا تساوي عنده ـ كما قال ـ نعلةً البالية، وكل ما يريده هو السهر على الاسلام واقامة الشعائر الاسلامية وارشاد من ضل سواءً أكان أبا بكر أو عمر أو أي واحدٍ من المسلمين، فلم يظهر بعدها منافسة على تسلم الامارة بل حرص على ابداء ارشاداته لأبي بكر وعمر وعثمان كلما أعياهم الامر وضلوا، ولطالما خالفوه عندما خالف ذلك سياستهم الدنيوية .

تلك بعض صفات أبي بكر في سياسته وآخر سياساته هي ادلاء العهد بعده لاخلص اصدقائه الذي آخاه في مكة قبل الهجرة والذي كان من مؤيديه، بل الذي أقعده على كرسي الخلافة وداراه قبل وبعد الهجرة فنصره في حياته مهما بلغ من الغلظة وهو عمر بن الخطاب ذلك الذي لم يأل جهداً في زمن رسول الله وبعد وفاته لتوطيد الخلافة لابي بكر، وهو الحافظ لأسراره من بعده، وهو الذي سيتم ما بدأ به فيشيد اسمه ويقوي أعوانه ويشد أزرهم، والذي سيسير على سيرته في إبعاد خصومه من بني هاشم مهما اوصى بهم رسول الله. وهنا رغم علم أبي بكر بوصية رسول الله بعلي وعترته فقد خالف في ذلك لأن ذلك كان في حياة أبي بكر أكبر حجر عثرة لتسلمه الحكم والخلافة وهي بعد مماته تظهر معايبه وتظهر الحقائق، وهل يجوز لرجل السياسة ان يفضح نفسه بنفسه وقد دل ذلك على انه رجل سياسة محنك وليس رجل دين ولا من جهة واحدة حتى ما ظهر منه من السير في كثير من الاحيان على القرآن والسنة ما دامت لا تخالف سياسته حتى تؤيده من الناحية الدينية.

فقد كسب الدنيا فماذا يضره أن يؤيد نفسه بهذه الظاهرة الاسلامية التي هي أعظم نفوذا في النفوس من الأولى، لذا لم يأل جهداً في ان يتظاهر باعظم مظهر ديني كخليفة لرسول الله إلاّ فيما يخالف سياسته، ومن سياسته المظهر الديني لو اقام باكبر ما يمكن ان يحول بينه وبين ذلك فمنع تدوين السنة والروايات في زمنه باعتبار ان ذلك يشغل المسلمين المشغولين والمنهمكين في الحروب لنشر الدين

الاسلامي هذا هو ظاهر الامر واما الحقيقة فان الفترة القصيرة بين وفـاة رسـول الله ﷺ وتسنمه الخلافة قصيرة جداً والاحاديث والروايات تغير النظر بالنسبة لاحقيته بالخلافة بعد أن أكد رسول الله في كل مجلس حان له وفي كل واقعة ؛ ما لعليٍّ من الفضل لإمامة الامة في هذه الفترة القصيرة ووجود الصحابة من انصار ومهاجرين لا يمكن أبداً تحريف وتبديل ينتهي بتحويل الامر له واخذه من عليٍّ وعترة آل محمد، فما هي السياسة ؟

سرعان ما يمرُّ زمن فيه يبتعد من ابتعد من الصحابة ومن حضر رسول الله، ويهاجر من هاجر لمصر والعراق والشام واليمن وغيرها ومن قتل منهم حتى اذا مر زمان طويل والامر بيده أو بيد انصاره امكن ما يمكن وضعه وجمعه بحيث لا ينافي مقتضيات سياسته كما عمل بعده عمر نفس العمل وأوقف جمع الاحاديث، وضايق صحابة رسول الله من الخروج والتحدث ومن كان يجرؤ أن يتحدث شيئاً يخالف سياسة عمر وهو المعروف بالصرامة والغلظة ولا يهمه ان يـفتك لتـثبيت سياسته بأيٍّ كان. الم يقتل ابنه عبدالرحمن بتجديده الحد[1] عليه وهـو مـريض يتوسل اليه «ابتي! لقد اقيم عليَّ الحد!» ولكن هيهات فهذه من اقوى ما يسدد به سياسته ويزيد هيبته ويخوف اصدقاءه وخصومه ولكن من جهة أخـرى يـبسط بساط الرحمة لآل امية ويدنيهم ويهيّئ لهم ولذويهم بساط الخلافة والسلطة .

فعثمان في المدينة، ومعاوية في الشام وغيرهما في الاكناف والأطـراف أحرار يذهبون و يؤوبون بينما ترى بني هـاشم وآل الرسـول تـحفّهم المـراقـبة الشديدة. وهل صح تنبؤ أبي بكر وقوله: إن الامة مشغولة مع الاعداء فلا داعـي لجمع الحديث؟ هل يقبل ذلك العقلاء؟ ألم يكن جمع القراءة وأحاديث رسول الله وسننه هي شريعة الاسلام؟ فلماذا أوقـفها؟ لو جـمعت الأحـاديث والروايـات

---

(١) تجد تفصيله بأسانيده في الكتاب الثالث (كتاب عمر) من هذه الموسوعة .

والسنن بوقتها صحيحة حقيقية هل كان لابي هريرة وغيره الذي لم يصاحب رسول الله إلّا بضعة أيام أن يضعوا مئات الآلاف من الاحاديث تحت سمع وبصر معاوية. وهل بقي اختلاف في الروايات يفعل بها ذوو الاهواء والآراء كيفما يشاءون حسب رغباتهم من أهل المطامع من آل بني سفيان وآل مروان وغيرهم الذين لا يهمهم الاسلام بقدر ما تهمهم مناصبهم وصروحهم ومن جاء بعدهم؟

وهل فرقت الاحاديث الصحيحة والروايات التي تقوم عليها سنن الرسول الاكرم ﷺ؟ وهل لاعداء رسول الله واعداء آله ان يسندوا لهم أيَّ فضيلة وحسنة إلّا ما يؤيد ملكهم ويحسن سمعتهم؟ ومن سياسته القوية انه رغم أنّه كان من المعارضين لحملة اسامة بقيادة اسامة ولكنه لما خلا له الجو بالخلافة خالف البقية معلنا أنَّ رسول الله أراد ذلك فلابد من ابرام ما أراد رسول الله على نفس الشاكلة وبنفس القيادة ولا شك في ان هذه السياسة دلت على حكمته وحنكته السياسية اذ لم تكن فيها من الناحية السياسة أي اثر سيئ على امارته وخلافته رغم مخالفة البعض بل احكمت خلافته من الناحية الدينية على انه انما اراد ذلك اتباعاً لأوامر رسول الله باعتباره خليفته وكان من المخالفين عمر ولكن اقنعه على ذلك وكان أبو بكر دائماً متفقا مع عمر من الناحية السياسية اذ لهما نفس الغاية والسياسة. وعمر هو الذي كان يحمل سيفه صباح توفي رسول الله وهو يمشي في المدينة ويهدد كل من قال ان رسول الله قد مات بل قال انما ذهب لربه كما ذهب موسى وسيعود، وما ان حضر أبو بكر ورقى المنبر وقال: من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فالله حي لا يموت. هنا سكت عمر إذ بلغ المراد الذي من اجله أسكت الناس حتى لا يعود بعد اعتقادهم بموت نبيهم التحري عن خليفته، ولما يتهيأ الامر لأبي بكر وأنصاره لإعلان الخلافة وأخذ البيعة. ولا شك أن التمهيدات لاخذ البيعة كما مرَّ كانت مدبّرة من وراء الستار فقسم كان على عاتق أبي بكر وانصاره وقسم كان على عاتق عائشة وانصارها. وهي التي أهابت ببني هاشم يوم وفاته:

بأنكم آل الله وآل رسوله وأحرى بتجهيزه وتغسيله وتكفينه ودفنه وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وصي رسول الله، وهي التي كانت تجافيه وتظهر خصومته من قبل، فأبانت له ذلك اليوم منتهى الكرم والأدب، وأظهرت أنه رئيس بني هـاشم وأقرب الناس لرسول الله وهو احرى به دون جميع الصحابة للقيام بـهذا، وهـي تقصد إشغالهم برسول الله وترك أبيها وانصاره يحوكون ما ارادوا ولم تكن وحدها التي عملت ذلك فقد كانت لها اللياقة السياسية ودهاء النساء الذكيات، وأبوها هو معلمها الاول وهي عضده الأيسر لربما كانت هي الأيـمن وعـمر الايسـر وقـد نجحت سياستهم نجاحاً باهراً وتغلبوا على ما أرادوا وسلبوا حقا واضحا وصريحا وخلافة نص عليها رسول الله نصاً صريحا لعليّ، وفي كل فرصة حصلت لرسول الله البيان بها للخاصة والعامة فضل عليّ من الناحية العلمية والعملية، والقرابة والسبقة للاسلام والاخلاص للدين، واكد قول رسول الله الآيات الكثيرة التي تربو على ثلاثمائة آية كلها نزلت في مدح عليّ وتمجيده مع أهل البيت. فانظر الى السياسة العظيمة التي سلكها أبو بكر فتغلب بها على عليّ وعلى بني هاشم وآل عبد مناف بما فيهم، وهو من قبيلة عتيق لا ذكر لها قبل الاسلام وكانت سياسته بعد تسـنم الامر لا تقل عن تدبيره قبلها، اذ لو أهمل الامر ونجحت هاشم فلا بد ان تكشف الحقائق، لذا اسندها لعمر ولآل بني امـية وعـلى رأسـهم عـثمان كـاتب سـره، وعميدهم أبو سفيان الذي مات وهو كافر مشرك لا يعتقد إلاّ وأنها ملكية، وهـو الذي اوصى أولاده بتلاقف الخلافة وأنه لا جنة ولا نار.

القول في اسلام أبي بكر وعليّ وخصائص كلّ منهما

القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما[1]

وينبغي أن نذكر في هذا الموضع ملخّص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب «العثمانية» في تفضيل اسلام أبي بكر على اسلام عليٍّ عليه السلام، لان هذا الموضع يقتضيه، لقوله عليه السلام حكاية عن قريش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل يصدقك في امرك إلّا مثل هذا! لانهم استصغروا سنّه، فاستحقروا امر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث لم يصدّقه في دعواه الا غلام صغير السن، وشبهة العثمانية التي قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشأت، ومن هذه الكلمة تفرّعت، لأنّ خلاصتها أن أبا بكر أسلم وهو ابن اربعين سنة، وعليٌّ اسلم ولم يبلغ الحلم، فكان إسلام أبي بكر أفضل.

ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الاسكافيّ على الجاحظ في كتابه المعروف بـ«نقض العثمانية» ويتشعّب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث في الاسلامين الى البحث في افضليّة الرجلين وخصائصهما، فان ذلك لا يخلو عن فائدة جليلة، ونكتة لطيفة، لا يليق ان يخلو كتابناهذا عنها، ولان كلامهما بالرسائل والخطابة أشبه، وفي الكتابة أقصد وأدخل، وكتابنا هذا موضوع لذكر ذلك وامثاله.

قال أبو عثمان: قالت العثمانية: افضل الامة وأولاها بالامامة أبو بكر بن أبي قحافة لإسلامه على الوجه الذي لم يسلم عليه أحد في عصره وذلك ان الناس

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١٣ / ٢١٥.

اختلفوا في أول الناس اسلاما، فقال قوم: أبو بكر، وقال قوم: زيد بن حارثة، وقال قوم: خباب بن الأرتّ .وإذا تفقدنا اخبارهم، وأحصينا احاديثهم، وعددنا رجالهم ونظرنا في صحة أسانيدهم، كان الخبر في تقدم اسلام أبي بكر اعم ورجاله أكثر، واسانيده اصح، وهو بذاك أشهر، واللفظ فيه اظهر، مع الاشعار الصحيحة، والاخبار المستفيضة في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته، وليس بين الاشعار والاخبار فرق اذا امتنع في مجيئها، وأصل مخرجها التباعد والاتّفاق والتواطؤ ،ولكن ندع هذا المذهب جانبا، ونضرب عنه صفحا، اقتداراً على الحجة، ووثوقا بالفلج والقوة، ونقتصر على ادنى نازل في أبي بكر، ونتزل على حكم الخصم.

فنقول: انا وجدنا من يزعم انه اسلم قبل زيد وخبّاب ووجدنا من يزعم انهما اسلما قبله، وأوسط الامور اعدلها ،واقربها من محبّة الجميع، ورضا المخالف، أن نجعل اسلامهم كان معا، اذ الاخبار متكافئة والآثار متساوية على ما تزعمون، وليست احدى القضيتين اولى في صحة العقل من الاخرى، ثم نستدل على امامة أبي بكر بما ورد فيه من الحديث وبماأبانه به الرسول ﷺ من غيره .

قالوا: فمما رُوِيَ من تقدم اسلامه ما حدّث به أبو داود وابن مهدي عن شعبة، وابن عيينة، عن الجريري، عن أبي هريرة، قال أبو بكر: أنا أحقكم بهذا الامر ـ يعني الخلافة ـ ألست أول من صلّى .

روى عباد بن صهيب، عن يحيى بن عمير، عن محمد بن المنكدر أن رسول الله ﷺ قال: «ان الله بعثني بالهدى ودين الحق الى الناس كافة، فقالوا: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت» .

وروى يعلى بن عبيد، قال: جاء رجل الى ابن عبّاس، فسأله: من كان أولّ الناس اسلاماً؟ فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت :

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة　　فاذكر اخاك أبا بكر بما فعلا[١]

الثاني التالي المحمود مشهده　　واول الناس منهم صدّق الرسلا[٢]

وقال أبو مِحجَن :

سبقت الى الاسلام والله شاهد　　وكنت حبيبا بالعريش المشهّر[٣]

وقال كعب بن مالك :

سبقت اخا تيم الى دين احمد　　وكنت لدى الغيران في الكهف صاحبا[٤]

وروى ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن ادريس ووكيع، عن شعبة، عن عمرو بن مرّة، قال: قال النخعي: أبو بكر أوّل من أسلم .

وروى هيثم عن يعلى بن عطاء عن عمرو بن عنبسة، قال: أتيت النبي ﷺ وهو بعكاظ، فقلت: من بايعك على هذا الأمر؟ فقال: بايعني حرّ وعبد فلقد رأيتني يومئذ وأنا رابع الاسلام .

قال بعض أصحاب الحديث: يعني بالحرّ أبا بكر وبالعبد بلالا .

وروى الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن سليم بن عامر عن أبي امامة، قال: حدّثني عمرو بن عنبسة، انه سأل النبي ﷺ وهو بعكاظ، فقال له: من تبعك؟ قال: تبعني حرٌّ وعبدٌ ؛ أبو بكر وبلال .

---

(١) ديوانه / ٢٩٩، والعثمانية / ١١١ .

(٢) بعده في الديوان والعثمانية :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد　　طاف العداة به اذ صعّد الجبلا

خيرَ البريّة اتقاها واظهرها　　الا النبي واوفاها بما حملا

(٣) في الاصول: «المشهرا»، واثبت ما في العثمانية، من أبيات ثلاثة أوردها على قافية الراء المكسورة .

(٤) العثمانية / ١١١ .

وروى عمرو بن ابراهيم الهاشمي، عن عبدالملك بن عمير، عن أسيد بن صفوان، صاحب النبي ﷺ قال: لما قبض أبو بكر جاء علي بن أبي طالب ﷺ، فقال: رحمك الله أبا بكر! كنت أول النّاس اسلاما.

وروى عبّادٌ عن الحسن بن دينار، عن بشر بن أبي زينب، عن عكرمة مولى ابن عبّاس، قال: اذا لقيت الهاشميين قالوا: عليٌّ بن أبي طالب اوّل من إسلم، واذا لقيت الذين يعلمون، قالوا: أبو بكر أوّل من أسلم.

قال أبو عثمان الجاحظ: قالت العثمانية: فان قال قائل: فما بالكم لم تذكروا علي بن أبي طالب في هذه الطبقة، وقد تعلمون كثرة مقدّميه والرواية فيه؟

قلنا: قد علمنا الرواية الصحيحة، والشهادة القائمة، انه اسلم وهو حدث غرير، وطفل صغير، فلم نكذب الناقلين، ولم نستطع ان نلحق اسلامه بإسلام البالغين، لأن المقلّل زعم أنه اسلم وهو ابن خمس سنين. والمكثر زعم انه اسلم وهو ابن تسع سنين، فالقياس ان يؤخذ بالأوسط بين الروايتين، وبالأمر بين الأمرين، وانما يعرف حق ذلك من باطله، بأن نحصي سنيه التي ولي فيها الخلافة، وسني عمر، وسنيّ عثمان، وسنيّ أبي بكر، ومقام النبي ﷺ بالمدينة ومقامه بمكة عند اظهار الدعوة،فإذا فعلنا ذلك صح أنه اسلم وهو ابن سبع سنين، فالتاريخ المجمع عليه أنه قتل ﷺ في شهر رمضان سنة أربعين.

قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي[1]: لولا ما غلب على الناس من الجهل وحبّ التقليد، لم تحتج الى نقض ما احتجّت به العثمانية فقد علم الناس كافة، ان الدولة والسلطان لأرباب مقالتهم، وعرف كل أحد علوّ اقدار شيوخهم وعلمائهم

(١) هو محمد بن عبدالله أبو جعفر المعروف بالاسكافي، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٥: ٤١٦، وقال عنه: أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، وله تصانيف مسروقة.... وبلغني انه مات في سنة أربعين ومائتين.

وامرائهم، وظهور كلمتهم، وقهر سلطانهم وارتفاع التقيّة عنهم والكرامة، والجائزة لمن روى الاخبار والاحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك، وما ولّده المحدّثون من الأحاديث طلبا لما في أيديهم، فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا ان يَحُطّوا ذكر عليّ ﷺ وولده، ويطفئوا نورهم، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملوا على شتمهم وسبّهم ولعنهم على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتيل وأسير، وشريد وهارب، ومستخف ذليل، وخائف مترقب، حتى أن الفقيه والمحدّث والقاضي والمتكلم ليتقدّم إليه ويتوعد بغاية الايعاد وأشد العقوبة، أن لا يذكروا شيئاً من فضائلهم، ولا يرخّصوا لأحد أن يطيف بهم، وحتى بلغ من تقيّة المحدّث انه اذا ذكر حديثاً عن عليّ ﷺ كنّى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش وفعل رجل من قريش، ولا يذكر علياً ﷺ ولا يتفوّه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجّهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجيّ مارق، وناصبيّ حنق، وثابت مستبهم، وناشئ معاند ومنافق مكذب، وعثماني حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزليّ قد نقض في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل قد التمس الحيل في ابطال مناقبه، وتأول مشهور فضائله، فمرّة يتأولها بما لا يحتمل، ومرة يقصد ان يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة، ووضوحا واستنارة، وقد علمت ان معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه وسوابقه.

روى خالد بن عبدالله الواسطيّ، عن حصين بن عبدالرحمن، عن هلال بن يساف، عن عبدالله بن ظالم قال: لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء

يلعنون علياً ﷺ، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ألا ترون إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة .

روى سليمان بن داود، عن شعبة، عن الحر بن الصبّاح، قال: سمعت عبدالرحمن بن الاخنس، يقول: شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر علياً ﷺ، فنال منه .

روى أبو كريب، قال: حدثنا أبو اسامة، قال: حدثنا صدقة بن المثنى النخعي عن رياح بن الحارث، قال: بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الاكبر، وعنده ناس اذ جاءه رجل يقال له، قيس بن علقمة، فاستقبل المغيرة، فسب علياً ﷺ .

روى محمد بن سعيد الاصفهاني، عن شريك، عن محمد بن اسحاق، عن عمرو بن علي بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين ﷺ، قال: قال لي مروان: ما كان في القوم ادفع عن صاحبنا من صاحبكم .

قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟ قال: انه لا يستقيم لنا الامر إلاّ بذلك .

روى مالك بن اسماعيل أبو غسّان النهديّ، عن ابن أبي سيف قال: خطب مروان والحسن ﷺ جالس فنال من عليٍّ ﷺ، فقال الحسن: ويلك يا مروان! أهذا الذي تشتم شر الناس! قال: لا، ولكنه خير الناس .

وروى أبو غسّان أيضاً، قال: قال عمر بن عبدالعزيز: كان أبي يخطب فلا يزال مستمرا في خطبته، حتى إذا صار الى ذكر عليٍّ وسبّه تقطع لسانه، واصفرّ وجهه، وتغيرت حاله، فقلت له في ذلك، فقال: أوَقَدْ فطنت لذلك؟ إن هؤلاء لو يعلمون من عليٍّ ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل .

وروى أبو عثمان، قال: حدّثنا أبو اليقظان، قال: قام رجل من ولد عثمان الى هشام بن عبدالملك يوم عرفة، فقال: إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه

لعن أبي تراب .

وروى عمرو بن القنّاد، عن محمد بن فضيل، عن اشعث بن سوّار قال: سبّ عديٌّ بن ارطاة عليّاً عليه السلام على المنبر، فبكى الحسن البصري، وقال: لقد سُبَّ هذا اليوم رجلٌ إنه لأخو رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة .

وروى عدي بن ثابت عن اسماعيل بن ابراهيم، قال: كنت أنا وإبراهيم بن يزيد جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة فخرج المغيرة فخطب، فحمد الله، ثم ذكر ما شاء ان يذكر، ثم وقع في عليّ عليه السلام فضرب إبراهيم على فخذي أو ركبتي، ثم قال: اقبل عليّ، فحدّثني فإنّا لسنا في جمعة، ألا تسمع ما يقول هذا ؟

وروى عبدالله بن عثمان الثقفي، قال: حدّثنا ابن ابي سيف قال: قال ابن عامر بن عبدالله بن الزبير لولده: لا تذكر يا بنيّ علياً إلاّ بخير، فان بني امية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزده الله بذلك إلاّ رفعة، إن الدنيا لم تَبْنِ شيئاً قط إلاّ رجعت على ما بنت فهدمته، وان الدين لم يبنِ شيئاً قط وهدمه .

وروى عثمان بن سعيد، قال: حدثنا مطّلب بن زياد، عن ابي بكر بن عبدالله الاصبهاني، قال: كان دعيٌّ لبني امية يقال له خالد بن عبدالله، لا يزال يشتم علياًعليه السلام. فلمّا كان يوم جمعة، وهو يخطب الناس، قال: والله ان كان رسول الله ليستعمله، وانه ليعلم ما هو، ولكنه كان ختنه، وقد نعس سعيد بن المسيّب ففتح عينيه ثم قال: ويحكم، ما قال هذا الخبيث؟! رأيت القبر انصدع ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كذبت يا عدوّ الله .

وروى القنّاد، قال: حدّثنا اسباط بن نصر الهمداني، عن السّدي، قال: بينما انا بالمدينة عند أحجار الزيت، إذ اقبل راكب على بعير فوقف فسبّ علياً عليه السلام فخفّ به الناس ينظرون إليه، فبينا هو كذلك إذ اقبل سعد بن أبي وقّاص، فقال: اللهم ان

كان سبّ عبداً لك صالحا فأر المسلمين خزيه، فما لبث ان نفر به بعيره فسقط، فاندقت عنقه .

وروى عثمان بن أبي شيبة، عن عبدالله بن موسى، عن فُطْرِ بن خليفة عن أبي عبدالله الجدلي، قال: دخلت على ام سلمة رحمها الله فقالت: أيُسَبُّ رسول الله ﷺ فيكم وأنتم أحياء؟ قلت: وأنّى يكون هذا؟ قالت: أليس يسب عليٌّ ﷺ ومن يحبه !

وروى العباس بن بكار الضبّي، قال: حدّثني أبو بكر الهذليّ عن الزهري، قال: قال ابن عباس لمعاوية: ألا تكفّ عن شتم هذا الرجل؟ قال: ما كنت لأفعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير. فلما وَلِيَ عمر بن عبدالعزيز كفّ عن شتمه، فقال الناس: ترك السنة .

قال: وقد روي عن ابن مسعود اما موقوفاً عليه أو مرفوعاً : كيف انتم اذا شملتم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: غيرت السنة .

قال أبو جعفر: وقد تعلمون ان بعض الملوك ربما احدثوا قولا، أو دينا لهوى فيحملون الناس على ذلك، حتى لا يعرفوا غيره كنحو ما اخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان، وترك قراءة ابن مسعود وأُبي بن كعب، وتوعد على ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني امية وطغاة بني مروان بولد عليّ ﷺ، وشيعته، وانما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها، لإمساك الآباء عنها، وكفّ المعلمون عن تعليمها، حتى لو قرأت عليهم قراءة عبدالله وأُبي ما عرفوها، ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان، لالفة العادة وطول الجهالة لانه اذا استولت على الرعية الغلبة ،وطالت عليهم أيام التسلّط وشاعت فيهم المخافة، وشملتهم التقية،

اتفقوا على التخاذل والتساكت فلا تزال الايام تأخذ من بصائرهم، وتنقص من ضمائرهم وتنقض من مرائرهم، حتى تصير البدعة التي احدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها، ولقد كان الحجاج ومن ولّاه، كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني امية على إخفاء محاسن عليٍّ عليه السلام وفضائل ولده وشيعته، وإسقاط أقدارهم احرص منهم على إسقاط قراءة عبدالله وأُبيٍّ، لأن تلك القراءات لا تكون سببا لزوال ملكهم، وفساد امرهم، وانكشاف حالهم، وفي اشتهار فضل عليٍّ عليه السلام وولده واظهار محاسنهم بوارهم، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم، فحرصوا واجتهدوا في اخفاء فضائله، وحملوا الناس على كتمانها وسترها، وأبى الله ان يزيد امره وامر ولده الا استنارة واشراقاً، وحبهم الا شغفاً وشدة، وذكرهم الا انتشاراً وكثرة، وحجتهم إلّا وضوحا وقوّة، وفضلهم إلّا ظهورا، وشأنهم إلّا علوّاً وأقدارهم إلّا اعظاما، حتى اصبحوا باهانتهم اياهم اعزّاء، وباماتتهم ذكرهم احياء، وما ارادوا به وبهم من الشر تحول خيراً، فانتهى الينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدمه السابقون ولا ساواه فيه القاصدون، ولا يلحقه الطالبون، ولولا انها كانت كالقبلة المنصوبة في الشهرة، وكالسنن المحفوظة في الكثرة، لم يصل الينا منها في دهرنا حرف واحد، ان كان الامر كما وصفناه.

قال: فاما ما احتج به الجاحظ بإمامة أبي بكر، بكونه أول الناس اسلاما، فلو كان هذا احتجاجا صحيحاً، لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذلك لأنه اخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجراح، وقال للناس: قد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئم، ولو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها، ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادّعى واحد من الناس لأبي بكر الامامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق الى الاسلام، وما عرفنا أحداً ادّعى له ذلك، على ان جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر

أسلم إلّا بعد عدة من الرجال، منهم عليّ بن أبي طالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذرّ الغفاري وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرتّ واذا تأملنا الروايات الصحيحة، والاسانيد القوية الوثيقة، وجدناها كلها ناطقة بان عليا عليه السلام أول من اسلم.

فأما الرواية عن ابن عباس ان ابا بكر اولهم أسلاما فقد روي عن ابن عبّاس خلاف ذلك، باكثر مما رووا وأشهر، فمن ذلك ما رواه يحيى بن حمّاد، عن أبي عوانة وسعيد بن عيسى، عن أبي داود الطيالسي، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عبّاس، انه قال: أول من صلّى من الرجال عليّ عليه السلام.

وروى الحسن البصري، قال: حدثنا عيسى بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعلي عليه السلام في القرآن على كل مسلم، بقوله تعالى: ﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾، فكل من اسلم بعد علي فهو يستغفر لعليّ عليه السلام.

وروى سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: السُّبّاق ثلاثة، سبق يوشع بن نون الى موسى، وسبق صاحب «يس» الى عيسى، وسبق عليُّ بن أبي طالب الى محمد عليه وعليهم السلام.

فهذا قول ابن عبّاس في سبق عليّ عليه السلام إلى الاسلام، وهو اثبت من حديث الشعبي واشهر، على انه قد روي عن الشعبيّ خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند عن الشعبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا أول من آمن بي وصدّقني وصلّى معي.

قال: فأما الاخبار الواردة بسبقه الى الاسلام المذكورة في الكتب الصحاح والاسانيد الموثوق بها، فمنها ما روى شريك بن عبدالله عن سليمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعود أنه قال: أوّل شيء علمته من امر رسول

الله ﷺ اني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي، وكان من انفسنا شراء عطر، فأرشدنا[1] الى العبّاس بن عبد المطلب، فانتهينا إليه، وهو جالس إلى زمزم فبينا نحن عنده جلوساً، إذ أقبل رجل من باب الصّفا، وعليه ثوبان ابيضان، وله وفرة إلى انصاف اذنيه، جعدة، أشمُّ أقنى ادعج العينين، كث اللحية، برّاق الثنايا، ابيض تعلوه حمرة كأنه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مراهق أو محتلم، حسن الوجه تقفوهما امرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصدوا نحو الحجر، فاستلمه واستلمه الغلام، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحِجر، فقام ورفع يديه وكبّر، وقام الغلام الى جانبه ،وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها، وكبّرت فاطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فاطال ورفع الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع، فلمّا رأيناشيئاً ننكره، لا نعرفه بمكة، اقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل ان هذا الدين ما كنا نعرفه فيكم، قال: اجل والله، قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبدالله، هذا الغلام ابن أخي أيضاً، هذا علي بن أبي طالب وهذه المرأة زوجة محمد، هذه خديجة بنت خويلد ،والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين إلاّ هؤلاء الثلاثة .

ومن حديث موسى بن داود، عن خالد بن نافع، عن عُفَيف بن قيس الكندي، وقد رواه عن عفيف أيضاً، مالك بن اسماعيل النهدي والحسن بن عنبسة الورّاق وابراهيم بن محمّد بن ميمونة، قالوا جميعا: حدّثنا سعيد بن جشم، عن أسد بن عبدالله البجليّ، عن يحيى بن عُفَيف بن قيس، عن أبيه، قال: كنت في الجاهلية عطّاراً، فقدمت مكّة؛ فنزلت على العبّاس بن عبدالمطّلب، فبينا أنا جالس عنده، أنظر إلى الكعبة، وقد تحلّقت الشمس في السماء أقبل شاب كأن في وجهه القمر،

---

(١) د: «فأرشدونا» .

حتى رمى ببصره الى السماء فنظر الى الشمس ساعة، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة، فصفّ قدميه يصلّي، فخرج على أثره فتىً كأن وجهه صفيحة يمانيّة، فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متلففة في ثيابها، فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعاً، فركعا معه، ثم أهوى الى الارض ساجداً، فسجدا معه، فقلت للعباس: يا أبا الفضل، أمر عظيم! فقال: أمر والله عظيم! أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال هذا ابن أخي، هذا محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب، أتدري من هذا الفتى؟ قلت: لا، قال هذا ابن أخي عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب، أتدري من المرأة؟ قلت: لا، قال: هذه ابنة خويلد بن أسد بن عبدالعزّى، هذه خديجة زوج محمّد هذا[1] وأن محمداً هذا يذكر أن إلهه إله السماء والارض، وامره بهذا الدين فهو عليه كما ترى، ويزعم أنه نبي، وقد صدّقه على قوله عليّ بن عمه هذا الفتى، وزوجته خديجة، هذه المرأة، والله ما أعلم على وجه الارض كلها احداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة: قال عُفَيف: فقلت له: فما تقولون انتم؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع! يعني أبا طالب أخاه.

وروى عبيد الله بن موسى، والفضل بن دُكَين، والحسن بن عطيّة قالوا: حدّثنا خالد بن طهمان، عن نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار قال: كنت أوصي النبيﷺ فقال لي: هل لك أن تعود فاطمة؟ قلت: نعم يا رسول الله، فقام يمشي متوكئا عليّ، وقال: أما أنّه سيحمل ثقلها غيرك ويكون اجرها لك قال: فوالله كأنه لم يكن عليّ من ثقل النبي ﷺ شيء، فدخلنا على فاطمة ؟، فقال لها ﷺ: كيف تجدينك؟ قالت: لقد طال أسفي، واشتد حزني، وقال لي النساء: زوّجك أبوك فقيرا لا مال له! فقال لها: أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلما، وأكثرهم علما، وأفضلهم حلما! قالت: بلى رضيت يا رسول الله.

وقد روى هذا الخبر يحيى بن عبدالحميد، وعبد السلام بن صالح عن قيس

---

(١) ا: «زوج هذا».

بن الربيع، عن أبي أيوب الانصاريّ، بالفاظه أو نحوها .

وروى عبد السلام بن صالح، عن اسحاق الازرق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، ان رسول الله ﷺ لمّا زوّج فاطمة، دخل النساء عليها، فقلن: يابنت رسول الله، خطبك فلان وفلان فردّهم عنك، وزوّجك فقيراً لا مال له. فلمّا دخل عليها أبوها ﷺ رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة، ان الله أمرني فانكحتك أقدمهم سلما، وأكثرهم علما وأعظمهم حلما، وما زوجتك إلّا بأمر من السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة!.

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظُهير، عن السّدي، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمة ، فردّهما رسول الله ﷺ وقال: لم أومر بذلك، فخطبها عليٌّ ، فزوجه إياها، وقال لها: زوّجتك أقدم الامة اسلاما.. وذكر تمام الحديث. قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم اسماء بنت عميس وأم ايمن وابن عباس وجابر بن عبدالله .

قال: وقد روى محمد بن عبدالله بن أبي رافع، عن أبيه عن جدّه أبي رافع، قال: أتيت أبا ذرّ بالربذّة أودّعه فلما اردت الانصراف، قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فاتّبعوه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «انت أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرّق بين الحق والباطل، وانت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري، وخير من أترك بعدي، تقضي ديني وتنجزُ موعدي» .

قال: وقد روى ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن نمير، عن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عبّاد بن عبدالله الأسدي، قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها غيري إلّا كذّاب،

ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين .

وروت معاذة بنت عبدالله العدوية، قالت: سمعت عليّاً ﷺ، يخطب على منبر البصرة، ويقول: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل ان يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل ان يسلم.

وروى حبّة بن جوين العُرَنيّ أنه سمع عليّاً ﷺ يقول: انا اول رجل اسلم مع رسول الله ﷺ. رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة، عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن حبة بن جوين .

وروى عثمان بن سعيد الخزّاز[1]، عن عليّ بن حزّار عن عليّ بن عامر، عن أبي الحجّاف، عن حكيم مولى زاذان، قال: سمعت علياً ﷺ يقول: صلّيت قبل الناس سبع سنين وكنا نسجد ولا نركع، وأوّل صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، فقلت: يا رسول الله، ما هذا؟ قال: امرت به .

وروى اسماعيل بن عمرو، عن قيس بن الربيع، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبدالله، قال: صلّى رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وصلّى عليّ يوم الثلاثاء بعده. وفي الرواية الأخرى، عن أنس بن مالك، استنبئ النبي ﷺ يوم الاثنين واسلم عليّ يوم الثلاثاء بعده .

وروى أبو رافع أن رسول الله ﷺ صلّى اول صلاة صلّاها غداة الاثنين، وصلّت خديجة آخر نهار يومها ذلك، وصلّى عليّ ﷺ يوم الثلاثاء غدا ذلك اليوم .

قال وقد رُوِيَ بروايات مختلفة كثيرة متعددة، عن زيد بن أرقم وسلمان الفارسي، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك، أن علياً ﷺ أوّل من أسلم، وذكر الروايات والرجال بأسمائهم :

---

(١) سأذكر ذلك في مناظرات المأمون مع أئمة السنة .

وروى سلمة بن كُهَيل، عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب ؛ ان رسول الله ﷺ قال: «أوّلكم وروداً عليّ الحوض، أوّلكم اسلاماً، عليّ بن أبـي طالب» .

وروى ياسين بن محمد بن ايمن، عن أبي حازم، مولى ابن عباس عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: كفّوا عن عليّ بن أبي طالب، فإنّي سمعت من رسول الله ﷺ يقول[1] فيه خصالاً، لو ان خصلة منها في جـميع آل الخطاب، كان أحب لي مما طلعت عليه الشمس، كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة مع نفر من أصحاب رسـول الله ﷺ نـطلبه، فانتهينا الى باب أم سلمة، فوجدنا علياً متكئاً على نجاف[2] الباب، فقلنا: أردنـا رسول الله ﷺ فقال: هو في البيت، رويدكم! فخرج رسول الله ﷺ فسرنا حوله، فاتكأ على عليٍّ عليه السلام وضرب بيده على منكبه، فقال: ابشر يا عليّ بن أبي طالب إنك مخاصم، وانك تخصِم[3] الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن، أنت أوّل الناس إسلاما، واعلمهم بأيام الله... وذكر الحديث .

قال: وقد روى أبو سعيد الخدريّ، عن النبي ﷺ مثل هذا الحديث .

قال: روى أبو أيوب الانصاريّ، عن رسول الله ﷺ قـال: «لقـد صـلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ عليه السلام سبع سنين»، وذلك انه لم يصلّ معي رجل فيها غيره .

قال أبو جعفر: فاما ما رواه الجاحظ من قوله: «انما تبعني حرّ وعبدٌ». فانه لم يسم في هذا الحديث أبا بكر وبلالا وكيف وأبو بكر لم يشتر بلالا إلاّ بعد ظهور الاسلام بمكة، فلما اظهر بلال اسلامه عذّبه امية بن خلف! ولم يكـن ذلك حـالَ

---

(١) ساقطة من: أ.

(٢) النجاف: هو ما بني ناتئا فوق الباب .

(٣) تخصم الناس: تغلبهم في الخصومة .

إخفاء رسول الله ﷺ الدعوة، ولا في ابتداء أمر الاسلام، وقد قيل: إنه ﷺ انما عنى بالحر عليّ بن أبي طالب، وبالعبد زيد بن حارثة .

وروى ذلك محمد بن اسحاق، قال: وقد روى اسماعيل بن نصر الصفّار، عن محمد بن ذكوان، عن الشعبي، قال: قال الحجّاج للحسن، وعنده جماعة من التابعين وذكر عليّ بن أبي طالب: ما تقول انت يا حسن؟ فقال: ما أقول! هو أوّل من صلّى الى القبلة، واجاب دعوة رسول الله ﷺ وان لعليٍّ منزلة من ربّه وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردّها أحد. فغضب الحجاج غضبا شديداً وقام عن سريره، فدخل بعض البيوت وامر بصرفنا .

قال الشعبي: وكنا جماعة ما منّا إلّا من نال من عليٍّ عليه السلام مقاربة للحجّاج، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله .

وروى محرز بن هشام، عن ابراهيم بن سلمة، عن محمد بن عبيد الله، قال: قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على عليٍّ وتقرّظه؟ قال: كيف وسيف الحجاج يقطر دما! أنّه لأوّل من أسلم، وحسبكم بذلك!

قال: فهذه الأخبار .

واما الاشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة، فمنها قول عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب مجيبا للوليد بن عقبة بن أبي معيط :

وانّ وليّ الامر بعد محمد ... عليٌّ وفي كل المواطن صاحبه

وصيّ رسول الله حقاً وصنوه ... وأوّل من صلّى ومن لان جانبه

وقال خزيمة بن ثابت في هذا :

وصيّ رسول الله من دون أهله ... وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وأول من صلّى من الناس كلهم ... سوى خيرة النسوان والله ذو منن

وقال أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس، حين بويع أبو بكر :

ماكنت أحسب ان الامر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتهم وأعلم الناس بالأحكام والسنن

وقال أبو الأسود الدؤلي يهدّد طلحة والزبير:

وان علياً لكم مصحرٌ يماثله الأسد الأسود
أما إنّه اوّل العابدين بمكّة والله لا يعبدا

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا عليّ وابن عم المصطفى أوّل من أجابه فيما روى
هو الامام لا يبالي من غوىٰ

وقال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدي :

فحوطوا علياً وانصروه فانه وصيٌّ وفي الاسلام أوّل أوّل
وان تخذلوه والحوادث جمّة فليس لكم عن أرضكم متحول

قال: والاشعار كالاخبار، اذا امتنع في مجيء القبيلين التواطؤ والاتفاق، كان ورودهما حجة .

فأما قول الجاحظ، فاوسط الامور ان نجعل اسلامهما معا، فقد أبطل بهذا ما احتج به لامامة أبي بكر، لانه احتج بالسبق وقد عدل الآن عنه .

قال أبو جعفر: ويقال لهم: لسنا نحتاج من ذكر سبق عليٍّ ﷺ إلّا مجامعتكم ايّانا على انه اسلم قبل الناس، ودعواكم انه اسلم وهو طفل دعوى غير مقبولة إلّا بحجة .

فإن قلتم: ودعوتكم انه اسلم وهو بالغ دعوى غير مقبولة إلّا بحجة !

قلنا: قد ثبت اسلامه بحكم اقراركم، ولو كان طفلا لكان في الحقيقة غير مسلم، لان اسم الايمان والاسلام والكفر الطاعة والمعصية انما يقع على البالغين

دون الاطفال والمجانين، واذا اطلقتم عليه اسم الاسلام، فالاصل في الاطلاق الحقيقة. كيف وقد قال النبي ﷺ: «انت اول من آمن بي، وأنت أول من صدّقني»، وقال لفاطمة: «زوجتك أقدمهم سلما ـ أو قال: اسلاما ـ» فإن قالوا إنما دعاه النبي ﷺ إلى الاسلام على جهة العرض لا التكليف.

قلنا: قد وافقتمونا على الدّعاء، وحكم الدعاء حكم الامر والتكليف ثم ادّعيتم ان ذلك كان على وجه العرض، وليس لكم ان تقبلوا معنى الدعاء (عن وجهه ـ = ١ = ـ) إلا لحجة.

فان قالوا: لعله كان على وجه التأديب والتعليم كما يعتمد مثل ذلك مع الاطفال.

قلنا: ان ذلك انما يكون اذا تمكن الاسلام باهله، او عند النشوء عليه والولادة فيه. فأما في دار الشرك فلا يقع مثل ذلك لا سيما اذا كان الاسلام غير معروف ولا معتاد بينهم، على انه ليس من سنّة النبي ﷺ دعاء اطفال المشركين الى الاسلام والتفريق بينهم وبين آبائهم، قبل ان يبلغوا الحلم.

وأيضاً فمن شأن الطفل اتباع اهله، وتقليد أبيه، والمضيّ على منشئه ومولده، وقد كانت منزلة النبي ﷺ حينئذٍ منزلة ضيق وشدّة ووحدة، وهذه منازل لا ينتقل اليها الا من ثبت الاسلام عنده بحجّة، ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة. فان قالوا: ان علياً ؑ كان يألف النبي ﷺ فوافقه على طريق المساعدة له.

قلنا: انه وان كان يألفه اكثر من أبويه وإخوته وعمومته وأهل بيته، ولم يكن الالف ليخرجه عما نشأ عليه، ولم يكن الاسلام مما غُذّيَ[1] به وكرر على سمعه لان الاسلام هو خلع الانداد والبراءة ممن اشرك بالله، وهذا لا يجتمع في اعتقاد طفل.

---

(١) ب: «عدى» تصحيف، واثبت ما في أ.

ومن العجب قول العباس لعفيف بن قيس: ننتظر الشيخ وما يصنع فاذا كان العباس وحمزة ينتظران أبا طالب، ويصدران عن رأيه فكيف يخالفه ابنه، ويؤثر القلّة على الكثرة، ويفارق المحبوب إليّ المكروه، والعزّ الى الذلّ، والأمن الى الخوف، عن غير معرفة ولا علم بما فيه !

فأما قوله: ان المقل يزعم انه اسلم وهو ابن خمس سنين، والمكثر يزعم انه اسلم وهو ابن تسع سنين، فاول ما يقال في ذلك: ان الاخبار جاءت في سنه عليه السلام يوم اسلم على خمسة اقسام فجعلناه في قسمين :

القسم الاول: الذين قالوا: اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة. حدّثنا بذلك احمد بن سعيد الاسدي، عن اسحاق بن بشر القرشي عن الاوزاعي، عن زمرة بن حبيب، عن شدّاد بن اوس، قال: سألت خبّاب بن الارتّ عن اسلام عليّ، فقال: اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، ولقد رأيته يصلّي قبل النّاس مع النبي صلى الله عليه وآله وهو يومئذٍ بالغ مستحكم البلوغ. وروى عبدالرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن الحسن ان اول من اسلم علي بن ابي طالب، وهو ابن خمس عشرة سنة .

القسم الثاني: الذين قالوا انه اسلم وهو ابن اربع عشرة سنة رواه ابو قتادة الحرّاني، عن ابي حازم الاعرج، عن حذيفة بن اليمان، قال: كنّا نعبد الحجارة، ونشرب الخمر وعليّ من ابناء اربع عشرة سنة قائم يصلّي مع النبي صلى الله عليه وآله ليلاً ونهاراً وقريش يومئذ تسافه رسول الله صلى الله عليه وآله ما يذب عنه إلّا عليّ عليه السلام، وروى ابن ابي شيبة عن جرير بن عبدالحميد، قال: اسلم عليّ وهو ابن اربع عشرة سنة .

القسم الثالث: الذين قالوا: اسلم وهو ابن احدى عشرة سنة رواه اسماعيل بن عبدالله الرقي، عن محمد بن عمر، عن عبدالله بن سمعان، عن جعفر بن محمّد عليه السلام عن ابيه عن محمد بن علي عليه السلام، قال: اوّل من آمن بالله علي بن أبي

طالب، وهو ابن احدى عشرة سنة، وهاجر الى المدينة وهو ابن اربعة[١] وعشرين سنة .

القسم الرابع: الذين قالوا انه أسلم وهو ابن عشر سنين رواه نوح بن درّاج، عن محمد بن اسحاق، قال: اوّل ذكرٍ آمن وصدّق النبوة علي بن ابي طالب ﷺ، وهو ابن عشر سنين ثم اسلم زيد بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر وهو ابن ست وثلاثين سنة فيما بلغنا .

القسم الخامس: الذين قالوا انه اسلم وهو ابن تسع سنين رواه الحسن بن عنبسة الورّاق عن سليم مولى الشعبي، عن الشعبي قال: اوّل من اسلم من الرجال عليّ بن ابي طالب وهو ابن تسع سنين ، وكان له يوم قبض رسول الله ﷺ تسع وعشرون سنة .

قال شيخنا أبو جعفر: فهذه الاخبار كما تراها، فاما ان يكون الجاحظ جهلها أو قصد العناد .

فاما قوله «فالقياس أن نأخذ باوسط الأمرين من الرّوايتين» فنقول أنه اسلم وهو ابن سبع سنين، فان هذا تحكم منه، ويلزمه مثله في رجل ادّعى قِبَل رجل عشرة دراهم، فانكر ذلك وقال: انما يستحق قِبَلي اربعة دراهم، فينبغي ان نأخذ الامر المتوسط ويلزمه سبعة دراهم، ويلزمه في ابي بكر حيث قال قوم: كان كافراً، وقال قوم: كان اماماً عادلاً ان نقول: اعدل الاقاويل اوسطها وهو منزلة[٢] بين المنزلتين ، فنقول: كان فاسقاً ظالماً، وكذلك في جميع الأمور المختلف فيها .

فاما قوله: انما يعرف حق ذلك من باطله، بأن نحصي سنيّ ولاية عثمان وعمر وأبي بكر وسنيّ الهجرة، ومقام النبي ﷺ بمكة بعد الرسالة الى ان هاجر،

(١) كذا في النهج وهو خطأ والصحيح: اربع وعشرين. (المصحح) .
(٢) أ: «أن تنزله» .

فيقال له: لو كانت الروايات باطلة متفقة على هذه التأريخات، لكان لهذا القـول مساغ، لكن الناس قد اختلفوا في ذلك، فقيل: ان رسول الله ﷺ اقام بمكة بعد الرسالة خمس عشرة سنة، رواه ابن عباس، وقيل ثلاث عشرة سنة، وروي عن ابن عباس أيضاً، وأكثر الناس يرونه .. وقيل عشر سنين رواه عروة بن الزبير، وهو قول الحسن البصري وسعيد بن المسيب، واختلفوا في سن رسول الله ﷺ فقال قوم: كان ابن خمس وستين وقيل: كـان ابـن ثـلاث وستين وقـيل: كـان ابـن ستّين. واختلفوا في سن عليٍّ ؏، فقيل: كان ابن سبع وستين، وقـيل: كـان ابـن خمس وستين وقيل ابن ثلاث وستين، وقيل: كان ابن سـتين، وقـيل ابـن تسـع وخمسين .

فكيف يمكن مع هذه الاختلافات تحقيق هذه الحـال! وانـما الواجـب ان يرجع الى اطلاق قولهم: أسلم عليّ، فان هذا الاسم لا يكون مطلقا إلّا على البالغ، كما لا يطلق اسم الكافر إلّا على البالغ، على ان ابن احدي عشرة سنة يكون بالغاً ويولد له الأولاد، فقد روت الرّواة ان عمرو بن العاص لم يكن أسـنَّ مـن ابـنه عبدالله إلّا باثنتي عشرة سنة، وهذا يوجب انه احتلم وبلغ في اقـل مـن احـدى عشرة سنة .

وروي أيضاً ان محمد [بن علي][1] بن عبدالله بن العباس، كان اصغر من ابيه علي بن عبدالله بن العباس باحدى عشرة سنة، فيلزم الجاحظ ان يكون عبدالله بن العبّاس حين مات رسول الله ﷺ غير مسلم على الحـقيقة، ولا مـثاب ولا مطيع بالاسلام، لانه كان يومئذ ابن عشر سنين. رواه هشيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال توفّي رسول الله ﷺ وانا ابن عشر سنين .

---

(١) ما بين العضادتين غير موجود في شرح النهج لابن أبي الحديد ولكنا نـقلناه مـن كـتاب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان ٤/٢٧٤ ـ ٢٧٨. في ترجمة علي بن عبدالله بـن العـباس، و٣/١٨١ ـ ١٨٨ ترجمة محمد بن علي بن عبدالله بن العباس .

قال الجاحظ: فان قالوا: فلعلّه وهو ابن سبع سنين[١] أو ثماني سنين[٢]، قد بلغ من فطنته وذكائه وصحة لبّه وصدق حدسه[٣] وانكشاف العواقب له وان لم يكن جرّب الامور، ولا فاتح الرجال، ولا نازع الخصوم، ما يعرف به جميع ما يجب على البالغ معرفته والاقرار به !

قيل [٤] لهم انما نتكلّم على ظواهر الاحوال، وما شاهدنا عليه طبائع الاطفال، فانا وجدنا حكم ابن سبع سنين او ثمان ـ ما لم يعلم باطن امره وخاصة طبعه ـ حكم الاطفال، وليس لنا ان نزيل ظاهر حكمه والذي نعرف من حال ابناء جنسه بلعلّ وعسى، لأنّا وان كنا لا ندري، لعله قد كان ذا فضيلة في الفطنة، فلعله قد كان ذا نقص فيها !

هذا على تجويز ان يكون عليّ عليه السلام في الغيب[٥] قد اسلم وهو ابن سبع او ثمان اسلام البالغ، غير ان الحكم على مجرى امثاله واشكاله الذين اسلموا وهم في مثل سنّه اذا كان اسلام هؤلاء عن تربية الحاضن، وتلقين القيّم، و رياضة السائس.

فاما عند التحقيق، فانه لا تجويز لمثل ذلك، لانه لو كان اسلم، وهو ابن سبع او ثمان وعرف فضل ما بين الانبياء والكهنة، وفرّق ما بين الرّسل والسّحرة، وفرق ما بين خبر النبيّ والمنجّم، وحتى عرف كيد الأريب[٦] وموضع الحجّة [٧] وبعد غور المتنبي[٨] كيف يلبّس على العقلاء، وتستمال عقول الدّهماء، وعرف الممكن في

---

(١) و(٢) ساقط من: أ.

(٣) العثمانية: «حسه».

(٤) العثمانية: «قيل».

(٥) العثمانية : «المغيب».

(٦) العثمانية «المريب».

(٧) في الاصول «وفقد التمييز» واثبت ما في العثمانية.

(٨) المصدر السابق.

الطبع من الممتنع، وما يحدث بالاتفاق مما يحدث بالاسباب، وعرف قدر القوى وغاية الحيلة ومنتهى التمويه والخديعة، وما لا يحتمل ان يحدثه الا الخالق سبحانه، وما يجوز على الله في حكمته مما لا يجوز وكيف التحفّظ من الهوى والاحتراس من الخداع، لكان كونه على هذه الحال وهذه مع فرط الصبا والحداثة وقلة التجارب والممارسة خروجا من العادة؛ ومن المعروف مما عليه تركيب هذه الخلقة، وليس يصل احد الى معرفة نبي وكذب متنبئ، حتى تجتمع فيه هذه المعارف التي ذكرناها، والاسباب التي وصفناها وفصّلناها، ولو كان عليٌّ ﷺ على هذه الصفة ومعه هذه الخاصية لكان حجة على العامة وآية تدل على النبوة، ولم يكن الله عزَّ وجلَّ ليخصه بمثل هذه الاعجوبة إلّا وهو يريد ان يحتج بها، ويجعلها قاطعة لعذر المشاهد وحجة على الغائب. ولولا ان الله اخبر عن يحيى بن زكريا أنه آتاه الحكم صبيا، وانه أنطق عيسى في المهد ما كانا في الحكم (ولا في المغيب)[1]، الا كسائر الرّسل، وما عليه جميع البشر. فإذا لم ينطق لعليّ ﷺ بذلك قرآن، ولا جاء الخبر به مجيء الحجة القاطعة والمشاهدة القائمة، فالمعلوم عندنا في الحكم ان طباعه كطباع عمّيه حمزة والعباس، وهما امسّ بمعدن جماع الخير منه، أو كطباع جعفر وعقيل من رجال قومه وسادة رهطه. ولو ان انساناً ادّعى مثل ذلك لاخيه جعفر أو لعمّيه حمزة والعبّاس، ما كان عندنا في أمره الا مثل ما عندنا فيه[2].

اجاب شيخنا أبو جعفر ﵀، فقال: هذا كله مبنيّ على انه أسلم وهو ابن سبع أو ثمان، ونحن قد بيّنا انه اسلم بالغا ابن خمس عشرة سنة أو ابن اربع عشرة سنة، على انّا لو نزلنا على حكم الخصوم، وقلنا ما هو الاشهر والاكثر من الرواية، وهو

---

(١) من العثمانية.

(٢) العثمانية ٦ ـ ٨.

انه اسلم وهو ابن عشر لم يلزم ما قاله الجاحظ، لان ابن عشر قد يستجمع عقله، ويعلم من مبادئ المعارف ما يستخرج به كثيراً من الامور المعقولة، ومتى كان الصبيّ عاقلا مميزا كان مكلفا بالعقليات، وان كان تكليفه بالشرعيات موقوفا على حدّ آخر وغاية أخرى، فليس بمنكر ان يكون عليّ ﷺ وهو ابن عشر قد عقل المعجزة، فلزمه الاقرار بالنبوة، واسلم اسلام عالم عارف، لا اسلام مقلّد تابع، وان كان ما نسقه الجاحظ وعدده من معرفة السحر والنجوم والفصل بينهما وبين النبوة، ومعرفة ما يجوز في الحكمة مما لا يجوز، وما لا يحدثه إلّا الخالق، والفرق بينه وبين ما يقدر عليه القادرون بالقدرة، ومعرفة التمويه والخديعة والتلبيس والمماكرة، شرطا في صحة الاسلام لما صحّ اسلام أبي بكر ولا عمر ولا غيرهما من العرب، وانما التكليف لهؤلاء بالجمل ومبادئ المعارف لا بدقائقها والغامض منها، وليس يفتقر الاسلام الى ان يكون المسلم قد فاتح الرّجال وجرّب الامور ونازع الخصوم، وانما يفتقر الى صحّة الغريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة ،ألاترى ان طفلاً لو نشأ في دار لم يعاشر الناس بها، ولا فاتح الرجال ولا نازع الخصوم، ثم كمل عقله وحصلت العلوم البديهية عنده، لكان مكلفا بالعقليات !

فاما توهّمه ان علياً ﷺ اسلم عن تربية الحاضن، وتلقين القيم، ورياضة السائس، فلعمري ان محمداً ﷺ كان حاضنه وقيّمه وسائسه، ولكن لم يكن منقطعا عن أبيه أبي طالب، ولا عن اخوته طالب وعقيل وجعفر، ولا عن عمومته وأهل بيته، وما زال مخالطا لهم، ممتزجا بهم، مع خدمته لمحمد ﷺ فما باله لم يمل الى الشرك وعبادة الاصنام لمخالطته اخوته واباه وعمومته وأهله، وهم كثير، ومحمد ﷺ واحد!

وانت تعلم ان الصبيّ اذا كان له أهل ذوو كثرة، وفيهم واحد يذهب الى رأي مفرد، لا يوافقه عليه غيره منهم، فانه الى ذوي الكثرة اميل، وعن ذي الرأي الشاذ

المنفرد أبعد، وعلى ان علياً ﷺ لم يولد في دار الاسلام، وانما ولد في دار الشرك، وربّي بين المشركين، وشاهد الاصنام، وعاين بعينه أهله ورهطه يعبدونها، فلو كان في دار الاسلام لكان في القول مجال، ولقيل انه ولد بين المسلمين، فاسلامه عن تلقين الظئر وعن سماع كلمة الاسلام ومشاهدة شعاره لانه لم يسمع غيره ولا خطر بباله سواه، فلمّا لم يكن ولد كذلك، ثبت ان اسلامه اسلام المميّز العارف، بما دخل عليه. ولولا انه كذلك لما مدحه رسول الله ﷺ بذلك، ولا ارضى ابنته فاطمة لما وجدت من تزويجه بقوله لها: زوجتك اقدمهم اسلاماً ولاقرن الى قوله «واكثرهم علما واعظمهم حلما»، والحلم: العقل، وهذان الامران غاية الفضل، فلولا انه اسلم اسلام عارف عالم مميز لما ضمّ اسلامه الى العلم والحلم اللذين وصفه بهما! وكيف يجوز ان يمدحه بامر لم يكن مثاباً عليه، ولا معاقباً به لو تركه، ولو كان اسلامه عن تلقين وتربية لما افتخر هو ﷺ (به)[1] على رؤوس الاشهاد، ولا خطب على المنبر، وهو بين عدو ومحارب، وخاذل ومنافق فقال: انا عبدالله واخو رسوله، وانا الصديق الاكبر والفاروق الاعظم، صلّيت قبل الناس سبع سنين، واسلمت قبل اسلام أبي بكر وآمنت قبل ايمانه! فهل بلغكم ان احداً من أهل ذلك العصر انكر ذلك أو عابه أو ادعاه لغيره، أو قال له: انما كنت طفلا اسلمت على[2] تربية محمد ﷺ ذلك، وتلقينه اياك، كما يعلّم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعا، فلا فخر له في تعلم ذلك، وخصوصاً في عصر قد حارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان، وقد اعتورته الاعداء وهجته الشعراء، فقال فيه النعمان بن بشير:

لقد طلب الخلافة من بعيد   وسارع في الضَلال أبو تراب

(١) تكملة من: أ.

(٢) «عن».

معاوية الامـام وانت مـنها　　على وتح بمنقطع السراب[١]

وقال فيه أيضاً بعض الخوارج :

دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم　　جـزاء اذا مـا جـاء نـفسا كـتابها
ابا حسن خذها على الرأس ضـربة　　بكفّ كـريم، بـعد مـوتٍ ثـوابـها

وقال عمران بن حطّان يمدح قاتله:

يا ضربة من تقيّ مـا أراد بـهـا　　الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إنـي لأذكـره حـيناً فـاحسبه　　أوفى البـريّة عـند الله مـيزانـا

فلو وجد هؤلاء سبيلا الى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم اسلامه لبدأوا بذلك، وتركوا ما لا معنى له .

وقد اوردنا ما مدحه الشعراء به من سبقه الى الاسلام، فكيف لم يردّ على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه. ولقد قـال فـي امـهات الأولاد قولاً خالف فيه عمر، فذكروه بذلك وعابوه، فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به مما لا فخر فيه عندهم، وعابوه بقوله في امهات الاولاد .

ثم يقال له: خبّرنا عن عبدالله بن عمر، وقد أجازه النبيّ ﷺ يوم الخندق، ولم يجزه يوم احد، هل كان يميّز ما ذكرته؟ وهل كان يعلم فرق ما بـين النـبي والمتنبي، ويفصل بين السحر والمعجزة الى غيره مما عددت وفصلت !

فان قال: نعم، وتجاسر على ذلك، قيل له: فعليّ ﷺ بذلك أولى من ابن عمر، لانه أذكى وافطن بلا خلاف بين العقلاء وأنّى يشكّ في ذلك، وقد رميتم انه لم يميّز بين الميزان والعود بعد طول السنّ، وكثرة التجارب، ولم يميز أيضاً بين امام الرّشد وامام الغيّ، فانه امتنع عن بيعة عليٍّ ﷺ وطرق على الحجّاج بابه ليلاً ليبايع لعبد

(١) الوتح: القليل .

الملك، كي لا يبيت تلك الليلة بلا امام، (كما) زعم، لانه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات ولا امام له مات ميتة جاهلية»، وحتى بلغ من احتقار الحجّاج له واسترذاله حاله، ان اخرج رجله من الفراش فقال: إصفق بيدك عليها، فذلك تمييزه بين الميزان والعود وهذا اختياره في الأئمة، وحال عليٍّ ﷺ في ذكـائه وفـطنته وتوقّد حسّه، وصدق حدسه، معلومة مشهورة. فاذا جاز ان يصحّ اسلام ابن عمر، ويقال عنه إنه عرف تلك الامور التي سردها الجاحظ ونسّقها، واظهر فـصاحته وتشدّقه فيها، فعليٌّ بمعرفة ذلك احق، وبصحة اسلامه اولى.

وان قال: لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك، فقد ابطل اسلامه، وطعن في رسول الله ﷺ حيث حكم بصحة اسلامه واجازه يوم الخندق، لانه ﷺ كان قال: لا اجيز الا البالغ العاقل، ولذلك لم يجزه يوم احد.

ثم يقال له: ان ما تقوله في بلوغ علي ﷺ الحد الذي يحسن فيه التكـليف العقلي بل يجب ـ وهو ابن عشر سنين ـ ليس باعجب من مجيء الولد لستة اشهر، وقد صحح ذلك أهل العلم، واستنبطوه من الكتاب، وان كان خارجاً من التعارف والتجارب والعادة. وكذلك مجيء الولد لسنتين خارج أيضاً عن التعارف والعادة، وقد صححه الفقهاء والناس.

ويروي ان معاذاً لما نهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاما قد نبتت ثنيّتاه، فقال أبوه: ابني وربّ الكعبة! فثبت ذلك سنّة يعمل بها الفقهاء، وقد وجدنا العادة تقضي بأنّ الجارية تحيض لاثنتي عشرة سنة، وانه أقلّ سن تحيض فيه المرأة، وقد يكون في الاقلّ نساء يحضن لعشر ولتسع، وقد ذكر ذلك الفقهاء، وقد قال الشافعي في اللّعان: لو جاءت المرأة بحمل وزوجها صبيّ له دون عشر سنين لم يكن ولداً له، لأنّ من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لا يولد له، وان كان له عشر سنين جاز ان يكون الولد له، وكان بينهما لعان اذا لم يقرّ به.

وقال الفقهاء أيضاً، ان نساء تهامة يحضن لتسع سنين، لشدة الحرّ في بلادهن .

قال الجاحظ: ولو لم يعرف باطل هذه الدّعوى من أثر التقوى، وتحفظ من الهوى، الا بترك عليّ عليه السلام ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه، وقد نازع الرجال وناوى الاكفاء وجامع أهل الشورى، لكان كافيا، ومتى لم تصحّ لعلي عليه السلام هذه الدعوى في أيّامه، ولم يذكرها أهل عصره، فهي عن ولده اعجز، ومنهم اضعف !

ولم ينقل ان علياً عليه السلام احتج بذلك في موقف، ولا ذكره في مجلس، ولا قام به خطيبا، ولا ادلى به واثقا، لا سيما وقد رضيه الرّسول صلى الله عليه وآله عندكم مفزعا ومعلّما، وجعله للناس اماما .

ولا ادّعى له احد ذلك في عصره، كما لم يدّعه لنفسه، حتى يقول انسان واحد: الدليل على امامته ان النبيّ صلى الله عليه وآله دعاه الى الإسلام أو كلّفه التصديق قبل بلوغه، ليكون ذلك آية للناس في عصره، وحجّة له ولولده من بعده، فهذا كان اشد على طلحة والزبير وعائشة من كلّ ما ادّعاه من فضائله وسوابقه وذكر قرابته[1] .

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: ان مثل الجاحظ مع فضله وعلمه، لا يخفى عليه كذب هذه الدعوى وفسادها، ولكنه يقول ما يقول تعصّباً وعناداً، وقد روى الناس كافّة، افتخار عليٍّ عليه السلام بالسبق إلى الاسلام، وان النبي صلى الله عليه وآله استنبئ يوم الاثنين، واسلم عليٌّ يوم الثلاثاء، وانه كان يقول: صلّيت قبل الناس سبع سنين، وانه ما زال يقول: أنا أوّل من اسلم ويفتخر بذلك، ويفتخر له به أولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته. والامر في ذلك اشهر من كل شهير، وقد قدمنا منه طرفا، وما

---

(١) العثمانية ٩ ـ ١٢، مع تصرف واختصار .

علمنا أحداً من الناس فيما خلا استخفّ بإسلام عليٍّ ﷺ، ولا تهاون به، ولا زعم انه اسلم إسلام حدث غرير، وطفل صغير. ومن العجب ان يكـون مـثل العبّاس وحمزة ينتظران أبا طالب وفعله، ليصدرا عن رأيه، ثم يخالفه عليٌّ ابنه لغير رغبة ولا رهبة، يؤثر القلّة على الكثرة والذلّ على العزّة من غير علم ولا معرفة بالعاقبة.

وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية ان رسول الله ﷺ دعاه الى الاسلام وكلّفه التصديق!

وقد روي في الخبر الصحيح انه كلفه في مبدأ الدعـوة قـبل ظـهور كـلمة الاسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاماً، وان يدعو له بني عبد المطّلب، فصنع له الطعام، ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم، ولم ينذرهم ﷺ لكلمة قالها عمه ابو لهب، فكلّفه في اليوم الثاني ان يصنع مثل ذلك الطعام وان يدعوهم ثانية، فصنعه، ودعاهم فأكلوا، ثم كلّمهم ﷺ فدعاهم الى الدين ،ودعاه معهم لانه مـن بـني عبدالمطلب ثم ضمن لمن يؤازره منهم وينصره على قوله، ان يجعله أخـاه فـي الدين، ووصيّه بعد موته، وخليفته من بعده، فأمسكوا كلّهم وأجابه هـو وحـده، وقال: أنا أنصرك على ما جئت به، وأؤازرك وابايعك، فقال لهـم لمـا رأى مـنهم الخذلان ومنه النصر، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة، وعاين منهم الإباء ومنه الإجابة: «هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي» فقاموا يسخرون ويـضحكون، ويقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمّره عليك، فهل يكلّف عمل الطعام ودعـاء القوم صغير مميّز وغرٌّ غير عاقل؟ وهل يؤتمن على سرّ النبوة طفل ابن خـمس سنين أو ابن سبع؟! وهل يدعى في جملة الشيوخ والكهول إلّا عاقل لبيب؟! وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويعطيه صفقة يمينه، بالاخوّة والوصيّة والخلافة إلّا وهو أهل لذلك، بالغ حد التكليف، محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه؟! وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه، ولم يلصق بأشكاله، ولم ير مع الصبيان في ملاعبهم

بعد اسلامه، وهو كأحدهم في طبقته، كبعضهم في معرفته !

وكيف لم ينزع اليهم في ساعة من ساعاته، فيقال: دعاه داعي الصبا وخاطر من خواطر الدنيا (هنا يرد على عمر حين قال لولا أنّ به دعابة) وحملته الغرّة والحداثة على حضور لهوهم والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلّا ماضياً على اسلامه، مصمما في أمره محققا لقوله بفعله، قد صدّق اسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله ﷺ من بين جميع من بحضرته، فهو امينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته ،وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه، لما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله، وافتتاح امره حيث اسلم لما دعا رسول الله ﷺ الشجرة، فأقبلت تخدُّ الارض، فقالت قريش: ساحر خفيف السحر! فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، أنا أوّل من يؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدّقتك فيما جئت به، وانا اشهد ان الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله، تصديقا لنبوتك، وبرهانا على صحة دعوتك، فهل يكون ايمان قط اصح من هذا الأيمان واوثق عقدة، واحكم مرةً ولكن حنق العثمانية وغيظهم، وعصبية الجاحظ وانحرافه مما لا حيلة فيه. ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانبا، ليعلم نعمة الله على علي عليه السلام بالإسلام حيث اسلم على الوضع الذي أسلم عليه، فانه لولا الألطاف التي خص بها، والهداية التي منحها، لما كان إلّا كبعض اقارب محمد ﷺ فقد كان ممازجا له كممازجته، ومخالطاً له كمخالطة كثير من أهله ورهطه، ولم يستجب منهم أحد له إلّا بعد حين.

ومنهم من لم يستجب له اصلاً، فان جعفرا عليه السلام كان ملتصقا به ولم يسلم حينئذ وكان عتبة بن أبي لهب ابن عمه وصهره وزوج ابنته لم يصدّقه، بل كان شديداً عليه وكان لخديجة بنون من غيره ولم يسلموا حنيئذ وهم ربائبه[1] ومعه

(١) الربائب: أولاد الزوج .

في دار واحدة وكان أبو طالب اباه في الحقيقة وكافله وناصره، والمحامي عنه ومن لولاه لم تقم له قائمة، ومع ذلك لم يسلم في اغلب الروايات وكان العبّاس عمه وصنو أبيه وكالقرين له في الولادة والمنشأ والتربية ولم يستجب له الا بعد حين طويل، وكان أبو لهب عمّه وكدمه ولحمه ولم يسلم، وكان شديداً عليه؛ فكيف ينسب اسلام عليٍّ ﷺ الى الالف والتربية والقرابة واللحمة والتلقين والحضانة والدار الجامعة، وطول العشرة والانس والخلوة! وقد كان كل ذلك حاصلاً لهؤلاء أو لكثير منهم، ولم يهتد أحد منهم اذ ذاك بل كانوا بين (من)[1] جحد وكفر ومات على كفره، ومن أبطأ وتأخر، وسبق بالاسلام وجاء سُكّيتا[2] وقد فاز بالمنزلة غيره.

وهل يدلّ تأمل حال علي ﷺ مع الانصاف إلّا على انه اسلم لأنه شاهد الاعلام، ورأى المعجزات، وشمّ ريحَ النبوة ورأى نور الرسالة، وثبت اليقين في قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح، لا بتقليد ولا حمية ولا رغبة ولا رهبة، الا فيما يتعلّق بامور الآخرة .

قال الجاحظ: فلو ان علياً ﷺ كان بالغا حيث اسلم، لكان اسلام أبي بكر وزيد بن حارثة وخبّاب بن الارت افضل من اسلامه لان اسلام المقتضب[3] الذي لم يعتدّ به ولم يعوّده، ولم يمرّن عليه، أفضل من اسلام الناشئ، الذي ربّي فيه، ونشأ وحبّب إليه ،وذلك لان صاحب التربية يبلغ حيث يبلغ وقد اسقط الفه عنه مؤونة الرويّة والخاطر وكفاه علاج القلب واضطراب النفس، وزيد وخبّاب وأبو بكر يعانون من وكلفة النظر و مؤونة التأمل ومشقة الانتقال من الدين الذي قد طال

---

(١) من: أ.

(٢) السُّكَيْت: الفرس يجيء آخر الحلبة .

(٣) المقتضب: غير المستعد للشيء .

إلفهم له ما هو غير خاف. ولو كان عليّ حيث اسلم بالغاً مقتضبا كغييره ممّن عددنا، كان اسلامهم افضل من اسلامه، لأن من اسلم وهو يعلم ان له ظهراً كأبي طالب، وردءاً كبني هاشم، وموضعاً في بني عبدالمطلب، ليس كالحليف والمولى، والتابع والعسيف[1] وكالرجل من عرض قريش[2]، أولست تعلم ان قريشاً خاصة وأهل مكة عامة لم يقدروا على أذى النبي ﷺ ما كان أبو طالب حيا! أيضاً فان اولئك اجتمع عليهم مع فراق الإلف مشقة الخواطر، وعليٌّ عليه السلام كان بحضرة الرسول ﷺ يشاهد الاعلام في كل وقت، ويحضر منزل الوحي، فالبراهين له اشد انكشافا، والخواطر على قلبه أقل اعتلاجاً، وعلى قدر الكلفة والمشقة يعظم الفضل ويكثر الأجر[3].

قال أبو جعفر عليه السلام: ينبغي ان ينظر أهل الانصاف هذا الفضل، ويقفوا على قول الجاحظ والاصم في نصرة العثمانية واجتهادهم في القصد الى فضائل هذا الرجل، وتهجينها، فمرّة يبطلان معناها، ومرة يتوصلان الى حطّ قدرها، فلينظر في كل باب اعترضا فيه، اين بلغت حيلتهما، وما صنعا في احتيالهما في قصصهما وسجعهما! اليس اذا تأملتها علمت انها الفاظ ملفقة بلا معنى، وانها عليها شجئ وبلاء! وإلّا فما عسى ان تبلغ حيلة الحاسد ويغني كيد الكائد الشانئ[4] لمن قد جلّ قدره عن النقص، واضاءت فضائله اضاءة الشمس! وأين قول الجاحظ من دلائل السماء، وبراهين الانبياء وقد علم الصغير والكبير، والعالم والجاهل ممن بلغه ذكر عليٍّ عليه السلام، وعلم مبعث النبي ﷺ ان علياً عليه السلام لم يولد في دار الاسلام، ولا غذي في حجر الايمان، وانما أضافه رسول الله ﷺ الى نفسه سنة القحط والمجاعة،

---

(١) العسيف: الأجير.

(٢) من عرض قريش: أي من دهمائهم.

(٣) العثمانية ٢٢ ـ ٣٤، مع تصرف واختصار كبير.

(٤) ب «الثاني» تحريف وصوابه من أ.

وعمره يومئذ ثماني سنين، فمكث معه سبع سنين حتى اتاه جبرائيل بالرسالة فدعاه ـ وهو بالغ كامل العقل ـ إلى الاسلام، فأسلم بعد مشاهدة المعجزة، وبعد اعمال النظر الفكرة، وان كان قد ورد في كلامه أنه صلّى سبع سنين قبل الناس كلهم، فانما يعني ما بين الثماني والخمس عشرة، ولم يكن حينئذ دعوة ولا رسالة، ولا ادّعاء نبوّة، وانما كان رسول الله ﷺ يتعبد على ملّة ابراهيم ودين الحنيفية، ويتحنّك ويجانب الناس، ويعتزل ويطلب الخلوة، وينقطع في جبل حراء، وكان عليٌّ ؑ معه كالتابع والتلميذ، فلمّا بلغ الحلم، وجاءت النبي ﷺ الملائكة وبشّرته بالرّسالة، دعاه فأجابه عن نظر ومعرفة بالاعلام المعجزة، فكيف يقول الجاحظ ان اسلامه لم يكن مقتضبا !

وان كان اسلامه ينقص عن اسلام غيره في الفضيلة لما كان يمرّن عليه من التعبّد مع رسول الله ﷺ وامثاله من المعصومين، لان العصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح، فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه اسهل، فوجب ان يكون ثوابه انقص من ثواب من اطاع مع تلك الاطلاف !

وكيف يقول الجاحظ ان اسلامه ناقص عن اسلام غيره، وقد جاء في الخبر انه اسلم يوم الثلاثاء، واستنبئ النبي ﷺ يوم الاثنين فمن هذه حاله لم تكثر حجج الرسالة على سمعه، ولا تواترت اعلام النبوّة على مشاهدته، ولا تطاول الوقت عليه لتخفّ محنته، ويسقط ثقل تكليفه، بل بان فضله، وظهر حسن اختياره لنفسه إذ اسلم في حال بلوغه، عاني نوازع طبعه، ولم يؤخر ذلك بعد سماعه .

وقد غمر الجاحظ في كتابه هذا ان ابا بكر كان قبل اسلامه مذكوراً، ورئيساً معروفاً يجتمع اليه كثير من اهل مكة فينشدون الاشعار، ويتذاكرون الاخبار، ويشربون الخمر، وقد كان سمع دلائل النبوّة، وحجج الرّسل، وسافر الى البلدان، ووصلت اليه الاخبار، وعرف دعوي الكهنة وحيل السحرة، ومن كان كذلك

انكشاف الامور له اظهر والاسلام عليه اسهل والخواطر على قلبه اقل اعتلاجاً، وكل ذلك عون لابي بكر على الاسلام، ومسهّل اليه سبيله، ولذلك لما قال النبي ﷺ: «اتيت بيت المقدس» سأله أبو بكر عن المسجد ومواضعه، فصدّقه وبان له امره، وخفّت مؤونته لما تقدم من معرفته بالبيت، فخرج إذاً اسلام ابي بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب، وفي ذلك رويتم عنه ﷺ انه قال: «ما دعوت احداً الى الاسلام إلّا وكان له تردد ونبوة، إلّا ما كان من أبي بكر، فانه لم يتلعثم حتى هجم به اليقين الى المعرفة والاسلام، فاين هذا واسلام من خلّي وعقله وألجئ إلى نظره، مع صغر سنه، واعتلاج الخواطر على قلبه ونشأته في ضد ما دخل فيه، والغالب على امثاله واقرانه حب اللعب واللهو فلجأ إلىٰ ما ظهر له من دلائل الدعوة، ولم يتأخر اسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية، فقهر شهوته وغالب خواطره، وخرج من عادته وما كان غذّي به لصحة نظره، ولطافة فكره، وغامض فهمه، فعظم استنباطه، ورجح فضله وشرف قدر اسلامه، ولم يأخذ من الدنيا بنصيب، ولا تنعم فيها بنعيم حدثاً ولا كبيراً، وحمى نفسه عن الهوى، وكسر شِرَّةِ حداثته بالتقوى، واشتغل بهمّ الدين عن نعيم الدنيا واشغل هم الاخرة قلبه ووجه اليه رغبته! فاسلامه هو السبيل الذي لم يسلم عليه احد غيره، وما سبيله في ذلك الا كسبيل الانبياء، ليعلم ان منزلته من النبي ﷺ كمنزلة هارون من موسى، وانه وان لم يكن نبيا فقد كان في سبيل الانبياء سالكا ولمنهاجهم متبعا، وكانت حاله كحال إبراهيم ﷺ. فان اهل العلم ذكروا انه لما كان صغيرا جعلته امهُ في سرب لم يطلع عليه احد، فلما نشأ ودرج وعقل قال لامه: من ربّي؟ قالت: أبوك، قال: فمن ربّ أبي؟ فزبرته ونهرته، الى ان طلع من شق السرب، فرأى كوكبا، فقال: هذا ربي فلما افل قال: لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال: هذا ربي هذا أكبر، فلما أفل قال: لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة

قال: هذا ربّي هذا اكبر فلما افلت قال: يا قوم إني بريءٌ مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا، وما انا من المشركين، وفي ذلك يقول الله جل ثناؤه: ﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين﴾[1] وعلى هذا كان اسلام الصديق الاكبر ﷺ لسنا نقول انه كان مساوياً له في الفضيلة، ولكن كان مقتدياً بطريقة عليّ ما قال الله تعالى: ﴿ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذي آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[2] واما اعتلال الجاحظ بان له ظهراً كابي طالب وردءا كبني هاشم، فانه يوجب عليه ان تكون محنة أبي بكر وبلال وثوابهما وفضل اسلامهما اعظم مما لرسول الله ﷺ لان أبا طالب ظهره. وبني هاشم ردؤه. وحسبك جهلاً من معاند لم يستطع حط قدر علي ﷺ إلّا بحطه من قدر رسول الله ﷺ؛ ولم يكن احد اشد على رسول الله ﷺ من قراباته، الادنىٰ منهم فالادنى، كأبي لهب عمه وامرأة أبي لهب وهي ام جميل بنت حرب بن أمية واحدى اولاد عبد مناف، ثم ما كان من عقبة بن أبي معيط، وهو ابن عمه، وما كان من النضر بن الحارث، وهو من بني عبد الدار بن قصي، وهو ابن عمه أيضاً وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم، وكلهم كان يطرح الأذى في طريقه.

وينقل اخباره ويرميه بالحجارة ويرمي الكرش والفرث عليه، وكانوا يؤذون علياً ﷺ كأذاه، ويجتهدون في غمّه ويستهزئون به، وما كان لابي بكر قرابة تؤذيه كقرابة عليّ، ولما كان بين عليّ والنبي ﷺ من الاتحاد والالف والاتفاق أحجم المنافقون بالمدينة عن اذى رسول الله ﷺ خوفاً من سيفه، ولانه صاحب الدار والجيش، وامره مطاع وقوله نافذ، فخافوا علي دمائهم منه، فاتقوه، وامسكوا

---

(١) الانعام /٧٥.

(٢) آل عمران /٦٨

عن اظهار بغضه، واظهروا بغض عليٍّ عليه السلام وشنآنه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه في الخبر الذي روي في جميع الصحاح «لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق» وقال كثير من أعلام الصحابة، كما روي في الخبر المشهور بين المحدثين «ما كنا نعرف المنافقين إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب». واين كان ظهر أبي طالب عن جعفر، وقد ازعجه الاذى عن وطنه وحتى هاجر الى بلاد الحبشة وركب البحر، أيتوهم الجاحظ ان أبا طالب نصر علياً وخذل جعفراً!

قال الجاحظ: ولابي بكر فضيلة في اسلامه انه كان قبل اسلامه كثير الصديق، عريض الجاه، ذا يسار وغنى، يعظّم لماله، ويستفاد من رأيه، فخرج من عزّ الغنى وكثرة الصديق الى ذلّ الفاقة وعجز الوحدة، وهذا غير اسلام من لا حراك به ولا عزّ له، تابع غير متبوع، لأنّ من أشدّ ما يبتلى الكريم به السبّ بعد التحيّة والضّرب بعد الهيبة، والعسر بعد اليسر. ثم كان ابو بكر داعية من دعاة الرسول، وكان يتلوه في جميع أحواله؛ فكان الخوف اليه اشدّ، والمكروه نحوه أسرع، وكان ممّن تحسن مطالبته، ولا يستحيي من أدراك الثأر عنده، لنباهته، وبعد ذكره، والحدث الصغير يزدرى ويحتقر لصغر سنة وخمول ذكره[١].

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: اما ما ذكر من كثرة المال والصديق، واستفاضة الذكر وبعد الصيت وكبر السن، فكله عليه لا له وذلك لأنه قد علم ان من سيرة العرب واخلاقها حفظ الصديق والوفاء بالذمام والتهيّب لذي الثروة واحترام ذي السن العالية، وفي كل هذا ظهر شديد، وسند وثقة يعتمد عليها عند المحن، ولذلك كان المرء منهم اذا تمكن من صديقه أبقى عليه، واستحيىٰ منه، وكان ذلك سبباً لنجاته والعفو عنه، على أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ان لم يكن شهره سنّه، فقد شهره نسبه وموضعه من بني هاشم، وان لم يستفض ذكره بلقاء الرّجال، وكثرة الاسفار

(١) العثمانية ٢٥، ٢٦ مع تصرف واختصار.

استفاض بأبي طالب، فانتم تعلمون انه ليس تيم في بعد الصيت كهاشم، ولا أبـو قحافة كأبي طالب، وعلى حسب ذلك يعلو ذكر الفتى على ذي السن، ويبعد صيت الحدث على الشيخ، ومعلوم أيضاً أن علياً على أعناق المشركين اثـقل اذ كـان هاشميا، وان كان ابوه حامي رسول الله ﷺ، والمانع لحوزته، وعليّ هـو الذي فتح على العرب باب الخلاف، واستهان بهم، بما اظـهر مـن الاسـلام والصـلاة، وخالف رهطه وعشيرته، واطاع ابن عمّه فيما لم يعرف من قبل، ولا عُهِدَ له نظير، كما قال تعالى: ﴿لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون﴾(١).

ثم كان بعد صاحب رسول الله ﷺ ومشتكي حزنه، وانيسه فـي خـلوته وجليسه وأليفه في ايامه كلها، وكل هذا يوجب التحريض عليه ومعاداة العرب له، ثم انتم معاشر العثمانية، تثبتون لابي بكر فضيلة بصحبة الرّسول ﷺ من مكة الى يثرب، ودخوله معه في الغار فقلتم: مرتبة شريفة وحالة جليلة، اذا كان شريكه في الهجرة وانيسه في الوحشة، فأين هذه من صحبة عليّ ﵇ له في خلوته وحيث لا يجد أنيسا غيره، ليله ونهاره، ايام مقامه بمكة يعبد الله معه سرّاً، ويتكلّف له الحاجة جهراً، ويخدمه كالعبد يخدم مولاه ويشفق عليه ويحوطه ،وكـالولد يـبرّ والده، ويعطف عليه، ولمّا سئلت عائشة: من كان احب الناس الى رسول الله ﷺ، قالت: اما من الرجال فعليّ، واما من النساء ففاطمة .

قال الجاحظ: وكان أبو بكر من المفتونين المعذبين بمكة قبل الهجرة، فضربه نوفل بن خويلد المعروف بابن العدويّة مرتين حتى ادماه وشدّه مـع طـلحة بـن عبيدالله في قَرَنٍ، وجعلهما في الهاجرة عمير بن عثمان بن مرة بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ولذلك كانا يدعيان القرينين، ولو لم يكن له غير ذلك لكـان لحـاقه عسيرا، وبلوغ منزلته شديداً، ولو كان يوماً واحداً لكان عظيماً ،وعـليّ بـن أبـي

---

(١) سورة يس: ٦.

طالب رافه وادع، ليس بمطلوب ولا طالب، وليس انه لم يكن في طبعه الشهامة والنّجدة، وفي غريزته البسالة في الشجاعة لكنّه لم يكن قد تمّت أداته، ولا استكملت آلته، ورجال الطلب واصحاب الثأر يغمصون ذا الحداثة ويزدرون بذي الصبا والغرارة الى ان يلحق بالرجال، ويخرج من طبع الاطفال[1].

قال شيخنا أبو جعفر ؒ: اما القول فممكن والدعوى سهلة، سيّما على مثل الجاحظ، فإنه ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب، وهو من دعوى الباطل غير بعيد، فمحناه نزر، وقوله لغو، ومطلبه سجع وكلامه لعب ولهو، يقول الشيء وخلافه، ويحسن القول وضده، ليس له من نفسه واعظ، ولا لدعواه حد قائم، وإلاّ فكيف تجاسر على القول بأن علياً حينئذ لم يكن مطلوبا ولا طالبا، وقد بيّنا بالاخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند انه كان يوم اسلم بالغا كاملا منابذا بلسانه وقلبه لمشركي قريش، ثقيلا على قلوبهم وهو المخصوص دون أبي بكر بالحصار في الشعب وصاحب الخلوات برسول الله ﷺ في تلك الظلمات، المتجرّع لغصص المرار من أبي لهب وأبي جهل وغيرهما، والمصطلي لكل مكروه والشريك لنبيّه في كل أذى، قد نهض بالحمل الثقيل، وبان بالامر الجليل، ومن الذي كان يخرج ليلا من الشعب على هيئة السارق ويخفي نفسه، ويضائل شخصه، حتى يأتي الى من يبعثه اليه أبو طالب من كبراء قريش، كمطعم بن عديٍّ وغيره، فيحمل لبني هاشم على ظهره اعدال الدقيق والقمح، وهو على اشد خوف من اعدائهم، كأبي جهل وغيره، لو ظفروا به لأراقوا دمه، أعليٌّ كان يفعل ذلك أيام الحصار في الشعب، أم أبو بكر؟ وقد ذكر هو ؑ حاله يومئذٍ، فقال في خطبة له مشهورة: فتعاقدوا ألا يعاملونا ولا يناكحونا، وأوقدت الحرب علينا نيرانها، واضطرونا الى جبل وعر، مؤمننا يرجو الثواب، وكافرنا يحامي عن الاصل، ولقد

---

(١) العثمانية ٢٧، ٣٨.

كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم وقطعوا عنهم المارّة والميرة، فكانوا يتوقعون الموت جوعا، صباحا ومساء، لا يرون وجها ولا فرجا، قد اضمحل عزمهم، وانقطع رجاؤهم، فمن الذي خلص اليه مكروه تلك المحن بعد محمد ﷺ إلّا عليّ ﷺ وحده! وما عسى ان يقول الواصف والمطنب في هذه الفضيلة من تقصي معانيها، وبلوغ غاية كنهها وفضيلة الصابر عندها! ودامت هذه المحنة عليهم ثلاث سنين، حتى انفرجت عنهم بقصّة الصحيفة، والقصة مشهورة .

وكيف يستحسن الجاحظ نفسه ان يقول في عليّ ﷺ انه قبل الهجرة كان وادعا رافها، لم يكن مطلوبا ولا طالبا، وهو صاحب الفراش الذي فدى رسول الله ﷺ بنفسه ووقاه بمهجته، واحتمل السيوف ورضخ الحجارة دونه، وهل ينتهي الواصف وان اطنب والمادح وان اسهب الى الابانة عن مقدار هذه الفضيلة، والايضاح بمزيّة هذه الخصيصة !

فأما قوله: ان ابا بكر عذّب بمكة، فانا لا نعلم ان العذاب كان واقعا إلّا بعبد أو عسيف[1]، أو لمن لا عشيرة له تمنعه، فانتم في أبي بكر بين امرين: فتارة تجعلونه دخيلا ساقطا، وهجينا رذيلاً، وتارة تجعلونه رئيسا متبعا، وكبيراً مطاعا، فاعتمدوا على أحد القولين لتكلمكم بحسب ما تختارونه لانفسكم. ولو كان الفضل في الفتنة والعذاب، لكان عمار وخباب وبلال وكل معذب بمكة افضل من أبي بكر، لانهم كانوا من العذاب في اكثر مما كان فيه ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه، كقوله تعالى ﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾[2]، قالوا: نزلت في خبّاب وبلال، ونزل في عمار قوله ﴿إلّا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان﴾[3].

---

(١) العسيف: الاجير .

(٢) سورة النحل، الآية ٤١ .

(٣) سورة النحل، الآية ١٠٦ .

وكان رسول الله ﷺ يمر على عمار وابيه وامه، وهم يعذبون، يعذبهم بنو مخزوم لانهم كانوا حلفاءهم فيقول: «صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة» وكان بلال يقلّب على الرمضاءِ، وهو يقول: أحد أحد! وما سمعنا لأبي بكر في شيء من ذلك يذكر، ولقد كان لعليٍّ ﷺ عنده يد غرّاء ان صحّ ما رويتموه في تعذيبه، لانه قتل نوفل بن خويلد وعمير بن عثمان يوم بدر، ضرب نوفلاً فقطع ساقه، فقال: قد قطع الله كل رحم وصهر إلّا من كان تابعا لمحمّد، ثم ضربه اخرى ففاضت نفسه، وصعد لعمير بن عثمان التميمي، فوجده يروم الهرب، وقد ارتجّ عليه المسلك، فضربه على شراسيف صدره، فصار نصفه الاعلى بين رجليه، وليس ان ابا بكر لم يطلب بثأره منهما ويجتهد، لكنه لم يقدر على ان يفعل فعل عليٍّ ﷺ فبان عليٌّ ﷺ بفعله دونه .

قال الجاحظ: ولأبي بكر مراتب لا يشركه فيها عليٌّ ولا غيره وذلك قبل الهجرة، فقد علم الناس ان علياً ﷺ انما ظهر فضله، وانتشر صيته، وامتحن ولقي المشاق منذ يوم بدر، وانه انما قاتل في الزمان الذي استوفى فيه أهل الإسلام، وأهل الشرك، وطمعوا في ان يكون الحرب بينهم سجالا، واعلمهم الله تعالى ان العاقبة للمتقين، وأبو بكر كان قبل الهجرة معذباً ومطروداً مشرداً، في الزمان الذي ليس بالإسلام وأهله نهوض ولا حركة ولذلك قال أبو بكر في خلافته: طوبى لمن مات في فأفأة الإسلام! يقول: في ضعفه[1].

قال أبو جعفر ﷺ: لا أشك ان الباطل خان ابا عثمان والخطأ اقعده والخذلان اصاره إلى الحيرة، فما علم وعرف حتى قال ما قال، فزعم ان علياً ﷺ قبل الهجرة لم يمتحن ولم يكابد المشاق، وانه انما قاسىٰ مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر، ونسي الحصار في الشعب، وما مني به منه وأبو بكر وادع رافه، يأكل

---

(١) العثمانية: ٣٩، ٤٠ مع تصرف واختصار .

ما يريد، ويجلس مع من يحب، مخلّى سر به طيبة نفسه، ساكناً قلبه، وعليٌّ يقاسي الغمرات، ويكابد الاهوال ويجوع ويظمأ ويتوقع القتل صباحاً ومساء، لانه كـان هو المتوصل المحتال في احضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعـقلائها سـراً، ليقيم به رمق رسول الله ﷺ وبني هاشم، وهم في الحصار، ولا يأمن في كل وقت مفاجأة اعداء رسول الله ﷺ بالقتل، كأبي جهل بن هشام وعقبة بن أبي معيط، والوليد بن مغيرة، وعتبة بن ربيعة وغيرهم من فراعنة قريش وجبابرتها، ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله ﷺ زاده، ويظمئ نفسه ويسقيه ماءه، وهـو كـان المعلل له اذا مرض، والمؤنس له اذا استوحش، وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسه مما يمسّهم ألم، ولم يلحقه مما يلحقهم مشقّة، ولا يـعلم بشـيء مـن أخـبارهم وأحوالهم، إلّا على سبيل الاجمال دون التفصيل ثلاث سنين مـحرّمة مـعاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج والتـصرّف في انفسهم، فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة، ونسي هذه الخصيصة، ولا نـظير لها، ولكن لا يبالي الجاحظ بعد أن يسوّغ له لفظه، وتنسق له خطابته، ما ضيّع من المعنى، ورجع عليه من الخطأ!

فأما قوله: واعلموا ان العاقبة للمتقين، ففيه اشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ ـ يعني ان لا فضيلة لعليّ عليه السلام في الجهاد، لأن رسول الله ﷺ كان اعلمه انه منصور وان العاقبة له ـ وهذا من دسائس الجاحظ وهمزاته ولمزاتـه، وليس بحق ما قاله لان رسول الله ﷺ اعلم اصحابه جملة ان العاقبة لهـم، ولم يُـعلم واحداً منهم بعينه انه لا يناله الضرب الشديد، وعلى ان رسول الله ﷺ قد اعلم اصحابه قبل يوم بدر ـ وهو يومئذ في مكة ـ ان العاقبة لهم كما اعلم اصحابه بعد الهجرة ذلك، فلا فضيلة لأبي بكر وغيره في احتمال المشاق قبل الهجرة: لاعلامه إيّاهم بذلك، فقد جاء في الخبر أنه وعد أبا بكر قبل الهجرة بالنصر، وانه قال له:

ارسلت لهؤلاء بالذبح، وان الله تعالى سيغنمنا اموالهم، ويملكنا ديارهم، فالقول في الموضعين متساوٍ ومتفق.

قال الجاحظ: وان بين المحنة في الدهر الذي صار فيه اصحاب النبي ﷺ مقرّنين لأهل مكة ومشركي قريش، ومعهم أهل يثرب اصحاب النخيل، والآطام والشجاعة والصبر والمواساة والايثار والمحاماة والعدد الدَّثر، والفعل الجزل، وبين الدهر الذي كانوا فيه بمكة يفتنون ويُشتمون ويُضربون، ويُشرّدون، ويجوعون ويعطشون مقهورين لا حراك بهم، وأذلاء، لا عزّ لهم، وفقراء لا مال عندهم، ومستخفين لا يمكنهم اظهار دعوتهم لفرقاً واضحا، ولقد كانوا في حال احوجت لوطا وهو نبيّ إلى ان قال: ﴿لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد﴾(١)، وقال النبي ﷺ: «عجبت من أخي لوط كيف قال: أو آوي الى ركن شديد، وهو يأوى إلى الله تعالى» ثم لم يكن ذلك يوماً ولا يومين ولا شهراً ولا شهرين، ولا عاماً ولا عامين، ولكن السنين بعد السنين. وكان أغلظ القوم وأشدّهم محنة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، لأنه أقام بمكة ما أقام رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة، وهو اوسط ما قالوا في مقام النبي ﷺ (٢) قال شيخنا أبو جعفر ؓ: ما نرى الجاحظ احتجّ لكون أبي بكر اغلظهم واشدّهم محنة، إلاّ بقوله: لانه اقام بمكة مدة مقام الرسول ﷺ بها، وهذه الحجّة لا تخصّ أبا بكر وحده لأنّ علياً ؑ اقام معه هذه المدة، وكذلك طلحة وزيد، وعبدالرحمن وبلال وخباب وغيرهم وقد كان الواجب عليه ان يخص أبا بكر وحده بحجة تدل على انه كان اغلظ الجماعة واشدّهم محنة بعد رسول الله ﷺ فالاحتجاج في نفسه فاسد.

ثم يقال له: ما بالك اهملت امر مبيت عليّ ؑ على الفراش بمكة ليلة

---

(١) سورة هود، الآية ٨٠.

(٢) العثمانية: ٤١.

الهجرة! هل نسيته أم تناسيته! فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التـي متى امتحنها الناظر، واجال فكره فيها ؛ رأى تحتها فضائل متفرّقة ومناقب متغايرة، وذلك انه لما استقر الخبر عند المشركين ان رسول الله ﷺ مجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى معالجته، وتعاقدوا على ان يُـبَيِّتوه فـي فراشه، وان يضربوه بأسياف كثيرة، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها، ليضيع دمه بين الشعوب، ويتفرّق بين القبائل ولا يطلب بنو هـاشم بـدمه قـبيلة واحدة بعينها من بطون قريش وتحالفوا على تلك الليلة واجتمعوا عليها، فلما علم رسول الله ﷺ ذلك من امرهم، دعا اوثق الناس عنده، وامثلهم في نفسه وابذلهم في ذات الإله لمهجته، وأسرعهم اجابة إلى طاعته فقال له: ان قريشاً قد تحالفت على ان تُبَيِّتني هذه الليلة فامض إلى فراشي، ونم في مضجعي، والتفّ في بردي الحضرمي ليروا أني لم أخرج، واني خارج: إن شاء الله، فمنعه أوّلاً من التـحرّز واعمال الحيلة، وصدّه عن الاستظهار لنفسه بنوع من انواع المكايد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم، وألجأه إلى ان يعرّض نفسه لظبات السيوف الشحيذة من أيدي ارباب الحنق والغيظة فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقياً له بمهجته، ينتظر القتل، ولا نعلم فوق بذل النفس درجة يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب، «والجود بالنفس اقصى غـاية الجـود»، ولولا ان رسول الله ﷺ علم انه أهل لذلك، لما أهله، ولو كان عنده نـقص فـي صبره أو في شجاعته أو فـي مـناصحته لابـن عـمه، واختير لذلك لكـان مـن اختاره ﷺ منقوضا في رأيه، مضراً في اختياره، ولا يجوز ان يقول هذا احد من أهل الإسلام، وكلهم مجمعون على ان الرسول ﷺ عمل الصواب واحسن فـي الاختيار.

ثم في ذلك ـ إذا تأمله المتأمل ـ وجوه من الفضل :

منها انه وان كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه إلّا بضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلقيه إلى الأعداء.

ومنها أنه كان ضابطاً للسرّ وثقة عند من اختاره، فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه، ومباشرة الاهوال، فيفر من الفراش فيفطن لموضع الحيلة، ويطلب رسول الله ﷺ فيظفر به.

ومنها انه وان كان ثقة ضابطاً للسر، شجاعاً نجداً، فلعله غير محتمل للمبيت على الفراش، لان هذا امر خارج عن الشجاعة ان كان قد قامه مقام المكتوف الممنوع، بل هو اشد مشقة من المكتوف الممنوع، لان المكتوف الممنوع، يعلم من نفسه انه لا سبيل له إلى الهرب، وهذا يجد السبيل إلى الهرب وإلى الدفع عن نفسه، ولا يهرب ولا يدافع.

ومنها انه وان كان ثقة عنده، ضابطاً للسر شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش، فانه غير مأمون ان يذهب صبره عند العقوبة الواقعة، والعذاب النازل بساحته، حتى يبوح بما عنده، ويصير إلى الاقرار بما يعلمه، وهو انه اخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ فلهذا قال علماء المسلمين: ان فضيلة عليٍّ ؑ تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر قال مثلها، إلّا ما كان من اسماعيل وإبراهيم عند استسلامه للذبح، ولولا ان الانبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا: ان محنة عليٍّ أعظم، لأنه قد روي ان اسماعيل قد تلكأ لما امره ان يضطجع، وبكى على نفسه، وقد كان ابوه يعلم ان عنده في ذلك وقفة، ولذلك قال له: ﴿فانظر ماذا ترى﴾[1].

وحال عليٍّ ؑ بخلاف ذلك، لانه ماتلكأ ولا تتمتع ولا تغير لونه ولا اضطربت أعضاؤه، ولقد ان اصحاب النبي ﷺ يشيرون عليه بالرأي المخالف لما

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

كان امر به، وتقدّم فيه فيتركه ويعمل بما شاروا به، كما جرى يوم الخـندق فـي مصانعته الاحزاب بثلث تمر المدينة، فانهم اشاروا عليه بترك ذلك، فتركه وهـذه كانت قاعدته معهم، وعادته بينهم، وقد كان لعليٍّ عليه السلام ان يحتل بحلة، وان يقف ويقول: يا رسول الله، اكون معك احميك من العدو، واذب بسيفي عنك، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي، ونجعل عبداً من عبيدنا في فراشك، قائماً مقامك يتوهّم القوم ـ برؤيته نائماً في بردك ـ انك لم تخرج، ولم تفارق مركزك، فلم يقل ذلك، ولا تحبّس ولا توقف، ولا تلعثم، وذلك لعلم كل واحد منهما عليهما الصلاة والسلام ان احداً لا يصبر على ثقل هذه المحنة، ولا يتورَّط هذه الهلكة، إلّا من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها، والفوز بفضيلتها، وله من جنس ذلك افعال كثيرة، كيوم دعا عمرو بن عبد ود المسلمين إلى المبارزة، فاحجم الناس كلهم عنه، لما علموا من بأسه وشدته، ثم كرر النداء، فقام عليٌّ عليه السلام، فقال: انا ابرز إليه، فلما خرج قال صلى الله عليه وآله: «برز الايمان كله إلى الشرك كله»، وكيوم احد حيث حمى رسول الله صلى الله عليه وآله من أبطال قريش وهم يقصدون قتله، فقتلهم دونه حتى قال جبرئيل عليه السلام: «يا محمد ان هذه هي المواساة» فقال: «إنّه منّي وأنا منه» فقال جـبرئيل: «وانـا منكما».

ولو عددنا ايامه ومقاماته التي شرى فيها نفسه لله تعالى لاطلنا واسهبنا.

قال الجاحظ: فان احتج محتج على عليٍّ عليه السلام بالمبيت على الفراش، فبين الغار والفراش، فرق واضح لان الغار وصحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وآله قـد نـطق بـه القرآن فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما، مما نطق به الكتاب، وأمر عليٍّ عليه السلام ونومه على الفراش، وان كان ثابتاً صحيحاً، إلّا انه لم يذكر في القرآن، وانما جاء مجيء الروايات والسير وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله[1].

---

(١) العثمانية: ٤٤.

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: هذا فرق غير مؤثر، لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب، ولا يجحده إلاّ مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، أرأيت كون الصلوات خمساً، وكون زكاة الذهب ربع العشر، وكون خروج الريح ناقضاً للطهارة، وامثال ذلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه؟ هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الاحكام! هذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل، على ان الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب، وانما قال: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾[١]، وانّما علمنا انه ابو بكر بالخبر وما ورد في السيرة، وقد قال أهل التفسير: أن قوله تعالى: ﴿ويمكر الله والله خير الماكرين﴾[٢] كناية عن علي ﷺ، لانه مكر بهم، وأول الآية: ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ انزلت في ليلة الهجرة ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو منام علي ﷺ على الفراش، فلا فرق بين الموقفين في انهما مذكوران كناية لا تصريحا. وقد روى المفسّرون كلهم ان قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾[٣]، انزلت في علي ﷺ ليلة المبيت على الفراش، فهذه مثل قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه﴾، لا فرق بينهما .

قال الجاحظ: وفرق آخر، وهو انه لو كان مبيت عليٍّ ﷺ على الفراش، جاء مجيء كون أبي بكر في الغار لم يكن له في ذلك كبير طاعة، لان الناقلين نقلوا انه ﷺ قال له: «نم، فلن يخلُص إليك شيء تكرهه» ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في صحبته إياه وكونه معه في الغار مثل ذلك، ولا قال له: انفق وأعتق، فانك لن تفتقر ولن يصل إليك مكروه[٤] .

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠ .

(٢) سورة الأنفال، الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٠٧ .

(٤) العثمانية: ٤٥ .

قال شيخنا ابو جعفر ﷺ، هذا هو الكذب الصّراح والتحريف والادخال في الرّواية ما ليس منها، والمعروف المنقول انه ﷺ قال له: اذهب فـاضطجع فـي مضجعي، وتغش ببردي الحضرمي، فان القوم سيفقدونني، ولا يشهدون مضجعي فلعلّهم إذا رأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا، فإذا أصبحت فاغدُ في أداء اماناتي، ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وانما ولّده أبو بكر الأصم، وأخذه الجاحظ، ولا أصل له، ولو كان هذا صحيحاً لم يصل إليه منهم مكروه، وقد وقع الاتفاق على انه ضُرِبَ ورُمي بالحجارة قبل ان يعلموا من هو حتى تضوّر، وانهم قالوا له: رأينا تضوّرك، فانا كنا نرمي محمداً لا يتضوّر، ولأنَّ لفظة المكروه ان كان قالها إنّما يراد بها القتل، فهب أنه أمن القتل، كيف يأمن من الضرب والهوان، ومن ان ينقطع بعض أعضائه، وبأن سلمت نفسه! أليس الله تعالى قال لنبيه ﴿بلّغ ما انزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[1].

ومع ذلك فقد كسرت رباعيّته وشج وجهه، وادميت ساقه، وذلك لأنـها عصمة من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي أومن عليٌّ ﷺ منه ـ ان كان صح ذلك في الحديث ـ انما هو مكروه القتل.

ثم يقال له: أبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار لأن النبي ﷺ قال له: «لا تحزن ان الله معنا» ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من كل سوء. فكيف قلت: ولم ينقل ناقل انه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك! فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عما اورده، فنقول له: هذا ينقلب عليك في النبي ﷺ لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبته أمره، فيجب على قولك ألا يكون مثاباً عند الله. على ما يحتمله من المكروه ولا ما يصيبه من الأذى، إذ كان قد ايقن بالسلامة والفتح في عِدّته.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

قال الجاحظ: ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر، لأنّه جحد نص الكتاب، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾[١] من الفضيلة لأبي بكر، لأنه شريك رسول الله ﷺ في كون الله تعالى معه وانزال السكينة، قال كثير من الناس: انه في الآية مخصوص بأبي بكر، لانه كان محتاجاً إلى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشري، والنبي ﷺ كان غير محتاج إليها لأنّه يعلم انه محروس من الله تعالى، فلا معنى لنزول السكينة عليه، وهذه فضيلة ثالثة لأبي بكر.

قال شيخنا أبو جعفر ؒ: ان ابا عثمان يجرّ على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعن الشيعة، ولقد كان في غنية عن التعلق بما تعلق به، لان الشيعة تزعم ان هذه الآية، بان تكون طعناً وعيباً على أبي بكر، أولى من ان تكون فضيلة ومنقبة له، لانه لمّا قال له: «لا تحزن»، دل على انه قد كان حزن وقنط واشفق على نفسه، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز ان يكون حزنه طاعة، لان الله تعالى لا ينهي عن الطاعة، فلو لم يكن ذنباً لم ينه عنه، وقوله «ان الله معنا»، أي إن الله عالم بحالنا وما نضمره من اليقين أو الشك، كما يقول الرجل لصاحبه لا تضمرن سوءاً ولا تنوين قبيحاً، فان الله تعالى يعلم ما نسرّه وما نعلنه.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلّا هو معهم اينما كانوا﴾[٢] أي هو عالم بهم، واما السكينة فكيف يقول: انها ليست راجعة إلى النبي ﷺ وبعدها قوله: ﴿وايده بجنود لم تروها﴾ اترى المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله ﷺ.

وقوله: انه مستغن عنها، ليس بصحيح ولا يستغني احد عن الطاف الله وتوفيقه وتأييده وتثبيت قلبه وقد قال الله تعالى في قصة حنين ﴿وضاقت عليكم

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٢) سورة المجادلة، الآية ٧.

الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم انزل الله سكينته على رسوله﴾(١).

واما الصحبة فلا تدل إلّا على المرافقة والاصطحاب لا غير، وقد يكون حيث لا ايمان، كما قال تعالى:﴿قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك﴾ ونحن وان كنا نعتقد اخلاص أبي بكر وايمانه الصحيح السليم وفضيلته التامة، إلّا انا لا نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية، ولا نتعلّق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها.

قال الجاحظ: وان كان المبيت على الفراش فضيلة، فأين هي من فضائل أبي بكر أيام مكة، من عتق المعذبين وانفاق المال وكثرة المستجيبين، مع فرق ما بين الطاعتين، لأن طاعة الشاب الغرير والحدث الصغير الذي في عز صاحبه عزه، ليس كطاعة الحليم الكبير الذي لا يرجع تسويد صاحبه إلى رهطه وعشيرته.

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: أما كثرة المستجيبين. فالفضل فيها راجع إلى المجيب لا إلى المجاب، على انا قد علمنا ان من استجاب لموسى ﷺ اكثر ممن استجاب لنوح ﷺ، وثواب نوح اكثر، لصبره على الاعداء، ومقاساة خلافهم وعنتهم، واما انفاق المال، فأين محنة الغني من محنة الفقير واين يعتدل اسلام من اسلم وهو غني ان جاع أكل وان اعيي ركب وان عرى لبس، قد وثق بيساره واستغنى بماله، واستعان على نوائب الدنيا بثروته، ممن لا يجد قوت يومه، وان وجد لم يستأثر به، فكان الفقر شعاره، وفي ذلك قيل: «الفقر شعار المؤمن»، وقال الله تعالى لموسى «يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا، فقل مرحبا بشعار الصالحين»، وفي الحديث: «ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام»، وكان النبي ﷺ يقول: «اللهم احشرني في زمرة الفقراء» ولذلك ارسل الله محمداً ﷺ فقيرا، وكان بالفقر سعيداً فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع حتى شد الحجر على

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ٢٥، ٢٦.

بطنه، وحسبك بالفقر فضيلة في دين الله لمن صبر عليه، فانك لا تجد صاحب الدنيا يتمنّاه لانه منافٍ لحال الدنيا وأهلها، وانما هو شعار أهل الآخرة .

واما طاعة عليّ ﷺ وكون الجاحظ زعم انها كانت لأنَّ في عز محمد ﷺ عزه وعز رهطه بخلاف طاعة أبي بكر، فهذا يفتح عليه ان يكون جهاد حمزة كذلك، وجهاد عبيدة بن الحارث، وهجرة جعفر إلى الحبشة، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله ﷺ كانت لان في دولته دولتهم، وفي نصرته استجداد ملك لهم وهذا يجر إلى الالحاد، ويفتح باب الزندقة، ويفضي إلى الطعن في الإسلام والنبوة .

قال الجاحظ: وعلى انا لو نزلنا إلى ما يريدونه، جعلنا الفراش كالغار، وخلصت فضائل أبي بكر في غير ذلك عن معارض .

قال شيخنا ابو جعفر ؓ: قد بينا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في الغار، بما هو واضح لمن انصف، ونزيدها هنا تأكيداً بما لم نذكره فيما تقدّم فنقول: إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار لوجهين :

احدهما: ان علياً ﷺ قد كان انس بالنبي ﷺ وحصل له بمصاحبته قديما أُنسٌ عظيم والف شديد، فلما فارقه عدم ذلك الانس وحصل به أبو بكر، فكان ما يجده عليٌّ ﷺ من الوحشة وألم الفرقة موجباً زيادة ثوابه، لان الثواب على قدر المشقة .

وثانيهما: ان ابا بكر كان يؤثر الخروج من مكة، وقد كان خرج من قبل فرداً فازداد كراهية للمقام، فلما خرج مع رسول الله ﷺ وافق ذلك هوى قلبه ومحبوب نفسه، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل المشقة العظيمة، وعرّض نفسه لوقع السيوف، ورأسه لرضخ الحجارة، لانه على قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب .

قال الجاحظ: ثم الذي لقي أبو بكر في مسجده الذي بناه على بابه في بني جمح فقد كان بنى مسجداً يصلي فيه، ويدعو الناس إلى الاسلام، وكان له صوت رقيق، ووجه عتيق، وكان إذا قرأ بكى فيقف عليه المارّة من الرجال والنساء والصبيان والعبيد، فلما اوذي في الله، ومنع من ذلك المسجد، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فأذن له، فاقبل يريد المدينة، فتلقّاه الكناني[١]، فعقد له جوارا، وقال: والله لا ادع مثلك يخرج من مكة فرجع إليها وعاد لصنيعه في المسجد، فمشت قريش الى جاره الكناني وأجلبوا عليه فقال له: دع المسجد وادخل بيتك واصنع فيه ما بدا لك[٢].

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: كيف كانت بنو جمح تؤذي عثمان بن مظعون وتضربه، وهو فيهم ذو سطوة وقدرة، وتترك أبا بكر يبني مسجداً يفعل فيه ما ذكرتم، وانتم الذين رويتم عن ابن مسعود انه قال «ما صلّينا ظاهرين حتى اسلم عمر بن الخطاب» والذي تذكرونه من بناء المسجد: كان قبل اسلام عمر، فكيف هذا؟!

واما ما ذكرتم من رقة صوته وعتاق وجهه فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره ان عائشة رأت رجلاً من العرب خفيف العارضين، معروق الخدين، غائر العينين، اجناء[٣]، لا يمسك ازاره، فقالت: ما رأيت اشبه بأبي بكر من هذا؟ فلا نراها دلّت على شيء من الجمال في صفته!

قال الجاحظ: وحيث ردّ أبو بكر جوار الكنانيّ، وقال: لا اريد جاراً سوى الله، لقي من الاذى والذل والاستخفاف والضرب ما بلغكم، وهذا موجود في جميع

(١) الكناني: هو مالك بن الدغنة، احد بني الحارث بن بكر بن عبد مناة.

(٢) العثمانية ٢٨، ٢٩ مع تصرُّف واختصار.

(٣) الاجناء، من الجنأ وهو ميل الظهر.

السير، وكان آخر ما لقي هو واهله في امر الغار، وقد طلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير، كما جعلت في النبي ﷺ فلقي أبو جهل اسماء بنت أبي بكر، فسألها فكتمته فلطمها حتى رمت قرطا كان في اذنها[١].

قال شيخنا أبو جعفر ؒ: هذا الكلام وهجر السكران سواء في تقارب المخرج واضطراب المعنى، وذلك ان قريشاً لم تقدر على اذى النبي ﷺ، وأبو طالب حي يمنعه، فلما مات طلبته لتقتله فخرج تارة الى بني عامر، وتارة إلى ثقيف، وتارة إلى بني شيبان ولم يكن يتجاسر على المقام بمكة إلّا مستتراً، حتى اجاره مطعم بن عدي، ثم خرج إلى المدينة، فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه حين فاتها، فلم تقدر عليه، فما بالها بذلت في أبي بكر مائة بعير اخرى، وقد كان رد الجوار، وبقي بينهم فرداً لا ناصر له ولا دافع عنده، يصنعون به ما يريدون! اما ان يكون اجهل البرية كلّها أو يكون العثمانية اكذب جيل في الأرض واوقحه وجها! فهذا مما لم يذكر في سيرة ولا روي في أثر، ولا سمع به بشر، ولا سبق الجاحظ به أحد!

قال الجاحظ: ثم الذي كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه، حتى اسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعثمان وعبدالرحمن، لانه ساعة اسلم دعا إلى الله ورسوله[٢].

قال شيخنا أبو جعفر ؒ: ما اعجب هذا القول، إذ تدّعي العثمانية لأبي بكر الرّفق في الدّعاء وحسن الاحتجاج وقد اسلم ومعه في منزله ابنه عبدالرحمن، فما قدر ان يدخله في الاسلام طوعا برفقه ولطف احتجاجه، ولا كرها بقطع النفقة عنه وادخال المكروه عليه، ولا كان لأبي بكر عند ابنه عبدالرحمن من القدر ما يطيعه

---

(١) العثمانية ٢٩، مع تصرف واختصار.

(٢) العثمانية: ٣١ مع تصرف واختصار.

فيما يأمره به، ويدعوه إليه، كما روي ان ابا طالب فقد النبي ﷺ يوماً، وكان يخاف عليه من قريش ان يغتالوه، فخرج ومعه ابنه جعفر يطلبان النبي ﷺ فوجده قائماً في بعض شعاب مكة يصلّي، وعليٌّ عليه السلام عن يمينه، فلما رآهما أبو طالب، قال لجعفر: تقدّم وصل جناح ابن عمك، فقام جعفر عن يسار محمد ﷺ فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله ﷺ وتأخر الاخوان، فبكى أبو طالب وقال:

ان علياً وجعفرا ثقتي	عند ملّم الخطوب والنوب
لاتخذلا وانصراابن عمكما	أخي لأمّي من بينهم وأبي
والله لا اخذل النبي ولا	يخذله من بنيَّ ذو حسب

فتذكر الرواة ان جعفرا اسلم منذ ذلك اليوم، لان اباه امره بذلك واطاع امره، وأبو بكر لم يقدر على ادخال ابنه عبدالرحمن في الاسلام، حتى اقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة وخرج يوم احد في عسكر المشركين ينادي: انا عبدالرحمن بن عتيق، هل من مبارز؟ ثم مكث بعد ذلك على كفره، حتى اسلم عام الفتح، وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الاسلام طوعا وكرها، ولم يجد احد منها إلى ترك ذلك سبيلاً! واين كان رفق أبي بكر وحسن احتجاجه عند ابيه ابي قحافة وهما في دار واحدة! هلّا رفق به ودعاه إلى الاسلام فأسلم! وقد علمتم انه بقي على الكفر إلى يوم الفتح، فاحضره ابنه عند النبي ﷺ وهو شيخ كبير رأسه كالثغامة[1]، فنفر رسول الله ﷺ منه، وقال: غيروا هذا، فخضبوه، ثم جاءوا به مرة اخرى، فأسلم. وكان أبو قحافة فقيرا مدقعا، سيء الحال، وأبو بكر عندهم كان مثريا فائض المال، فلم يمكنه استمالته إلى الاسلام بالنفقة والاحسان، وقد كانت امرأة أبي بكر أم عبدالله ابنه ـ واسمها تملة بنت عبد العزّى بن اسعد بن عبد ودّ العامرية ـ لم تسلم، واقامت على شركها بمكة وهاجر أبو بكر وهي كافرة. فلمّا

---

(١) الثغامة: كسحاب: ضرب من النبات أبيض.

نزل قوله تعالى ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾[1]، فطلقها أبو بكر، فمن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته فهو عن غيرهم من الغرماء أعجز، ومن لم يقبل منه أبوه وابنه وامرأته لا برفق واحتجاج، ولا خوفاً من قطع النفقة عنهم، وادخال المكروه عليهم فغيرهم اقل قبولا منه، واكثر خلافاً عليه!

قال الجاحظ: وقالت أسماء بنت أبي بكر: ما عرفت أبي إلّا وهو يدين بالدين، ولقد رجع إلينا يوم اسلم، فدعانا إلى الإسلام فما رمنا حتى اسلمنا، واسلم اكثر جلسائه، ولذلك قالوا: من اسلم بدعاء أبي بكر اكثر ممن اسلم بالسيف، ولم يذهبوا في ذلك إلى العدد بل عنوا الكثرة في القدر، لأنه اسلم على يديه خمسة من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافة، وهم اكفاء عليٍّ ﷺ ومنازعوه الرياسة والامامة فهؤلاء أكثر من جميع الناس[2].

قال شيخنا ابو جعفر ﷺ: اخبرونا من هذا الذي اسلم ذلك اليوم من أهل بيت أبي بكر؟ إذا كانت امرأته لم تسلم، وابنه عبدالرحمن لم يسلم، وأبو قحافة لم يسلم، وامتهام فروة لم تسلم وعائشة لم تكن قد ولدت في ذلك الوقت، لانها ولدت بعد مبعث النبي ﷺ بخمس سنين، ومحمد بن أبي بكر ولد بعد مبعث رسول الله ﷺ بثلاث وعشرين سنة، لانه ولد في حجّة الوداع واسماء بنت أبي بكر التي قد روى الجاحظ هذا الخبر عنها يوم بعث رسول الله ﷺ بنت اربع سنين ـ وفي رواية من يقول: بنت سنتين ـ فمن الذي أسلم من أهل بيته يوم اسلم! نعوذ بالله من الجهل والكذب والمكابرة! وكيف اسلم سعد والزبير وعبدالرحمن بدعاء أبي بكر وليسوا من رهطه ولا من اترابه ولا من جلسائه، ولا كانت بينهم قبل ذلك صداقة متقدّمة، ولا انس وكيد! وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة، وشيبة

---

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٠.

(٢) العثمانية ٣١ ـ ٣٢، مع تصرف واختصار.

بن ربيعة لم يدخلهما في الاسلام برفقه وحسن دعائه، وقد زعـمتم انـهما كـانا يجلسان إليه لعلمه وطريف حديثه! وما باله لم يدخل جبير بن مطعم في الإسلام، وقد ذكرتم انه ادّبه وخرجه، ومنه اخذ جبير العلم بانساب قريش ومآثرها! فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم، وهم منه بالحال التي وصفنا. ودعا من لم يكن بينه وبينه انس ولا معرفة، إلّا معرفة عيان! وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب، وقد كان شكله، واقرب الناس شبهاً به في اغـلب أخـلاقه! ولئـن رجـعتهم إلى الانصاف لتعلمن ان هؤلاء لم يكن اسلامهم إلّا بدعاء الرسول ﷺ لهم، وعـلى يديه أسلموا، ولو فكرتم في حسن التأتي في الدعاء، ليصحّنّ لأبي طالب في ذلك على شركه اضعاف ما ذكرتموه لأبي بكر، لأنكم رويتم أن أبا طالب قال لعليّ عليه السلام: يا بني الزمه، فانه لن يدعوك إلّا إلى خير، وقال لجعفر: صل جناح ابـن عـمك، فاسلم بقوله، ولأجله اصفق بنو عبدمناف على نصرة رسول الله ﷺ بمكة من بني مخزوم وبني سهم وبني جمح، ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب، وبدعائه وإقباله على محمد ﷺ أسلمت امرأته فاطمة بنت أسـد، فـهو أحســن رفقا، وأيمن نقيبة من أبي بكر وغيره، وإنما منعه عن الإسلام ان ثبت انه لم يسلم إلّا تقية، وأبو بكر لم يكن له إلّا ابن واحد، وهو عبدالرحمن، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام، ولا امكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول الله ﷺ وفيه أنزل ﴿والذي قال لوالديه أفٍّ لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا إلّا أساطير الأولين﴾[1]، وانما يعرف حسن رفق الرجل وتأتيه بان يـصلح اولاً امر بيته واهله ثم يدعو الاقرب فالاقرب فإن رسول الله ﷺ لمّا بعث كان اول من دعا زوجته خديجة ثم مكفوله وابن عمه علياً عليه السلام ثم مولاه زيداً، ثم أم

---

(١) سورة الاحقاف، الآية ١٧ .

ايمن خادمته فهل رأيتم احداً ممن كان يأوي إلى رسول الله ﷺ لم يسارع! وهل التأت عليه احد من هؤلاء! فهكذا يكون حسن التأتي والرّفق في الدعـاء! هـذا ورسول الله مقل، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله تعالى، وأبو بكر عندكم كان موسراً، وكان أبوه فقيرا، وانما حسن التأتّي والرفق في الدعـاء مـا صنعه مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه، وما صنع سعد بن معاذ ببني عبد الاشهل لما دعاهم وما صنع بريدة بن الحصيب بأسلم لما دعاهم، قـالوا: اسـلم بـدعائه ثمانون بيتاً من قومه، واسلم بنو عبد الاشهل بدعاء سعد في يوم واحد واما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا ابوه ولا اخته بدعائه فهيهات ان يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء وحسن التأتي والأناة!

قال الجاحظ: ثم اعتق أبو بكر بعد ذلك جماعة من المعذبين في الله، وهم ست رقاب منهم بلال، وعامر بن فهيرة، وزنيرة النهدية، وابنتها، ومر بجارية يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه، واعتقها، واعتق ابا عيسى فانزل الله فيه: ﴿فأمّا من أعطى واتقى وصدق بالحسنىٰ فسنيسرة لليسرى...﴾[1] إلى آخر السورة .

قال شيخنا ابو جعفر ﷺ أما بلال وعامر بن فهيرة فـانما اعـتقهما رسـول الله ﷺ وروى ذلك الواقدي وابن اسحاق وغيرهما، واما باقي مواليهم الاربعة فان سامحناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال لشدة بغض مواليهم لهم إلّا مائة درهم أو نحوها فأيٌّ فخر في هذا! واما الآية فان ابن عباس قال في تفسيرها: ﴿فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنىٰ فسنيسره لليسرىٰ﴾ أي لان يعود .

وقال غيره: نزلت في مصعب بن عمير .

قال الجاحظ: وقد علمتم ما صنع أبو بكر في ماله، وكان ماله اربعين الف

---

(١) سورة الليل، الآية ٥ .

درهم فانفقه في نوائب الإسلام وحقوقه، ولم يكن خفيف الظهر، قليل العيال والنسل، فيكون فاقد جميع اليسارين بل كان ذا بنين وبنات وزوجة وخدم وحشم، ويعول والديه وما ولدا، ولم يكن النبيّ ﷺ قبل ذلك عنده مشهوراً، فيخاف العار في ترك مواساته، فكان انفاقه على الوجه الذي لا يجد في غاية الفضل مثله ولقد قال النبي ﷺ: «ما نفعني مال كما نفعني مال أبي بكر».

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: أخبرونا على أي نوائب الاسلام أنفق هذا المال، وفي أي وجه وضعه؟ فانه ليس بجائز ان يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه، وينسى ذكره، وانتم فلم تتفقوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم. وكيف يُدَّعى له الانفاق الجليل، وقد باع من رسول الله ﷺ بعيرين عند خروجه إلى يثرب. وأخذ منه الثمن في مثل تلك الحال، وروى ذلك جميع المحدثين. وقد رويتم ايضاً انه كان حيث كان بالمدينة غنياً موسراً، ورويتم عن عائشة انها قالت: هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم، وقلتم إن الله تعالى انزل فيه ﴿ولا يأتل اولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى﴾[1]، قلتم: هي في أبي بكر ومسطح بن اثاثة، فأين الفقر الذي زعمتم انه انفق حتى تخلل بالعباءة! ورويتم ان لله تعالى في سمائه ملائكة قد تخللوا بالعباءة. وان النبي ﷺ رآهم ليلة الاسراء، فسأل جبرائيل عنهم فقال: هؤلاء ملائكة تأسّوا بأبي بكر بن أبي قحافة صديقك في الارض، فانه سينفق عليك ماله، حتى يخلل عباءه في عنقه، وانتم أيضاً رويتم ان الله تعالى لما انزل آية النجوى، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم﴾[2] الآية لم يعمل بها إلاّ عليّ بن أبي طالب وحده، مع اقراركم بفقره وقلة

---

(١) سورة النور، الآية ٢٢.

(٢) سورة المجادلة، الآية ١٢.

ذات يده وأبو بكر في الحال التي ذكرنا من السعة امسك عن مناجاته، فعاتب الله المؤمنين في ذلك، فقال ﴿أأشفقتم ان تقدّموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم﴾، فجعله سبحانه ذنباً يتوب عليهم منه وهو امساكهم عن تقديم الصدقة فكيف سخت نفسه بانفاق أربعين ألفاً، وامسك عن مناجاة الرسول، وانما كان يحتاج فيها إلى اخراج درهمين!

واما ما ذكر من كثرة عياله ونفقته عليهم، فليس في ذلك دليل علي تفضيله لان نفقته على عياله واجبة، مع ان ارباب السيرة ذكروا انه لم يكن ينفق على ابيه شيئاً و أنه كان أجيراً لابن جدعان على مائدته يطرد عنها الذبان.

قال الجاحظ: وقد تعلمون، ما كان يلقى اصحاب النبي ﷺ ببطن مكة من المشركين، وحسن صنيع كثير منهم، كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ففلق هامته، وأبو جهل يومئذ سيد البطحاء ورئيس الكفر، وامنع أهل مكة، وقد عرفتم ان الزبير سلّ سيفه واستقبل به المشركين لما ارجف ان محمداً ﷺ قد قتل، وان عمر بن الخطاب قال حين اسلم «لا يعبد الله سراً بعد اليوم»، وان سعدا ضرب بعض المشركين بلحي جمل، فأراق دمه، فكل هذه الفضائل لم يكن لعليّ بن ابي طالب فيها ناقة ولا جمل وقد قال الله تعالى ﴿لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا﴾[1]. فإذا كان الله تعالى قد فضّل من أنفق قبل الفتح، لانه لا هجرة بعد الفتح على من انفق بعد الفتح، فما ظنكم بمن انفق من قبل الهجرة ومن لدن مبعث النبي ﷺ الى الهجرة وإلى بعد الهجرة[2].

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: اننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم، ولسنا

---

(١) سورة الحديد الآية ١٠.

(٢) العثمانية ٣٧، مع تصرف واختصار.

كالامامية الذين يحملهم الهوىٰ على جحد الامور المعلومة، ولكننا ننكر تفضيل احد من الصحابة على علي بن أبي طالب، ولسنا ننكر غير ذلك، تعصّب الجاحظ للعثمانية، وقصده إلى فضائل هذا الرجل ومناقبه بالرد والابطال. واما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم، ومقام جليل، وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله ﷺ واما فضل عمر فغير منكر وكذلك الزبير وسعد، وليس فيما ذكر ما يقتضي كون عليّ عليه السلام مفضولا لهم أو لغيرهم، إلّا قوله «وكل هذه الفضائل لم يكن لعليّ عليه السلام فيها ناقة ولا جمل». فان هذا من التعصب البارد، والحيف الفاحش وقد قدّمنا من آثار عليٍّ عليه السلام قبل الهجرة وماله إذ ذاك من المناقب والخصائص، ما هو افضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء، على أن أرباب السيرة يقولون: ان الشجة التي شجّها سعد وان السيف الذي سله الزبير، هو الذي جلب الحصار في الشعب على النبي ﷺ وبني هاشم وهو الذي سيّر جعفر واصحابه إلى الحبشة وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز، قال تعالى ﴿**ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله**﴾[1]، فتبين ان التكليف له اوقات، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف، ومنها وقت يصلح فيه وجب، فاما قوله تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من انفق**﴾ فقد ذكرنا ما عندنا من دعواهم لأبي بكر انفاق المال.

وأيضاً فان الله تعالى لم يذكر انفاق المال، وانما قرن به القتال ولم يكن أبو بكر صاحب قتال وحرب، فلا تشمله الآية، وكان عليٌّ عليه السلام صاحب قتال وانفاق قبل الفتح. أما قتاله فمعلوم بالضرورة، واما انفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيماً وأسيرا، وأنزلت فيه وفي

---

(١) سورة النساء، الآية ٧٧.

زوجته وابنيه سورة[١] كاملة من القرآن وهو الذي ملك أربعة دراهم فاخرج منها درهماً سراً ودرهما علانية ليلا ثم اخرج منها في النهار درهما سراً ودرهما علانية، فانزل فيه قوله تعالى ﴿الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية﴾[٢]، وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة، وهو الذي تصدّق بخاتمه وهو راكع، فانزل الله فيه ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٣].

قال الجاحظ: والحجة العظمى للقائلين بتفضيل عليّ ﷺ قتله الاقران، وخوضه الحرب، وليس له في ذلك كبير فضيلة، لان كثرة القتل، والمشي بالسيف الى الاقران؛ لو كان من اشد المحن واعظم الفضائل، وكان دليلا على الرياسة والتقدم لوجوب ان يكون للزبير وابي دجانة ومحمد بن مسلمة وابن عفراء، والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ﷺ لانه لم يقتل بيده إلّا رجلا واحدا ولم يحضر الحرب يوم بدر، ولا خالط الصفوف، وانما كان معتزلا عنهم في العريش ومعه أبو بكر، وانت ترى الرجل الشجاع قد يقتل الاقران، ويجندل الابطال، وفوقه من العسكر من لا يقتل ولا يبارز، وهو الرئيس أو ذو الرأي، والمستشير في الحرب، لان للرؤساء من الاكتراث والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم، ولان الرئيس هو المخصوص بالمطالبة، وعليه مدار الامور وبه يستبصر المقاتل، ويستنصر، وباسمه ينهزم العدو، ولو لم يكن له الا ان الجيش لو ثبت وفر هو لم يغن ثبوت الجيش كله، وكانت الدبرة عليه ولو ضيّع القوم جميعا وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له، ولهذا لا يضاف النصر والهزيمة إلّا

---

(١) زعم بعض غلاة الشيعة انه انزلت فيهم سور مختلفة، وانظر فصل الخطاب لحسين بن محمد الطبرسي ١٥٦ وحواشي ملحق العثمانية ٣١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٥٥.

إليه. ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله ﷺ يوم بدر أعظم من جهاد عليٌّ ﷺ ذلك اليوم، وقتله ابطال قريش .

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: لقد اعطى أبو عثمان مقولاً وحرم معقولاً، ان كان يقول هذا على اعتقاد وجد، ولم يذهب به مذهب اللعب والهزل، أو على طريق التفاصح، والتشادق واظهار القوة والسلاطة وذلاقة اللسان وحدة الخاطر والقوة على جدال الخصوم، الم يعلم أبو عثمان ان رسول الله ﷺ كان اشجع البشر، وانه خاض الحروب، وثبت في المواقف التي طاشت فيها الالباب، وبلغت القلوب الحناجر، فمنها يوم احد ووقوفه بعد ان فر المسلمون باجمعهم ولم يبق معه إلاّ أربعة، عليٌّ والزبير وطلحة، وأبو دجانة، فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله، وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن ان يوترها، فقال: يا رسول الله! لا يبلغ الوتر فقال: أوتر ما بلغ. قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس، ثم اخذها فمازال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت. وبارز أبيّ بن خلف، فقال له اصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا! فأبى، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ثم انتفض باصحابه، كما ينتفض البعير، قالوا: فتطايرنا عنه تطاير الشعارير[1] فطعنه بالحربة، فجعل يخور كما يخور الثور، ولولم يدل على ثباته حين انهزم اصحابه وتركوه إلاّ قوله تعالى: ﴿اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم﴾[2] فكونه ﷺ في اخراهم وهم يصعدون ولا يلوون، هاربين، دليل على انه ثبت ولم يفرّ، وثبت يوم حنين في تسعة من اهله ورهطه الادنين وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به: العباس آخذ بحكمة بغلته، وعلي بين يديه مصلت سيفه

---

(١) الشعارير ما يجتمع على دبرة البعير من الذبان فان اهيجت تطايرت عنها .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٥٣ .

والياقون حول بغلة رسول الله ﷺ يمنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والانصار، وكلما فرّوا تقدم هو ﷺ وصمّم مستقدما، يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره، ثم اخذ كفا من البطحاء، وحصب المشركين وقال: شاهت الوجوه! والخبر المشهور عن علي ﷺ، وهو أشجع البشر، كنا ان اشتد البأس، وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ ولذنا به. فكيف يقول الجاحظ: انه ما خاض الحرب ولا خالط الصفوف! وأي فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله ﷺ الى الاحجام واعتزال الحرب! ثم أي مناسبة بين أبي بكر ورسول الله ﷺ في هذا المعنى ليقيسه وينسبه إلى رسول الله ﷺ صاحب الجيش والدعوة، ورئيس الإسلام والملة، والملحوظ بين اصحابه واعدائه بالسيادة، وإليه الايماء والاشارة، وهو الذي احنق قريشاً والعرب وورى اكبادهم بالبراءة من آلهتهم، وعيب دينهم وتضليل اسلافهم، ثم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم واكابرهم! وحق لمثله إذا تنحى عن الحرب واعتزلها ان يتنحى ويعتزل، لان ذلك شأن الملوك والرؤساء، إذا كان الجيش منوطاً بهم وببقائهم، فمتى هلك الملك هلك الجيش، ومتى سلم الملك امكن ان يبقى عليه ملكه، وان عطب جيشه فإنه سيجد جيشاً آخر، ولذلك نهى الحكماء ان يباشر الملك الحرب بنفسه، وخطّأوا الاسكندر لما بارز قوسرا ملك الهند، ونسبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم. فليقل لنا الجاحظ: أيُّ مدخل لابي بكر في هذا المعنى؟ ومن الذي كان يعرفه من اعداء الاسلام ليقصده بالقتل؟ وهل هو إلاّ واحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبدالرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وغيرهما! بل كان عثمان اكثر منه صيتا، واشرف منه مركبا، والعيون اليه اطمح والعدو إليه احنق واكلب، ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله في الاسلام ضعفا، أو يحدث فيه وهنا! أو يخاف على الملّة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب ان تندرس وتعفىٰ آثارها وينطمس منارها! ليقول الجاحظ: إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة

الحروب واعتزالها؟! نعوذ بالله من الخذلان! وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة، وبالآثار والاخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت وحاله ﷺ فيها كيف كان، ووقوفه حيث وقف، وحربه حيث حارب، وجلوسه في العريش يوم جلس، وان وقوفه ﷺ وقوف رياسة وتدبير ووقوف ظهر وسند يتعرّف امور اصحابه، ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلّفه من التقدم في أوائلهم، لانهم متى علموا انه في آخرهم اطمأنت قلوبهم، ولم تتعلق بأمره نفوسهم، فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم، ولا يكون لهم فئة يلجأون إليها، وظهر يرجعون إليه ويعلمون انه متى كان خلفهم تفقّد امورهم، وعلم مواقفهم وآوى كل انسان مكانه في الحماية والنكاية وعند المنازلة في الكر والحملة، فكان وقوفه حيث وقف اصلح لامرهم واحمى وأحرس لبيضتهم، ولانه المطلوب من بينهم إذ هو مدبر امورهم ووالي جماعتهم؛ ألا ترون ان موقف صاحب اللواء موقف شريف وان صلاح الحرب في وقوفه، وان فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات:

الأولى ـ حالة يتخلّف ويقف آخراً ليكون سنداً وقوة ورداً وعدة وليتولى تدبير الحرب ويعرف مواضع الخلل.

والحالة الثانية ـ يتقدم فيها في وسط الصف ليُقوّيَ الضعيف ويشجّع الناكص[1].

وحالة ثالثة: وهي اذا اصطدم الفيلقان وتكافح السيفان اعتمد ما تقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح، أو من مباشرة الحرب بنفسه، فإنها آخر المنازل، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد، وفسالة الجبان المموّه.

---

(١) ب: الناكس.

فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ وأين منزلة أبي بكر ليسوّي بين المنزلتين، ويناسب بين الحالتين!

ولو كان أبو بكر شريكا لرسول الله ﷺ في الرسالة، وممنوحاً من الله بفضيلة النبوّة، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً ﷺ وكان يدبر من أمر الاسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا وقتل الاعداء، ما يدبّره محمد ﷺ لكان للجاحظ ان يقول ذلك. فأما وحاله حاله، وهو اضعف المسلمين جناناً، واقلّهم عند العرب ترة، لم يرم قط بسهم، ولا سل سيفا، ولا اراق دما، وهو احد الاتباع، غير مشهور ولا معروف ولا طالب ولا مطلوب، فكيف يجوز ان يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ﷺ ومنزلته! ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع المشركين يوم احد فرآه أبو بكر، فقام مغيظاً عليه، فسلّ من السيف مقدار اصبع يريد البروز إليه فقال رسول الله ﷺ «يا أبا بكر شم سيفك[1] وامتعنا بنفسك»، ولم يقل له «وامتعنا بنفسك» إلّا لعلمه بانه ليس اهلاً للحرب وملاقاة الرجال، وانه لو بارز لقتل.

وكيف يقول الجاحظ: لا فضيلة لمباشرة الحرب، ولقاء الاقران، وقتل ابطال الشرك! هل قامت عمد الاسلام إلّا على ذلك! وهل ثبت الدين واستقرّ إلّا بذلك! أتراه لم يسمع قول الله تعالى ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[2]، والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب، فكل من كان اشد ثبوتا في هذا الصف واعظم قتالا، كان احب إلى الله، ومعنى الافضل هو الاكثر ثوابا فعليّ عليه السلام إذاً هو احب المسلمين إلى الله، لانه اثبتهم قدما في الصف المرصوص، لم يفرّ قط بإجماع الامة، ولا بارزه قرن إلّا قتله.

---

(١) شم سيفك، أي اغمده، وهو من الاضداد.

(٢) سورة الصف، الآية ٤.

أتراه لم يسمع قول الله تعالى **﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾**[١]، وقوله **﴿إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن﴾**[٢].

ثم قال سبحانه مؤكداً لهذا البيع والشراء **﴿ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾**[٣]، وقال الله تعالى **﴿ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلّا كتب لهم به عمل صالح﴾**[٤].

فمواقف الناس في الجهاد على احوال، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض، فمن دلف الى الاقران، واستقبل السيوف والأسنة، كان أثقل على اكتاف الاعداء، لشدة نكايته فيهم، ممن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم، وكذلك من وقف في المعركة، واعان ولم يقدم، إلّا انه بحيث تناله السهام والنبل اعظم غَناء، وافضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك، ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف وترك الحرب، وأنَّ ذلك يشاكل فعل النبي ﷺ لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة، وأشدَّهم استحقاقاً حسان بن ثابت، وان بطل فضلُ عليّ عليه السلام في الجهاد؛ لأن النبي ﷺ كان اقلهم قتالا، كما زعم الجاحظ ليبطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الانفاق، لان رسول الله كان اقلهم مالا!

وانت إذا تأملت امر العرب وقريش، ونظرت السير، وقرأت الاخبار عرفت

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٣) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٤) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

انها كانت تطلب محمداً ﷺ وتقصد قصده، وتروم قتله فـان أعـجزها وفـاتها طلبت علياًﷺ، وارادت قتله، لانه كان اشبههم بالرسول حالا، واقربهم منه قربا، واشدهم عنه دفعا وانهم متى قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا امر محمد ﷺ وكسروا شوكته، إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوة والشجاعة والنـجدة والاقـدام والبسالة، ألا ترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر، وقد خرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة، فاخرج إليه الرسول، نفراً من الانصار، فاستنسبوهم فانتسبوا لهم، فقالوا: ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا: يا محمد! اخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال النبي ﷺ لأهله الأدنين: قوموا يا بني هاشم، فانصروا حقكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء، قم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة.

ألاترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد، لانه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها:

ماكان عن عتبة لي من صبر   أبي وعمي وشقيق صـدري
أخي الذي كان كضوء البدر   بهم كسرت يـاعليُّ ظـهري

وذلك لانه قتل اخاها الوليد بن عتبة، وشارك في قتل ابيها عتبة، واما عمها شيبة، فانّ حمزة تفرّد بقتله.

وقال جبير بن مطعم لوحشيّ مولاه يوم احد، ان قتلت محمداً فأنت حر، وان قتلت علياً فأنت حر، وان قتلت حمزة فأنت حر، فقال أما محمد فسيمنعه أصحابه، واما عليٌّ فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب ،ولكني سأقتل حـمزة فقعد له ورزقه بالحربة فقتله.

ولما قلنا من مقاربة حال علي ﷺ، في هذا الباب لحال رسـول الله ﷺ ومناسبتها إياها ما وجدناه في السير والاخبار، من إشفاق رسول الله ﷺ وحذره

عليه، ودعائه له بالحفظ بالسلامة قال ﷺ يوم الخندق، وقد برز عليٌّ إلى عمرو، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من اصحابه «اللهم إنك أخذت منّي حمزة يوم احد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم عليَّ عـليّاً ﷺ ﴿رب لا تـذرني فـردا وانت خـير الوارثين﴾[١]»، ولذلك ضنَّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مرارا، في كلها يحجمون ويقدم عليٌّ، فيسأل الاذن له في البراز حتى قال له رسول الله ﷺ: «إنَّه عمرو» فقال: «وانا عليٌّ» فأدناه وقَبَّلَهُ وعمَّمه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودّع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه، ثم لم يزل ﷺ رافـعا يديه إلى السماء، مستقبلا لها بوجهه، والمسـلمون صموت حـوله كأنـما عـلى رؤوسهم الطير، حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا ان علياً قتل عمراً، فكبر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون تكبيرة سمعها مَنْ وراء الخندق من عساكر المشركين، ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسمت فضيلة عليٍّ ﷺ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس فـي قـوله تعالى ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ قال: بعليٍّ بن أبي طالب[٢] قال الجاحظ: على ان مشي الشجاع بالسيف الى الأقران، ليس على ما توهمه من لا يعلم باطن الأمر، لان في حال مشيه إلى الاقران بالسيف اموراً اخرى لا يـبصرها النـاس، وانـما يقضون على ظاهر ما يرون من اقدامه وشجاعته، فربما كان سبب ذلك الهـوج، وربما كان الغرارة والحداثة، وربما كان الاحراج والحمية، وربما كان لمحبة النفخ والاحدوثة، وربما كان طباعاً كطباع القاسي والرحيم والسخي والبخيل[٣].

قال شيخنا ابو جعفر ﷺ: فيقال للجاحظ: فعلي أيّها كان مشي علي بن أبي

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٩.

(٢) سورة الاحزاب، الآية ٢٥.

(٣) العثمانية: ٤٧، مع تصرف واختصار.

طالب الى الاقران بالسيف؟ فأيّما قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ولرسوله. وان كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت، وانما كان على وجه النصرة والقصد الى المسابقة إلى ثواب الآخرة والجهاد في سبيل الله، واعزاز الدين، كنت بجميع ما قلت معاندا وعن سبيل الانصاف خارجا، وفي امام المسلمين طاعنا، وان تطرّق مثل هذا الوهم على عليّ عليه السلام ليتطرقنّ مثله على أعيان المهاجرين والانصار ارباب الجهاد والقتال، الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهم ووقوه بمهجهم وفدوه بأبنائهم وآبائهم، فلعل ذلك كان لعلة من العلل المذكورة، وفي ذلك الطعن في الدين وفي جماعة المسلمين.

ولو جاز أن يتوهم هذا في علي عليه السلام وفي غيره لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية عن الله تعالى لأهل بدر «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، ولا قال لعلي عليه السلام «برز الإيمان كله الى الشرك كله» ولا قال: «اوجب طلحة»[1] وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعليٍّ عليه السلام تعظيما دينيا، لأجل جهاده ونصرته، فالطاعن فيه طاعنٌ في رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ زعم انه قد يمكن ان يكون جهاده لا لوجه الله تعالى، بل لأمر آخر من الامور التي عددها، وبعثه على التفوه بها إغواء الشيطان وكيده والافراط في عداوة من أمَرَ الله بمحبته، ونهى عن بغضه وعداوته.

اترى رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من امر عليٍّ عليه السلام ما لاح للجاحظ والعثمانية، فمدحه وهو غير مستحق للمدح!

قال الجاحظ: فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة وفراره معصية، لان نفسه معتدلة، كالميزان في استقامة لسانه وكفتيه فإذا لم يكن كذلك

---

(١) اوجب طلحة، أي عمل عملا يدخله الجنة.

كان اقدامه طباعا وفراره طباعا(١).

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: فيقال له: فلعل انفاق أبي بكر على ما تزعم أربعين الف درهم لا ثواب له، لان نفسه ربما تكون غير معتدلة لانه يكون مطبوعا على الجود والسخاء، ولعل خروجه مع النبي ﷺ يوم الهجرة إلى الغار لا ثواب له فيه، لان اسبابه كانت له مهيجة ودواعيه غالبة، محبة الخروج، وبغض المقام، ولعل رسول الله ﷺ في دعائه إلى الاسلام، واكبابه على الصلوات الخمس في جوف الليل، وتدبيره امر الامة لا ثواب له فيه، لانه قد تكون نفسه غير معتدلة، بل يكون في طباعه الرياسة وحبها، والعبادة والالتذاذ بها، ولقد كنا نعجب من مذهب أبي عثمان ان المعارف ضرورة، وانها تقع طباعاً وفي قوله بـالتولّد وحـركة الحـجر بالطبع، حتى رأينا من قوله ما هو أعجب منه، فزعم أنه ربما يكون جهاد عليٍّ ﷺ وقتله المشركين لا ثواب له فيه، لانه فعله طبعا، وهذا اطرف من قوله في المعرفة وفي التولّد.

قال الجاحظ: ووجه آخر ان علياً لو كان كما يزعم شيعته ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة، ولا عظيم طاعة، لأنه قد روي عن النبي ﷺ أنـه قـال له: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»، فإذا كان قد وعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الاقران، وعلم انه منصور عليهم وقاتلهم، فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير اعظم طاعة منه(٢).

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: هذا راجع على الجاحظ في النـبي ﷺ لان الله تعالى قال له ﴿والله يعصمك من الناس﴾(٣)، فلم يكن له في جهاده كـبير طـاعة،

(١) انظر العثمانية، ٤٧، ٤٨.
(٢) انظر العثمانية: ٤٩ و٥٠.
(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

وكثير طاعة، وكثير من الناس يروي عنه ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»، فوجب ان يبطل جهادهما، وقد قال للزبير «ستقاتل علياً، وانت ظالم له» فأشعره بذلك انه لا يموت في حياة رسول الله ﷺ وقال في الكتاب العزيز لطلحة: ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده﴾ قالوا: نزلت في طلحة، فأعلمه بذلك انه يبقى بعده، فوجب ألا يكون لهما كبير ثواب في الجهاد، والذي صحّ عندنا من الخبر هو قوله «ستقاتل بعدي الناكثين»، انه قاله لما وضعت الحرب أوزارها، ودخل الناس في دين الله افواجا، ووضعت الجزية، ودانت العرب قاطبة.

قال الجاحظ: ثم قصد الناصرون لعليّ ﷺ والقائلون بتفضيله إلى الاقران الذين قتلهم فاظهروهم وغلوا فيهم، وليسوا هناك! فمنهم عمرو بن عبد ود تركتموه اشجع من عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث، وبسطام بن قيس وقد سمعنا باحاديث حروب الفجار وما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول فما سمعتُ لعمرو بن عبد ود ذكرا في ذلك[1].

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: امر عمرو بن عبد ود اشهر واكثر من ان يُحتجَّ له، فلتُلمح كتب المغازي والسير، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل، فمن ذلك ما ذكره محمد بن اسحاق في مغازيه، قال: وقال مسافع بن عبدمناف بن زهرة بن حذافة بن جُمَحَ يبكي عمرو بن عبدالله بن عبد ود حين قتله علي بن أبي طالب ﷺ مبارزة لما جزع المذاد[2] أي قطع الخندق:

(١) انظر العثمانية، ٤٩، ٥٠.

(٢) المذاد، بالذال المعجمة: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق، وفي ط «المزار» تصحيف وجزع: أي قطع.

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس مليل[١]
سمع الخلائق ما جد ذو مرة يبغي القتال بشكة لم ينكل[٢]
ولقد علمتم حين ولوا عنكم ان ابن عبد منهم لم يعجل[٣]
حتى تكنفه الكماة وكلهم يبغي القتال له وليس بمؤتل[٤]
ولقد تكنّفت الفوارس فارسا بجنوب سلع غير نكس اميل[٥]
سأل النزال هناك فارس غالب بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب عليٌّ ما ظفرت بمثلها فخراً ولو لاقيت مثل المعضل[٦]
نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل[٧]
أعني الذي جزع المذاد ولم يكن فَشِلاً وليس لدى الحروب بزُمَّلِ[٨]

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن ابي طالب، وتركه عمراً يوم الخندق ويبكيه:

لعمرك ما وليت ظهري محمداً واصحابه جبناً ولا خيفة القتل[٩]
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناءً إن وقفت ولا نبلي
وقفتُ فلما لم أجد لي مقدّماً صدرتُ كضرغام هزير إلى شبل[١٠]

---

(١) مليل، واد ببدر .

(٢) المرّة: القوة، والشكة: السلاح .

(٣) ابن هشام، فيهم .

(٤) تكنفه الكماة: احاطوا به والتفوا حوله .

(٥) سلع: جبل بالمدينة والنكس، الدنيء من الرجال، والأميل الذي لا رمح له.

(٦) المعضل الامر الشديد .

(٧) لم يتحلحل: لم يبرح مكانه .

(٨) الزمل الضعيف الجبان .

(٩) سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٣٠١، ٣٠٢ .

(١٠) مقدّما، أي لم أجد من يقدّمني. وصدرت: رجعت، والضرغام: الاسد، الهزير: الشديد، والشبل: ابن الاسد .

ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد ... مجالا[1] وكان الحزم والرأي من فعلي
فلا تبعدن يا عمرو حيّاً وهالكا ... فقد مت محمود الثنا ماجد الفعل[2]
ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا ... فقد كنت في حرب العدا مرهف النصل
فمن لطراد الخيل تُقدَعُ بالقنا ... وللبذل يوما عند قرقرة البُزل[3]
هنالك لو كان ابن عمرو لزارها ... وفرّجها عنهم فتىً غير ما وغل
كفتك عليٌّ لن ترى مثل موقف ... وقفت على شلو المقدم كالفحل[4]
فما ظفرت كفاك يوما بمثلها ... أمِنتَ بها ما عشت من زلة النعل

وقال هبيرة بن أبي وهب أيضاً، يرثي عمراً ويبكيه:

لقد علمت عُليا لؤيٍّ بن غالب ... لفارسها عمرو إذا ناب نائب[5]
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه ... عليٌّ، وان الموت لا شك طالب[6]
عشية يدعوه عليٌّ وإنه ... لفارسها إذ خامَ عنه الكتائب[7]
فيا لهف نفس ان عمراً لكائن ... بيثرب، لا زالت هناك المصائب
لقد احرز العليا علي بقتله ... وللخير يوما لا محالة جالب

وقال حسان بن ثابت الانصاري يذكر عمراً:

---

(١) ابن هشام «لم يجد مكرّاً».
(٢) الثنا: الذكر الطيب، والماجد: الشريف.
(٣) تقدع: تكف، والقرقرة: أصوات فحول الابل. والبُزل: جمع بازل، وهو في الأصل البعير الذي فطر نابه، وذلك زمان اكتمال قوته.
(٤) ابن هشام «فعنك علي».
(٥) إذا ناب نائب: إذا عرض امر مكروه.
(٦) ابن هشام: «لفارسها عمرو إذا ما يسومه».
(٧) خام «جبن ورجع هيبة وخوفا».

امسى الفتى عمرو بن عبد ناظرا   كيف العبور وليته لم ينظر[١]
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة   ولقد وجدت جيادنا لم تقصر[٢]
ولقد لقيت غداة بدر عصبة   ضربوك ضرباً غير ضرب الحسّر
اصبحت لا تُدعى ليوم عظيمة   يا عمرو أو لجسيم امر منكر[٣]

وقال حسان أيضاً:

لقد شقيت بنو جُمَحٍ بن عمرو   ومخزوم وتيم ما نُقيلُ
وعمرو كالحسام فتى قريش   كأن جبينه سيف صقيل
فتيٍ من نسل عامر اريحيٌّ   تطاوله الأسنّة والنّصول
دعاه الفارس المقدام لمّا   تكشّفت المقانب والخيول
أبو حسن فقنّعه حساماً   جرازاً لا أفلَّ ولا نكول
فغادره مكبّاً مساحباً   على عفراء، لا بَعِدَ القتيل

فهذه الاشعار فيه بل بعض ما قيل فيه[٤].

وأما الآثار والاخبار، فموجودة في كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم وليس أحد من ارباب هذا العلم يذكر عمراً إلّا قال: كان فارس قريش وشجاعها، وانما قال له حسان:

ولقد لقيت غداة بدر عصبة

لانه شهد مع المشركين بدراً، وقتل قوما من المسلمين. ثم فرّ مع من فرّ،

---

(١) رواية البيت في ابن هشام:
امسى عمرو بن عبد يبتغي   بجنوب يثرب ثأرة لم ينظرِ
(٢) مشهورة أي قد شهرها أصحابها. ولم تقصر: لم تكف وتحبس عن التجوال.
(٣) قال ابن هشام: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان».
(٤) سيرة ابن هشام: ج٣ ص٢٩٨ ـ ٣٠٤ (نشرة المكتبة التجارية).

ولحق بمكّة، وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعوه أحد الى واحدة من ثلاث إلّا أجابه. وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الايام والوقائع، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم: عتبة وبسطام وعامر، لانهم كانوا اصحاب غارات ونهب، واهل بادية، وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر، لا يرون الغارات، ولا ينهبون غيرهم من العرب؛ وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء.

ويقال له: اذا كان عمرو كما تذكر ليس هناك، فما باله لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، فصار مع أصحاب النبي ﷺ على ارض واحدة وهم ثلاثة آلاف ودعاهم إلى البراز مراراً لم ينتدب احد منهم للخروج اليه، ولا سمح منهم احد بنفسه، حتى وبّخهم وقرّعهم، وناداهم: ألستم تزعمون انه من قتل منا فإلى النار، ومن قتل منكم فإلى الجنة! أفلا يشتاق أحدكم إلى ان يذهب إلى الجنة، أو يقدّم عدوّه إلى النار! فجبنوا كلّهم ونكلوا وملكهم الرعب والوهل، فاما ان يكون هذا اشجع الناس كما قد قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم اجبن العرب واذلهم وأفشلهم! وقد روى الناس كلهم الشعر الذي انشده لمّا نكل القوم بجمعهم عنه، وانه جال بفرسه واستدار وذهب يمنة، ثم ذهب يسرة، ثم وقف تجاه القوم فقال:

ولقد بححت من الندا ... ء بجمعهم: هل من مبارز!
ووقفت إذ جبن المشيّع ... وقفة القرن المناجز
وكذاك أنّي لم أزل ... متسرّعاً نحو الهزاهز
ان الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فما برز اليه عليٌّ أجابه، فقال له:

لاتعجلنّ فقد اتا ... ك مجيبُ صوتك غير عاجز

دونـــيّة وبـــصيرة ... يـرجـو الفـداة نـجاة فـائز
إنــي لأرجــو أن أقـ ... ـيمَ عـليك نـائحة الجـنائز
مــن ضـربة تـفني ويـبـ ... ـقى ذكرها عـند الهـزائـز

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الانصار، لما رجع رسول الله ﷺ من بدر، وقال فتى من الانصار شهد معه بدراً: إن قتلنا إلّا عجائز صلعا! فقال له النبي ﷺ «لا تقل ذلك يا بن أخ اولئك الملأ».

قال الجاحظ: وقد أكثروا في الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر، وما علمنا الوليد حضر حرباً قط قبلها، ولا ذكر فيها[1].

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ: كل من دوّن اخبار قريش وآثار رجالها، وصف الوليد بالشجاعة والبسالة، وكان من شجاعته انه يصارع الفتيان فيصرعهم، وليس لانه لم يشهد حرباً قبلها ما يجب ان يكون بطلا شجاعا، فان علياً ﷺ لم يشهد قبل بدر حربا، وقد رأى الناس آثاره فيها.

قال الجاحظ: وقد ثبت أبو بكر مع النبي ﷺ يوم أحد كما ثبت عليٌ ﷺ، فلا فخر لاحدهما على صاحبه في ذلك اليوم[2].

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: اما ثباته يوم احد، فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه وجمهورهم يروي انه لم يبق مع النبي ﷺ إلّا عليٌ وطلحة والزبير وأبو دجانة، وقد روي عن ابن عباس انه قال: ولهم خامس وهو عبدالله بن مسعود، ومنهم من اثبت سادساً، وهو المقداد بن عمرو، وروىٰ يحيى بن سلمة بن كُهَيْلٍ قال: قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد؟ فقال: اثنان، قلت: من هما، قال: عليٌ وأبو دجانة.

---

(١) العثمانية: ٥٩.
(٢) العثمانية: ٦٢.

وهب أن أبا بكر ثبت يوم احد كما يدّعيه الجاحظ، أيجوز له ان يقول ثبت: كما ثبت عليّ فلا فخر لاحدهما على الآخر، وهو يعلم آثار عليٍّ عليه السلام ذلك اليوم، وأنه قتل اصحاب الألوية من بني عبدالدّار، منهم طلحة بن أبي طلحة، الذي رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه انه مردف كبشا، فأوّله وقال: كبش الكتيبة نقتله. فلما قتله عليّ عليه السلام مبارزة ـ وهو اول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم ـ كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال «هذا كبش الكتيبة».

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد فرَّ الناس وأسلموه، فتصمد له كتيبة من قريش، فيقول «يا علي! إكفني هذه» فيحمل عليها فيهزمها، ويقتل عميدها، حتىٰ سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء:

لا سـيف إلّا ذو الفـقا ر ولا فـتى إلّا عـليّ

وحتى قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل ما قال.

أتكون هذه آثاره وأفعاله، ثم يقول الجاحظ: لا فخر لاحدهما على صاحبه!

﴿ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين﴾[1].

قال الجاحظ: ولأبي بكر في ذلك اليوم مقام مشهور، خرج ابنه عبد الرحمن فارساً مكفراً[2]، يسأل المبارزة، ويقول أنا عبدالرحمن بن عتيق! فنهض اليه أبو بكر يسعى بسيفه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله «شم سيفك وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك»[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٨٩.

(٢) أي: مستتراً.

(٣) العثمانية، ٦٢.

قال شيخنا أبو أبو جعفر ﷺ: ما كان اغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لابي بكر، فانه لو تسمعه الامامية لأضافته إلى ما عندها من المثالب، لأن قول النبي ﷺ «ارجع»، دليل على أنه لا يحتمل مبارزة أحد، لانه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه، وانت تعلم حنّو الابن على الاب وتبجيله له، واشفاقه عليه وكفه عنه، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي.

وقوله له: «ومتعنا بنفسك»، إيذان له بانه كان يقتل لو خرج، ورسول الله كان أعرف به من الجاحظ، فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صَلِيَ الحرب، ومشى إلى السيف بالسيف فقتل السادة والقادة والفرسان والرّجالة!

قال الجاحظ: على أن أبا بكر، ـ وإن لم تكن آثاره في الحرب كآثار غيره ـ فقد بذل الجهد، وفعل ما يستطيع وتبلغه قوّته وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله[1].

قال شيخنا أبو جعفر ﷺ، اما قوله انّه بذل الجهد، فقد صدق، وأما قوله: «لا حال أشرف من حاله»، فخطأ، لان حال من بلغت قوته فاعملها في قتل المشركين أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغاية، ألاترى ان حال الرجل اشرف في الجهاد من حال المرأة، وحال البالغ الأيِّد[2] أشرف من حال الصبي الضعيف!

فهذه جملة ما ذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبدالله الاسكافي ﷺ في نقض العثمانية اقتصرنا عليها هاهنا، وسنعود فيما بعد الى ذكر جملة اخرى من كلامه، إذا اقتضت الحال ذكره[3].

---

(١) العثمانية، ٦٢.

(٢) الأيِّد: القويُّ، من قولهم: أيِدَ أيْداً: أي قوي واشتدَّ (المعجم الوسيط، مادة آدَ).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني ١/٦٧ ـ ٦٨ ط: ١، مطبعة السعادة بمصر عام ١٩٣٢ م، ١٣٥١هـ.

قام الاستاذ عبدالسلام هارون بطبع كتاب العثمانية طبعة علمية محققة، وألحق بها من نقضها للاسكافي، وطبعت في دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٥ م.

سابقته في الجاهلية والاسلام

تحدثنا عن أبي بكر من الناحية السياسية، والآن نبحث عنه من الناحية الدينية وتعمق أيمانه واخلاصه لله ولرسوله واطاعة أوامرهما، ولا بد للتوصل الى هذه الحقيقة من البحث في عدة أمور:

١ ـ سابقته في الإسلام وقبلها في الجاهلية.

٢ ـ ايمانه وتقواه.

٣ ـ علمه.

٤ ـ قدرة اجتهاده.

٥ ـ منطقه وفصاحته.

٦ ـ سلوكه الاجتماعي.

٧ ـ شجاعته وبلاؤه في الحروب.

٨ ـ درجة ثقة الرسول به.

٩ ـ مانزلت فيه من الآيات ومقدار ما اشاد به رسول الله.

١٠ ـ اتباعه سنن الله ورسوله في حياته وبعد مماته، وأعماله الدالة على نواياه الحقيقية.

أبو بكر من الناحية الدينية

مات أبو بكر شيخاً ولم تمتد مدة خلافته سوى سنتين فقد كان شيخاً في زمن رسول الله، وقد مات رسول الله عن عمر يناهز الثالثة والستين، وقد قام رسول الله بالدعوة للإسلام وبدأ نزول الوحي عليه وهو في سن الاربعين، وأول من آمن به من النساء زوجته المخلصة خديجة بنت خويلد وربيبه عليٌّ بن ابي طالب الساكن معه في داره وهو في سن الثالثة عشرة وهذا يدل على انه كان كامل العقل والذكاء والاخلاص لرسول الله يوم نزلت الآية ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾، فاضطر رسول الله انصياعاً وطاعة لأمر الله أن يجمع عشيرته بدعوته إياهم لوليمة غداء وقد حضر منهم حوالي اربعين شخصاً، وتلا عليهم الآية، بعد تناولهم الغذاء وقال: «ما اظن شاباً من العرب أتى قومه بأفضل ما جئتكم به وهو الدين الحنيف، وشهادة أن لا إله إلّا الله ومحمد رسول الله، فمن منكم يؤازرني على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي؟» وكررها ثلاثاً والقوم صامتون، وفي كل مرّة يقوم بها عليّ ويقول: «أنا يا رسول الله»، فيقعده، وفي الثالثة قال: «إن هذا عليٌّ أخي ووصيّي وخليفتي عليكم من بعدي، فاسمعوا له واطيعوا». فضحك بعض القوم وقالوا لأبي طالب: عليك أن تطيع ابنك بعد هذا؟ ويظهر من هذا عدةأشياء: أن القرآن واوامره انما نزلت أولاً بانذار عشيرته وان علياً سبق الرجال والصبيان أو بعبارة أخرى اسبق الذكور تلبية لدعوة الإسلام وهو لم يبلغ الحلم مضافاً إلى ذلك ان (علياً) ﷺ آنذاك رغم كونه لم يبلغ الحلم فرسول الله ﷺ كان يثق بعقله

وذكائه ومنطقه حينما قبل منه قوله ونصبه أخاه ووصيه وخليفته، وان هذا كان قبل أن يؤمن أحد من عشيرته وهم الذين أنذرهم قبل كل فرد.

وتمر سبع سنوات على إيمان علي، وبعد ايمان ما يقارب نحواً من خمسين صحابياً، يؤمن أبو بكر[1] وهو آنذاك يقل عن رسول الله سنتين وعمره ٤٥ سنة، وقبلها كان كباقي قريش يعبد الأوثان، وهنا نعرف ان أبا بكر سابقته في الجاهلية وتأصله في الشرك كان أطول منهما في الاسلام، ولكن بعدها قبل دين الاسلام واحكم هذه الصلة بالاسلام ورسول الله بتزويجه عائشة من رسول الله بعد وفاة زوجته الحنون المخلصة خديجة الكبرى، وصلة الزواج لها اثر عميق في الصلة، والنساء كما قيل يقرّبن البعيد ويبعدن القريب، وهكذا كانت عائشة بدخولها لبيت رسول الله قرّبت أباها أكثر فأكثر حتى زاد رهق قريش للمسلمين فاضطر رسول الله بعد هجرة أغلبية اصحابه الذين آمنوا؛ إلى ان يهاجر هو نفسه وقد بلغ حنق قريش أقصاه، وأجمعوا على قتله، فصمم نفسه على الهجرة وقد هاجر أصحابه المخلصون من المسلمين للمدينة ودعوه إليهم، وكان آنذاك أبو بكر في مكة واذا علمت قريش فسوف تحول دون سفره بعد أن صمموا على قتله فلا بد له من السفر ولا بد له من اغفالهم وان يترك شخصاً ينام محله ويلتحف بغطائه خلال المدة التي يكون قد خرج من مكة إلى محل آمن ولا شك ان الذي يقوم بهذه التضحية بالنوم مكان رسول الله قد عرض نفسه للقتل، إذ ان قريشاً بعد تصميمهم على قتله رُبما جردوا سيوفهم وهووا بها عليه وهو مغطى دون التحقق من انه هو أم لا وحتى لو عرفوه فسوف يقتلونه لما اداه من الاخلاص لألدّ اعدائهم، ومن هذا الذي يقي رسول الله بنفسه، ويعرّض نفسه للاهانة والنكاية إلاّ من عمَّ الايمان كل جذور قلبه وهو عليّ بن ابي طالبﷺ والذي قدم نفسه قرباناً لابن عمه بل اخيه وأبي زوجته،

(١) ترى تفصيله في الموسوعة هذه.

والذي نصبه أخا ووصياً وخليفة له من قبل وهكذا نام في محله وعند الصباح لاقى ما لاقى من الاهانة والضرب من قريش، ولكنه لم يقتل، ونزلت فيه الآية الكريمة، بينما نرى رسول الله يصادف أبا بكر في الطريق فيستصحبه معه[1].

وفيما يخص سابقة أبي بكر ما رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد عن اسحق بن ابراهيم بن اسماعيل بن حماد بن زيد قال: بعث إليّ يحيى بن اكثم وإلى عدة من أصحابي هو يومئذ قاضي القضاة فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غدا مع الفجر اربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب، فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين فسمينا له عدة، وذكر هو عدة حتى تم العدد الذي اراد وكتب تسمية القوم وامر بالبكور في السحر وبعث الى من لم يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر إلى ان قال: قال اسحق يا أمير المؤمنين! ان فينا من لا يعرف ما ذكر أمير المؤمنين في عليّ، وقد دعا للمناظرة. فقال: يا إسحق! إختر، إن شئت سألتك لسألتك، وإن شئت أن تسأل فقل، فقال اسحق: فاغتنمتها منه فقلت: بل اسألك يا أمير المؤمنين، قال: سل، قلت: من اين ؟ قال أمير المؤمنين: إن علي بن ابي طالب افضل الناس بعد رسول الله، وأحقهم بالخلافة بعده؟ قال: يا اسحق خبّرني عن الناس: بم يتفاضلون حتى يقال فلان افضل من فلان؟ قلت: بالاعمال الصالحة قال: صدقت، قال: فأخبرني عمن فضلَ صاحبه على عهد رسول الله ﷺ ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله، أيلحق به؟ قال: فأطرقت فقال لي: يا اسحق، لا تقل نعم، فإن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو اكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقة. فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد رسول الله ﷺ الفاضل أبداً. إلى أن قال: قال، يا اسحق! فانظر ما رواه لك

---

(١) سأذكر ذلك في مناظرات المأمون مع أئمة السنة.

اصحابك ومن اخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب، فقس عليها ما اتوك به من فضائل أبي بكر، فان رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل عليٍّ، فقل إنه أفضل منه، لا والله ولكن فقس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعليٍّ وحده فقل انهما افضل منه. لا والله ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتها مثل فضائل عليٍّ فقل انهم افضل منه، لا والله ولكن قس فضائله بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة فان وجدتها تشاكل فضائله، فقل إنهم افضل منه.

ثم قال: يا اسحاق! أيّ الاعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت: الاخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم. قال: إقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ انما عنى من سبق إلى الاسلام، فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام؟ قلت: يا أمير المؤمنين! ان علياً اسلم وهو حدث السن لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم. قال: أخبرني ايهما اسلم قبل، ثم اناظرك من بعده في الحداثة والكمال؟ قلت: عليٌّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. فقال: نعم، اخبرني عن اسلام عليّ حين اسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون الهاما من الله تعالى؟ قال: فاطرقت. فقال لي: يا اسحاق! لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله ﷺ لان رسول الله لم يعرف الإسلام حتى اتاه جبرئيل من الله تعالى، قلت: أجل. بل دعاه رسول الله للإسلام، قال: يا إسحق! فهل يخلو رسول الله حين دعاه إلى الإسلام من ان يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ قال: فاطرقت. فقال: يا اسحق! لا تنسب رسول الله الى التكلف، فان الله تعالى يقول: ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ قلت: أجل يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله

تعالى، قال: هل من صفة الجبار جلَّ ثناؤه ان يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكمٌ؟ قلت: أعوذ بالله! فقال: افتراه في قياس قولك يا إسحق: «ان علياً عليه السلام اسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم» قد كلّف رسول الله من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول صلى الله عليه وآله؟ أترى هذا جائز عندك ان تنسبه إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قلت: أعوذ بالله. قال: يا اسحاق! فأراك انما قصدت لفضيلة فضّل بها رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً على هذا الخلق أبانه بها منهم ليعرف مكانه وفضله ولو كان الله تبارك وتعالى امره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً؟ قلت: بلى. قال: فهل بلغك ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته ـ لئلا تقول ان علياً ابن عمه ـ؟ قلت: لا أدري، فعل أم لم يفعل. قال: يا اسحق! أرأيت ما لم تَدْرِهِ ولم تعلمه هل تسأل عنه؟ قلت: لا. قال: فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك، قال: ثم أي الأعمال كانت افضل بعد السبق إلى الاسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله (وسيأتي ذكر الباقي في الموارد الاخر منها في موضوع الجهاد). والاسلام وان جبَّ ما قبله من الاعمال والرذائل وما لحقت بصاحبه من الموبقات بيد ان غرائز الشخص وطرز أعماله وهوايته وعاداته وما جبل عليه غريزيا واكتسبه بالتربية والمحيط ونشأ عليه لا تكاد تلازمه، على الاخص إذا بلغ الاربعين وتمكنت منه كما قال الشاعر:

ان الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا تلين إذا كانت من الخشب

فهناك بون شاسع بين طفل نشأ في أحضان الفضيلة والايمان الاصيل مثل عليّ عليه السلام ربيب رسول الله والذي انتخبه دون البرية من الاقرباء والمهاجرين والانصار وصيّاً وخليفة وأخاً وصهراً وأباً لولده ونزّهه القرآن من الارجاس، وأبي بكر الذي قضى ثلاثة ارباع عمره في احضان الشرك، وسايرهم بالاخلاق

والصفات والاعمال. راجع كشف الغمة ج ٢ ص ١٥٤ للامام الشعراني عن عكرمة، كان أبو بكر يقامر أُبيّ بن خلف وغيره من المشركين وذلك قبل ان يحرّم القمار. وروى الامام أبو بكر الجصّاص الرازي الحنفي المتوفى في ٣٧٠ في احكام القرآن ص ٣٨٨ الأخلاق بين اهل العلم في تحريم القمار وإنّ المخاطرة من القمار.

قال ابن عباس: ان المخاطرة قمار، وان اهل الجاهلية كان يخاطرون على المال والزوجة وقد كان ذلك مباحاً إلى ان ورد تحريمه، وقد خاطر أبو بكر الصديق المشركين حين نزلت ﴿آلم غلبت الروم﴾ كما ذكر ذلك عن ابي بكر الاسكافي في الرد على رسالة العثمانية للجاحظ ص٣٤ وشرح ابن أبي الحديد ج٣ ص ٢٣٤ من الاجتماع عند أبي بكر لشرب الخمر.

وأيد ذلك وأخرجه الفاكهي في كتاب أخبار مكة باسناده عن أبي القموص قال: شرب أبو بكر الخمر [في الجاهلية][1] وانشد الابيات:

تحيّي أم بكرٍ بالسلام وهل لي بعد قومك من سلام؟

فبلغ رسول الله ﷺ فقام يجرُّ إزاره حتى دخل فتلقاه عمر وكان مع أبي بكر فلمّا نظر إليْ وجهه محمرّاً قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله ﷺ. والله لا يلج لنا رأساً أبداً فكان أول من حرّمها على نفسه.

وفي زمن اسلامه رثىٰ قتلى المشركين في بدر، وقد مرّ ذلك مفصلاً والمجلس الذي اجتمعوا به حتى في زمن اسلامه هو وعمر وأبو عبيدة حتى بلغوا اكثر من عشرة وكان ساقيهم انس بن مالك، وقد غضب رسول الله لذلك حتى قال

---

(١) قال الأميني رحمه الله تعالى في كتابه «الغدير» ٩٥/٧: هذه الكلمة دخيلة في الرواية، وذيل الرواية يكذّبها أيضاً.

عمر وهو معهم وقد نظر لوجه رسول الله ﷺ محمرّاً فقال: نعوذ بالله من غضب رسول الله.[1]

---

(١) ذكر ذلك الترمذي في نوادر الاصول ص٦٦ واضاف مما تنكره القلوب وذكره ابن حجر في الاصابة، والطبراني ج٢ ص٢٠٣ في طبعة ٢١١ عن ابن بشار مسلسلاً إلى ابي الغموض، كما اخرج ذلك البزار عن انس بن مالك انه قال كنت ساقي القوم. أخرج ذلك ابن حجر في فتح الباري ج١ ص٣٠ وعمدة القاريُ للعيني ج٢٠ ص٨٤ كما جاء في تهذيب التهذيب، وجاء في عمدة القاريُ ج١٠ ص٨٤ وفتح الباري ج١٠ ص٣٠ ان المشاركين كانوا احد عشر رجلا في نادي الخمر في عام الفتح وهي سنة ثمان للهجرة في دار أبي طلحة زيد بن سهل وكانت السقاية لأنس بن مالك في صحيح البخاري في تفسير آية الخمر ومثله صحيح مسلم في التفسير كما اخرجه السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٣٢١ والامام احمد في مسنده ج٣ ص١٨١ و٢٢٧ والطبري في تفسيره ج٧ ص٢٤ والبيهقي في السنن الكبرى ج٨ ص٢٨٦ و٢٩٠، وابن كثير في تفسيره ج٢ ص٩٣ و٩٤ وفي فتح الباري ذكر رجال الندوة باسمائهم فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة واخرجه ابن أبي الحديد في تفسيره ج٧ ص٢٤ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ ص٥٢ والعيني في عمدة القاريُ ج٨ ص٥٨٩ والسيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٣٢١ والنووي في شرح مسلم هامش ارشاد القسطلاني ج٢ ص٢٣٢ والآلوسي ج٢ ص١٢٥ وإذا رأينا التفاسير حول تحريم الخمرة نجدها نزلت اوائل الهجرة بينما كانت الندوة وما مر في العام الثامن للهجرة. راجع تفسير القرطبي ١: ١٣٢ وتفسير ابن كثير ص٣٥ وتفسير الخازن ج١ والقرطبي أيضاً ج٣ ص٦٠ والرازي في تفسيره ج٢ ص٣٢٩ وأخرج: حرمت بعد احد في ٣ هجرية.

ایمانه ودینه

اما رسول الله فقد خرج من مكة يصحبه أبو بكر حتى إذا بلغوا الغار واختفوا فيه، وعقّبت اثرهم قريش حتى وصلوا باب الغار فخاف أبو بكر وحـزن حـزناً شديداً فنزلت الآية لذلك ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه﴾ الى آخرها. فما بال أبي بكر يحزن وهو خائف ويدري انه مع رسول الله، فان كان مؤمنا بالله ورسوله فهل هناك شهادة اعظم من هذه وكما ذكرنا آنـفا ان المؤمن هو الذي يقدم نفسه وماله في سبيل الله مسروراً أملا بما عند الله له مـن ثواب الدنيا والآخرة فعلام هذا الحزن الشديد الذي يتراءى لرسول الله ﷺ حتى يقول له: لا تحزن ان الله معنا؟ وكيف بمن يقدم نفسه للقتل في ساحات القتال، بل كيف عرّض نفسه لذلك الخطر العظيم علنا ونام محل رسول الله ﷺ دون خوف بل بكل رحابة صدر واخلاص حتى نزلت في مدحه الآية الشريفة (راجع ما جاء في العقد الفريد لتفسير الآية عن المأمون)[1]. وفي المدينة انما برز أبو بكر بالنسبة لبعض الصحابة انما كان لزواج ابنته لرسول الله ﷺ ولطالما كادت هذه الصلة ان تنهدم، بسبب عائشة نفسها واعمالها في بيت رسـول الله ﷺ وتألب زوجـاته عليه، وان لقارئ القرآن ان يدرك ذلك، ولكم حاولت عائشة ان تقدّم اباها وتظهره بمظهر يفوق غيره من بعض النواحي ليأتم به المسلمون في صلاتهم مثلاً في مرض رسول الله ﷺ وغيبته، ولكن رسول الله ﷺ حضر ونحّاه ولقد حضر أبو بكر

(١) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مـرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ .

بيت عائشة ورأى تطاولها على رسول الله ﷺ في حديثه عدة مرات ومنها حينما كان يتحدث رسول الله ﷺ عنها فاجابته (اقسط) أي انك معتد وغير عادل حتى اضطر ابو بكر لصفعها وهو مظهر ديني وسياسي أخمد به فتنة ربما ادت إلى ما لا تحمد عقباه. ولطالما تطاولت عائشة بحديثها على رسول الله حتى قالت مرة أنه متى اراد الزواج بامرأة انزل آية وقال: أمره الله بها وهذا من دلائل الكفر بالله ورسوله، وهل من يشهد برسالته ينكر عليه هذا الانكار ويصمه بالخداع والكذب والتحايل على الله. وكان أبو بكر دائماً يظهر امام رسول الله ﷺ بذكائه وفطنته، بمظهر الصديق فيصلح هذه المفاسد الحاصلة من ابنته، وفي الوقت نفسه سيطر على اكبر زاوية يثبت بها مقاصده، وكان رسول الله ﷺ يشعر بذلك ويشعر بحبه للتقرب وظهوره امام غيره، وكان احيانا يعطيه ذلك المجال كما في واقعة خيبر. إلّا انه يعود مندحراً! وكما ارسله مع سورة البراءة لالقائها على قريش واستعادها منه، اما بامر الله أو علما بانه ربما اساء الاستفادة أو هناك امر آخر يعلمه الله ورسوله، واسترجع منه ذلك واعطاها لعليّ عليه السلام فأبرز ان منزلة عليٍّ فوق كل ذلك، وكما نقل عنه ﷺ ان ذلك امرالله ولا يقتضي إلّا لوصيه القيام به.

ومما يذكر ان ابا بكر، كما جاء في كامل المبرّد راويا عن رسول الله ﷺ انه نظر الى رجل ساجداً فقال: ألا رجلٌ يقتله؟ فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف واتجه نحوه ثم عاد للنبي ﷺ وقال: أأقتل رجلاً يقول لا إله إلّا الله! فقال النبي ﷺ: ألا رجل يفعل؟ فقال عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب فلم يره فقال رسول الله ﷺ: كانت أوّل فتنة وآخرها. وقيل ان الرجل هو ذو الخويصرة التميمي رئيس الخوارج. وقد أمر رسول الله ﷺ بقتله لعلمه عن الله به وأنه أي ذا الخويصرة، قال له ﷺ: لما قسم غنائم خيبر ما عدلت، فغضب ﷺ وقال ويحك! فمن يعدل ان انا لم أعدل؟ (راجع الفيروزآبادي

صاحب قاموس اللغة في كتابه سفر السعادة).

ان شبهة أبي بكر وامتناعه عن قتل الرجل أول شبهة وقعت في الاسلام ثم ثنّى بامتناع عمر عن امر رسول الله ثم ثلث بتخلف أبي بكر وعمر عـن جـيش اسامة ثمّ ربّع بانكار عمر موت رسول الله ﷺ. والحق للفيروزآبادي فـي ذلك فقد رأى رسول الله ﷺ صلاة الرجل ومع هذا امر بقتله. وهل يأمر رسـول الله بقتل أحد جزافاً؟ وكيف لرجل صحابي يدّعي الإسلام والإيمان بـالله ورسـوله ويدري أنه لا ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى ويشك بدعوة وأمر رسول الله ويغلب عليه الشك لدرجة انه يمتنع عن أمره ويترك الرجـل، ويـعمل نـفس الشيء عمر صاحبه، فكيف صدقا رسول الله ﷺ وآمنا به وبعده يخالفانه في مثل هذه الصراحة، وهل كان اكثر عطفاً ورأفة على البشرية من رسول الله؟ وكيف بعد هذا فرقا بين الحق والباطل.

علمه

أخرج أبو عبيد في الاموال ص١٣١ وتاريخ الطبري ج٣ ص٤٣٠ ط. دار التراث بيروت والامامة والسياسة لابن قتيبة ١ ص١٨ ومروج الذهب للمسعودي ٢ ص٣٠١ ط. منشورات دار الهجرة في قم ـ ايران. والعقد الفريد لابن عبد ربه ٢ ص٢٥٤ وأسانيدهم صحيحة أربعة منهم من رجال الصحاح وروى المبرّد عن ابن عوف يوم دخل على أبي بكر في مرض موته في حديث مسهب منه انه قال أبو بكر: إني لا آسى إلّا على ثلاث فعلتهن ووددت ان لم افعلها، وثلاث لم افعلها ووددت أني فعلتها وثلاث وددت أنّي سألت عنها رسول الله ﷺ. فوددت لو اني لم اكشف عن بيت فاطمة وتركته ولو أعلن علي حرب، وودت أني إذ أتيت بالفجاءة لم اكن أحرقته وقتلته بالحديد أو اطلقته الى ان قال:، واما الثلاث التي وددت أنّي كنت سألت رسول الله ﷺ عنهن، فوددت سألته فيمن هذا فكنا لا نتنازعه أهله، وودت سألته عن ميراث العمة وابنة الاخت فانَّ في نفسي منهما حاجة. ورواه صاحب الخصال عن طريق أهل السنة والجماعة وعن رجالهم وودت اني سألته في ميراث الاخ والعمة، ورواه ابن قتيبة وذكر بنت الأخ والعمة، وقال في الخصال ان الانصار قالت للصديقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ بعد محاجتها معهم لو سمعنا كلامك قبل بيعتنا لأبي بكر ما عدلنا بعلي عليه السلام فقالت: وهل ترك يوم الغدير لأحدٍ عذرا!!. وهل غفل أبو بكر عن فضائل عليّ عليه السلام .

فلم يعرف عن أبي بكر وعمر قدرة علمية لرد الأجوبة عن الاسئلة الموجهة اليهما من فقه واصول وتفسير ومواجهة الخارجين من علماء اليهود والنصارى وغيرهم، وكلّما حصلت لهم مشكلة امثال تلك، وجّهوها إلى عليّ ﷺ لحلها لهم خصوصاً مع الخارجين من دين الاسلام، ولا يُنسى ما لعليٍّ من الفصاحة والبلاغة كما تجد ذلك في كلامه في نهج البلاغة وعهد مالك وآرائه التي كان يدليها لأبي بكر وعمر وعثمان عندما يعيهم الامر ناصحا محتسبا. وقد مر ذكر ذلك عند الحديث عن عليٍّ ﷺ ثم أخص منها كلمته التي طالما كررها: «سلوني قبل أن تفقدوني» ولا تذكر له ولا مرة انه تحرّج في سؤال سائل. أما أبو بكر فرغم جهله بآيات القرآن وتعاليمها فانه كان يجهل ابسط اللغات الموجودة في القرآن. فالآية من سورة عبس ﴿فانبتنا فيها حبّا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلباً عليها وفاكهة وأبّا﴾ فهو عندما سئل عن معنى الاب.

رغم ان القرينة وحدها تعطيه المعنى حينما يتلوه: متاعاً لكم ولا نعامكم بان الفاكهة لكم، والأبُّ لأنعامكم، وفانه اعتذر كما اخرج ذلك أبو عبيدة عن إبراهيم التيمي عندما سئل عن معنى كلمة أبّ، قال: أي سماء تظلّني أو أيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا اعلم. ونقل نفس المعنى القرطبي[1].

راجع تفسير القرطبيا ص٢٩ وابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ص ٣٠ والزمخشري في الكشاف ٣ ص٥٣ وابن كثير في تفسيره ١ ص ٥ واعلام الموقعين لابن القيّم ص٢٩ وتفسير الخازن ٤ ص٣٧٤ وتفسير النسفي هامش الرازي ج٨ ص ٣٨٥. والسيوطي في الدر المنثور ٦ ص٣١٧، وفتح الباري لابن حجر ١٣ ص ٢٣٠ وتفسير ابن جزري الكلبي ٤ ص ١٨٠، كما جهل الخليفة

---

(١) في هذا الجزء نفسه .

الاجابة عن معنى الكلالة الآتية في آخر سورة النساء[1]. يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نص ما ترك. راجع بذلك الدارمي في سننه ٢ ص٣٦٥ وتفسير الطبري ٦ ص٣٠ وسنن البيهقي الكبرى ٦ ص٢٢٣ ويظهر أن أبا بكر كان خوفه من الله ان يجتهد على خلاف معناها. وكم افتى واجتهد باسم الردة[2].

وقد أخرج السيوطي في الاتقان ج٢ ص٣٢٨ ان الذي اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة أقلهم أبو بكر وأكثرهم عليٌّ من الخلفاء. وروي عن معمر عن وهب بن عبدالله عن أبي الطفيل: شهدت عليا يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألون عن شيء إلّا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلّا وأنا اعلم أبليل نزلت ام بنهار، أفي سهل أم في جبل. واخرج أبو نعيم في حليته عن ابن مسعود قال: ان القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا له ظهر وبطن، وإن علياً بن ابي طالب عنده الظاهر والباطن[3]، كما اخرج عن طريق أبي بكر بن عيّاش عن نصير عن سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي، قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم أُنزلت، وأين أنزلت. إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا سؤولا. والسيوطي يرى أبا بكر من المفسرين، ولكنه لم يتجاوز تفسيره عن العشرة وإني اترك النظر في ذلك للقارئ الكريم، واين هذا الذي يعجز عن جواب كلمات اللغات دون التفاسير عن ذلك الذي يقول: سلوني قبل ان تفقدوني، سلوني عن كل شيء، واين منه صاحبه عمر الذي كان أعجز منه، وكم قال الأول أقيلوني فلست

---

(١) سورة النساء، الآية ١٧٦ .

(٢) راجع بذلك كلامنا في مالك بن نويرة وخالد بن الوليد والفجاءة وغصب فدك ومنع للخمس وايذاء علي وفاطمة وعترة رسول الله ﷺ وامثالها أكُلُّ ذلك أقل من تفسير كلمة أبّ أو الكلالة ؟

(٣) حلية الأولياء ١/٦٥.

بخيركم! وكم قال الثاني وكرر قوله: لولا عليٌّ لهلك عمر أو ما في معناها! كما جهل أبو بكر ميراث الجدة واستعان بالمغيرة بن شعبة أزنى ثقيف وأكذب الامة، وحوله صحابة رسول الله ﷺ الاخيار، ودونه أهل بيته ووارث علم رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه علي بن أبي طالب[١] وكذلك جهله في توريث الجدتين من الام والاب، واخذه برأي احد الانصار[٢]. واعتبر أبو بكر الجد حاجبا للاخوة كالأب، وهو خلاف السنة[٣].

وجاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٧٥ انه روى اللالكائي في السنة عن عبدالله بن عمر قال: جاء رجل إلى أبي بكر فقال: أرأيت الزنى بقدر؟ قال: نعم. قال: فان الله قدّره عليّ ثم يعذبي؟ قال: نعم يا ابن اللخناء! أما والله لو كان عندي انسان امرت ان يجأ أنفك.

وهذا يدلك على عجزه عن اقناع السائل منطقياً وشرعياً وفي القرآن نفسه ان عقيدته تلك بالقدر انما هي فاسخة. فاذا احب المرء ذلك فانه قد اباح لنفسه كافة الموبقات والتعديات وخالف الاوامر والنواهي بأن ذلك هو قدر. وخالف بذلك آيات القرآن الكريم بقوله: وهديناه النجدين. وانا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا.

فالله سبحانه اودع في الانسان عقلا مميزا للخير والشر وامره باتباع الخير

(١) راجع بذلك موطأ مالك ج١ ص٣٣٥، وسنن الدارمي ص٣٥٩ وسنن ابي داود ٢ ص١٧، وسنن ابن ماجة ٣ ص١٦٣، ومسند أحمد ٤ ص٢٢٤ وسنن البيهقي ٦ ص ٢٣٤ وبداية المجتهد ٢ ص٣٤٤ ومصابيح السنة ٢ ص٢٢.

(٢) راجع بذلك موطأ مالك ١ ص٣٣٥ وسنن البيهقي ١ ص٢٣٥ وبداية المجتهد ٢ ص ٢٤٤ والاستيعاب ٢ ص٤٠٠ والاصابة ٢ ص٤٠٢ وكنز العمال ٦ ص٦.

(٣) راجع صحيح البخاري / باب ميراث الجد، وسنن الدارمي ٢ ص٣٥٢، واحكام القرآن للجصاص ١ ص٩٤، وسنن البيهقي ٦ ص٢٤٦ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٥.

وترك الشر، وجعل له في ذلك الاختيار والآراء، وجعل له جزاءً لأعمال الخـير والشر حيث قال له: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾. فكان على الخليفة ان يفهم هذا السائل دون نـهره. ولو عـدنا إلى اقـوال عليّ ﷺ تجاه سائليه؛ وكيف كان يقنعهم منطقياً؛ لعلمت ان الخليفة انما هـو ولي الامة الاكبر وهاديهم إلى الصـواب، وان القـوة والعـنف الى مـؤدبه تـجبره إلى الانحراف حسب قول الشاعر:

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هـي الداء

ولا ننسى آراء وافعل أبي بكر في مخالفيه من المسلمين باسم الردة، مثل مالك بن نويرة وقومه، وسوف نفصلها بما يلزم، واوامره في بني سليم، كما جاء في الرياض النضرة ١ ص ١٠٠، وسنن أبي داود ٢ ص ٢١٩، ومصابيح السنة ٢ ص ٥٩ ومشكاة المصابيح ص ٣٠٠.

ومنها إحراق الخليفة الفجاءة الذي قدم عليه كما جاء في تاريخ الطبري ٣ ص ٢٣٤ وتاريخ ابن كثير ٦ ص ٣١٩ وكامل ابن الأثير ٢ ص ١٤٦، وقـد تـاب الفجاءة وأحرقه بعدها.

وقال ابن قتيبة: قالوا لفاطمة: لو ان زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبـي بكر ما عدلنا به، وقال عليّ: أفكنت ادع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه واخرج وانازع الناس سلطانه؟! ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.

والواقع الغريب أن الآيات الروايات والتي تبدأ من يوم الدار حتى يوم غدير خم حتى طلبه ﷺ قلماً وقرطاساً في زمن مرضه كل ذلك يتجاهله أبـو بكـر! فكيف يتمنّى لو سأل رسول الله: من بَعدَهُ لهذا الامر؟ وقد اراد التصريح به فمنعه

عمر. وقد ذكر ابن أبي الحديد عن ابن عباس قال: خرجت مع عمر إلى الشام في احدى خرجاته، فانفرد يوماً يسير على بعيره فاتبعته فقال لي: يا ابن عباس! اشكو اليك ابن عمك، سألته ان يخرج فلم يفعل ولا أزال اجده واجداً ففيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم. قال: اظنه لا يزال كئيبا لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك انه يزعم ان رسول الله اراد الأمر له. فقال: يا ابن عباس! واراد رسول الله الامر له، فكان ماذا اذا لم يرد الله تعالى ذلك، إلى أن قال وقد روى معنى الخبر بغير هذا اللفظ وهو قوله: ان رسول الله ﷺ اراد ان يذكره للأمر في مرضه فصددته عنه خوفاً من الفتنة وانتشار امر الإسلام فعلم رسول الله ما في نفسي. وأمسك ،وأبى الله إلّا امضاء ما حتم. فانظر إلى هذه المغالطة من عمر فرسول الله لا يداهن ولم ينطق إلّا بارادة الله وامره، فقد اعترف بالواقع وغالط، فابو بكر يعرف وصيّ رسول الله، وإنما اراد مثل صاحبه المغالطة. واما إحراقه للفجاءة، وندمه على ذلك فقد جاء بكامل الجزري أنه اياس بن عبديا ليل السلمي جاء ابا بكر فقال: أعنّي بالسلاح اقاتل به أهل الردة، فأعطاه سلاحاً وأمّره فخان المسلمين، فبعث أبو بكر طريفة بن حاجز فأسره ثم بعث به إليه فأمر أن يوقد له نار في مصلّى المدينة ثم رمي به فيها مقموطا .

ونقل عن الفضل بن شاذان عن رواية زياد البطالي وهو من أئمة العامة عن صالح بن كيسان عن إياس بن قبيعة الاسدي الذي شهد فتح القادسية قال: سمعت أبا بكر يقول: ندمت إلّا أكون سألت رسول الله ﷺ عن ثلاث. وفيه وإلّا أكون سألته عن ذبائح أهل الكتاب كما قال وودت أني لم اتخلف عن جيش اسامة. وغير ذلك، وكان يعلم أبو بكر في الواقع وهو مريض وهو شيخ كيف خالف أمر الله وأمر رسوله في أعظم واهول ما امر الله به الأمة الاسلامية، وأية مصيبة أعظم من امر الخلافة والوصاية والموالاة وهو الذي سمع باذنية ما خطب رسول الله ودعا

إليه المسلمين وقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، طبعاً بعد ان قـال: ألست اولى بالمسلمين من أنفسهم وهذه اقصى حدود الولاية، فلما قالوا: نعم، قال: فاسمعوا وليخبر الشاهد الغائب: من كنت مولاه فعليّ مولاه، وكيف لا يكون عليٌّ كذلك وقد قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد الدخول فعليه ان يدخلها من بابها، وقال: ان علياً مني بمنزلة هارون من موسى وقال: اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه وهذه جميعها متواترة وفي الصحاح الستة، كما ندم ابو بكر على دخول بيت فاطمة واغضابها وانها ماتت وهي غضبى منه ومن عمر بعد ان قـال رسول الله: ان فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله. وهذا الحديث المتواتر عند السنة والشيعة والآية القرآنية ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله﴾، والى آخر الآية كما له الحق ان يتأثر من التخلف عن جيش اسامة بعد ان سمع رسول الله وهو يقول: «لعن الله من تخلّف عن جيش اسامة» وهذه لم تكن إلّا نزراً مما عمله مع عليّ وفاطمة وآل البيت الذين نـزلت فـيهم الآيات الجمة منها آية التطهير ومنها آية المباهلة وجميع اعمال أبي بكر سلسلة واحدة تتصل بأمر الخلافة والوصاية وهو ظلم حمّله الامة الاسلامية بغصبه مقعد الخلافة غصباً. والظلم ليس ناتجاً عن الامارة التي اغتصبها من آل الرسول كلا، بل الظلم انما هو المحرومية التي اصابت الامة الاسلامية من العلم والعدل والتقوى، والاخلاص الذي أوصى النبي ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً ولهذا ترى السنن المتضاربة، والمذاهب المختلفة والروايات المتناقضة في مسألة واحدة وترى عجز الخليفة الأول والثاني والثالث عن أجوبة الاسئلة الملقاة عليهم وترى عجز عمر الذي بقي مدة اطـول على الخلافة كلما داهمته مسألة عويصة ؛ طلب تفسيرها من علي، وكم مرة قال: لولا عليٌّ لهلك عمر. ولم يكن ابو بكر خيراً منه لا في التأويل ولا في الاجتهاد،

ولم يكونوا حريصين على اتباع السنن إلّا بقدر ما يـوثق مـركزهم وسـياستهم لذاترى في كثير من المواقع يجتهدون في مورد النص الذي لا يحق لهم، وكثيراً ما خالفوا النصوص القرآنية. وسنورد بعد هذا كثيراً من تلك الموارد. وإذا أعلن أبو بكر اسفه على بضعة امور عملها وبضعة لم يسألها انما أعلنه تمويها لحق الخلافة والامامة بعد رسول الله ﷺ. واذا كان صادقاً في ماقاله فكيف يدلي بها لعمر بعده دون ان يستشير أحداً. ولا ننسى عمر، وكلمته: ان بـيعته كـانت فـلتة وقـى الله المسلمين شرّها (يعني بيعة أبي بكر).

جواب معاوية على رسالة محمد بن ابي بكر

واليك عن المسعودي وكثير من أهل السير والتاريخ ان معاوية اجاب محمد بن أبي بكر الذي لامه على اعماله المنكرة ضد علي خليفة رسول الله ﷺ ووصيه قائلاً :

اما بعد، فقد اتاني كتابك... حتى وصل الى قوله: ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من رسول الله ونصرته له ومواساته اياه في كل هول وخوف، إلى ان قال: «فقد كنا وابوك معنا في حياة نبينا نعرف حق ابن أبي طالب لازما لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته وافلج حجته، وقبضه الله اليه ؛كان أبوك وفاروقه اول من ابتزه حقه وخالفه على امره، على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمّا به الهموم وارادا به العظيم ثم انه بايعهما وسلم لهما واقاما لا يشركانه في امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله. الى ان قال: فان يكن ما نحن فيه صواب فأبوك اوله وان يكن جورا، فأبوك رأسه ونحن شركاؤه، بهديه أخذنا وبفعله اقتدينا ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا اليه، ولكنا رأينا اباك فعل ذلك به من قبلنا فاحتذينا مثاله واقتدينا بفعاله فعب اباك بما بدا لك أو دع». فاقرأ وتأمل واعتبر .

هكذا ترى معاوية كيف فضح نفسه وغيره وقال الحقيقة بالنسبة لغيره، وان

أبا بكر وعمر وغيرهما كانوا يعرفون أن خليفة رسول الله ﷺ ووصيه ووزيره نظراً لسوابقه للإسلام وقرابته من رسول الله ونصرته له ومواساته اياه في كل هول وخوف انما كان علي بن أبي طالب وحده وقد كان ابوبكر وعمر وآل امية وجميع الصحابة، كلهم يعرفون حق عليّ لازما عليهم، وفضله مبرزا فيهم، غير أن أبا بكر وعمر ومن تابعهما بعد وفاة رسول الله ﷺ رغم علمهم ودرايتهم بكل ذلك وما نزل في عليّ من الآيات وما امر به رسول الله المسلمين بعده بانه مولاهم بعده وقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، ودعا الله قائلاً: اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه، ولكنهم فضلوا معاداة الله ومخالفة نبيه فكانوا اول من ابتزه حقه وخالفوه على امره ولقد كانا على ذلك اتفقا واتسقا ولم يكتفيا بذلك وهما اللذان هنآه يوم غدير خم بعد خطبة رسول الله حيث قالا له: بخ بخ لك يابن أبي طالب لقد أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة، وهما يعلمان حق العلم أن آية ﴿اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ إنّما نزلت بعدما ابلغوا بولايته ووصايته واتّباعه بعد رسول الله، بيد انهما منذ الساعة التي هنّآه بها وهما ومن تبعهما من المنافقين وقريش من الذين لما يدخل الاسلام والايمان في قلوبهم من آل امية وغيرهم جميعا لم يكتفوا بغصب حقه وتراثه بل التعدي بذلك عليه وأجبراه على بيعتهما وهما يهددانه بالقتل، وقد أبطأ عنهما، وهما حين يهددانه بالقتل يقول: «اذن تقتلون اخا رسول الله ووصيه من بعده وحافظ سره» وتوجه إلى قبر رسول الله وهو يخاطبه كما خاطب هارون موسى «يا ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» فهمّا به الهموم وارادا به العظيم ثم انه بايعهما وسلّم لهما وأقاما لا يشركانه في امرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضهما الله. وقد اعترف معاوية بكل ذلك في رسالته جهراً، وبيّن مظالمهما وانهما هما اللذان مهّدا له ولأمثاله من أعداء آل محمد الطريق حيث قال: فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك اوله، وإن يكن جورا فأبوك رأسه ونحن شركاؤه، بهديه اخذنا وبفعله

اقتدينا، ولولا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب ولسلمنا إليه ولكن رأينا أباك فعل ذلك به قبلنا فاحتذينا مثاله واقتدينا بفعاله .

انظر إلى هذه الصراحة وإلى هذه اللجاجة في الكفر والعناد ومخالفة أوامر الله ورسوله، واعتراف بالواقع، وكيف هدموا من اول يوم مات رسول الله كيان الاسلام وزحزحوا به إلى ما تخشى عقباه إلى ما نحن فيه في هذا العصر وقبله نحن المسلمين من التفرقة والعناد ولو أنهم كما قال عمر بن الخطاب مراراً: أما لو وليها الاصلع ـ يعني علياً ـ لأقامكم على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم. فاسأله بالله عليك أنت وشريكك قبلك تعلمان ذلك وغرتكما الدنيا ومطامعها واغتصبتماها منه وانتما تعلمان انه الوصي حقاً وأنه أليق منكما واحق واعلم واتقى لادارة ذلك : فلماذا بعد ان قضيتما وطركما قدمتماها سائغة لآل أمية مع ما يضمرون من عدائهم لآل محمد .

وهنا اسمع الخطبة الشقشقية لعلي بن أبي طالب وكم تحمل من القوم من مصائب وهو يرى بام عينيه ماذا يلعبان ويتخبطان بالامة الاسلامية حيث قال «لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليَّ الطير» .

نعم والحقيقة تلك التي اعترف بها معاوية أن أبا بكر كان يعلم انه يجلس دون حق على مسند الخلافة، وأن لعليّ بما أمر الله به وامر رسوله ﷺ وبما اوتي من علم وحكمة وسابقة وما ابلى من بلاء في الاسلام هو أحق بها، ولكن وا اسفاه على الاسلام، وا اسفا على البؤساء الذين ذهبوا منذ اليوم الاول ضحية ذلك الغصب والعناد. وهاك نبذة عن جهاد أبي بكر لنقيسه بجهاد عليّ الذي له الكأس المعلّى في كل واقعة، بل يمكن القول إنه في جميع الوقائع لولا علي لخذل الاسلام. فاسمع ما يقوله ابن عبد ربه ويرويه عن محاجة المأمون .

جهاد أبي بكر

ولتعرف نبذة من أعظم المناظرات التي اقامها الخليفة العباسي في افضل رجل بعد النبي مبينا في ذلك عدة أمور بها يمكن تعيين صلاحية الرجل الأوّل للخلافة بعد رسول الله، وبعد أن بيّن كما مر في فضل سابقة أبي بكر وأشرنا إلى القسم الأوّل من محاجة المأمون مع الاربعين فقيها. قال المأمون مخاطباً اسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حمادي بن زيد:

(ثم أي الأعمال كانت افضل بعد السبق إلى الاسلام؟ قلت: الجهاد في سبيل الله. قال: «صدقت». فهل تجد لأحد من اصحاب رسول الله ما تجد لعليّ عليه السلام في الجهاد؟ قلت: في أي وقت؟ قال: في أي الاوقات شئت! قلت: بدر، قال: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلّا دون ما تجد لعليٍّ يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت: نيف وستون رجلاً من المشركين. قال: فكم قتل عليٌّ وحده؟ قلت: لا ادري قال: ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين والاربعون لسائر الناس. قلت: يا أمير المؤمنين قد كان أبو بكر مع رسول الله ﷺ في عريشه. قال: يصنع ماذا؟ قلت: يدبّر. قال: ويحك! يدبر دون رسول الله أو معه شريكا، أو افتقاراً من رسول الله ﷺ إلى رأيه؟ أي الثلاث أحب اليك؟ قلت: اعوذ بالله ان يكون أبو بكر يدبر دون رسول الله ﷺ أو يكون معه شريكاً، أو أن يكون برسول الله افتقار إلى رأيه، قال: فما الفضيلة بالعريش إذا كان الامر كذلك؟ أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله

أفضل ممّن هو جالس؟ قلت: يا أمير المؤمنين! كل الجيش كان مجاهداً، قال: صدقت، كلٌّ مجاهد ؛ ولكن الضارب بالسيف، المحامي عن رسول الله وعن الجالس ؛ افضل من الجالس. أما قرأت كتاب الله: ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنىٰ وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما﴾[1] قلت: وكان ابو بكر وعمر مجاهدين، قال: فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت، نعم قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر، قلت: أجل. قال: يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: إقرأ عليَّ ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾[2]. فقرأت منها حتى بلغت ﴿ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾[3] إلى قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾[4] قال: على رسلك فيمن أنزلت هذه الآيات؟ قلت: في عليٍّ. قال: فهل بلغك أنَّ علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنما نطعمكم لوجه الله؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً؟ قلت: لا. قال: صدقت ؛ لان الله جل ثناؤه عرف سيرته .

يا إسحاق! الست تشهد ان العشرة في الجنة؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين! قال: أرأيت لو ان رجلاً قال: والله ما ادري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله ؛ أكان عندك كافراً؟ قلت: أعوذ بالله! قال: أرأيت لو انه قال ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا، كان كافراً قلت: نعم قال: يا اسحاق! أرى بينهما فرقا. يا إسحاق! أتروي الحديث؟ قلت نعم. قال: أتروي

---

(١) سورة النساء، الآية ٩٥ .

(٢) سورة الانسان، الآية ١ .

(٣) سورة الانسان، الآية ٥ .

(٤) سورة الانسان، الآية ٨.

حديث الطير؟ قلت: نعم، قال: فحدثني به. قال: فحدثته الحديث. قال: يا إسحق! إني كنت اكلمك وانا اظنك غير معاند للحق، فأمّا الآن فقد بان لي عـنادك ؛ انك توقن ان هذا الحديث صحيح؟ قلت: نعم، رواه من لا يمكنني ردّه. قال: أفرأيت ان من ايقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحداً أفضل من عليٍّ لا يخلو من أحد ثلاثة [أوجه]. من ان تكون دعوة رسول الله ﷺ عنده مـردودة عـليه، لو ان يقول: عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحبَّ إليه، أو أن يقول: إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يعرف الفاضل من المفضول: فأي الثلاثة أحب إليك أن تقول؟ فأطرقت، ثم قال: يا اسحاق! لا تقل منها شيئاً. فإنك إن قلت منها شيئاً استنبتك[1]. وان كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله. قلت: لا اعلم، وإن لأبي بكر فضلاً، قال: اجل! لولا ان له فضلاً لما قيل: إن علياً أفضل منه، فـما فـضله الذي قصدت إليه الساعة؟ قلت: قول الله عزَّ وجل!

﴿ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾ فنسبه إلى صحبته. قال: يا اسحاق! اما اني لا احملك على الوعر من طريقك. اني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافرا ـ وهو قوله تعالى: **﴿قـال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً * لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي أحداً﴾**[2] قلت: ان ذلك صاحب كان كافراً وأبـو بكـر مؤمن. قال: فإذا جاز ان ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جـاز ان يـنسب إلى صحبة نبيه مؤمنا وليس بأفضل المؤمنين، ولا الثاني ولا الثالث، فقلت: يا أمير المؤمنين ان قدر الآية عظيم، ان الله يقول: **﴿ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يـقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾**[3].

قال يا اسحاق: تأبى الآن إلّا أن أخرجَ الى الاستقصاء عليك: أخبرني عن

---

(١) استنبتك: أقمتك مقامي.

(٢) سورة الكهف، الآيتان ٣٧ و ٣٨.

(٣) سورة التوبة، الآية ٤٠.

حزن أبي بكر اكان رضا أم سخطا؟ قلت: ان أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفاً عليه وغمّاً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه. قال: ليس هذا جوابي إنّما كان جوابي أن تقول: رضاً أم سخط؟ قلت: بل كان رضاً لله، قال: فكان الله جل ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله عزَّ وجلَّ وعن طاعته! قلت: اعوذ بالله! قال: أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟ قلت: بلى، قال: أولم تجد ان القرآن يشهد ان رسول الله ﷺ قال «لا تحزن» نهياً له عن الحزن؟ قلت: أعوذ بالله!، قال: يا اسحق! ان مذهبي الرفق بك لعل الله يردّك إلى الحق، ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به، وحدّثني عن قول الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾[1] من عنى بذلك؟ رسول الله أم أبا بكر؟ قلت: بل رسول الله، قال: صدقت. قال أحدثني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾[2] إلى قوله تعالى ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾[3] أتعلم من المؤمنون الذين أراد الله في هذا الموضوع؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين! قال: الناس جميعاً انهزموا يوم حنين فلم يبق مع رسول الله إلّا سبعة نفر من بني هاشم: عليٌّ يضرب بسيفه بين يدي رسول الله، والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء، حتى أعطى الله لرسوله الظفر. فالمؤمنون في هذا الموضع، عليٌّ خاصة ثم من حضره من بني هاشم، قال: فمن افضل من كان مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت؛ أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟ قلت: بل من انزلت عليه السكينة.

قال: يا اسحاق! من أفضل؟ من كان معه في الغار ام من نام على فراشه ووقاه بنفسه، حتى تم لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة؟ ان الله تبارك وتعالى أمر رسوله ﷺ أن يأمر علياً بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول الله ﷺ بنفسه؛

---

(١) سورة التوبة، الآية ٤٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ٢٥.

(٣) سورة التوبة، الآية ٢٦.

فأمره رسول الله بذلك، فبكى عليٌّ فقال له رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا علي؟! اجزعاً من الموت؟! قال: لا، والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفاً عليك، افتَسلمُ يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: سمعاً وطاعة وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله. ثم أتي مضجعه واضطجع وتسجّى بثوبه، وجاء المشركون من قريش فحفّوا به لا يشكون انه رسول الله ﷺ، وقد اجمعوا ان يضربه من كل بطن من بطون قريش رجلٌ ضربةً بالسيف، لئلّا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه، وعليٌّ يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه ولم يدعه ذلك الى الجزع كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل عليٌّ صابراً محتسباً، فبعث الله ملائكته فمنعته من مشركي قريش حتى اصبح، فلما اصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا: أين محمد؟ قال وما علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فلا نراك إلّا مغرراً بنفسك منذ ليلتنا، فلم يزل على أفضل ما بدأ به، يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه.

يا اسحاق! هل تروي حديث الولاية، قلت: نعم، يا أمير المؤمنين قال: اروه. ففعلت. قال: يا اسحاق! أرأيت هذا الحديث هل اوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟ قلت: ان الناس ذكروا ان الحديث انما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وانكر ولاء علي، فقال رسول الله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: في أي موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه في حجة الوداع؟ قلت: أجل قال: فإن قتل زيد بن حارثة كان قبل الغدير ؛ كيف رضيت لنفسك بهذا؟ اخبرني لو رأيت ابناً لك قد اتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي؛ أيها الناس فاعلموا ذلك ؛ أكنت منكرا ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم. قال: يا اسحاق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله؟ ويحكم! لا تجعلوا فقهاءكم اربابكم[1]. ان الله جل ذكره قال في كتابه ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من

---

(١) الارباب: جمع رب، وهو الإله أو الصاحب.

دون الله﴾[١] ولم يصلّوا لهم ولا صاموا ولا زعموا انهم ارباب ولكن امروهم فاطاعوا امرهم.

يا اسحاق! اتروي حديث «انت مني بمنزلة هارون من موسى»؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، قد سمعته وسمعت من صححه وجحده قال: فمن اوثق عندك؛ من سمعت منه فصححه، أو من جحده؟ قلت: من صححه. قال: فهل يمكن ان يكون الرسول ﷺ مزح بهذا القول؟ قلت: أعوذ بالله!، قال: فقال قولاً لا معنىً له فلايوقف عليه؟ قلت: أعوذ بالله! قال: أفما تعلم ان هارون كان اخا موسى لأبيه وامه؟ قلت: بلى، قال: فعليٌّ أخو رسول الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا، قال: أوليس هارون كان نبياً وعليٌّ غير نبي؟ قلت: بلى. قال فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هارون؛ فما معنى قوله: «انت مني بمنزلة هارون من موسى»؟ قلت له: انما اراد أن يطيّب بذلك نفس عليٍّ لمّا قال المنافقون: إنه خلّفه استثقالا له. قال: فأراد أن يطيّب نفسه بقول لا معنى له؟ فاطرقت. قال: يا اسحاق! له معنى في كتاب الله بيّنٌ. قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ حكاية عن موسى انه قال لأخيه هارون ﴿اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾[٢] قلت: يا أمير المؤمنين: ان موسى خلف هارون في قومه وهو حيٌّ ومضى إلى ربه، وان رسول الله ﷺ خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته. قال: كلا، ليس كما قلت؛ اخبرني عن موسى حين خلّف هارون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من اصحابه أو أحد من بني اسرائيل؟ قلت: لا قال: أوليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني عن رسول الله ﷺ حين خرج إلى غزاته هل خلّف إلّا الضعفاء والنساء والصبيان فأنّى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد ان يحتج به، ولا اعلم أحداً احتج به، وأرجو أن يكون توقيعاً من الله. قلت: وما هو يا أمير

---

(١) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

المؤمنين؟ قال: قوله عزَّ وجلَّ حين حكى عن موسى قوله: **﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي تسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيرا﴾**(١).

«فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى: وزيري من أهلي وأخي شد الله به ازري واشركه في امري كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً» فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي ﷺ وان يكون لا معنى له؟ قال: فطال المجلس وارتفع النهار فقال يحيى بن اكثم القاضي: يا أمير المؤمنين! قد اوضحت الحق لمن أراد الله به الخير ـ وأثبتَّ ما لا يقدر أحدٌ ان يدفعه. قال اسحاق: فاقبل علينا وقال: ما تقولون؟ فقلنا: كلنا نقول بقول أمير المؤمنين اعزه الله، فقال: والله لولا ان رسول الله ﷺ قال: اقبلوا القول من الناس، ما كنت لأقبل منكم القول ـ اللهم قد نصحت لهم القول ؛ اللهم إني قد أخرجت القول من عنقي، اللهم إني اديتك بالتقرب إليك بحب علي وولايته).(٢) هذا ما كان من المناظرة التي قام بها الخليفة العباسي ذلك الخليفة الذي ازدهرت في عصره العلوم وشجعها، وقرَّب العلماء، وعرف بحبه للعم وفكرته الوقادة، وقامت في عهده المناظرات والمباحثات والمجالس العلمية والادبية. ثم نعود نكرر في الجهاد وما أبلاه كل من الخلفاء ونقارن بينها باعتبار الجهاد اعظم ركن من ابراز الايمان والمؤمن وتضحيته في اشادة صرح الاسلام واقامته في الأسس المتينة القويمة بالجود ببذل النفس والنفيس في ذلك وقد رأينا علياً كمظهر أعلى للجهاد وبذل النفس، كيف يقوم باكبر مخاطرة للمبيت في محل رسول الله وهو يعلم ويرى ويسمع كيف ان رجال قريش الأشداء يحيطون به وان سوفهم خلفا العفة جميعاً من أول الليل في أية لحظة يمكن ان تهوي عليه وتقتله باعتباره الرجل الأول

---

(١) سورة طه، الآية ٣٥.

(٢) العقد الفريد، لابن عبد ربه الاندلسي: ٣٤٩/٥ ـ ٣٥٩ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى عام ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٣ م.

والرسول الاعظم للوحدانية والاسلام. ورغم كل ذلك فهو يتلقى تلك المحنة بصبر وجلد عظيمين صابراً محتسباً غير خائف ولا حزين في وجه الله وانصياعا لامر نبيه وحبيبه وأخيه ورسول الله ﷺ ذلك الذي انتخبه وزيرا ووصياً له في يوم الدار وأوجب اطاعته على جميع من كان حاضراً. فأنظر لهذا الايمان والتقوى والاخلاص الراسخين في قلبه ثم انظر إلى أي فرد في الاسلام منذ بدأ فهل تجد له نظيراً. كلا والله، ثم تصفح حروبه الواحدة تلو الاخرى التي جاهد فيها ولتجدن شجاعته وايمانه واخلاصه في الذب عن الاسلام وعن رسول الله لا يوجد له نظير:

١ ـ ففي أول مقابلة بين المشركين والمسلمين تلك الواقعة العظيمة التي بدأت بأول بناء لهذا الصرح كيف أبلى فيها عليٌّ البلاء الحسن بين جميع المجاهدين كما ذكر أعلاه فكان له القدح الاعلى فله من جميع القتلى الذين هم نيِّفٌ وستون ؛ لوحده نيف وعشرون مقتول من اشجع من قدم للقتال في اللحظة التي كان فيها أبو بكر وعمر في العريش.

٢ ـ ثم تعال معي في حرب أحد وانظر كيف وحده ذب عن رسول الله عندما اندحر المسلمون، ولولاه لقتل رسول الله حتى ولّى المشركون وانتهت الحرب فكانت في عليٍّ نحو تسعين جراحةً. فأين كان أبو بكر وعمر وغيرهما؟ نعم كانوا قد تركوا رسول الله وهربوا فارين.

٣ ـ أما حرب الخندق التي آلى فيها المشركون القضاء المبرم على الإسلام ونبيه وفيهم عشرة آلاف مقاتل بينهم من اشجع ابطالهم مثل عمرو بن عبدود العامري الذي كان وحده يعد بألف فارس وكان لوحده بامكانه القضاء على المسلمين لولا علي بن أبي طالب، وتراه كيف يحمل لوحده على الخندق ويعبره ويقف امام المسلمين ويهتف لمن يبارزه فلا تجد سوى علي بن أبي طالب وهو يقوم ويقعده النبي ثلاثاً حتى إذا وجد المسلمين جميعهم واجمين ولم يحضر احد للقيام والدفاع حتى من خلقوا له المعجزات بعد وفاة رسول الله. نعم في المرة الثالثة يقوم علي وهو راجل ويقف امام ذلك الفارس الصنديد بعد أن قال رسول

الله: لقد برز الايمان كلُّه الى الشرك كلّه، وبعد تبادل بعض الكلمات بين عمرو وعلي وإذا بعليٍّ يهوي عليه بضربة تلقيه صريعاً مضرجاً بدمائه، ومع ذلك فقد جلس على صدره وطلب منه الاسلام كي لا يقتله، فوجده مصراً على شركه فقتله. فقال رسول الله: لقد كانت ضربة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين. لقد صدق رسول الله في الأول والآخر حينما قال أولها: برز الايمان كله إلى الشرك كله. كانت كلمة جمعت فيها كل الحقائق إذ بقتل عمرو بن عبد ود العامري؛ وبقتله وحده؛ تضعضعت كل قوى الشرك. وضعفت ولم تمض سوى مدة وجيزة حتى ويطوون راجعين من حيث أتوا، وقد تركوا العار والخزي وقتل أعظم شجعانهم بيد المسلمين. فمن كان يقتل عمراً لو لم يقتله علي؟! وما كان مصير المسلمين فيها بعد ذلك وهم واجمون امام احد فرسان المشركين؟! واذا فتك رجل واحد بالمسلمين ماذا كانت عاقبة الإسلام وماذا كان للمشركين من النصر؟ لقد كان النصر للمسلمين بضربة أخي رسول الله ووصيه ومولى المؤمنين ذلك هو علي بن أبي طالب، وحقاً كانت ضربته تعدل عبادة الثقلين وهل هناك مقتول يساوي عمراً وقاتل يساوي علياً ألم يستحق ان يكون جزاؤه عبادة الثقلين ومن ينكر عليه ذلك الجزاء العظيم. وتعال معي لنراه في الوقائع الاخرى. فأخبرني اين كان ذلك اليوم أبو بكر وصاحبه عمر؟ بالله عليك أيها السامع الكريم انصف.

٤ ـ فتح خيبر تلك الواقعة المشهورة التي لا يمكن ابداً نسيانها ونسيان اعلامها ومعالمها وآثارها التي فتح الله بها للإسلام الفتح العظيم على اليهود في قتل اعظم شجعانها مثل مرحب واخوته، وفتح أكبر حُصونهم بعد قلع باب الحصن الكبير. وقد أعطى رسول الله ﷺ الراية في اليوم الأول إلى أبي بكر. نعم إلى أبي بكر وطلب منه فتح خيبر فعاد آخرها مندحراً مغلوباً فاراً ظاهر العجز. وفي اليوم الثاني اعطى الراية إلى عمر فلم تكن نتيجته بأحسن من صاحبه ففرّ وعاد مندحراً مكسوراً وكاد المسلمون أن يستولي عليهم اليأس إذ كان عليٌّ آنذاك ارمد فقال

رسول الله بعد ارسال أبي بكر وعمر: لأُعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراراً غير فرار فاطلع المسلمون وترقبوا بفارغ الصبر من يكون هذا البطل العظيم الذي وصفه رسول الله بهذا الوصف الباهر العظيم، وكلٌ منهم يتمنّى لو يكون هو حتى أبو بكر وعمر كما صرحا بعد ذلك أنّهما كانا يتمنيان لو كانا هما الفاتحين، وانقضى ذلك اليوم وصار الصباح وقد نفد صبر المنتظرين وكل شيء ربما يخالجهم سوى ان يكون في هذه المرة أيضاً بطلها المرموق هو نفسه علي، فصاح رسول الله: أين أخي ووزيري علي بن أبي طالب، فقالوا: انه ارمد، فقال ﷺ عليَّ به، وهم يتطلعون وإذا برسول الله يشفي عينيه بريقه، ويعطيه الراية ويأمره بفتح خيبر، وإذا به كعادته في كل مرة يهجم على القوم ويقتل شجعانهم وفي مقدمتهم مرحب واخوته فيفرون إلى القلعة المحصنة العظيمة ببابها الهائلة الكبيرة التي ينوء بفتحها الرجال، وإذا به يقتلعها ويهجم بجيشه داخل الحصن ويفتح الله على يديه ذلك الحصن وأهم قلاع اليهود. وبهذا يقضون عليهم القضاء المبرم. وبعدها تعال معي مرة لترى مقدرة أبي بكر في الجهاد وبلاءه، ومثله صاحبه لنقيس سوابقه التي ذكرناها وبعدها ترى جهاده وتقارنه هو وصاحبه بجهاد عليٍّ وبلائه في الحروب .

٥ ـ والذي يتتبع حربه الاخرى في الحجاز واليمن وحده أو مع رسول الله يجد عظمته وتفاديه العديم النظير .

٦ ـ يوم حنين وقد مرَّ ذكره في محاجة المأمون بصورة مقتضبة وفيها أيضاً نجد عظمة عليٍّ وكيف كان له القدح المعلى في الذب عن رسول الله دون جميع الصحابة خصوصاً أبا بكر وعمر اللذين كانا من جملة الهاربين، وعليٌّ وحده الذي كان يذب عن رسول الله ويحميه، أيها القارئ أنصف وقارن وانظر واحتسب فالله عليك رقيب، وقل الحق فيمن غصبه حقه وظلم الامة الاسلامية إذ حرمها من عدله وإخلاصه وعلمه، ولم يكتف بالغصب حتى ولّاها بعده ألدّ اعداء الاسلام من

الطلقاء متعمّداً بعد أن نحّى انصار آل محمد وقوّى أعداءهم ولقد صرح رسول الله بفرار أبي بكر يوم خيبر حينما أعرب في المرة الثالثة بقوله ﷺ: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار وبلفظ آخر كراراً غير فرار. وقد قال ذلك رسول الله بعد فرار أبي بكر وعمر وبعد ان كانا قد عاهدا الله ان لا يوليا الادبار. فهل يعلم ما اراد الله بكلمته سوى ان علياً غير اولئك بالصفات المارة الذكر. فهذا يحب الله ورسوله فيضحي بنفسه ولا يهرب كما عاهد الله ورسوله عليه ونتيجة ذلك حب الله ورسوله له، وأما اللذين فرّا فقد خالفا أوامر الله واخلفا عهد الله وميثاقه ان لا يوليا الادبار كما جاء في الآية[1].

---

(١) راجع صحيح البخاري ج٦ ص١٩١، ومسلم ج٢ ص٣٢٤، وطبقات ابن سعد ص٦١٨ و٦٣٠ ط مصر، ومسند أحمد ج١ ص٢٨٤، ٢٨٥ و ٣٥٣، ٣٥٨. وخصائص النسائي ص ٤ ـ ٨، وسيرة ابن هشام ج٣ ص٣٨٦، ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٠٩، وحلية الاولياء ج٢ ص٦٢، واسد الغابة ٤ ص٢١، والاقناع للحويزي ص٣١٤، وتاريخ ابن كثير ج ٤ ص١٨٥ و١٨٧، وتيسير الوصول ج٣ ص٢٢٧ والرياض النضرة ج٢ ص١٨٤ ـ ١٨٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٤، وكما اقر ذلك القاضي عضد الايجي في المواقف، واقره شراحه كما في شرح ج٣ ص٢٧٦، والبيضاوي في طوالع الانوار كما في الطالع ص٤٨٣، والقصيدة الآتية لابن أبي الحديد:

وما انسَ لا انسى اللّذين تقدما … وفرّهما والفرّ قد علما حوب
وللراية العظمى وقد ذهبا بها … ملابس ذل فوقها وجلابيب
يشلهما من آل موسى شمردل … طويل نجاد السيف أجيد يعبوب
يمنح منونا سيفه وسنانه … ويلهب نارا غمده والانابيب
احضرهما ام حضر اخرج خاضب … ودان هما ام ناعم الخد مخضوب
عذرتكما ان الحمام لمبغض … وان بقاء النفس للنفس محبوب
ليكره طعم الموت والموت طالب … فكيف يلذ الموت والموت مطلوب

فهل ترى ابن حزم وابن تيمية عرفا ذلك وقالا ما قالا؟ وقد قيل: حدث المرء بما لا يليق فان صدق فلا عقل له. فحسبكما عقلا وحقداً!

والآية اعلاه في سورة الانفال، الآية ١٦ قوله تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.

رد اللائحة الاولى من الجاحظ

كما جاء في رسائل الجاحظ ص ٥٤ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص ٢٧٥ وج١٣ ص ٢٧٧ ـ ٢٨٤، وما ذكره الخطيب في تاريخه ج٨ ص ٢١، وابن الجوزي في المنتظم ج٦ ص٣٢٧، وفي خلاصة كتاب العثمانية، ص١ وج١٣ ـ راجعها في الحاشية من هذا الكتاب .

اللائحة الثانية

واليك جواب أبي جعفر الاسكافي المعتزلي البغدادي المتوفى ٢٤٠ هـ في اللائحة الثانية رداً على الجاحظ (أبو عثمان) في رد اللائحة الاولى. قال الاسكافي :

لقد أُعطي أبو عثمان مقولاً وحرم معقولاً. ان كان يقول هذا على اعتقاد وجدٍّ ولم يذهب به مذهب اللعب واللهو، أو على طريق التفاصح والتشادق واظهار القوة والسلاطة وزلاقة اللسان وحدة الخاطر والقوة على جدال الخصوم. الم يعلم أبو عثمان ان رسول الله ﷺ كان اشجع البشر وانه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الالباب وبلغت القلوب الحناجر فمنها يوم احد ووقوفه بعد ان فر المسلمون باجمعهم ولم يبق معه إلّا اربعة: علي والزبير وطلحة وأبو دجانة فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محسن أن يوترها فقال: يا رسول الله! لا يبلغ الوتر فقال: أوتر ما بلغ، قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لقد اوترت حتى بلغ، وطويت منه شبراً على سية القوس، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت، وبارز أُبيّ بن خلف فقال له أصحابه :إن شئت عطف عليه بعضنا، فأبى وتناول الحربة من الحارث بن الصّمّة ثم انتقض بأصحابه كما ينتقض البعير، قالوا: فتطايرنا عنه تطاير

الشمارير فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور ولو لم يدلّ على ثباته حين انهزم اصحابه وتركوه إلّا قوله تعالى ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في أخراكم﴾ فكونه ﷺ في أُخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليل على انه ثبت ولم يفر. وثبت يوم حنين في تسعة من اهله ورهطه الأدنين وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة يحدقون به: العباس آخذ بحَكَمة بغلته، وعليٌّ بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلته يـمنة ويـسـرة وقـد انـهزم المـهاجرون والانصار وكلما فروا اقدم هو ﷺ وصمم مستقدماً يلقىٰ السيوف والنبال بنحره وصدره، ثم أخذ كفا من البطحاء وحصب المشركين وقال: شاهت الوجوه والخبر المشهور عن عليٍّ وهو أشجع البشر: «كنا إذا اشتد البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ ولذنا به». فكيف يقول الجاحظ إنه ما خاض الحروب ولا خالط الصفوف؟! وأي فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله إلى الاحجام أو اعتزال الحرب! ثم أي مناسبة بين أبي بكر ورسول الله في هذا المعنى! ليقيسه وينسبه إلى رسول الله صاحب الجيش والدعوة ورئيس الإسلام والملة، والملحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة، وإليه الاتـجاه والاشـارة وهـو الذي أحـنق قـريشاً والعرب ووري اكبادهم بالبراءة من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل اسلافهم، ثـم وترهم فيما بعد بقتل رؤسائهم وأكابرهم وحـق لمـثله اذا تـنحّى عـن الحـرب واعتزلها، ان يتنحى ويعتزل، لأنّ ذلك شأن الملوك والرؤسـاء إذا كـان الجـيش منوطاً بهم وببقائهم فمتى هلك الملك هلك الجيش، ومتى سلم الملك أمكـن أن يبقى عليه ملكه، وان عطب جيشه يجند جيشاً آخر، ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه وخطّأوا الاسكندر لما بارز فوسراً ملك الهـند ونسـبوه إلى مجانبة الحكمة ومفارقة الصواب والحزم، فليقل لنا الجاحظ: أي مدخل لأبي بكر في هذا المعنى؟ ومن الذي كان يعرفه من اعداء الإسلام ليقصده بالقتل؟ وهل هو الا واحد من عرض المهاجرين، حكمه حكم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن

عفان وغيرهما؟ بل كان عثمان اكثر منه صيتا واشرف منه مركبا والعيون اليه اطمح والعدو عليه أحنق وأكلب. ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفا؟ أو يحدث وهناً؟ أو يخاف على الملة لو قتل أبو بكر في بعض تلك الحروب ان تندرس وتعفّى آثارها وينطمس منارها! ليقول الجاحظ: إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحروب واعتزالها، نعوذ بالله من الخذلان وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة وبالآثار والاخبار ممارسة حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت، وحاله عليه الصلاة والسلام فيها كيف كان، ووقوفه حيث وقف، وحربه حيث حارب وجلوسه في العريش يوم جلس، وإن وقوفه ﷺ وقوف رئاسة وتدبير، ووقوف ظهر وسند يتعرف أمور اصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلّفه عن التقدم في أوائلهم لأنهم متى علموا انه في اخرهم إطمأنت قلوبهم ولم تتعلق بامره نفوسهم فيشتغلون بالاهتمام به عن عدوّهم ولا يكون لهم فئة يلجأون إليها وظهر يرجعون إليه، ويعلمون انه متى كان خلفهم تفقّد أمورهم وعلم مواقفهم وآوى كل انسان مكانه في الحماية والنكاية وعند النازلة في الكر والحملة، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم. وأحمى وأحرس لبيضتهم، ولأنه المطلوب من بينهم، إذ هو مدبر أمورهم ووالي جماعتهم، الا ترون ان موقف صاحب اللواء موقف شريف، وان صلاح الحرب في وقوفه، وان فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات: الاولى حالة يتخلف ويقف آخر ليكون سنداً وقوة ورداً وعدة، وليتولى تدبير الحرب ويعرف مواضع الخلل، والحالة الثانية يتقدم فيها في وسط الصف ليقوّي الضعيف ويشجّع الناكس، وحالة ثالثة وهي إذا اصطدم الفيلقان وتكافح السيفان اعتمد ما تقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح أو من مباشرة الحرب بنفسه فانها آخر المنازل وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد، وفسالة الجبان المموّه، فأين مقام الرئاسة العظمى لرسول الله ﷺ واين منزلة أبي بكر ليسوي

بين المنزلتين ويناسب بين الحالتين، ولو كان ابو بكر شريكاً لرسول الله في الرسالة وممنوحا من الله بفضيلة النبوة وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً ﷺ؛ لكان للجاحظ أن يقول ذلك، فأمّا وحاله حاله وهو اضعف المسلمين جناناً وأقلُّهم عند العرب ترة، لم يرم قط بسهم، ولا سلَّ سيفاً، ولا أراق دماً، وهو احد الاتباع، غير مشهور ولا معروف، ولا طالب ولا مطلوب، فكيف يجوز ان يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ومنزلته؟ ولقد خرج عبدالرحمن مع المشركين يوم احد فرآه أبو بكر فقام مغيظاً عليه فسلَّ من السيف مقدار اصبع يروم البروز إليه، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا بكر! شم سيفك، وأمتعنا بنفسك، ولم يقل له (وأمتعنا بنفسك) إلّا لعلمه بأنه ليس أهلاً للحرب وملاقاة الرجال، وانه لو بارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ: لا فضيلة لمباشرة الحروب ولقاء الاقران وقتل ابطال الشرك؟ وهل قامت عمد الاسلام إلّا على ذلك؟ وهل ثبت الدين واستقر إلّا بذلك؟ أتراه لم يسمع قول الله تعالى ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[١] والمحبة من الله تعالى هي إرادة الثواب، فكل من كان أشدَّ ثبوتاً في هذا الصف وأعظم قتالا ؛ كان أحبَّ إلى الله، ومعنى الأفضل هو الأكثر ثوابا، فعليّ إذاً هو احب المسلمين إلى الله لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص، ولم يفرَّ قطّ بإجماع الامة، ولا بارزه قرن إلّا قتله، أو تراه لم يسمع قول الله تعالى: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما﴾[٢] وقوله: ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن﴾[٣] . ثم قال سبحانه مؤكداً لهذا البيع والشراء ﴿ومن

---

(١) سورة الصف، الآية ٤ .
(٢) سورة النساء، الآية ٩٥ .
(٣) سورة التوبة، الآية ١١١ .

أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[١]، وقال الله تعالى: ﴿ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح﴾[٢]. فمواقف الناس في الجهاد على احوال، وبعضهم في ذلك أفضل من بعض. فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان اثقل على اكتاف الاعداء لشدة نكايته فيهم ممن وقف في المعركة واعان ولم يقدم، وكذلك من وقف في المعركة واعان ولم يقدم إلّا أنه بحيث تناله السهام والنبل أعظم عناء وافضل مِمَّن وقف حيث لا يناله ذلك. ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرئاسة بقلة بسط الكف وترك الحرب وان ذلك يشاكل فعل النبي ﷺ لكان أوفر الناس حظاً في الرئاسة واشدهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت، وان بطل فضل عليٍّ ﷺ في الجهاد ؛ لأن النبي ﷺ كان اقلهم قتالا ـ كما زعم الجاحظ ـ ليبطلن على هذا القياس فضل أبي بكر في الانفاق لأن رسول الله ﷺ كان أقلهم مالا.

وأنت إذا تأملت امر العرب وقريش، ونظرت السير وقرأت الاخبار عرفت انها تطلب محمداً ﷺ وتقصد قصده وتروم قتله فان اعجزها وفاتها طلبت علياً وارادت قتله، لانه كان اشبههم بالرسول حالا واقربهم منه قربا، واشدهم عنه وقعا، وانهم متى قصدوا علياً فقتلوه اضعفوا امر محمد ﷺ وكسروا شوكته، اذ كان [عليٌّ] اعلى من ينصره في البأس القوة والشجاعة والنجدة والاقدام والبسالة. ألا ترى الى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر وقد خرج هو واخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فاخرج إليهم الرسول نفراً من الانصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا: ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا: يا محمد! اخرج إلينا اكفاءنا من قومنا. فقال

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٢) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

النبي ﷺ لأهله الادنين: قوموا يا بني هاشم! فانظروا حقكم الذي آتاكم الله على باطل هؤلاء، قم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، ألاترى ما جعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم احد لانه اشترك هو وحمزة في قتل ابيها يوم بدر؟ ألم تسمع قول هند ترثي أهلها ؟

ما كان عن عتبة لي من صبر ... ابي وعمي وشقيق صدري

أخي الذي كان كضوء البدر ... بهم كسرت يا عليّ ظهري

وذلك انه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة واما عمها شيبة فان حمزة تفرّد في قتله، وقال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أُحد: ان قتلت محمداً فأنت حر، وان قتلت علياً فأنت حرٌ، وان قتلت حمزة فأنت حرٌ فقال: «أمّا محمد فسيمنعه أصحابه، وأما عليٌّ فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب، ولكني سأقتل حمزة» فقعد له وزرقه بالحربة فقتله.

ولما قلنا من مقاربة حال علي في هذا الباب لحال رسول الله ﷺ ومناسبتها اياه ما وجدناه في السيرة والاخبار من اشفاق رسول الله ﷺ وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة. قال رسول الله ﷺ في يوم الخندق وقد برز عليٌّ إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه: اللهم انك أخذت مني حمزة يوم أحد، وعبيدة يوم بدر فاحفظ اليوم عليّ علياً. ﴿ربِّ لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين﴾[1]، ولذلك ضَنَّ به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً في كلها يحجمون ويقدم عليٌّ فيسأل الاذن له في البراز حتىٰ قال له رسول الله ﷺ: انه عمرو ! قال: وانا عليّ. فادناه وقبله وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودّع له،القلق لحاله المنتظر لما يكون منه، ثم لم يزل ﷺ رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموتٌ حوله ؛ كأنما على

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٩.

رؤوسهم الطير، حتى ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمراً، فكبّر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين، ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسمت فضيلة عليٍّ عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿وكفىٰ الله المؤمنين القتال﴾[1]؛ قال: يعني بعلي بن أبي طالب.

ومنها اخذ نحلة فاطمة بنت رسول الله ﷺ باعتبارها ارثاً وبينما هو القاضي إذا به يكون مدعياً للزهراء ويقول اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن معاشر الانبياء لا نورث» ويخالف بذلك آيات القرآن في الارث التي لا يجوز ردها بسنة نبوية مختلقة، كما لا يجوز ان يكون هو الخصم وهو الشاهد والحاكم. ثم ان قوله هذا ترده الآيات القرآنية الكثيرة في امتلاك ورثة الانبياء غير آية الإرث العامة في إرث البنين، ومنها قوله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾ ومنها قول زكريا حينما يدعو ربه يقول: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربِّ رضيا﴾، وفي هذه جميعها لا يوجد دليل على استثناء وراثة الملك فإذن الوراثة عامة لا فرق بين الناس عامة والانبياء خاصة فمن اين اجتهد وكيف حَلَّ له مخالفة الله ورسوله في نصوص الارث على فرض أن يكون إرثاً؛ فكيف وهي نحلة وملّكها رسول الله اياها، فانظر الظلم والتعدّي والاجتهاد غير المبتني على المنطق، وأنا ارى لو أخذها غصباً كان خيراً له من ان يأخذها بهذه الشاكلة من الغصب، والحقيقة انها ثبتت انها اخذت غصباً وظلماً ولذاترى عمر بن عبدالعزيز الخليفة الاموي المعروف بالصلاح كيف ردّها إلى أهلها، وأخيراً كان عليه البينة لأنه كان المدّعي والزهراء كانت المتصرفة ولكنه يطلب منها البينة، أليس أنه تحقق لديه عدم صحة اخذها بدليل أو أنها مأخوذة من فاطمة غصباً؟

---

(١) سورة الاحزاب، الآية ٢٥.

وهل كان له ان يكذّب فاطمة وعلياً والحسن والحسين وغيرهم مـن الشـهود ؛ هؤلاء كلهم ورد ذكرهم في آية التطهير والذين زكاهم الله من الدنس وطـهرهم تطهيرا وهم الذين وردت أسماؤهم في آية المباهلة فكانوا خيرة من اختارهم الله للمباهلة مع النصارى، وهم الذين وردت بهم آيات القرآن الاخرى وهم الثـقل الذي قال رسول الله ﷺ: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي». أليست فاطمة وأبناها هم عترة رسول الله فهل جاز لأبي بكر وعمر من بـعده وعـثمان التنكيل بهم وغصب جميع حقوقهم كأنّهم ليسـوا مسـلمين وكأنـهم مـن اعـداء الإسلام، أيّها القارئ المطالع المتتبع المنصف! إعدل وأقسط، وقل الحق. هل كان يجوز لمثل هذا ان يجلس مجلس رسول الله ويغتصب حق عترته وحق وصـيه ويسلط عليهم ألدَّ أعدائهم فلم يرقب إلاًّ ولا ذمة لمطاردتهم وتشريدهم وقتلهم وظلمهم وسبّهم على المنابر ورؤوس الاشهاد وقـتل وهـتك وسـلب ومـطاردة صحابة رسول الله ومحبي آل محمد؟ من أسس أساس هذا الظلم العاتي؟ ومن غيّر وبدّل الروايات والسنن واجتهد وفسّر آيات الله وسننه بين النـاس وحـرّف مـا حرّف؟ على من تقع اللائمة ؟

درجة ثقة رسول الله بأبي بكر

تتجلّى في الغار عند الهجرة، وفي حملة خيبر ويوم حنين واستعادة سورة البراءة. وامره بقتل المارق وفي جيش اسامة، يوم لعن من تخلف عن جيش اسامة وغيرها .

لا شك ان كل فرد يجرب اصحابه في المعاملات والسفر، وفي المكاره والحروب، والمشكلات، وكان رسول الله من الطراز الأول لهذا الانتخاب، فقد عرف كيف ينتخب، وكيف يصنف، وكيف يعتمد على كل فرد، وكيف يبرهن على درجة اعتماده وثقته بهم، وعرف كيف يبرهن لهم عمليا عن درجة لياقة كل واحد منهم في تحمل الشدائد، ويبرهن لهم درجة إخلاصهم في دينهم والذب عن رسول الله ﷺ والتضحية في سبيل الاسلام. وأما أبو بكر الذي كان من أوائل المسلمين وأبا عائشة أم المؤمنين، وأولى زوجاته بعد زوجته المخلصة المؤمنة الزكية خديجة الكبرى؛ فقد كان كما قلنا رغم انه من اوائل من اسلم بيد ان رسول الله عندما آخى قبل الهجرة بين المسلمين نجده رغم كون أبي‌بكر يناسبه سناً وفي مقدمة المسلمين السابقين لم يؤاخه بل يؤاخي علياً ذلك الذي له في السن البون الشاسع بينهما، ثم نجده ينتخب علياً لصحبته ما دام في مكة المكرمة قبل الهجرة، حتى إذا اجتمعت زعماء قريش وقرروا الاشتراك جميعاً في قتله ولم يكن له مناص سوى الهجرة وترك عليٌّ في فراشه فيتقبل هذه التضحية العظمىٰ بنفسه

وبالامكان بأي لحظة من هذه الليلة المظلمة وهم يعلمون ويوقنون أن محمداً نائم ان يهووا بسيوفهم عليه دون شك ولا ريب، ومن يضحي بنفسه يبيت في محله مثل علي يدري كيف يظهر لهم الطمأنينة، ويغفلهم حتى آخر لحظة ممكنة كي يسلم رسول الله في هجرته من أذاهم وقتلهم وهكذا نام في فراشه محتسباً صابراً، شجاعاً لايبدوا عليه أي حزن أو خوف لسلامة رسول الله وحفظه من المشركين. اما أبو كبر فرغم كونه في الغار وعلى الغار قد عششت الحمام وخيوط العنكبوت قد احاطت فم الغار نجد ان الخوف والحزن يستولي على أبي بكر حتى تنزل الآية: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾ فهذا النهي من رسول الله ﷺ لأبي بكر ان لا يحزن وتذكيره بالله انه معهم على ماذا يدل سوى ان ابا بكر ظهر عليه الحزن لدرجة ظهر على محياه وحديثه، والحزن في المواقع ألا يدلُّ على الشك وقلّة الإيمان بالله وبالرسالة والرسول حتى ينهاه عن الحزن؟ وقد مرّ ذلك في مجادلة المأمون مع اسحاق. فهذه كانت من التجارب الاولى والتمحيص لأبي بكر في سلوكه وايمانه.

أما في حملة خيبر وقد اعطى رسول الله في اليوم الأول لأبي بكر الراية والامارة للحملة بيد أنه رجع مندحراً مخذولاً ولم ينجح في مهمته، وفي اليوم الثاني فالراية قد أعطاها لعمر وامره بالحملة على اليهود وفتح خيبر، فلم يكن حظه أسعد من أخيه وصاحبه أبي بكر وعاد في آخرها مندحراً مغلوبا. فقال بعد ذلك كلمته المأثورة العظيمة: «لأعطينَّ الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارٍ غير فرار» فاشرأبت الأنظار إلى هذا الذي سيحمل هذا الوسام العظيم من رسول الله، وهذا الرجل الذي نعته رسول الله ﷺ وخاتم النبيين بهذه الصفات الممتازة، وتطاولت الاعناق وتساءل القوم: من هو هذا البطل المرموق والمؤمن المخلص والمجاهد العظيم والشجاع والقائد المحنك؟ ولم يطق

أبو بكر صبراً فقال: أنا يا رسول الله؟ ونسي أنه الرجل الذي اندحر في أولها، فقال له: لا. وقال عمر: أنا يا رسول الله؟ ونسي هو الثاني اندحاره اليوم، فأجـابه: لا. فمن هو؟ وفي الصباح الباكر والكل ينتظر رجل الحملة الذي يفتح الله على يده خيبر، ويقتل شجعانها المعروفين مثل مرحب وغيره، ويقهر حصونها ويفتح أبوابها ويقلعها، فمن هو ياترى؟ وإذا برسول الله يقول: ائتوني بأخـي عـلي ﷺ، وهـنا تنفس المناوئون له، إذ يعلمون أنه أرمد ولا يطيق ذلك، حسداً ونكاية، وسرعان ما أجابوه: إنه ارمد، فقال: ائتوني به واذا به يمسح عينيه بريقه فيشفيان ويقلده الراية ويأمره بالحملة فيحمل البطل الكرار فيقتل اكبر شجعانها ويـهزمهم شـر هـزيمة فيتحصنون وراء الحصون والقلاع، ودونها باب خيبر العظيمة التي لا يزحـزحـها الرجال، وإذا بعليٍّ يقتلع تلك الباب العظيمة ويدخلون الحصن فاتحين .

أيها القارئ الكريم! ألم تكن هذه أعظم تجربة في قيادة وزعامة الرجـال وقدرتهم الروحية والبدنية؟ وتلك شهادة رسول الله له وتلك تجربته التي أجراها على كل منهم حتى فتحت برجلها المغوار المحنّك، الذاب عن رسول الله وناصر الاسلام بنفسه وسيفه واخلاصه .

ويوم حنين وياله من يوم عظيم، ويالها من تجربة عظيمة يوم انهزم القوم جميعاً فارّين تاركين نبيهم وحده، ولم يبق معه سوى سبعة من بني هاشم: العباس آخذٌ بزمام بغلة النبي، وخمسة يحيطون به للدفاع عنه، وعليٌّ وحده يذب ويدافع ويهاجم دونه، ويقتل كل عدوٍّ يريد الاقـتراب مـن رسـول الله ﷺ، والعـباس يصرخ بأعلى صوته: يا أهل بيعة الشجرة ؛ ينادي المسلمين للعودة وعدم الفرار، حتى عاد القوم وكتب الله النصر للمسلمين. وقد كان من الفارين أبو بكر وعمر، ومن شاء فليطالع التاريخ والسير، وما نقله ابن عبد ربه في محاجّة المأمون مـع الاربعين فقيهاً في المحاجة والمناظرة واثبت لهم ذلك، فاعترفوا بالواقع فكأنّـه

يريد اظهار الواقع للقوم كواجب عليه، وبعد اقتناعهم عاد وقال: «اللهم قد إخرجت القول من عنقي، اللهم إني أديتك بالتقرب إليك بحب عليٍّ وولايته».

وفي يوم ارسل سورة البراءة بيد أبي بكر ليتلوها على قريش وقد عد أبو بكر له الفخر والشرف العظيمين بهذه الثقة ولكن سرعان ما طلب رسول الله عودة أبي بكر واخذ منه السورة وأعطاها لعلي لتلاوتها على قريش. ومهما كان ذلك سواء كان بامر الله أو بامر رسوله فإنه يدل على مدى ثقة الله ورسوله بكلٍّ منهما.

ومنها زواج البتول فاطمة الزهراء ابنته التي قال: «فاطمة بضعة مني من أحبّها فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضها فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله». فاطمة التي طهّرها الله وزكاها من الدنس في آية التطهير ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾. والتي اختارها الله ورسوله للمباهلة في آية المباهلة في قوله تعالى: ﴿فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم﴾ والأبناء هما الحسن والحسين، والنساء فاطمة الزهراء فقط، وانفسنا هما رسول الله وعليٌّ ومن شاء فليراجع التفاسير والسير جميعاً.

هذه فاطمة يخطبها كثيرون ومنهم أبو بكر وعمر فيأبى الله ورسوله، فكانت زوجة عليٍّ وصيٍّ رسول الله وأخيه ووزيره الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، وهنا أيضاً راجع الصحاح وما ورد من اخبار العامة. وكانت ذرية رسول الله هم ذريتها من ولديها الحسن والحسين من علي عليه السلام.

ومنها سد ابواب جميع المسلمين المفتوحة على المسجد عدا باب علي بامر الله ورسوله.

ولا ننسى جيش أسامة، وان رسول الله يجعل أمير الجيش أسامة وهو لما يبلغ العشرين وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وطلحة والزبير وكبار الصحابة

من المهاجرين والانصار كسائر الناس تحت قيادته لماذا لم يؤمِّر فيها أبا بكر أو عمر إن كانا بدرجة يعتمد عليهما رغم اعتراضهما وتأخرهما حتى لعن من تخلّف عن جيش اسامة، وكان مما أسف عليه أبو بكر في مرض موته هو تأخره عن جيش اسامة وقد شهد على نفسه بالتخلف .

بينما نجد علياً اختص به رسول الله لنفسه وبقربه. ولم يحدث ولا مرة أن أمَّر أحداً على عليٍّ في جميع غزواته سوى تلك التي كانت الامارة تحت نظره مباشرة، وأخيراً حينما ارسلت عائشة لابيها في مرض موت رسول الله ليصلي بالمسلمين سرعان ما نجد رسول الله وهو مريض يحضر ويصلي بهم ولا يترك ابا بكر اماماً يأتمون به. هذه التي مرَّ ذكرها وخصوصاً أيام مرض رسول الله وتخلف أبي بكر وعمر عن الالتحاق بجيش اسامة ومخالفة عمر في كتابة العهد حينما طلب رسول الله قلما وقرطاسا يكتب فيه كي لا يضل القوم بعده فمنع عمر ذلك وبعلم من أبي بكر إذ كانا دوماً متفقين وفي سياسة واحدة ولو كان أبو بكر منع عمر لانتهى عن عمله ولكنهما اتفقا وقررا مخالفة رسول الله في وصيته كما جاء في كتاب معاوية لمحمد بن أبي بكر في جواب كتابه سابق الذكر .

إذن كان رسول الله يعرف كل ذلك ولكنه أخبر من الله ان القوم سوف ينقضون الوصية والامامة والخلافة والسلطة بعده كما جاء تلميحا في حديث عبدالله بن عمر للحسين بن علي حينما اراد مغادرة الحجاز للعراق بدعوة أهل العراق في زمن يزيد حيث قال له: احدثك بحديث لاردك فيه، إنكم من الله لكم الآخرة، والدنيا لغيركم، فاترك ما انت فيه من السفر والذهاب إلى الكوفة .

فضائله وما نزلت في أبي بكر من الآيات
وما نعته به رسول الله

ذكرنا الآية التي نزلت عليه في الغار ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾ وقد مر تفسير الآية بنظر الخليفة المأمون في مناظرته مع الأربعين فقيهاً كما جاء عن ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد. وما كان يدل على مدح سوى ان ابا بكر حزن ورسول الله نهاه عن الحزن وقال له يذكّره: ان الله معنا فلا داعي للخوف والحزن، وهل يليق بمن آمن بالله ورسوله وصاحب رسول الله، وهو معه، ان يتداخله الحزن لهذه الدرجة التي نهاه الرسول ﷺ عنه ويذكّره بالله وانه معهم!؟ وما أكثر الروايات المختلقة في أبي بكر وعمر وعثمان وآل امية في زمن بني امية اخصهم معاوية الذي أعلن في رسالته لعماله أن يختلقوا الروايات في آل أمية واخص منهم عثمان وبعدهم عمر وأبا بكر وينسبوا لهم الفضائل التي نسبت لعلي وآله، ويبدلوا ما روي في علي وآله من المدح ذمّاً، وان يكثروا الهدايا والمنح لكل من يفعل ذلك، وبالعكس: القتل والتعذيب والسلب والهدم والتحقير لكل من روى عن أبي تراب وآله، وتعليم الصبيان في المكاتب وبث الخطب في الجوامع، وإباحة سب أبي تراب وآله حتى جعلها سنّة في الصلاة والاعياد، فما تراه من الروايات في أبي بكر اكثرها يناقض الواقع، وتناقضها آيات قرآنية وسنن وروايات نبوية مسلّمة في الصحاح، وكذبها اكابر علماء السنة كما مر.

هل اتبع أبو بكر احكام الله
وسنن واوامر رسول الله في حياته وبعد مماته

أبو بكر وعمر يتخلفان عن جيش اسامة. ويغيبان عن جنازة رسول الله ﷺ ويحضران سقيفة بني ساعدة ويكتمان وصية رسول الله في علي ؑ. كلمة طلحة قبيل وفاة أبي بكر يلومه على عهده لعمر. نبذة من خطبة الزهراء فاطمة. وأهمها إظهار سخطها عليهم بعد إقرارهما ان سخطها سخط رسول الله. وإليك أيّها القارئ نبذاً من هذه الروايات.

قال الشهرستاني: أول تنازع في مرضه (أي رسول الله) ﷺ ما رواه محمد بن اسماعيل البخاري باسناده عن عبدالله بن عباس، قال: لما اشتد بالنبي مرضه الذي مات فيه قال: «ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي» فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط فقال النبي: «قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع». قال ابن عباس: الرزيّة كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله.

وقال الشهرستاني بعدما تقدم: الخلاف الثاني في مرضه أنه قال «جهزوا جيش اسامة، لعن الله من تخلف عن جيش اسامة» فقال قوم يجب علينا امتثال أمره وأسامة قد برز من المدينة، وقال قوم قد اشتد مرض النبي فلا تسع قلوبنا مفارقته والحال هذه فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من امره. قال الشهرستاني: وانما اوردت هذين التنازعين لأن المخالفين ربّما عدُّوا ذلك من المخالفات

المؤثرة في امر الدين وهو كذلك، وان كان الغرض كله إقامة مراسم الشرع في حال تزلزل القلوب وتسكين ثائرة الفتنة المؤثرة عند تقلب الامور.

أقول: مما لا شك فيه ان عمر وأبا بكر باعترافهما فيما مرّ ويأتي أنّهما خالفا رسول الله الأول في تخلفهما عن جيش اسامة كما اعترف أبو بكر وانه قال في مرض موته: إنه يأسف لتخلفه عن جيش اسامة. والثاني أي عمر كما يرد انه اعترف أمام ابن عباس انه صد القوم عن إتيان القلم والقرطاس للنبي لأنَّ عمر كان يدري أن النبي يريد كتابة العهد لعلي. فإذا كان غلب عليه المرض على حدّ قوله أو أن النبي يهجر؛ كيف قبلتم عهد أبي بكر في عمر والذي أكمله عثمان، وأبو بكر في حالة الغيبوبة؟ ومن خوّل أبا بكر ان يعطي أمر الامة إلى عمر دون أخذ رأي الامة ان كان احتج ببيعته في السقيفة من قبل الامة.

نقل عن ابن أبي الحديد في عنوان جواب عليّ لما خاطبه العباس وأبو سفيان ان يبايعا له. قال البراء بن عازب لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله خفت ان تتمالأ قريش على إخراج هذا الامر عنهم فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة واذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر وقد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة وهم محتجزون بالازر الصنعائية لايمرون باحد إلّا خبطوه وقدّموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى، فانكرت عقلي وخرجت اشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فطرقت عليهم الباب طرقا عنيفا وقلت: قد بايع الناس أبا بكر بن أبي قحافة، فقال العباس «تربت ايديكم الى آخر الدهر» اما اني امرتكم فعصيتموني فمكثت اكابد ما في نفسي ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وابا الهيثم بن التيّهان

وحذيفة وعمارا وهم يريدون ان يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين وبلغ ذلك أبا بكر وعمر فارسلا الى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذا الامر نصيبا لتقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب، الى ان قال، فقال العباس لأبي بكر في جملة ما قال: وما ابعد قولك إنهم طعنوا من قولك انهم مالوا اليك. الى ان قال: واما قولك يا عمر: إنك تخاف الناس علينا فهذا الذي قدمتموه أول ذلك وقال النظام وهو من مشايخ المعتزلة واستاذ الجاحظ: وقد نص النبي على عليّ كرّم الله وجهه في مواضع، وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة إلّا ان عمر كتم ذلك وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة.

وروى ابن عبد ربه أن عثمان لما أراد أن يقرأ عهد أبي بكر قال له طلحة: اقرأه وان كان فيه عمر، فقال له عمر: وبم علمت ذلك، فقال وليته امس وولاك اليوم. وقال ابن أبي الحديد: وعمر هو الذي شيد بيعة أبي بكر بدفع المخالفين فكسر سيف الزبير لما جرده ودفع في صدر المقداد ووطئ في السقيفة سعد بن عبادة وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطم انف الحبّاب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة أنا جديلها المحنك وعذيقها المرجب، وتوعّد من لجأ إلى دار فاطمة من الهاشميين واخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة.

نقل ابن أبي الحديد عن كتاب أبي بكر للجوهري في السقيفة عن يعقوب بن شيبة عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن سليمان الاعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبي رافع قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فأمر عليه عمرو بن العاص وفيهم أبو بكر وعمر وامرهم ان يستنفروا من مرّوا به فمروا علينا فاستنفرونا فنفرنا في غزاة ذات السلاسل وهي التي تفخر بها أهل الشام يقولون: استعمل رسول الله عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر

وعمر فقلت: والله لاختارن في هذه الغزاة لنفسي رجلاً من اصحاب رسول الله ﷺ استهديه فاني لست استطيع إتيان المدينة فاخترت ابا بكر ولم آل، وكان له كساء فدكي يحله عنه إذا ركب ويلبسه إذا نزل وهو الذي عيرته به هوازن بعد النبي وقالوا: لا نبايع ذا الحلال، فلما قضينا غزاتنا قلت له: يا أبا بكر! أني قد صحبتك وان لي عليك حقاً فعلمني شيئاً انتفع به، فقال: قد كنت أريد ذلك لو لم تقل لي: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتحج البيت، وتصوم شهر رمضان، ولا تتأمّر على رجلين، فقلت: اما العبادات فقد عرفتها، أرأيت نهيك لي عن الامارة وهل يصيب الناس الخير والشر إلّا بالامارة؟ فقال انك مستجهدٌ فيَّ فجهدت لك، إن الناس دخلوا في الاسلام طوعاً وكرهاً واجارهم الله من الظلم جيران الله وعواذ الله وفي ذمة الله فمن يظلم منكم إنما يحقّر ربه، والله ان احدكم ليأخذ شويهة جاره أو بعيره، فيظلّ عمله بأساً بجاره، والله من وراء جاره. قال: فلم يلبث إلّا قليلاً حتى اتتنا وفاة رسول الله فسألت: من استخلف بعده؟ قيل: أبو بكر، قلت: أصاحبي الذي كان ينهاني عن الامارة؟ (قالوا: نعم)[1]، فشددت على راحلتي فأتيت المدينة فجعلت اطلب خلوته حتى قدرت عليها، فقلت: أتعرفني؟ أنا فلان بن فلان، اتعرف وصية أوصيتني بها؟ قال: نعم. إن رسول الله قبض والناس حديثو عهد بالجاهلية، فخشيت أن يفتتنوا وان اصحابي حمّلونيها. فما زال يعتذر إليّ حتى عذرته وصار من أمري بعد أن صرت عريفا[2]. واقول: لماذا اعتذر؟ وهو الذي عمل ما نهى عنه امس وارادها فتنة وارجاع الجاهلية لولا عليّ وتريضه وعدم مطالبته بحقه بالسيف وهو اشجع العرب وتشهد له العرب بذلك والكل يعلم بانه وصي رسول الله، وهو عديل القرآن في وصية رسول الله «اوصيكم بالثقلين كتاب الله وعترتي

---

(١) ما بين القوسين ليس في كتاب: السقيفة وفدك. لأبي بكر الجوهري، ص٦٦.

(٢) السقيفة وفدك، لأبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، ص ٦٥ ـ ٦٦.

أهل بيتي» وهو القائل في خطبته الشقشقية: اما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير.. إلى آخر ما قال. وهل يقبل الله عذره ﴿يعتذرون اليكم اذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من اخباركم﴾[1].

وقد روى الجوهري أيضاً بعد ذلك الخبر باخبار عن حبيب بن ثعلبة قال «سمعت علياً يقول: أما ورب السماء والأرض ثلاثاً أنه لعهد النبي الأميّ اليّ لتغدرنّ بك الامة من بعدي»[2].

وروى أبو بكر الجوهري في كتاب سقيفته كما نقله ابن أبي الحديد في آخر شرحه لقوله ﷺ في معنى الانصار ان رسول الله ﷺ في مرض موته امر اسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين والانصار منها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وامره ان يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد، وان يغزو وادي فلسطين فتثاقل اسامة وتثاقل الجيش بتثقاله وجعل رسول الله يثقل ويخف ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث حتى قال له اسامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي ان امكث اياماً حتى يشفيك الله تعالى؟ فقال: اخرج وسر على بركة الله! فقال: «ان خرجت وأنت على هذا الحال، خرجت وفي قلبي قرحة منك»، فقال: «سر على النصر والعافية» فقال: «إني أكره أن سأل عنك الركبان»، فقال: «انفذ ما امرتك به». ثم أغمي على رسول الله وقام اسامة فجهز للخروج، فلما افاق رسول الله سأل عن اسامة والبعث فأخبر انهم متجهزون، فجعل يقول: «انفذوا بعث اسامة، لعن الله من تخلف عنه» ويكرر ذلك، فخرج اسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين ومن الانصار أسيد بن خضير وبشير بن سعد وغيرهم من

---

(١) سورة التوبة، الآية ٩٤ والخطبة هي المعروفة بالشقشقية.

(٢) السقيفة للجوهري، ص ٦٩.

الوجوه فجاءهم رسول أم ايمن يقول له: ادخل فإن رسول الله يموت، فقام من فوره ودخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله ورسول الله قد مات في تلك الساعة قال: فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان اسامة إلى ان ماتا إلّا بالأمير.

وان من راجع السقيفة تبين له ان اصل الفتنة وفرعها هو المهاجرون سوى الزبير سيما ابا عبيدة، فان أبا بكر كان يفوض إلى عمر وابي عبيدة وهما يفوضان إليه وأما الانصار فإن بشر بن سعد الانصاري أول من بايع أبا بكر حسداً لابن عمه سعد بن عبادة ان ينالها، وأسيد بن خضير هو الذي ساعد عمر على كشف بيت فاطمة عليها السلام.

مر بنا ان أبا بكر وعمر طلبا مقابلة وزيارة فاطمة لترضيتها فلم تقبل فوسّطا علياً عليه السلام على ذلك فقبلت، وسلّما فلم تجب وبعدها اقسمت انهما سمعا رسول الله يقول إن رضا فاطمة رضاه فشهدا فتوجهت لله وقالت اشهد الله أنكما اغضبتماني ولم ترضياني، وسوف ادعو عليكما بعد كل صلاة. وأجاب ابن أبي الحديد في هذه المسألة بما لم يكن أدون من ذلك فقال: والصحيح عندي ان فاطمة ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ان لا يصليا عليها وذلك عند اصحابنا من الأمور المغفورة لهما وكان الاولى بهما اكرامها واحترام منزلتها لكنهما خافا الفرقة واشفقا من الفتنة ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين فان الشكل الأول بديهي الانتاج لا يشكك فيه إلّا السفسطائية[1] الذين يشككون في الضروريات.

وإليك نص ابن قتيبة:فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فانا قد

(١) جاء في صحيح البخاري ج٢ص١٨٥ و١٨٩ وج٣ ص١٦٤ قوله صلى الله عليه وآله فاطمة بضعة مني فمن اذاها اذاني ومن اذاني آذى الله. وجاء في صحيح البخاري ج٢ ص١١٥ وج٣ ص٣٥ ان فاطمة ماتت وهي غضبى على أبي بكر وعمر.

أغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فاتيا عليا فكلماه فادخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام إلى ان قال: فقالت فاطمة ارايتكما ان حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: «نشدتكما الله! ألم تسمعا رسول الله يقول رضا فاطمة رضاي، وسخط فاطمة سخطي؟» قالا: «نعم» سمعناه من رسول الله، قالت: «فإني أشهد الله وملائكته أنكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لأشكوتكما إليه». إلى ان قال: «وهي تقول لأبي‌بكر: «والله لأدعونّ الله عليك في كل صلاة اصليها».

هنا كما مر في الروايات المتقنة يتجلى للقارئ الكريم ان ابا بكر وعمر كلاهما خالفا أوامر الله واوامر رسوله في جميع وصاياه في علي بن أبي طالب وعترته كما مر في جميع الموارد التي نزلت في علي ﷺ انه كان أخاً ووزيراً ووصيا لرسول الله ﷺ وأمر بنصرته واتباعه، وانه مولى جميع المؤمنين والمسلمين مثل رسول الله، ولم تظهر مخالفة أبي بكر صريحة إلّا في تخلفه عن جيش اسامة والتي لعن رسول الله كل متخلف واتباع أبي بكر وعمر في عدم تقديم قلم وقرطاس لرسول الله ومخالفة اوامره صراحة واعظمها التباني على اغتصاب الخلافة على خلاف ما امر رسول الله وحضور السقيفة والتآمر على ذلك وهم عصبة لا يتجاوزون العشرة، وبعدها ارغام البعض بالبعض الآخر والتهديد والقهر والقتل والهتك، ولا ننسى قتل ابن نويرة وليلة قتله النزو على زوجته المحصنة قهراً وعمر يهدد خالداً على عمله بالحد وإذا بأبي بكر وهو يعلم ذلك ويعفيه ويقلّده وسام الفخر، ويسميه سيف الله. وعمل كلما يؤيد حكمه من ضرب أخلص المؤمنين والصحابة المقربين المتبعين لأوامر الله ورسوله لأدنى اعتراض عليه، واعطاء الولاية والحكم لكل من والاه مهما بلغ من الخصومة لرسول الله، وابعاد عليٍّ وآل الرسول من أيّ منصب، وتهيئة الملك لآل امية .

وسوف يمر في موضوع فدك الشرح الوافي في غصب فدك من بضعة رسول الله ﷺ، ومنع الخمس عن أهل البيت وهم محرومون من الزكاة راجع بذلك صحيح البخاري في باب فرض الخمس ٥ ص ٥. وكيف ان فاطمة غضبت على أبي كر وعمر كما اخرجه في الغزوات باب غزوة خيبر ج٦ ص١٩٦ وكلا الروايتين عن عائشة، كما اخرجه مسلم في صحيحه ٢ ص ٧٢، وجاء في مسند الامام أحمد ج١ ص٦ و٩ وتاريخ الطبري ج٣ ص٢٠٢، ومشكل الاثار للطحاوي ج١ ص٤٨، وسنن البيهقي ج٦ ص ٣٠٠ و٣٠١ وكفاية الطالب ص٢٢٦، وتاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٨٥، وقال في ج٦ص٣٣٣: لم تزل فاطمة تبغضه مدة حياتها، وذكره بلفظ الصحيحين الديار بكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص١٩٣.

وقد دفنت ليلاً طبق وصيتها لموجدتها على أبي بكر كي لا يصلّي عليها وصلّى عليها عليٌّ وهو الذي غسّلها مع اسماء بنت عميس. راجع بذلك طبقات ابن سعد ورسائل الجاحظ ص٣٠٠، ووصية الأولياء ج ٢ ص٤٣، ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٦٣، وطرح التثريب ج١ ص١٥ واسد الغابة ج ٥ ص ٢٥٤، والاستيعاب ج ٢ ص ٧٥١، ومقتل الخوارزمي ج١ ص٨٣، وارشاد الساري للقسطلاني ج٦ ص ٣٦٢، والاصابة ج ٤ ص٣٧٨ و٣٨٠، وتاريخ الخميس ج١ ص٣١٣.

وروى البخاري عن عائشة ان فاطمة لما توفيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها، وفاطمة بضعة رسول الله وحبيبته والتي عصمها الله وأباها وزوجها وبنيها في آية التطهير. راجع بذلك التفاسير، كما راجع عما ورد عنها في تفسير آية المباهلة. لتراها ليست كغيرها من نساء العالمين وان الله طهرها وزكاها من الرجس.

وإذا ما راجعت الصحاح الستة والمؤرخين والمفسرين والمحدثين لوجدت متواتراً ان رسول الله ﷺ قال:

«فاطمة بضعة مني فمن أغضبها اغضبني» وقوله: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني من أغضبها» وقد جاء ذلك بالفاظ متعددة ونفس المعنى، راجع بذلك صحيح البخاري في المناقب ج ٥ ص ٢٧٤، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٢١٦ وسنن أبي داود السجستاني ج ١ ص ٣٢٤ والحافظ أبا عيسى الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٣١٦، وابن ماجة وأبا داود، وفي نوادر الاصول للحكيم أبي عبدالله الترمذي ص ٣٠٨ وخصائص النساء ص ٣٥ وصحيح مسلم ٢ ص ٢٦١ وابن أبي مليكة وابن عيينة والامام احمد في مسنده ج ٤ ص ٣٢٢ و٣٢٨ واليربوعي والطيالسي والهذلي وابن سعيد الثقفي وابن حماد المعري واغاني الاصفهاني ج ٨ ص ١٥٦ ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٥٤ وحلية أبي نعيم ج ٢ ص ٤٠ وسنن البيهقي الكبرى ج ٧ ص ٣٠٧ ومشكاة الخطيب ومقتل الخوارزمي، وتاريخ ابن عساكر ص ٢٩٨ وشفاء القاضي عياض، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٥٨ وصفوة الصفوة لابن الجوزي في اسد الغابة ج ٥ ص ٥٢١، وابن طلحة في مطالب السؤول وتذكرة السبط الحنفي ص ١٧٥ وكفاية الكنجي، وذخائر العقبى ص ٣٧ وشرح مختصر الاندلسي وتلخيص الذهبي ومواقف الايجي، ودرر الزرندي، ومرآة الجنان وطرح التثريب ومجمع الزوائد، وتهذيب التهذيب والجامع الصغير والكبير، والمواهب اللدنية وفي خميس القاضي المالكي وفي الصواعق ص ١١٢ و ١١٤ وخلاصة الخزرجي، وكنوز دقائق المناوي. وفتح المتقال للمغربي المالكي، ووسيلة المآل لأبي كثير المكي وشرح المواهب للزرقاني المالكي، وتاج العروس، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ومرقاة الوصول للدمشقي، ونثر اللآلئ للآلوسي وغيرهم. وقد جاء في شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٢١ المستدل به السهيل على ان من سبها كفر لأنه يغضب النبي وانها افضل من الشيخين، وقال الشيخ السمهوري: ومعلوم ان اولادها بضعة منها فيكونون بواسطتها بضعة منه. قال ابن حجر: وفيه تحريم أذى من يتأذّى

المصطفى ﷺ بتأذيه، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء فتأذت بـه فـالنبي يتأذى به بشهادة هذا الخبر، ولا شيء اعظم من ادخال الأذى عليها من قبل ولدها ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد .

سب فاطمة كفر هكذا قال أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفى سنة ١١٢٢ في شرح المواهب ج٣ ص ٢٠٥ :

استدل بها السهيلي ان من سبها كفر وتوجيهه انها تغضب ممن سـبها وقـد سوى بين غضبها وغضبه ومن اغضبه كفر. وجاء فـي الفـصول المـهمة ص ١٥٠ ونزهة المجالس ج٦ ص٢٢٨، ونور الابصار ص ٤٥ وهو آخذ بيد فاطمة: «من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي بضعة مني، هي قلبي وروحي التي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني». وقوله ﷺ: «ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها». أو قوله لها: «ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» .

راجع هذا في معجم الطبراني، ومستدرك الحاكم ج٣ ص ١٥٤ وصـححه، ومقتل الخوارزمي ج١ ص ٥٢ وتذكرة السبط ص ١٧٥، وكفاية الكنجي ص٢١٩، وذخائر العقبى للطبري ص٣١، ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٠٣، وميزان الاعتدال، وتهذيب التـهذيب ج ١٢ ص٤٤٣، وكـنز العـمال ج٧ ص ١١١، واخـبار الدول هامش الكامل ج١ ص ١٨٥، وكنوز دقائق المناوي، وشرح مـواهب الزرقـاني، والاسعاف ص١٧١ .وينابيع المودة ١٧٣ ـ ١٧٤، الآيـة ﴿ان الذيـن يـؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله﴾ و... الخ، فمن آذاها شملته الآية في اللعن والعذاب .

سرية اسامة

سنة ١١ للهجرة لاربع بقين من صفر عبأ رسول الله ﷺ آخر سرية بنفسه واهتم بالسرية هذه اهتماماً عظيماً، وامر اصحابه بالتهيّؤ لها وحضهم حضاً عظيما عليها ولم يبق احد من وجوه المهاجرين والانصار كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وامثالهم إلّا عبّأه بالجيش، وذلك ما أجمع عليه أهل السير والاخبار، كطبقات ابن سعد، وتاريخ الطبري، وابن الاثير، والسيرة الحلبية، والسيرة الدحلانية، وغيرها. وفي النوادر مما اورده الحلبي عند ذكر هذه السرية ج٣ من سيرته قال: ان الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبيٌّ ووراءه اربع مئة من العلماء واصحاب الطيالسة؛ فقال المهدي: أُفٍّ لهذه العثانين «أي اللحى» أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟ ثم التفت إليه المهدي وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال: سني ما أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولّاه رسول الله ﷺ جيشاً فيه أبو بكر وعمر. فقال: «تقدم بارك الله فيك، قال الحلبي وكان سنه ١٧ سنة» فلما كان من الغد دعا رسول الله ﷺ اسامة فقال له: سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغدُ صباحاً على أهل أُبْنَى وحرّض عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار، فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلّاء، وقدّم العيون والطلائع معك. بيد أن اليوم ٢٨ صفراً بدأ مرض النبي ﷺ فحمّ وفي

صباح اليوم التاسع والعشرين حين وجدهم متثاقلين خرج إليهم وحضّهم على السير، وعقد اللواء لاسامة بيده الشريفة. وقال: أغز بسم الله وفي سبيل الله، وقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف (كان عمر زمان خلافته يقول لاسامة: مات رسول الله ﷺ وانت عليّ أمير ـ نقل ذلك المؤرخون منهم الحلبي) ثم تثاقلا هناك فلم يبرحا بالرغم من نص النبي ﷺ على اسراعهم قبل وصول الاخبار، وطعنهم بتأمير أسامة حتى غضب ﷺ غضباً شديداً، فخرج ﷺ معصب الرأس محموماً مدثراً بقطيفة وكان يوم السبت يوم العاشر من ربيع ويومين قبل وفاته وصعد المنبر وقال: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة، ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبل وايم الله انه كان لخليقاً بالامارة، وان ابنه من بعده لخليق بها، وحضّهم على المبادرة إلى السير فجعلوا يودعونه ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ثم ثقل مرضه فجعل يقول «جهزوا جيش اسامة جهزوا جيش اسامة، ارسلوا بعث اسامة لعن الله من تخلف عن جيش اسامة» يكرر ذلك وهم متثاقلون حتى اليوم الثاني عشر من ربيع الأول (يوم الاثنين) دخل اسامة من معسكره على النبي ﷺ فامره بالسير قائلاً: اغد على بركة الله تعالى، فودعه وخرج إلى المعسكر، ثم رجع ومعه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إليه وهو يجود بنفسه، فتوفي في نفس اليوم. فرجع الجيش إلى المدينة وكادوا يعزلون اسامة لولا اصرار أبي بكر، فذهب اسامة وانتصر وعاد منصوراً، فكان نص رسول الله صائباً، ومن خالفوه ومنهم عمر الذي جاء أبا بكر على عزل اسامة فلم يرض، وكانوا يطلبون من أبي بكر الغاء البعث، فوثب أبو بكر واخذ بلحية عمر فقال: ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن انزعه. ذلك ما نقله الحلبي والدحلاني في سيرتيهما، وابن جرير في تاريخه وغيرهم.

وقد أورد الشهرستاني في المقدمة الرابعة من كتاب الملل والنحل: «جهزوا جيش اسامة، لعن الله من تخلّف عنه» فمن هو الذي تأخر؟ اليس الذين اغتنموها فرصة وكسبوا الخلافة رغم النصوص ولم يردعهم الامر واللعن، وحتى ما نعوا من الإتيان بالقلم والقرطاس لرسول الله ليكتب لهم ما لا يضلون بعده فقالوا: حسبنا كتاب الله، كأن رسول الله لا يعرف ذلك، وفاتهم ان رسـول الله لمـا نـص عـلى مجملات القرآن من صلاة وزكاة وغيرهما كانت سنته وكتابه ملزمان معا. تخلفوا وخالفوا وهم واثقون من مرض موته، وانه بعدما بيّنه في حجة الوداع، وأدلى لهم انه دعي ويجيب، جميع القرائن والشواهد دلت على انهم كـانوا قـد تـهيأوا لهـا ودبروها رغم النصوص والاوامر، وهم يعلمون أولاً وآخراً من هو أحقٌ بالخلافة. سبقه للإسلام، وقرباً لرسول الله، وعلماً وتقوى وشجاعة، وبـلاءً فـي الحـروب والوقائع، وتضحية عن حـياض الاسلام والرسـالة وأخـيراً الآيـات القـرآنـية والنصوص النبوية التي ارادوا محوها فأبى الله ذلك. بيد أنهم اوجدوا فرقة ومحنة في الإسلام (الذي يجب ان يعم العالم) فتسبّبوا في تصدعه وتفرقته وضعفه بـما بدأوا به وبما ختموا به اعمالهم في ايداع الخلافة إلى أشقى افراد اندمجوا بالإسلام والإسلام بريءٌ منهم .

تخلّف أبي بكر عن امر النبي ﷺ ومثله عمر

اخرج جماعة من الاعلام منهم الامام احمد بن حنبل ص ١٥ ج ٣ من مسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: ان ابا بكر جاء رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إني مررت بوادي كذا فإذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي فقال له النبي ﷺ اذهب إليه فاقتله، قال: فذهب إليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره ان يقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ قال فقال النبي ﷺ لعمر اذهب فاقتله. فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه أبو بكر عليهاقال: فكره ان يقتله. فأمر علياً بقتله فذهب ولم يره فقال النبي ﷺ: إنَّ هذا واصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم؛ يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم في فُوقه فاقتلوهم هم شر البرية. كما اخرج أبو يعلى في مسنده. وهكذا جاء في اصابة ابن حجر في ترجمة ذي الثُدَيَّة، عن انس ان رجلاً في عهد رسول الله كان يعجبنا تعبده واجتهاده ذكرناه لرسول الله ﷺ باسمه فلم يعرفه فوصفناه بصفته فلم يعرفه فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل ؛ قلنا هو هذا، قال انكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لعفة من الشيطان فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم فقال له ﷺ انشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم احد أفضل مني. قال اللهم نعم، ثم دخل يصلي فقال ﷺ: من يقتل الرجل، كما مرّ أعلاه. امتنع أبو بكر وعمر عن قتله ولم يدركه علي. وورد في العقد الفريد أن هذا لأوّل قرن يطلع في امتي لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان. إن بني اسرائيل افترقت

اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة كلها في النار إلّا فرقة (وفي حساب ابجد فرقة وشيعة متساويان وهي ٣٨٥).

قيل ان الرجل الذي أمر ﷺ بقتله، انما هو ذو الخويصرة التميمي رئيس الخوارج وهو الذي اعترض على رسول الله لما قسم غنائم خيبر وقال: ما عدلت. فغضب رسول الله ﷺ وقال: ويحك! فمن يعدل ان لم أعدل؟ وقد عدها الشهرستاني في ملله أول شبهة وقعت في الامة الاسلامية، ثم ثنّى بمنع عمر عن وصيته ﷺ ، ثم ثلث بتخلّفه وتخلف صاحبيه عن جيش اسامة، ثم ربع بإنكار عمر موته. وقد كان لابي بكر وعمر السهم الاعظم في الركن الاول لامتناعهما عن قتله وتركاه ليقوم بالتفرقة بين المسلمين ومروقهم عن الاسلام. وإذا قال الرجل لرسول الله ما عدلت في الاموال؛ فعملهم لرسول الله بعدم قتل الرجل إنما هو قولهم له ما عدلت في قتله، لأن الخطأ في الدماء اعظم من الخطأ في الأموال.

أعمال أبي بكر الدالة على نواياه الحقيقية

لقد برهن أبو بكر انه رجل سياسة لا رجل دين بكلما تقتضيه وانه بغية وصوله لاهدافه لا يمتنع عن اتيان كل شيء. وبعدها كيف يصبغها بالصبغة الدينية، ولو خالفت الكتاب والسنة وطالما بيده السلطة العليا الدينية والدنيوية فمن يجرؤ ان ينبس ببنت شفة ويعرض نفسه لا شد العقوبات الدنيوية والمخازي التي تسند له باسم الدين ومقاومة خليفة رسول الله مهما كان له من القدرة والجاه؟! وبعد فهو يعرف كيف يضرب ضربته القاصمة على من يناوئه باسم الدين وباسم الاسلام وهو في الوقت الذي يقوى ويشيد بانصاره واعوانه ويجمع حوله الأعوان بالتهديد والتطميع كما سترى ؛ تراه كيف يفتك الفتك الذريع بمن يخشاهم، ومن تحدثهم أنفسهم بابراز الحقيقة والواقع والاعتراف مهما كان وأنّى كان وأيّا كان : فهو يرسل لجلب وارغام أخي رسول الله ووصيه ووزيره عليّ بن أبي طالب واحراق بيته بمن فيه من أهل بيت الرسالة ممن نزلت فيهم الآيات وأيّدت طهارتهم وتزكيتهم من آية المباهلة وآية التطهير وآية الولاية ووو...الخ ما يزيد على ثلاثمائة آية، ومن اوصى بهم رسول الله وقال فيهم: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وقوله: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وقوله: «رضاء فاطمة رضاي وغضبها غضبي». وجميع الصحابة على الاخص أبو بكر وعمر يعلمون ذلك علم اليقين، وقد مر أن أبا بكر وعمر بعد أن فعلا ما فعلا ذهبا ليسترضياها ووسّطا علياً فاذنت لهما فسلّما فلم

تجبهما ثم انشدتهما بالله بما مر أعلاه وان اباها قال ذلك فيها فشهدا، فرفعت طرفها إلى السماء وقالت: «اللهم اشهد بانهما اغضباني ولم يرضياني»، وانها تشكوهما عند الله وتدعو عليهما بعد كل صلاة .

والجميع يعلمون النصوص الواردة في ولاية ووصاية وامارة واخوة عليٍّ لرسول الله، وانه امرهم بإطاعته في كل محفل ومجلس وواقعة وحرب، ولا ننسى يوم الدار وغزوة بدر واحد والخندق وخيبر ويوم غدير خم وحديث الثقلين وحديث الطائر المشوي وسد الابواب وغيرها وغيرها مما يرد ذكره وما مر ذكره. وهما يعرفان معنى الآيات، والنصوص وهما يعلمان ما ورد في الحسن والحسين قوله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وقوله: «الحسن والحسين امامان ان قاما وان قعدا وانهما ريحانتا رسول الله»، وقوله ﷺ: «ان الحسن والحسين ولداي وان عترتي منهما». هم يعلمون كل ذلك وبعده ماذا يعمل أبو بكر:

١ ـ اتباع رأي المغيرة بن شعبة بنقض امر رسول الله في بيعة علي بالولاية[1].

٢ ـ أبو بكر يأمر خالداً بقتل عليٍّ في الصلاة[2].

---

(١) عن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن سقيفة الجوهري في خبر عن أبي زيد قال: مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبي حين قبض فقال: ما يقعدكما؟ قالا: ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه، يعنيان علياً، فقال: تريدون ان تنتظروا خيل الحلبة من أهل هذا البيت؟ وسّعوها في قريش، فقاما إلى سقيفة بني ساعدة. وكان يرى لهما الرأي فلما اراد المقداد وسلمان وأبو ذر وعمار وجمع آخر من الشيعة الإخلال في أمر أبي بكر ارسلا إليه يسألانه عن الرأي فقال لهما المغيرة: الرأي ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هذا الامر نصيباً لتقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب كما تقدم. والمغيرة هو الذي يدفع عمر الرجم عنه لانه اول من خاطبه بأمير المؤمنين وكان أبو بكر لم يجترئ ان يتلقب بذلك. فانظر كيف اغتصبوا الخلافة وانظر الاعوان والمساعدين .

(٢) عن الفضل بن شاذان عن سفيان بن عيينه والحسن بن صالح بن حي وأبي بكر بن عياش =

٣ ـ يأمر عمر بأن يهاجم بيت فاطمة ويضرم النار فيه ويسبب اسقاط جنينها محسن(١).

٤ ـ أبو بكر يبدّل حد القتل والزنا في خالد بن الوليد باعطائه وسام سيف الله(٢).

= وشريك بن عبدالله وجماعة من فقهاء العامة ان ابا بكر أمر خالد بن الوليد فقال: إذا فرغت من صلاة الفجر وسلمت فاضرب عنق عليٍّ. فلمّا صلى بالناس في آخر صلاته ندم على ما كان فيه، فجلس في صلاته متفكراً حتى كادت الشمس أن تطلع ثم قال: يا خالد لا تـفعل مـا امرتك ثلاثاً ثم سلم. وكان عليٌّ يصلّي إلى جنب خالد يومئذ. فالتفت عليٌّ إلى خالد فإذا هو مشتمل على السيف تحت ثيابه فقال: يا خالد! أوكنت فاعلاً فقال إي والله إذن لو ضعته في أكثرك شعرا. فقال عليٌّ: كذبت، ولأنت أضيق حلقة من ذلك، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا ما سبق القضاء لعلمت أيّ الفريقين شرمكانا وأضعف جندا. فانظر إلى هذه الشنيعة وقد جعلوا هذا الحديث حجة في كتاب الصلاة في باب من أحدث قبل ان يسلم وقد قضى التشهد أن صلاته تامة.

(١) تقدم في كتاب معاوية جواباً على كتاب محمد بن أبي بكر: انه لما قبض الله نبيه إليه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على امره، على ذلك اتفقا واتسقا، ثم انهما دعواه إلى بيعتهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهمّا به الهموم وارادا به العظيم، وقد اراد عمر إحراق دار علي واراد أبو بكر قتله كما مر.

قال ابن قتيبة فدعا عمر بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها. وقيل له: يا أبا حفص: إن فيها فاطمة. فقال: وإن. فخرجوا وبايعوا إلاّ علياً فانه زعم انه قال: حلفت ان لا اخرج ولا اضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن. إلى أن قال: ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى اتوا فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نـادت بأعـلى صوتها: يا أبة يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة! ولما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع واكبادهم تنفطر وبقي عمر ومعه قوم فاخرجوا علياً فمشوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع، فقال: ان انا لم افعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو تضرب عنقك. قال: إذاً تقتلون عبدالله واخا رسول الله إلى ان قال فالقى عليٌّ نفسه على قبر رسول الله وهو يصيح ويبكي وينادي: يا ابن ام! ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

(٢) قال الفضل روى جرير بن عبدالحميد الضبي عن الاعمش عن خيثمة قال: ذكر عند عمر

٥ ـ تهديد عليٍّ بالقتل وأذاه حتى يذهب عند رسول الله فيبكي ويقول: أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[1].

= بن الخطاب قتل مالك بن نويرة فقال: «قتله والله مسلما ولقد نصبت في ذلك ونازلت ابا بكر فيه كل المنازلة. وفي قتال من منع الزكاة فأبى إلا قتالهم وسبيهم فلما رأيته قد لجّ به شيطانه في خطأ ما عزم عليه أسكت عجزاً عنه وخوفاً منه، ولقد ألححت عليه في ذلك يوماً حتى غضب فقال لي: يا ابن الخطاب! انك لحدب على اهل الكفر بالله والردة عن الاسلام فأمسكت عنه وقلت له: ولمبيح دمائهم كان احدب علي أهل الكفر منيّ» الايضاح. للفضل بن شاذان ص١٣٣ ـ ١٣٤، ط ٥ منشورات جامعة طهران عام ١٣٦٣ هـ ش، ١٩٨٤ م تحقيق وتقديم جلال الدين الارموي المحدث.

اقول فمن يسأل عمر: وأنت تعرف ذلك فيه كيف بايعته وسلطته على المسلمين وأخّرت من قلت فيه: اما والله لو وليها لأقامكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم؟ وإذا كانت غريزة حب الطموح الجأتك لنفسك فلماذا شيّدت بعدك ملك بني امية وانت الذي تفرست في عثمان وآل بني امية واعمالهم.

وكيفما كان ومع ان عمر وأبا بكر كنفس واحدة فقد شهد بتعطيله حد الزنا والقتل في خالد، وسخر منه بتلقيبه بسيف الله، وهذا نص الجزري فقال عمر لأبي بكر: ان سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك فقال: يا عمر: تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا اشيم سيفا صبه الله على الكافرين. وودى مالكا وكتب إلى خالد ان يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء، وقد غرز في عمامته اسهما فقام إليه عمر فنزعها وحطمها وقال له: قتلت امرئً مسلماً ثم نزوت على امرأته!

والله لأرجمنك بأحجارك، وخالد لا يتكلم يظن ان رأي أبي بكر مثله ،ودخل على أبي بكر فاخبره الخبر واعتذر إليه فعذره.

(١) وما قيل في عليٍّ انه سئل عارف عن فضائل عليٍّ فقال: ما اقول في شخص أخفى اعداؤه فضائله حسداً له، وأخفى أولياؤه فضائله خوفاً وحذراً على أنفسهم وظهر فيما بين هذين فضائل طبقت الشرق والغرب.

وقد روى أبو الحسن المدائني في كتاب أحداثه، وابن عرفة المعروف بنفطويه في تاريخه، وكلاهما من الاعلام كما روى ابن أبي الحديد أن معاوية كتب إلى عماله في جميع الآفاق: انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم واكتبوا إليّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم امه =

٦ ـ سلب فدك من فاطمة(١).

٧ ـ ماتت فاطمة وهي غضبى على أبي بكر وعمر (٢).

= وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى اكثروا من فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطايع، ويفيضه في العرب منه والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يجزي مردود من الناس عاملاً عن عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلّا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا ثم كتب إلى عماله: ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وناحية؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه احد من المسلمين في أبي تراب إلّا وائتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحب إليّ واقر لعيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضله فقرئت كتبه على الناس فرويت اخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى ساروا بذكر ذلك على المنابر، والقيَ إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم في ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلّموه كما يتعلمون القرآن، وحتىٰ علموه شبابهم ونساءهم وحشمهم الخ»، فاعتبر ايها القارئ.

(١) قال البلاذري في فتوحه: ان المأمون لما رد فدكاً سنة ٢١٠ كتب إلى عامله على المدينة بردها ونقل في كتابه ومنه: وقد كان رسول الله ﷺ اعطى فاطمة بنت رسول الله فدكاً وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا اختلاف فيه بين آل الرسول ﷺ، إلى ان قال: فلئن كان ينادي في كل موسم بعد ان قبض الله نبيه ان يذكر كل من كانت له صدقة أو هبة أو عدة فيقبل قوله وتنفذ عدته فإن فاطمة لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله ﷺ لها.

(٢) ابن قتيبة، قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة فانا قد اغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى الحائط فسلّما عليها فلم تردّ عليهما السلام إلى أن قال: فقالت فاطمة: أرايتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟، قالا: نعم فقالت: ناشدتكما الله! ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضاء فاطمة رضاي وسخط فاطمة من سخطي» قالا: نعم، سمعناه من رسول الله ﷺ قالت فاني اشهد الله وملائكته انكما أسخطتماني وما ارضيتماني، ولئن لقيت النبي لاشكونكما إليه. إلى ان قال: وهي تقول لأبي بكر: والله لأدعونّ الله عليك في كل صلاة اصليها.

=

٨ ـ أبو بكر وعمر يرعيان ويؤثران المغيرة لمعونته الفكرية لهما وعدائه لعليٍّ وآله قال ابن قتيبة في عيونه: قال محمد بن سيرين: كان الرجل يقول: غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة واستعمله على الكوفة[1] وذلك في زمن عمر وخلافته. ولم يكن رعاية المغيرة مختصة بعمر، فقد كان أبو بكر أيضاً يرعاه ويوليه اهتمامه. قال الفضل بن شاذان، روي عن عيسى بن يونس بن أبي اسحق الهمداني عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: «عرض على أبي بكر فرس فقال: هلّا فارس أحمله عليه؟ فقال فتى من الانصار: احملني عليه يا خليفة رسول الله قال: لا والله ؛ لأن احمل عليه رجلاً قد ركب الخيل على غزلته احبُّ إليَّ من أن احملك عليه. فقال: لِمَ؟ فوالله لأنا افرس منك أباً وأماً. فقام إليه المغيرة بن شعبة فركله برجله فدقّ أنفه، فسالت الدماء كأنها عزالى السماء فقالت الانصار: السلاح السلاح، لنقتله أو ليقيدنا منه. فبلغ ذلك ابا بكر فخطبهم وقال: ما بال اقوام يزعمون أني اقيدهم من المغيرة! والله لأن اجليهم من ديارهم هو اقرب إليَّ من أن اقيدهم منه»[2].

٩ ـ كلمة طلحة ابن عم أبي بكر في استخلاف عمر.

١٠ ـ عثمان كاتب أبي بكر يكتب عهد أبي بكر لعمر.

١١ ـ منع الخمس عن آل بيت رسول الله.

٩ و ١٠ ـ مما اورد الجاحظ في كتاب العثمانية عن الشورى وما خاطب به عمر افراد الشورى وكيف بدأ أولاً ان رسول الله مات وهو راض عنهم ثم فند قوله

= وقد قال الله في محكم كتابه: ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله واعد لهم عذاباً مهيناً﴾ (الأحزاب الآية ٥٧).

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة: ١/٢١٦ ـ ٢١٧.

(٢) الايضاح، الفضل بن شاذان، ص ٣٦١ ـ ٣٦٣. ط ١ منشورات جامعة طهران.

فيهم اخص بعضهم انه مات وهو غير راض واراد منهم طلحة وطعنه بما كان عثمان شريكا معه ولم يذكر عثمان بذلك لان عثمان هو الذي كتب العهد له وادخل اسمه، وأبو بكر مغميٌ عليه بينما كان طلحة يخالف أبا بكر في تعيين عمر، وقال طلحة لأبي بكر علمت مواقفه ولم يكن خليفة، فكيف إذا كان خليفة؟ وعثمان كان كاتب أبي بكر، ولما اراد أن يكتب عهده غشي على أبي بكر فكتب عثمان من نفسه استخلافه لعمر. فلما أفاق أبو بكر أمضاه فشكر ذلك له عمر ولذا دبّر له رجوع الخلافة إليه والدليل على ذلك، ما رواه السدّي في تفسيره للآية: ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً ان ذلك كان عند الله عظيماً﴾ وطلحة ابن عم أبي بكر. واراد عمر بالآية طلحة.

فانظر إلى هذه الفتنة الكبرى بعد ان خاطب عمر وأبو بكر علياً يوم غدير خم بالولاية وقالا له: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب لقد اصبحت وليّ كل مؤمن ومؤمنة وهما يعلمان بمكان ومقام عليٍّ من رسول الله ويعلمان كل شيء رواه رسول الله فيه. فهو أخو رسول الله ووزيره ووصيه وهو أبو عترته وأول الثقل الاصغر الواجب اتباعهم وهما قد سمعا الآيات القرآنية الواردة في علي وآله في يوم الدار ويوم نام على فراش رسول الله وانه في كل حرب لو لم يكن علي لما ربح المسلمون الحرب، والآيات النازلة فيه في كل حرب من بدر وأحد وخندق وخيبر وغيرها وكيف أوصى رسول الله بعليّ وابان مقامه في كل مرة وهما يعلمان ان كل تلك الوصايا وذلك المقام انما هو من الله إذ لا ينطق رسول الله إلّا بأمر الله ولا يجري إلّا ما يوحى له وكيف لا يعلمان ذلك وهما أي أبو بكر وعمر كانا مع رسول الله وأبَوَا ازواجه فهما يعرفان ما في مجلسه في الخارج وما بين ازواجه في الداخل ويعلمان ان من خالف رسول الله انما خالف الله ويدريان آية المودة ﴿قل لا اسألكم عليه من اجر إلّا المودة في القربى﴾ ومن هم القربى فقد ثبت بالتواتر انهم علي وفاطمة والحسن والحسين وإذا بهما يريدان قتل علي بعد أخذ مقام الخلافة

منه ويريدان إحراق بيت فاطمة وفيه علي وفاطمة والحسن والحسين وجمع من الصحابة ويسلبان منهم فدكاً التي منحها رسول الله لهم والآية صريحة ان الابناء يرثون الآباء ولم تنقض الآية فينقضها أبو بكر برواية منه مختلقة، وهل تنفي الرواية الآية. وهل يجوز ان يكون الخصم هو الحاكم وهو المنفذ وهل تجوز البينة على المدّعى عليه .

ومما لا شك فيه ان أبا بكر وعمر كانا تحت امارة اسامة بن زيد بن حارثة كباقي الجنود المحاربة وعليٌّ وحده الذي يرعى رسول الله، وقد شهد عمر بوصاية وعهد رسول الله لعلي يوم طلب القلم والقرطاس، وشهد انه منع ذلك، ويشهد أبو بكر ويظهر ندمه لأنه اسخط فاطمة .

أيها القارئ الكريم! ماذا تستنبط من هؤلاء وانت تعرف الآن ان السياسة كما مرّ وذكرناها، والدين كما مر وذكرناه؟ ألا تشهد انهم رجال سياسة لا دين (فيا للدين المضاع) نعم هما السبب في ايجاد ما اعوج وتفرّق وتشتت وضعف من الدين، وما وجدته من توسعة رقعة الإسلام وفتوحاته فهو بسبب القوة القاهرة التي بدأ بها رسول الله ﷺ لادارة الآلة فسحقت ما سحقت حتى إذا اصطدمت بالحواجز والعوائق توقفت عاجزة منهوكة. وهل يحق للتتر والصليبيين التبجح بالفتوحات .

الراوون في أبي بكر

من الامور الواضحة التي لا مراء فيها ان ابا بكر وصاحبه عمر لم تظهر لهما مع رسول الله في أي غزوة من غزواته شجاعة تميّز أيّاً منهما وتظهره بالمظهر الذي يمكن ان يبرز كمحنك شجاع ومدبر في الحرب، ولم يبديا آراء حكيمة تسجل لهما ما يجعلهما رسول الله ﷺ في مصاف المبرزين في الرأي، بل لهما ميزة واحدة هي انهما أبوا زوجتي رسول الله. كما لم يكن لهما سابقة كغيرهما من رجال الجاهلية المبرزين في عهد الجاهلية، والدليل الذي نستشهد به هو الحروب التي بدأت ببدر فكان مجموع الذين قتلوا كما جاء في العقد الفريد لابن عبد ربه في المحاورة والمناظرة لعلي الكاس المعلّى، وأنه وحده قتل من صناديد قريش اكثر من الثلث، ويوم حنين هم سبعة من بني هاشم بقوا مع رسول الله: عليٌّ يذبُّ عنه المهاجمين، والعباس لازم بزمام فرسه، وخمسة آخرون يحيطون به للدفاع عنه. واما أبو بكر وغيره ففي عداد الهاربين، ويوم الخندق كان الفتح بقتل عمرو بن عبد ود بيد عليّ، وكلما سأل رسول الله ﷺ المهاجرين والانصار هل من يبارز الرجل رجعوا حتى قام علي عليه السلام ومضى وقتل عدو الله. ولا ننسى يوم خيبر حيث اخذ أبو بكر الراية في اليوم الأول فعاد منهزماً وأخذها عمر في الثاني وعاد منهزما وذلك امام اليهود، ولم يفتح على يديه وينتصر إلّا من قال فيه رسول الله: ﴿والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرّاراً غير فرار لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه﴾ وماذا عني رسول الله بقوله: كرّاراً غير فرار، ويحبه

الله ورسوله؟ هل كان هذا الحديث المتواتر إلّا ضربة قاصمة لأبي بكر وعمر؟ وإلّا لما قال وأقسم أنه يعطيها لرجل يحبه الله ورسوله، وما هو المفهوم المخالف سوى انه قد اعطى الراية بالأمس وقبلها لرجل خلاف هذا، ألا يـدل فـي الوقت الذي يثبت ايمان علي وشجاعته ومراسه وتقدمه وحبه لله ورسوله وحب الله ورسول الله له هلّ يدل على ان ابا بكر وعمر كانا خلاف ذلك؟ وإلّا لما قال ذلك رسول الله، وعند قوله تطاولت الاعناق وبات الرجال ينتظرون بفارغ الصبر من هو هذا الذي نال منتهى الفخر وميز الجميع عند الله ورسـوله بـالايمان والتـقوى والشـجاعة والإقدام من هو هذا؟ ولم تتبادر الاذهان لعليٍّ والكلُّ يعلم انه ارمد ولا يستطيع ذلك.

وإني لأودُّ أن نتصفح حقائق تبرهن لنا مواقف يستحق فيها أبو بكر وعمر أن يكونا خليفتي رسول الله وما هي الميزة التي يمتازان بها. أهي سد بابيهما وترك باب عليٍّ مفتوحة؟ أم انهما خطبا الزهراء البتول ووافق رسول الله على خطبتهما. أم أبديا رأيا ارتضاه رسول الله وكانت فيه بادرة فتح، ورب قائل يقول في أبي بكر: إنه صاحب رسول الله في الغار وتلك آية الغار، فإني ارجو قائلها ان يراجع العقد الفريد ومحاجة المأمون مع الاربعين فقيهاً وعندها يعرف أن أبا بكر عـمل على خلاف ما يرضي الله حتى طلب منه أن لا يحزن، واما السكينة فنزلت على رسول الله. وايهما افضل: حزنه في الغار أم مبيت عليٍّ على فراش رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه في أي لحظة سيهوي القوم بسيوفهم عليه ليقتلوه وهو يفدي ابن عمه واخاه وينصر دينه، وإذا سأل أحد هل كان يقام الدين الاسلامي ويشاد بغير عليٍّ؟ وهل يستطيع أن ينكر قائل أن عمرو بن عبد ودٍّ وحده كان يقضي على المسلمين لولا عليٌّ في حرب الاحزاب (الخندق). ولنعد إلى اقرب وقت وعهد برسول الله وهو جيش اسامة، ذلك الجيش الذي كان فيه أبو بكر وعمر جنديين تحت قيادة اسامة الشاب، ولم يحصل لا أبو بكر ولا عمر على شرف البقاء إلى جنب رسول

الله ولا إمارة الجيش بل بالعكس .

وهذه الروايات الأكيدة المتواترة تشهد أنهما تخلّفا عن جيش اسامة، وأن رسول الله لعن كل من تخلّف عن جيش اسامة. وبعدها ماذا؟ مخالفة رسول الله في طلب قلم وقرطاس ومنعه من كتابة العهد من قبل عمر وبمرأى من أبي بكر وعلمه ورسول الله صاحٍ لم يُغْمَ عليه بالدرجة التي اغمي على أبي بكر ساعة أراد أن يكتب عهده إلى عمر ولم يكتبه هو انما كتبه عثمان .

أيها القارئ الكريم بعد ان استعرضت ما مرَّ تعال معي لترى اعمال أبي بكر وعمر في من احتج على خلافته مثل مالك بن نويرة فيقتل باسم الردة وزوجته ينزو عليها خالد بعلم من أبي بكر ولا يقيم عليه الحد، وهذا ما يشهد به عمر نفسه بل يقدم له وساما (انه سيف الله) وبعد غصب فدك من بضعة رسول الله وسخطها، وقد ثبت ان سخطها سخط رسول الله وسخط الله، وبعده الهجوم على دارها وإحراقها واخذ بعلها سيد الوصيين لإرغامه على ان يبايع أبا بكر واقصاء أيّ هاشمي من الحكم وتحكيم دولة بني امية وقد ثبتت مقولة عمر : إن انتخاب أبي بكر فلتة. وان أبا بكر رغم معارضة المهاجرين والانصار واصحاب رسول الله قد عهد بالخلافة لعمر، وعمر اسندها لبني امية استبداداً، ولم يشأ ان يجعلها نصاً وجعلها شورى بزعمه كانت اشد من النص المكتوب لعثمان وقد خلق انداداً لعليٍّ ما كانوا بالحسبان. وبتقوية واليه معاوية وإسنادها بعد ذلك باسم الشورى إلى عثمان والكل يدري أن عبدالرحمن بن عوف صهر عثمان وسعد بن أبي وقاص صهر عبدالرحمن وهذا ما يعلمه عمر ؛ لذا قال: فإن تساووا فالامر لمن كان معه عبدالرحمن بن عوف والكل يعرفون مقام عليٍّ في الاسلام وبلاءه فيه، وكم قال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر وسوف يأتيك آراء عليٍّ في زمن عمر وأن الفتوحات جرت على رأي عليٍّ وبعده يأتي معاوية فيروي عماله كما مر الروايات الكاذبة

في بني امية وعثمان ثم أبي بكر وعمر وتحريفه ما جاء في آل البيت بضررهم ونفع معاوية كما يلي:

١ ـ وقد مر ما روي عن المدائني في كتاب احداثه، وابن عرفة المعروف بنفطويه في تاريخه، وكلاهما من الاعلام وما روي عن ابن أبي الحديد ما عمله معاوية من ترويج الجعل والكذب في الخلفاء الثلاثة وبني امية وتحريف مناقب علي ونسبتها لاعدائه، ومن الروايات المنقولة التي لا تتناسب وسوابق أبي بكر وعمر كما مر.

قال ابن أبي الحديد لما قتل المشركون يوم بدر أسر منهم سبعون اسيراً، فاستشار رسول الله فيهم أبا بكر وعمر، فقال أبو بكر: هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وأرىٰ ان تأخذ منهم فدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على المشركين وعسى الله ان يهديهم بعد اليوم فيكونوا لنا عضداً، فقال رسول الله: ما تقول انت يا عمر؟ قال: أرىٰ أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه وتمكّنَ علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، اقتلهم يا رسول الله، فانهم صناديدهم وقادتهم. فلم يهو رسول الله ما قاله عمر وهوى ما قاله أبو بكر فأخذ منهم الفدية وخلّى سبيلهم فانزل عليه ما انزل. قال عمر: فجئت إلى رسول الله فوجدته قاعداً وأبو بكر يبكيان فقلت: ما يبكيكما؟ حدّثاني فان وجدت بكائي بكيت وإلّا تباكيت؟ فقال رسول الله: أبكي لأخذ الفداء لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه، قال عبدالله بن عمر فكان رسول الله يقول كدنا ان يصيبنا شرّ في مخالفة عمر.

انظر إلى هذه الرواية كيف تترك رسول الله لا رأي له ولأصحابه سوى ابي‌بكر وعمر ليستشيرهم، ثم تراه يمدح عمر وهو الذي قد اخطأ وأبو بكر

وعندها يقول قد عرض علي عذابكم وهو الذي أمر وعمل، وما هو القصد من هذه الرواية على سخافتها سوى ابداء رأي أبي بكر، وبعدها عظمة اجتهاد عمر، وبعدها لا يبالي مهما اصاب رسول الله من سخافة الرأي وقلة الابصار. بل وأبان ظلم الله لإنزال العذاب على من لم يقترف جرما.

٢ ـ وروى ابن أبي الحديد في غزوة بدر عن الواقدي أنه قال:

لما جيء بالأسرى كره ذلك سعد بن معاذ فقال له رسول الله ﷺ: كأنه شق عليك أن يؤسروا! قال: نعم يا رسول الله، كانت اول وقعة التقينا فيها والمشركين فأحببت ان يذلهم الله وان يثخن فيهم القتل. إلى أن قال ابن أبي الحديد: واما الحديث الذي فيه «لو نزل عذاب الله لما نجا منه إلاّ عمر» فالواقدي وغيره من المحدّثين اتفقوا على أن سعدَ بن معاذ كان يقول مثل ما قاله عمر بل هو المبتدئ بذلك الرأي ورسول الله ﷺ بعد في العريش وقد مر ما ذكرنا عن الوضع في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان.

٣ ـ واليك رواية أبعد عن المنطق، قال ابن أبي الحديد: ثمة حديث في المعنى أنه ﷺ لما اختلف أبو بكر وعمر قال «مثل أبي بكر في الملائكة كميكائيل ينزل برضاء الله. وعفوه على عباده والانبياء كإبراهيم إذ قال: فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم، وكعيسى إذ يقول: إن تعذّبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم ... الخ، ومثل عمر في الانبياء كنوح إذ قال: «ربِّ لا تذر على الارض من الكافرين دياراً» وكموسى إذ قال: «ربنا اطمس على اموالهم» وهكذاترى ان هذه الروايات من التي وضعت في زمن معاوية.

وما ذكر من فك الاسرى والفداء فقد جرى كل شيء حسب الآيات النازلة وما اوحى به الله على نبيه. وكانما إذ ينقلون ذلك عن عمر وأبي بكر واتباع آرائهم ان ليس هناك وحي ولا نبوة، أوليس هناك من المهاجرين والانصار ممن يعتد

برأيه سوى أبي بكر وعمر مع ما مر من انهم قيدوا جميعاً تحت امرة اسامة بن زيد وهو دون العشرين ولم تجد معارضتهم، وعندما تأخروا قال رسول الله ﷺ: لعن الله من تخلف عن جيش اسامة فكان أبو بكر يذكر ذلك ويقول: ليتني لم أتأخر عن جيش اسامة، ولم أُسخط فاطمة بضعة رسول الله ﷺ. واما من الآيات النازلة في الحرب والاسرى: ﴿ما كان لنبيٍّ أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً﴾[1] فاطلق لهم ان يأخذوا الفداء ويطلقوهم. وكلما عارض هذا فهو مدسوس وتحريف وجعل ويخالف العقل. ثم تعال معي إلى ما رواه الحميدي في الجمع بين رجال الصحيحين في سند عمر عنه قال رسول الله: رأيتني دخلت الجنة فإذا انا بالرميضاء امرأة طلحة وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا بلال.

ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب فأردت أن ادخله فانظر إليه فذكرت غيرتك فوليت مدبرا[2]، فبكى عمر وقال: عليك أغار يا رسول الله!، وهو من احاديث مسلم والبخاري في صحيحيهما فانظر كيف لا يبالي ان يخلق، من النبي من لا يتحاشى من الله ويتحاشى من عمر، وأن عمر رغم انه عظمه وجعل له قصراً في الجنة جعله من الافراد السَّيِّئي الظن وذلك بالنبي. وبعد كل هذا أيكون مثل هذا في الجنة التي لا لغو فيها ولا تأثيم؟!

---

(١) سورة الانفال، الآية ٦٧ ـ ٦٩.

(٢) صحيح البخاري ٢/١٩٥ ط مطبعة الحلبي بمصر باب ٧، فضائل اصحاب النبي والحديث هنا ملفق من حديثين. فتأمل.

معارضة عمر أول عصيان في وجه النبي

ما قال ابوالهيثم بن التيهان، وهو صحابي، شعراً:

ان الوصــي امــامنا ولـيـنا   برح الخفاء وباحت الأسـرار

وعن ذي الشهادتين :

وصيُّ رسول الله من دون أهـله   وفارسه إن قيل هل من مبارز؟

هكذا تجد ان الوصية تتلو النبوة في المقام من الناحية الإلاهية فهل هناك من يخرج عنها الخلافة وينصب نفسه خليفة لرسول الله وإذا شئتم سبر اخبار أكثر في الوصية لمولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام فدونكم مسند الامام احمد ج ٤ ص ١٦٤ وسنن ودلائل البيهقي والاستيعاب وابن عبد ربه، وكبير الطبراني، وتاريخ ابن مردويه، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٦١ و ٦٢ و ٦٣ وكنز العمال ج ٤ ص ٥٤ وج ٦ ص ١٥٥ و٣٩٣ و٤٠٣ للكنز، وما حرره الكتّاب، والحفاظ والمؤرخون .

ولقد ثبت ان رسول الله كرر وصيته وخلافته لعلي كما اعلن امارته وامامته وولايته على المؤمنين حتى في مرض موته باقرار عمر حين اراد كتابة العهد لعلي فمنعه عمر وقال: إن الرجل ليهجر .

اخرج البخاري ص ١١٨ ـ ج ٢ في صحيحه، ومسلم في آخر كتاب الوصية

والحميدي في الجمع بين الصحيحين، والامام احمد (ص ٢٢٢) من أول المسند، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٥٦٣، والكرماني في شرح صحيح البخاري، والنووي في شرح صحيح مسلم، وابن حجر في الصواعق، والقاضي أمير علي، والقاضي روزبهاني، والقاضي عياض، والامام الغزالي، وقطب الدين الشافعي، والشهرستاني، وابن الاثير، وأبو نعيم، وسبط ابن الجوزي، نقلوا أن النبي بعد حجة الوداع مرض وعاده الصحابة فطلب قائلاً «إئتوني بدواة وبياض لاكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي» كما ورد نفس المعنى بالفاظ مختلفة فقال عمر: دعوا الرجل فانه ليهجر! حسبنا كتاب الله!! فثار النزاع بين الصحابة، فمنهم من اسند عمر ومنهم من ناقضه، واراد إجراء طلب رسول الله فقال (لعمر): «قوموا عني فلا ينبغي عندي التنازع» وهكذا يقوم عمر في احرج ساعات رسول الله بمعارضته بل معارضة ألله وهو يدري كما صرح فيما بعد لابن عباس: انما اراد رسول الله ان يعهد الخلافة لعلي وانا ناقضته. ويظهر من معارضة البعض لعمر انهم كانوا على قرار وتدبير سابق لمثل هذا المخالفة ولم يكن ليخفى على رسول الله ذلك. وقد قال عمر فيما بعد إني منعته واستدل، وان الله قدر ما اردت فانظر إلى هذا المنطق وتناسى الآية: ﴿انا هديناه السبيل اما شاكراً واما كفورا﴾ .

وغربت عنه آيات الله، ان رسول الله ﴿وما ينطق عن الهوى * ان هو إلاّ وحي يوحى﴾ والآية: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وهل كان هو ادرى من الله ورسوله؟! وكيف جاز له ان يَصِمَ رسول الله بالهجر في مرض موته وهو يتكلم منهم ولا يَصِمَ أبا بكر حينما اراد ان يكتب العهد وأُغمي عليه وبقوله الله فضل ارادة عمر على ارادة رسول الله...!!! ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا﴾[1] ﴿إن الذين يؤذون الله

---

(١) سورة النساء، الآية ٤٢.

ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾ من سورة الاحزاب ٥٧ و﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانـتم تـعلمون﴾ آل عمران آية ٧١.

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ سورة النساء، الآية ١١٥.

و: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا * يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بـهم الارض ولا يكـتمون الله حـديثا﴾ و﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ سورة التوبة، الآية ٦٧. و ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله امراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾.

ايتظاهر عمر انه اراد خيراً وانه جرى على ما اراد، وأن رسول الله أخـطأ وهجر في قوله ويتظاهر بأنه انما يتبع كلام الله؟! ألم تكن كل تلك انما هي آيات الله وكلامه تمنع تشاققه مع رسول الله والله ورسوله أعلم؟ الآية ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * ان هو إلاّ وحي يوحى * علمه شديد القوى﴾ انـنسى قول الله ﴿انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم امين * وما صاحبكم بمجنون﴾ ؟

أليس عمر هذا هو الذي شك بنبوة رسول الله في صلح الحديبية وجـادل رسول الله ثم كذبه بقوله: انك اوعدتنا بدخول مكة، فرده رسول الله باننا سندخلها ونهاه أبو بكر عن هذه الشكوك والاقوال ؟

اليس عمر هو الذي غير نصوص القرآن فيما مرَّ وفيما سيأتي (راجع النص والاجتهاد للعلامة الامام السيد عبدالحسين شرف الدين)، أليس أبو بكر وعـمر

هما اللذين بايعا علياً وهنئآه يوم غدير خم كما مر ونقضا العهد؟ أليس هما اللذان نقضا عهد الله ورسوله في الآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾؟ أنسي أبو بكر وعمر آية الولاية في علي: ﴿انما وليكم الله ورسوله... الخ﴾ ؟

ان عمر بكلمته تجاه طلب رسول الله لاحضار دواة وبياض كي لا يضلوا بعده، ومنعه رسول الله، قصد إلقاء الفتنة بين الصحابة .

أول عصيان في الإسلام

بين موافق ومخالف؟ ماذا اراد بها وهو يعلم ان رسول الله انما اراد كتابة عهد لعلي كما صرح بذلك؟! أهذا يدل ان رسول الله يهذي ويهجر. أم أن عمر كان ادرى من رسول الله بما يريده؟ أكان رسول الله يهجر حينما تأثر وقال كلمته الأخرى:، قوموا عني فلا ينبغي عندي تنازع؟ من اوقع وأوجد هذا التنازع؟ من اغاض وسبب غيض رسول الله؟ ما هو سبب هذه الممانعة من عمر؟ لماذا قبل كتابة رسول الله ادّعى عمر انه ﷺ يهجر ولم يدعه ليكتب؟ أكان عمر يعلم الغيب عما يريده رسول الله؟ ألم يكن عمر قبلها اعترض على رسول الله مراراً كما مر في صلح الحديبية وفي فتح مكة؟ وفي القسمة، وفي جميعها رده رسول الله ﷺ، وبعدها ثبت صحة نظر رسول الله وخطأه، أما هذه فلا يمكن ابداً مقايستها بأخواتها، خصوصاً وأعقبها ما كان يكنّه عمر من النوايا، وثبت انه كان قد دبر جماعته لنقض العهد وسلب مقام الخلافة والانتقاض على الله وعلى رسوله، وتحدي الحدود والسنة، وما كان يخفى على رسول الله ﷺ فقد تنبأ بها وأخبر الامام علياً بقيام أهل الحقد عليه، واضطهاده بعد موته، واوصاه بالصبر والتجلد وعدم القيام. ومن يستطيع ان يثور على عليٍّ وهو الذي قضىٰ على شجعان المشركين، ولكن الاسلام لما ينتشر والايمان لما يثبت في قلوب القوم. والمشركون والمنافقون واليهود والنصارى بالمرصاد، ومن خالف حدود الله وسنن رسوله لا يهمه ان يصيب الاسلام بقدر ما يهم رسول الله ووصيه وأهل بيت

رسول الله، فوجدوا ان لا سبيل لهم غير الصبر ومراعاة الامور وتخفيف الشدة، فصبر عليٌّ كما قال في خطبته الشقشقية، صبر رغم ما تحسّسه من مرارة وشعر به من هضم حقوقه وحقوق المسلمين، صبر وهو يرى بعينيه تلاعب القوم وتنكرهم للإسلام وأهله .

أي تلاعب هذا بمقدسات أعظم أمة هي الامة الاسلامية!؟ أي تعدٍّ هذا على حدود الله ورسوله وتبديل وتغيير ما امر به وتخريب وتزييف اقواله وافعاله؟! أي تجاوز هذا على من نصبه الله مراراً على لسان نبيه للخلافة والوصاية وأخي رسول الله ووزيره وزوج ابنته البتول الطاهرة وأبي ولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، وعديل القرآن ونفس رسول الله والمنزه من الرجس، الصادق الطاهر الذي نصبه للقوم علماً مراراً وامر بإطاعته ونهى عن مخالفته، من لم يقم في حياته بمعصية، ولي الله على الجميع نفس ولاية الله ورسوله. أهذا يسلب مقامه ويؤمر ويحرق بيته ويهجم على داره وفيها زوجته الطاهرة، وولداه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ويساق حافي القدمين حاسر الرأس قهراً ليبايع أبا بكر، يبايع من بايعه قبل شهرين هو وجميع المسلمين هنأوه بالولاية والامامة، ويهدد بالقتل ان لم يفعل، إذاً ما هي المعصية؟ ما هي الردة؟ ما هو الغش؟ ما هو الكفر؟ ما هو النفاق؟ ما هي كلها؟ لنعد إلى الاحاديث النبوية تلك التي روتها الصحاح وأعلم علماء الجماعة، ألم يقل رسول الله ﷺ: فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله؟ ألم تر إلى الآية القرآنية ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله واعد لهم عذاباً أليما﴾؟ ألم يرد الحديث في عليٍّ حتى على لسان عمر نفسه أن علياً مولى كل مؤمن ومؤمنة؟، ألم يرد عنه وعن الصحابة ان عدو عليٍّ كافرٌ وفاسق ومناق، ألم يقل رسول الله: من أحب عليّاً مؤمن ومن أبغضه منافق، ألم يقل ما كرهك يا علي إلاّ ابن زنا أو كافر أو ولدت امه به على غير طهر. ألم ينه رسول الله ﷺ عن مخالفة عليٍّ وكرهه؟ ألم يأمر

باطاعته؟ ألم يقل عنه أنه يعسوب الدين وامام المتقين وقائد الغرّ المحجّلين ألم ترد فيه آية التطهير، والمباهلة والولاية وآيات يوم غدير خم؟ ألم يكن حبيب الله ورسوله في يوم خيبر؟ ألم تساو ضربة منه لعمرو بن عبد ود عبادة الثقلين؟ ألم يكن من رسول الله مقام نفسه ومقام هارون من موسى وباب مدينة علم رسول الله وما لا يعد ولا يحصى له من الفضائل؟ من مثله سابقة وعلماً وتقوى وشجاعة وتضحية وحباً لله ولرسوله واخلاصاً لدينه ومن احبه الله ورسوله مثله؟ فما بال هؤلاء القوم لا يفقهون؟ وما بال الشيطان اغواهم؟ إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. ولكن ما تقول في رجل يخاطب رسول الله بهذا اللفظ (ان الرجل ليهجر)، من هو الرجل يا عمر؟ أتقول لرسول الله! الرجل يهجر! والله يقول: لا ينطق عن الهوى ان هو إلاّ وحي يوحى، وفيه يقول ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، وقال تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله... الخ﴾، انظر إلى هذا التحقير من عمر وإلى ذلك التعظيم من الله لرسوله.

لقد اعترف علماء العامة ان القائل بكلمة الهجر والهذيان لرسول الله كان يجهل مقام رسول الله الشامخ والرسالة العظمى، نذكر منهم العلامة القاضي عياض الشافعي في كتاب الشفا، والكرماني في شرح صحيح البخاري، والنووي في شرح صحيح مسلم ان من تكلم بهذا الكلام كل من كان فقد كان تنقصه المعرفة ويحفه العجز بمقام صاحب الرسالة، اذ ان رسول الله يتلقى اعماله من قبل الله وهذا مما يجعله في حالة الصحة والمرض معتدلاً، وكلامه عن عقل متخذ من الكمال المطلق لا يمكن أن يَصِمَهُ أحد بوصمة إلاّ وكان الواصِمُ ناقصاً مطعوناً فيه وان كان هذا عن نبي أو رسول مثل رسول الله فلا شك وان القائل ينقصه التيقن والايمان ويحيطه الشك والضلال عن الحق والحقيقة، وقد ذهبت لدى ارباب المذاهب طالما ان الرسل يستمدون معرفتهم عن المبدأ الأعلى عن الله فان اقوالهم سيان في حالة الصحة والمرض، لا يستطيع أحد الطعن فيها، ومن عمل ذلك فقد كان كافراً

بهذه الرسالة وصاحبها. هذا إذا كان كلامه جزافاً، واما إذا كان مسبوقاً بمثله وتتلوه اعمال تخالفه فهو الغش والنفاق والكفر وما قصد به إلّا الفتنة والشقاق والخروج عن الصراط المستقيم والوفاق.

أول فتنة يبدأ بها في الإسلام

وللتأكد من صحة ما اقول نراجع أجل علماء العامة من السنة والجماعة كالامام الثقة حسين ميبدي في شرح الديوان حيث يقول: ان أول فتنة وقعت في الاسلام كانت في محضر رسول الله ﷺ في مرض موته إذ اراد ان يوصي ومانعه عمرواقام النزاع بين الفريقين واختلاف الكلمة بين المسلمين، وهكذا العلامة الشهرستاني في المقدمة الرابعة من كتاب الملل والنحل حيث يقول: ان اول خلاف وقع بين المسلمين هو منذ ممانعة عمر من طلب رسول الله للدواة والبياض لكتابة الوصية كما اشار ابن أبي الحديد لهذا في ج٢ ص٦٥٣، ولماذا لا يكون ذلك، فرسول الله معصوم ولا تفارقه العصمة في افعاله واقواله حتى الموت، لا سيما كما نجد من طلبه انما كان دالاً من فحواه على الرشاد والهداية ومنع الضلال، وبهذا خالف عمر رسول الله وخالف الله واثبت هذه في اعماله التي تلت ذلك بعد موت رسول الله والتجرّي على رسول الله في حياته أُخص منها ساعة الموت فانه قد وجه اضعاف ذلك إلى عترته ووصيه وخليفته بإقصائهم عن حقوقهم وتقديم حقوقهم إلى ألد أعدائهم من آل أمية وغيرهم، وكان المدبر لكل تلك الاعمال انما هو صاحبه أبو بكر ويشد أزره جماعة بدأها أبو عبيدة الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. وحق لبني أمية أن يحيوا لعمر وأبي بكر آثاراً ما أنزل الله بها من سلطان، وان يطمسوا حقائق من كتاب الله وسنة رسوله تلك التي تثبت مخازيهم ومنكراتهم، وقد خلقوا بذلك فضائل ودسّوا مفاخر وكرامات هي ابعد عن اهلها

بعد السماء عن الأرض. وأخفوا وطمسوا معالم ما كانت لتخفى على ذوي اللب إلّا من اضله الشيطان واعمى بصيرته وبات في سخط من الله .

من يقبل أن يقول ان أبا بكر وعمر اعلم واخلص واصلح من رسول الله على مصالح الاسلام، وهما حتى قبيل فتح مكة كانا يدامنان الخمر ونادَيها وبينهما أبو عبيدة وانس بن مالك وغيره. ان كنا مسلمين فان ذلك كفر وفسق مبعثه الجهل والعصبية الجاهلية التي جاء الاسلام لزوالها. أيصح أن عمر يعرف مصالح المسلمين احسن من الله ورسوله؟ أم هو يدري بحدود الله في القرآن وفهم آياته التي خالفها في نفس معارضته لرسول الله وقوله ان الرجل يهجر. ولقد قال رسول الله كراراً على رؤوس الاشهاد: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ان تمسكتم بهما فقد نجوتم ولن تضلوا أبدا» ﴿أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا وفي الآخرة يرد إلى أشد العذاب﴾[1] ويرى عمر مادام ان القرآن موجود فلا حاجة لنا بهداية رسول الله وارشاده، ولو سألناكم من احق ان يتبع: قول رسول الله. أم قول عمر؟ بل كلام الله أم كلام عمر؟ فإذاً ما جواب هذه الآية: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2]؟ ترى كيف يحتاج القرآن إلى من يعلمهم من رسول أو أولي امر، وقوله ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم﴾[3]، فمن أحق بالعلم؟ ومن هو حامل العلم؟ أرسول الله ووصيه أم عمر؟ فما جزاء من يشاقق الله ورسوله. لهذا ترى ان كلمة عمر منبع الفتنة والفرقة ومنشأ سخط رسول الله. اللهم غفرانك من عظم هذه الجرأة على رسولك والامة ترى بعينها ان عمر انما قصد منع رسول الله

---

(١) سورة البقرة، الآية ٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٨٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٤٩.

من العهد والوصية الخطّية امام رسول الله وقد كان أوعى وأصحى من حال أبـي بكر في مرض موته يوم اغمي عـليه واكـمله عـثمان فـي كـتابة عـهده لعـمر. وهكذاترى النعرة الجاهلية لا تزال تتجه إلى الشرك والنفاق وتحيد عـن الحـق وتبدل أوامر الله ورسوله. سبحان الله حين يقول: **﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾**. وقول الشاعر: أريد حياته ويريد قتلي، اهذا جزاء رسول الله؟ أهـذا جزاء عترته يوم قال: إني مخلف فيكم كتاب الله وعـترتي. ويـوم نـزلت الآيـة الكريمة **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾** يعني الهجوم على دار أهل بيتي وجمع الحطب لإحراقه وارعاب سيدة نساء العالمين وسيدي شـباب أهـل الجنة وأخذ وصيه حاسر الرأس حافي القدمين إلى أحد مواليه الذين بايعه قبل شهرين لإرغامه على ان يبايعه. فمن هم اضل سبيلا؟ أقوم موسى حينما خـلّف فيهم هارون واتبعوا السامري أم قوم محمد حينما قاموا بعد رسول الله وكانت هذه اعمالهم وتلك نتائجهم حتى اضطر إلى أن يذكرهم عليٌّ وهـم يسـحبونه: «أنـا عبدالله واخو رسوله»، ثم رمى بنفسه على قبر رسول الله باكياً قائلاً: «يابن أُم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» ماذا جناه عليٌّ وماذا جنته الزهراء وما جناه الحسن والحسين اهذا جزاء رسول الله أو هذا مبلغ ما أسداه عليكم من الرحـمة والاحسان لبئس ما خلفتموه في أهله. أهكذا تنقضون عـهد الله وعـهد رسـوله: **﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾** .

السقيفة والشورى والقصيدة

جاء عن الامام علي عليه السلام في الجلد السادس من نهج البلاغة في كلماته القصار (١٨١) انه حينما بلغه تسنم أبي بكر زمام الخلافة باسم الشورى احتج قائلاً:

وا عجباً! أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة؟! ثم أنشد:

فان كنت بالشورى ملكت امورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيَّب

وان كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

ولم نر أبا بكر يتمسك بغير الشورى من كرامة وأحاديث[1] وهو يعلم حق

---

(١) أحيل القارئ العزيز لمطالعة:

١ ـ ج ١٤ ص ٢١٥ ـ ٢٩٥ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الشافعي.

٢ ـ كتاب سفر السعادة للعلامة الشيخ الفيروز آبادي صاحب قاموس اللغة قوله: «ان ما ورد في فضائل أبي بكر فهي من المفتريات التي شهد بديهة العقل بكذبه».

٣ ـ قال العجلوني في كتابه كشف الخفا ص ٤١٩ ـ ٤٢٤ (فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه اشهر المشهورات في الموضوعات).

٤ ـ وكذّب السيوطي فضائل أبي بكر في اللآلئ المصنوعة ج ١ ص ١٨٦ ـ ٣٠٢.

٥ ـ راجع الأسانيد في موسوعة الغدير للعلامة الأميني ج ٥ وج ٦ وج ٧.

٦ ـ راجع كتاب الاحداث للمؤرخ الشهير أبي الحسن المدائني.

٧ ـ راجع تاريخ نفطويه ابن عرفه كما ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج.

٨ ـ راجع مناظرة المأمون مع الاربعين فقيهاً في العقد الفريد لأبن عبد ربه.

العلم بأن الخلافة والوصاية لا تعدو علياً نصاً في الكتاب والسنة، ومنطقة لما امتاز به علي عليه السلام في كل المجالات على الاطلاق: تلك التي ذكرناها ونبذاً منها في الجزأين المارين في أمير المؤمنين علي، التي اذكر بعضها على سبيل الاجمال بل التلميح في الابيات التالية التي جاريت بها البيتين المتقدمين لامير المؤمنين علي بن ابي طالب، والذي كان نفس رسول الله وامتداداً لحياته صلى الله عليه وآله وسلم بما ورد نصاً في الكتاب أخص آية المباهلة وآية الولاية وأحاديث رسول الله المسلّمة :

أخَصَّكَ فيها للامارة بينهم ... وهذا ابن زيد للامارة يندب
وما كنت إلّا واحداً من جنوده ... تخلفت حتى صرت باللعن تنكب
امرك في العشرين كرها تطيعه ... وانت بها شيخ تذل وترهب
فامرك في كفّي اسامة مائل ... ومولاكما في خم ذاك المجرّب
اتجهلدام قد تجاهلت أمره ... وانكاره كفر وظلم وارهب
وان كان فضل السبق اعطاك حقها ... فقد جئت في خمسينها تتقرّب
وان كان فضل السن ولاك دونهم ... فكان أبوك الحي بالسن انسب
ومن هو أحرىٰ من أبيك بسنّه ... مشايخ من خير الصحابة تحسب
وان كنت بالتقوى كرمت فلا ترى ... لتقواك فيها ما تميّز وتغلب
وفيها امير المتقين وسيد الـ ... ـوصيين اولى منك شأناً وأطيب
افقت الملا علماً وباب مدينة ... النبي عليٌّ للعلوم مصوب
أبليت فيها في الحروب مضحياً ... كفى خيبر خزياً بها حين تهرب
اكنت زكياً لم يدنّسك رجسها ... كأهل الكسا أم كنت للإثم تشرب
اهل قد برزت القوم فيها عدالة ... وبرا ولم تظلم بها حين تنصب
وظلمك أهل البيت تمنع خمسهم ... وعن فدك للغصب تروي فتكذب
اكان حرياً غصبهم وعداؤهم ... واغضابهم ظلم له الله يغضب
فقطعُهُمُ كفر وفسق ووصلهم ... يقين وباب للسعادة يطلب

فكيف برزت القوم فيها امارة ... ودونك من قد كان للامر اوجب
اخو المصطفى بل نفسه زوج فاطم ... ولايته دين عليك ومذهب
بخم لقد بايعته ورضيته ... وليا فمن أوداك بالنكث تقلب
أبو العترة الهادين من آل احمد ... بفضلهم القرآن كم بات يطنب
محبتهم تطهيرهم وولاؤهم ... وطاعتهم فرض وللحق مكتب
غصبت حقوق العالمين بغصبه ... فعادت لعهد الجاهلية تخطب
اعدتم بها من ذُلٍّ فيها مهدَّداً ... عزيزا وفي عزته بالقسر ينكب
ومزقتم الاسلام شرّ ممزق ... بسدعم ولاة قاسطين تغلبوا
حرمتم شعوب الارض من خير سيد ... اماما يقيم العدل فيها وينصب
اقمتم جهادا دونه لا لوصله ... وسنته الفت من القطع مجدب
فقلتم كتاب الله قولا ودينه ... جهارا ودون الجهر بالفعل تحجب
ولاتكم من كان حربا لدينه ... وخلفتم للامر ما هو اعجب
واقصيتم ركنا يلم بسرّها ... وسنته الغراء بالمنع تعطب
وخضتم بلاد الله حرباً لتنشروا ... أباطيل يأباها الكتاب وتنبهوا
فباتوا عبيداً حيث شاء يحرروا ... وقد ارغموا بالجهل جهلاً وسلبوا
حضارتهم تمحى وتفنى علومهم ... ويحكمهم من كان للكفر ينسب
وكيف تروم الحق من غير أهله ... وترجو التقى والدين ممن تقلبوا
تسوليتها قهراً خداعاً وغيلة ... وقد غلبتك النفس والنفس تغلب
ومثلك لا يخفى لك الحق أهله ... وكان حرياً فيك والسن أشيب
تعيد لاهل الحق حقاً غصبته ... وان تتقي ذنبا ولله مهرب
فعدت بها انكى وأدهى تقاتها ... وصيرتها في حوزة هي انكب
زرعت بذور الشر ثم سقيتها ... بأيدٍ تكن الكفر والثأر تطلب
فبثت كما شاءت فسادا وأقبلت ... بمعولها ما شيد هدما تخرب

نـفاقا وكـفراً كـيف تأتـي تـتاجها ... مع الظلم غير البغي والاثـم تـجلب

فسبقك في الاصـرار عـمداً وعـارفاً ... لنـفسك ثـم العـطف للـغير يـغصب

كأنك مـــا آمـــنت إلاّ مـخادعاً ... وبالوصل رمت القطع فيها وتسلب

نـفاقاً وكـيداً بـعد طـول مـودة ... وصـداً واجـحافاً تـزيد وتسـهب

لك الويل يوم الحشر ان جاء شـاهداً ... وخصما لك المختار ما كنت تـعرب؟

السقيفة الفتنة الكبرى (ام الفتن)

بعد ثلاثة وعشرين عاماً مرت على ذلك الجهاد المرير الذي قام به رسول الله واخوه وخليفته ووريثه علي بن أبي طالب ﷺ منذ العهد الجاهلي المغمور في الظلمات، ظلمات الجهل والفقر والفاقة والانحطاط الاجتماعي والصحي والخلقي. بعد ذلك العهد الذي كانت الجزيرة العربية طعمة مبتذلة لجيرانها من الفرس والرومان وحتى الاحباش واقلها في الحجاز. وأخص منها مكة البلاد التي حرمتها حتى الطبيعة من الماء والهواء العذب لدرجة لا يطمع فيها الغازي والفاتح لا بثراء ولا بجمال ولا كمال، منذ ذلك العصر وإذا بمحمد ﷺ ذلك الذي بعد انقضاء دور الطفولة والشباب وهو يتدبر القيام بمهمة بما اوتي من موهبة روحية وفكرية لم يسبق لها مثيل في عالم البشرية، وقد شاء الله عز وجل أن يكون ظهوره معجزة المثال البشري على وجه هذه البسيطة بما اوتي من عقل وتدبير وحكمة وكفاح وجهاد وتحمل لأشد الصدمات والاهوال من أفراد وجماعات تفانت في العصبية الجاهلية والذود عن الشرك والعادات والاخلاق المستهترة، سارحة في بحبوحة من التعاسة والنعرات القومية، يستحل فيها القويُّ الضعيف لأقصى ما يتصوره الفكر، وينزل فيها الفرد لأقصى درجات الخسّة، امام الشهوات والغرائز الجنسية، تتحكم فيهم العادات والطبائع التي نأت عن الصفات الانسانية، وابتعدت عن المنطق السليم. يعبدون احجاراً نحتوها بايديهم، ويعتقدون بسخافات واوهام يأباها من له ذرة من العقل السليم، ويستحلون لفقرهم وفاقتهم وجهلهم وقساوتهم

وأد بناتهم حيّات ولا يمنعهم عن الرذيلة ـ مهما بلغت ـ إباء أو شمم غير طمع أو فزع. وكانت العصور المتمادية والاصقاع القريبة والنائية بعد طول العسر وشدة القسر قد جمعت ما فيها من فضائل وحسن وكمال وجمال في هذه الموهبة العظمى، وشاء الله سبحانه عزَّ وجلَّ ان تبزغ شمس الحكمة ويتفجر ينبوع السعادة على العالم أجمع في هذه الديار، وإذا بها تتلبّس في عالم جسماني يودع في عبدالمطلب لينشطر إلى قسمين ليعود بعد بضع سنوات لاتحاده الروحي فيكون منه محمد ويكمله بعلي جسمين في روح واحد يشد الواحد ازر الآخر مادة ومعنى، فيشد الواحد عضد الآخر شداً لا ينفصم فيكون الاول نبياً والثاني وصياً ووزيراً، وعلى اكتافهما تقام ارقى حضارة عرفها البشر من الحضارات الانسانية الواقعية، واجل دين وعقيدة كان لها ان تبعث بالبشرية لاقصى ما ترجوه من السعادة، قائمة على المنطق السليم والمنهج القويم، تلك التي كان يحلم بها ويتمناها اعظم فلاسفة العالم وحاروا في الوصول إليها كسقراط وافلاطون وارسطو ومن سبقهم وتلاهم.

وفي خلال تلك الفترة القصيرة من الزمن وإذا به يصدع بأمر من الله سبحانه ليؤسس في القوم المستضعفين امبراطورية قوامها الايمان بالله ومستنده إلى العقل والمنطق السليم، تؤيدها الارادة والاخلاص، وضع مناهجها واسسها واكملها واتمها بعترته أهل بيته وفي طليعتهم ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام خليفته من بعده وشقيق نفسه وشريك علمه وحكمته وتدبيره، فقال وقد دُعيّ إلى الله: «أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي» واوضح لهم السبيل، واقام لهم الدليل، وبيّن لهم النهج فكان عليٌّ وصيه واخاه ووزيره وباب علمه وسفينة نجاة أمته، والميزان الفارق بين المؤمنين والمنافقين، ويعسوب الدين، وامام الغر المحجلين، وقدوة المتقين، ووزيره وحبيبه وحبيب الله العالمين، ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم دعاهم في غدير خم

وأخذ البيعة العامة له هناك، وهنأه الرجال والنساء آنذاك، واخص منهم أبا بكر وعمر بن الخطاب، وأخذ جبرائيل العهد على عمر كيلا ينقضه حتى قريب وفاته ﷺ، واوفدهم مع اسامة ولعن من تخلف، وقد تخلفوا، ثم دعا بمحضرهم بدواة وقرطاس، ليضع العهد كتابة وقد رأينا كل ذلك وكيف كانت بمخالفة عمر أول فتنة في الإسلام، حتى إذا قرب الأجل وتمت الوصية، وبدأ علي عليه السلام باجراء وصية رسول الله لتغسيله وتكفينه ودفنه؛ اغتنم عمر فرصة اجتماع الانصار في السقيفة فأتى إلى دار رسول الله وفيها بنو هاشم وأجلّ الصحابة يستدعي أبا بكر وحده من بيتهم، وكان قبلها قد خلّف وراءه هو وأبو بكر جيش اسامة خارج المدينة بما في الجيش من أجلّ المهاجرين والانصار وبادرا إلى السقيفة، وفي الطريق يصحبهما أبو عبيدة بن الجرّاح ويدخلون السقيفة وإذا بالاوس والخزرج قد اجتمعوا لانتخاب امير بينهم وكانوا قبلها بليلة قد القوا التفرقة بينهما (أي بين الاوس والخزرج) واغتنموا الفرصة للخلاف بينهما فتقدم أبو بكر ليبايع احد الرجلين عمر أو أبا عبيدة ودون علم من بني هاشم، ودون علم من الصحابة الحاضرين في تغسيل رسول الله، ودون علم من الباقين الذين هم خارج السقيفة، ودون علم من جميع الاقطار والمدن والقرى القريبة أو البعيدة، سواء كان في المدينة أو حولها، أو مكة أو حولها أو اليمن وما فيه، أو الجزيرة بما فيها من مسلمين. هكذا كانت بيعة أبي بكر وقد سبق الدخول في السقيفة تهديد عمر لكل من يقول ان رسول الله قد مات، لأنّ أبا بكر كان غائباً حتى إذا حضر السقيفة وبويع؛ انتهت مهمته وبعدها خروجه وسحب كل من شوهد في الطريق لمبايعة أبي بكر.

هذه صورة مختصرة عن الجهود التي بذلها محمد ﷺ حتى كوّن تلك الامبراطورية، وبعدها الدسيسة والفتنة الكبرى للانتقاض، ونقض أبو بكر وعمر عهدهما للخلافة الاسلامية التي زعما ان الامة اجمعت على انتخاب الخليفة، ونحن بعد ان ادرجنا مختصراً من الواقعة نعود لتفصيلها باحثين عن الامر لانواع

الانتخابات التي جرت وتجري في العالم من القديم إلى اليوم وبعد سرد نظرية افلاطون لانواع الحكومات في جمهوريته ونظرة لاصلح الحكومات لجمهوريته، ونظرة في علم النفس وعلم الاجتماع والتربية والوراثة والمحيط، وبعدها نسرد نظرة الاسلام مع ما يتبعها من آيات قرآنية وروايات نبوية حول الموضوع، ونظرتنا بعد كل ذلك ولو تحقق ما اراده رسول الله ﷺ .

الحكومات وانواعها في العالم

كيف بدأت الحكومات ؟

لا شك في ان هذه الدراسة بحاجة إلى تأليف لشرح انواع الحكومات منذ أبعد العصور البدائية إلى اليوم، مستعرضين فيها ما قامت فيها من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال الى الجنوب، وتدرجها وتطورها منذ تشكيل العائلة فالقبيلة فالقصبات فالمدن، فالحكومات الصغيرة فالكبيرة، وتفشي الحضارات والثقافات وتأثيرها على الافراد والجماعات، ووضع النظم والقوانين وحدود لحقوق الفرد والجماعة حتى يومنا هذا.

وبصورة مجملة لا شك في ان المجتمعات تدرجت من صغيرة إلى كبيرة فاكبر واكبر حتى بلغت الامبراطوريات الواسعة، ومن جاهلة الى اقل جهلاً وتدرجت بالعلم والثروة إلى ما هي عليه اليوم، ولقد كانت لأدمغة المفكرين والنوابغ واحتكاك الافراد ببعضهم، والفقر والثراء ومتطلبات الراحة والرفاه ،وظهور الانبياء والرسل والدعاة إلى الانسانية لتهذيب النفس بالنسبة للفرد والافراد بالنسبة لبعضهم، والدعوة الانسانية من حين لآخر بسبب ما يرتكبه الانسان من المظالم فيشقي بذلك نفسه وغيره، وما يعكسه هذا من رد فعل خلق فيهم وعياً ودعوة لاقامة اسس للحكم والعدالة الانسانية، والابتعاد عن المظالم، ووضع قوانين مستمدة من المنطق والعدالة والعرف والعادة في كل قبيلة ودويلة

فدولة، وتأثير الواحدة على الاخرى، وتبادل الآراء وانتقال الحضارات والثقافات من احداها للاخرى .

انواع الحكومات

وقد كانت في البدء العائلة أساس الجماعة حتى إذا توسعت وتكاثرت وضمت العائلة بعد توالدها عوائل كانت قبيلة فقبائل متجاورة انضمت إلى بعضها بناء على الغريزة الانسانية لحب الظهور والتسلط، ولنفس السبب ظهرت الحكومات البدائية والدويلات المتجاورة فالاكبر يضم الكبيرة والصغرى طبق القانون الطبيعي، حتى تشكلت الدول، والدول الكبرى، وفي كلّ شعوب متمايزة بحضاراتها وتمدنها، وفيها ظهر تبادل الآراء في مختلف العلوم، منها الفلسفية والحكمية وسائر العلوم الاجتماعية والطبية والسياسية وغيرها، وكانت ولا شك بحكم الغلبة والحروب أكثرها حكومات استبدادية مطلقة تحت نفوذ سلطة مطلقة تستمد نفوذها من رئيس الدولة؛ وهو الملك أو قل ملك الملوك، وخلال ذلك ترى في الشرق والغرب السلطات القانونية المتنفذة، فمن الناحية الروحية والنفسية من الكهنة ورجال الدين أولئك الذين كانوا على الأغلب بأيديهم وتحت نفوذهم أهم العلوم الاجتماعية والتقنية والطبيعية وما وراء الطبيعة وبعض السلطات التي كان لها تأثيرها على السلطات العليا نفسياً! كما ترى ذلك في بلاد مصر وبابل العائدة لتأثير المعابد، وبعدها اليونان وبلاد فارس خصوصاً حينما نهض فيها العلماء والمدرسون من طبيعيين وما وراء الطبيعة، وتوسعت الافكار، ووضعت حدود وموازين لاستبداد الملوك ورجال الدين، وقامت الرسل والانبياء لاستفزاز الناس والاهابة بهم لصد المظالم وردع المفاسد ؛ عندها تحددت السلطات العليا في بعض الدول، وتشكلت عوض السلطات المطلقة من فرد واحد إلى عدة سلطات

تقوم بهذه المهمة لإدارة دقة الحكومة، كما نرى ذلك في اليونان من تشكيل القناصل، والرومان، ونزع بعض السلطات واعطائها للمراكز الدينية، وظهور الفكرة الديمقراطية البدائية، والارستقراطية الافلاطونية التي سنورد شرحها فيما يلي، حتى دخلت انظمة الكنائس في اوربا وظهرت قدرتان متنافستان في اوربا منذ اعتناق الدين المسيحي فيها، وتسلط هذه بمعتقداتها حتى على السلطات والحكومات فيها، وظهور حكم استبدادي جديد في الغرب، وانهيار اجتماعي في الشرق، يفاجأ العالم بالعقيدة الاسلامية الفذة، تلك العقيدة التي بلغت بالانسان وما يحمله من المزايا وما يجب ان يتمتع به من خصال لبلوغ سعادته؛ حدوداً من الكمال لو انصاع إلى رسولها الانساني الكريم، وما خطه له من الخطط العظمى؛ لساد السلام والرحمة والسعادة بين كلّ فرد وجماعة، ولأصبح افراد البشر بما فيهم من أسود وأحمر وأصفر وأسمر وأبيض في الشرق والغرب والشمال والجنوب على اختلاف لغاتهم وطباعهم وعناصرهم واذواقهم متساوين في الحقوق والواجبات تجاه الآخرين، ولسادت المحبة مكان الضغينة وما تجرأ ان يعتدي من زاغت نفسه أو طغى هواه على الغير تحت تربية عالية متينة ذات اصل متين واحد بحكم العدالة والبر والاحسان والتعاون والمحبة المتبادلة؛ إخوانا صدقت نياتهم مع اعمالهم.

ولكنهم ما ان اغمض هاديهم ومرشدهم ورسولهم الأعظم عينيه بعد ان اوضح لهم الطريق وأنار السبل وأدلى بالحجج، وانذرهم الله الفرقة والمخالفة والخروج عما اوصاهم فقال: **﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على... ﴾**[1] نعم من انقلب، فقد أضر نفسه وقومه، وقد خط لهم الخطط ووضع لهم الاسس وارشدهم بقوله: «إني تارك

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا» وقال لعلي عليه السلام وصيه وخليفته وهو يدري لما قال واوصى أنه سيلقى منهم اضطهاداً فأوصاه بالصبر والتجلّد وقد رتب ما يلزم للفتح وتعميم الدين. وما ان اغمض عينيه حتى نقضوا واختلفوا واغتصبوا مكان الثقل الثاني مكان عترته، تلك العترة التي لا تسير دفة الامور إلّا على عواتقهم فهم المفسرون لمجمل كتاب الله، وهم الحاملون لعلم نبيهم كما قال رسول الله لعلي: «إنك لتقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل».

نعم؛ قاتل رسول الله على تنزيل القرآن، وبات تأويل القرآن بعده لباب علمه وهم علي وعترته الثقل الثاني فماذا كانت النتيجة إذاً ابدلوا اوامر الله ونقضوا الاخرى فسار الدولاب الذي وضعه رسول الله لأمد، ثم وقف واذا به ليس بيد اهله فعاد الضعف بعد القوة، والتفرقة بعد الجماعة، والخذلان بعد الأُلفة.

ثم نعود لنرى اوربا المسيحية التي تأثرت بالحضارة الاسلامية الباقية تستثير علماءها وجهالها وتنهض بعد طول الرقاد، وتهيب بالناس لحقهم المسلوب ونبذ الظلم والاستبداد، فتقوم الثورات الدينية على الكنيسة وبعدها الثورات على ملوكهم، فتحطم الاولى تمثال الكنيسة وتفسخه، وتهدم الثانية صرح الملكية الشامخ وتنزله فتقوم بعده حكومات سمّوها ديمقراطية تحت سلطة الشعوب مع حفظ حق الفرد، واخرى شيوعية تحت سلطة الجماعة مع حق الجماعة، وقامت ثالثة فاشية لتساوي بينهما وتعيد الحكم المطلق بأسماء اخرى، وقامت بينها الحروب، ولا زال السجال والحرب بينهما قائمة حتى اليوم.

تلك صورة مجملة من حكومات العالم منذ بدء التاريخ إلى اليوم وكل منها من مطلقة وارستقراطية وديمقراطية وشيوعية ما وفت بالحق لا للفرد ولا للجماعة وكلها لا زالت وبالاً علينا وسخطاً على انفسها، ساقت للبشرية باسم الانسانية

أعظم المجازر والويلات، وجنت على نفسها أمرٌ ممّا يجنيه علىٰ نفسه الجـاهل والمجنون وما يفعله العدو بعدوه .

فالحكومات اليوم على عدة انواع: مطلقة ؛ كالملكيات القديمة: بيد الملك جميع السلطات الدستورية كاليوم ومنها ملكية ديمقراطية وذات سلطات ثلاث :

١ ـ السلطة التشريعية ذات مجلسين مجلس النواب ومجلس الاعيان فيهما تُسَنُّ أو تعدل أو تبدل القوانين، وترسل لتنفيذها إلى السطات الاخرى بعد توقيعها من الملك .

٢ ـ السلطة القضائية وهي مركز العدالة والمحاكمات في البلاد بما فيها من درجات وشعب، وهي مراكز التظلم وإحقاق الحق وشكـاية الشكـاة ومـلاحقة المجرمين واصدار الحكم لتنفيذه .

٣ ـ السلطة التنفيذية وهي الحكـومة بـما فـيها مـن الوزارات والادارات الرسمية وغير الرسمية .

والملكية هذه تختلف من حيث نفوذ الملك في السلطات الثلاث فمنهم من يرشح ما يلزم اجراؤه من السطات وهي جميعاً ذات صيغة ظاهرية لا تقوم بأيّ عمل صغير أو كبير إلّا بإرادته، وما لها أيُّ قدرة على العمل إلّا إذا شاء فهي حكومة دكتاتورية مطلقة في الحقيقة .

واخرى ليس لها أي صفة ممّا مرّ اعلاه سوى ذلك الترشيح والمظهر القديم لتوحيد السلطات وليس لها أي مداخلة غير الترشيح، وثالثة يختلف ملكها فـي حق المداخلة في أمور السلطات وهي قائمة على نظام حقوق الفرد ومصالحه في الاجتماع .

وجمهورية ديمقراطية يتمتع رئيس الجمهورية بنفس ما يتمتع به الملك من

السلطات. ومن رؤساء الجمهوريات من فرض نفسه فرضاً على الشعب وان شكّل تلك السلطات الثلاث وسمّي رئيساً فهو في الواقع دكتاتور مطلق. واحيانا قد يتقيد بافراد باسم هيئة القيادة أو الشعب؛ بيد أنه لا يجرؤ أحدهم على مخالفته في كثير من الاحيان. فهو إما دكتاتور مطلق أو شبه دكتاتور.

أ ـ الحكومة الشيوعية:

وتختلف عن الاولى من حيث النظام الاقتصادي الجمعي وان كل شيء في الدولة مشاع للجميع، ولخدمة جمعية وليس الفرد كالديمقراطية بل هو مصهور في الجماعة ليس له إلّا ما للكل، والسلطة التشريعية بيد القيادة الكبرى للجمعية وبيدها كل مقادير الدولة في الداخل والخارج، وليس للفرد أي سلطة واسعة كالديمقراطية في كل شيء، أخص منها الملكية وحرية اقتناء النقد والمال.

ب ـ الفاشية:

وهي التي تحاول ان تجمع بين النظام الديمقراطي والنظام الشيوعي فتحفظ للفرد ماله من الحقوق في الحكومة الديمقراطية على ان تحدده من بعض الجهات كالملكيات الواسعة والمرافق العامة. وبهذا التحديد تحافظ على حقوق المجتمع من الناحية الاقتصادية وبنفس الوقت تراعي حق الجماعة من الناحية العامة. وكانت تمثل الحكومات الديمقراطية وتتزعمها من الملكيات: الدولة البريطانية.

وتتزعم الجمهوريات: الولايات المتحدة الامريكية والجمهورية الفرنسية وكانت تتزعم الحكومات الفاشية: ألمانيا الهتلرية، وايطاليا الموسولينية، وتتزعم الدول الشيوعية: روسيا، وجمهورية الصين الشعبية.

أمّا الإسلام فقد جاء بنظام جامع لم يسبقه من قبله ولا لحقه من بعده .

جاء بنظام يمثل الديمقراطية الواقعية بصورة تشمل الشيوعية، فهو يخدم الفرد لأقصى ما يمكن ان يتصوره العقل، ويخدم الجماعة ووضع حقوق البشر لغاية ما يمكن ان يتوخاه الواصفون، فهو في فترته القصيرة وضع أسساً اجتماعية واقتصادية واخلاقية في غاية المتانة، كما حدد القوانين الحقوقية والجزائية وأصول المعاملات والأحوال الشخصية لولا ما شابَهُ المغرضون، وازال كل ما يورث التفرقة والشقاق والنفاق، كما أمر بالبرّ والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لولا من خالف تلك الشريعة السمحاء وشوّهها وغيّر حدود الله بأوامره ونواهيه، وسنّ أساس الظلم والجور والإجحاف، وبدل وغير كما رأينا وما سنرى .

جمهورية افلاطون

طالما تغلب العقل البشري السليم وحكم بالصواب صارخاً بالناس، مبشراً ومنذرا، على لسان الحكماء والفلاسفة والانبياء والرسل، وقادة البشر ذوي المنطق الصائب والارادة المحكمة، متأثرين بما شاهدوه من الانحطاط العقلي والانجراف الى الرذيلة والظلم والاستهتار، وتدهور الفكر الانساني إلى هوات الجهل والتعاسة فخطبوا الجماهير وأوضحوا لهم سبل الحياة، وجاهدوا وضحّوا في سبيل العدالة واستعادة الفرد وعيه وصوابه، فخلّفوا تراثاً من النظم المقدّسة وسمو العقل البشري ؛ خلد ذكراهم: كسقراط وافلاطون والفارابي وابن سينا ويوحنا وكونفوشيوس: حكماء من الاغريق والاسلام والهند والصين، ومن الانبياء كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ .

وشرح سقراط الفضيلة والدولة المثلى، ووضع افلاطون جمهوريته، وكان مثارهما هو انحطاط الدولة وتغلب الرعاع باسم الديمقراطية، تسيرها شهواتهم، بعثت بهذه الافكار لإيجاد دولة مثلى يسعد فيها هذا البشر المتسافل إلى الهوات السحيقة وإلى المفاسد، شريعة ومنهجا له يقوده إلى السعادة، واعتقد سقراط ان اجتماع الجماهير من الرعاع يزيدهم تدهوراً وفساداً ويتفاقم ذلك بلاءً إذا استثار احدهم بقدرته الخطابية هياج الجماهير ومَثّله بالطبل الفارغ، وحدّد المستبد مشبهاً اياه بقوله : من كان يعمل في يقظته كل ما يعمله بوحي غرائزه في نومه،

ذلك نظر سقراط الذي حكمت الدولة حنقاً عليه بالموت فأوحت لتلميذه افلاطون هذه النوازع والمثارات الى وضع جمهوريته التي بحث فيها ما وراء الطبيعة والآداب والفلسفة، كما بحث عن انواع الدول؛ فتكلم عن الارستقراطية، واعتبرها أرقاها، كما بحث عن الديمقراطية والدكتاتورية وعن الشيوعية ومبادئ الاشتراكية، والشيوعية وعلم النفس.

افــــلاطون

ولد عام ٤٢٧ قبل الميلاد من ابوين ارستقراطيين، لهذا نجده رغم تأثره بالمحيط، ورغم كونه متأثراً بمجتمعه وتربيته وتعليمه؛ فجمهوريته جمهورية ارستقراطية، ورغم انه ينتقد الشعر والكهنوت والاساطير، فهو شاعر. وقد اضطر لحفظ جمهوريته من الانقلابات إلى ان يستحل درج الأساطير التي تحفظ العامة من الشقاق والانتفاضة على حكومته الجمهورية الارستقراطية. ونعثر في جمهوريته على الشيوعية والاشتراكية والتعلم الحر والتحليل النفسي وما قاله روسو بالعودة إلى الطبيعة، وما اورده نيتشه وبعض الكتاب في الآداب والارستقراطية وبرغيسن في التعليم الحرّ، والدافع الحيوي وغيرهم حتى قال أمرسن: افلاطون هو الفلسفة والفلسفة هي افلاطون، فأحرقوا المكاتب. فكلها من هذا الكتاب وتتألف جمهوريته من عشرة كتب في خمسة اقسام:

١ ـ يبحث في الأولى عن العدالة.

٢ ـ في الكتاب الثاني والثالث والرابع يبحث عن اركان الدولة وتعليم طبقة الحكام وبه يحدد المقصود من العدالة في الدولة تجاه الأفراد.

٣ ـ القسم الثالث: ويشمل الكتاب الخامس والسادس والسابع البحث عن

الشيوعية والحكام واصول تعليمهم ومدارجهم .

٤ ـ ويشتمل الكتاب الثامن والتاسع على تدهور الحكومة وادوارها حتى ينتهي لأعنفهما وهو الاستبداد الكامل وهذا ضد العدالة .

٥ ـ ويشتمل الكتاب العاشر النتيجة وخلود النفس وجزاء الفضيلة ويوم الدينونة.

وقد بدأ افلاطون بالعدالة وحددها بقوله: انها «قيام كل فرد بالعمل الذي يحسنه والخاص به» وان الدولة المثلى بنظره هي الدولة الارستقراطية التي تحكمها طبقة حكام تعلّموا تعليماً عالياً راقيا بعد مرورهم باختبارات طويلة استطاعوا وبرهنوا على إدراكهم مبادئ الدولة، وعلى رأس الجميع رئيس الكل المبرز عليهم في العلم والادارة والشجاعة والقدرة الفكرية وكل شيء .

وقسّم افلاطون الدولة كالنفس إلى ثلاث طبقات ؛ لأن الجسم الانساني ينقسم إلى ثلاثة اقسام :

١ ـ القسم العقلي .

٢ ـ القسم الحماسي .

٣ ـ القسم الشهوي .

فمثله للدولة ، فالعقلي يقابل القسم الاعلى من الدولة منبع الحكم والمنطق والرأي الصائب، وهم الحكام وعلى رأسهم أقدرهم علما وارادة واجتهاداً وشجاعة وغيرها. والحماسي يقابله رجل الحرب والشجاعة وهو الجيش وما يتبعه، والشهوي هو باقي الطبقات عدا الأوّلين من تجّار ومهندسين وأطباء وفنيّين وعمال وغيرهم. وجمهوريته تقوم على اساس الاختصاص وقيام كلٍّ بعمله، وعدم مداخلة أحدهم في عمل الآخر، على ان يكون العنصر العقلي هو المسيطر الأعلى على الجميع، وأقدرهم هو الزعيم الاعلى وان يكون الزعيم الاعلى هو

الحكيم الأقدر، والفيلسوف الأعلى، وأكثرهم علما وأوسعهم فكراً. وبهذا فقط تسير الامور على فطرتها، ويقوم كل واحد حق قيام بما أُسند له بكفاءة ومقدرة. وقد وضع لذلك حلولاً عملية وأولها التعليم والتهذيب العام بالاستيلاء على الاطفال دون العاشرة لهذا الغرض وضبط الكبار عن المفاسد. ويهتم منذ البدء بنشاط الجسم والفكر بالرياضة والموسيقى والتعويد على الحرية الفكرية والنفسية، لذا فهو يمنع التعليم الاجباري للابتعاد عن الشعور بالحقارة، فهو يرى ذلك بالتشويق والتحبيب، وهنا يرى افلاطون وجوب مدّ القوانين الادبية بسلطة كامنة عن طريق الدين والايمان بالله بالرجاء والعطف والتضحية، وبعد السادسة عشرة امتحانهم في امور نظرية وعمومية فمن سقط كان من الطبقة الأولى، وهم الكتاب والصناع والفلاحون ثم تعليم لعشر سنين أُخرى يليه امتحان اصعب، ومن رسب فهو من الطبقة الثانية وهم مساعدو الحكام وضباط الجيش، ولإقصائهم عن الطبقة الأولى كي لا يتّحدوا ويشكلوا خطراً على الدولة، باعتبارهم الاكثرية للانتفاضة على الدولة ؛ يجب اقناعهم نفسياً ودينياً ان ذلك من الله ولن يتغير، وأجاز ذلك التلقين ولو عن طريق اساطير وقصص خرافية، ومن نجح دخل في الفلسفة وتعلّم علوم ما وراء الطبيعة والحكمة في الحكم لخمس سنوات، وبعدها يتعلّمون تمييز الحقائق وراء الصور، وبعد الخمس سنوات يتعلمون تطبيق هذا المذهب على شؤون الناس فيكون مجموع السنين ٣٠ سنة يكونون فلاسفة نظرياً وقد أبصروا شمس الحقيقة، وبعدها عليهم التوغّل في الظلمات الى تلك الظلمات التي يعيش فيها سواد الناس والاشياء لتطبيق النظريات على الحقائق، وخوض معمعة الحياة العملية والمناقشات الموجودة بين مختلف طبقات التجار والصناع وغيرهم وما يرونه من منافسات ومصادمات وحيلة ومكر، وامتزاجهم بهم بالكسب والجهد، ومدة دراستهم فيها خمس عشرة سنة، وهي آخر محكٍّ، وفيها يعرف الفائز من الراسب بعد بلوغ الخمسين، وقد اتقن الحكمة نظرياً وعملياً

وهؤلاء عنده غايته المنشودة من حكام الدولة المثلى. ولنبذ الانتخابات المزيفة يصبح هؤلاء الرجال حكام الدولة يتقلدون زمام الحكم دون ان يكون لإخوانهم من طبقات الشعب الآخرين رأي في ذلك، باعتبار جهلهم لانتخاب الأصلح لإدارة الدولة لعدم درايتهم عن حقيقة الشخص المنتخب والمزايا اللازمة له، وعدم اندفاعهم تحت تأثير الخطب وهياج وحماس مصطنع من المجتمع. هكذا يريد افلاطون ان يكون التهذيب والعلم والحكمة والتجربة الواقعية هي المسيطرة.

ومتى بلغ الحكام من التهذيب منهم لا يتقيدون بقانون مدون حسب مقتضيات الحال وهم يختصون بإدارة الدولة بما فيها دون الدخالة فيما لا يخصهم من مهنة وصنعة، فهم مشرعون والحكام المنفذون.

وقد اشار افلاطون إلى الأصالة والوراثة:

١ - فهو لم يسمح بالتعاقب والتوالد إلّا من ابوين سالمين، سلامة جسمية وروحية.

٢ ـ يدعو إلى حياة الفطرة والبساطة.

٣ ـ مراعاة السلامة الجسمية والعقلية والنفسية.

٤ ـ وان يكون القسم العقلي سواء في الفرد أو الدولة هو المسيطر على الباقين، ويعتبر ان العدالة وليست القوة المجردة بل هي القوة المنظمة وليست حتى الاقوى بل هو الاتساق والتعادل بين القوىٰ لحق المجموع، ويقسم الحكومات إلى خمسة أقسام:

١ ـ الارستقراطية ويمثلها الرجل الارستقراطي، وهو الفرد المثالي الأعلى في سداد الرأي والعلم والحكمة، والعدالة والقيادة.

٢ ـ التيموكراسية وتكون عند تفوّق العنصر الحماسي واخضاعه بقية العناصر وهي الحكومة العسكرية ويقابل الفرد الحماسي أو الغاضب.

٣ ـ الاوليفاركية وهي وليدة التيموكراسية حين يطغى حب الثروة حتى يصبح أساس الجدارة .

٤ ـ الديمقراطية، وهي حكومة الرعاع الفقراء الثائرين على اصحاب الثروة باسم المساواة في الحقوق، وتتسم بالاستباحة والفوضى حيث يطغى فيه الرعاع حتى على العلماء والادباء والمعلمين والمربين، والصغار على كبار السن فلم يُقيموا لهم وزنا باسم المساواة ولا يفرّقون بين الوطنيين والدخلاء، وسحق المقدسات والازدراء بالشرائع والنظم .

٥ ـ الاستبدادية: بيد الانتهازيين عند الغلبة على الرعاع من غير الطبقة الاولى، والانتهازي هو بطل الجماهير المختار في الاحزاب يعارض من انتهازيين آخرين مثله، وإذا ما غلب على امره ولو لأمد وعاد ثانية بسبب ما، بعد نفيه، عاد أقوى مما مضى، واحاط نفسه بحراس خوف الاعداء، ويبدأ القضاء على منافسيه كفرد مستبد عنيد، وخلالها ينشغل عن اصدقائه فيرون قلة اكتراثه وهم الذين ايدوه فيخلق بينهم ما تتخلله الريبة فيحاول التخلّص من الاصدقاء، أي يقضي على الفاسد والمصلح ويتحول للعامة ويجردهم من السلاح، ولقب افلاطون هذا المنستبد بأنه أردأ رجل ؛ وهو من كانت حالته في اليقظة مطابقة مثله الأعلى عند النوم، ولأنه اشد شراً فهو اشد شقاءً، يتساوى في نظره الصديق والعدو، فهو بؤرة الدولة الاستبدادية والتي يحكمها هي اشقى المدن، وعلى نقيضه الرجل الارستقراطي ودولته اسعد الدول.

وقد حسب افلاطون ان المرأة والثروة هي اسباب الاختلاف لذا تراه جعل النساء مشاعة بين الحكام ومنعهم من جمع الثروة وتمتعهم بما يريدون .

كما رأى أن سبب الحروب هي كثرة السكان فقال بتحديد النسل، وأسباب اقتصادية ؛ فقال بالاحتراز من التجارة الخارجية وما تثيرهُ من منازعات، ويتحقق

هذا اليوم في المنازعات الدولية الاقتصادية .

المقارنة بين جمهورية افلاطون والاسلام

فنرى افلاطون نص على بضعة أمور تكاد تكون اساس جمهوريته. وأهمها:

١ ـ العدالة وقال: «إن العدالة إنما هي قيام كل فرد بما أودع له والذي يحسنه» وقال إن العدالة ليست القوة المجردة بل هي القوة المنظمة وليست حق الاقوى بل هي الاتساق والتعادل بين القوى لحق المجموع .

٢ ـ وحينما قسم الجسم البشري وقسم جسم الدولة إلى ثلاث قوى العقلي والحماسي والشهوي جعل القسم العقلي هو القسم الأعلى الذي يحكم جميع الاقسام، وهو الذي يقابل أرقى الأقسام في الدولة، مقر العلم والحكمة والمنطق والرأي الصائب، والذي فحص وجرّب الامور وان على الجميع ان يستمدّوا منه الرأي، وهو المشرّع والحاكم والمنفذ، وبهذا يسود السلام والعدالة، وتسير الامور على فطرتها سعيدة مرضية ؛ كما يسعد الجسم بسمو العقل وحكمه وبدونه تختل الموازين كما تراه في الجسم الذي تلعب به الشهوات ويستثيره الغضب والحماقة .

٣ ـ اعتبر الاصالة والسلامة والاستقامة في الافراد شرطاً للتوالد .

٤ ـ كما اعتبر جمهوريته يجب أن تتمتع بالحياة الفطرية والبساطة .

٥ ـ واعتبر سلامة الجسم والعقل أهم الشروط في جمهوريته .

٦ ـ وكما عدَّ الحكمة والعلم والفلسفة في القمّة للحكم. اعتبر الاستبداد وحكومة العوام الرعاع الجهال باسم الديمقراطية أتعس الحكومات، وقد كان يحاول الابتعاد عن الانتخابات المزيفة .

«اعرف نفسك تعرف ربك» أو «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ترى افلاطون يدعو إلى الحياة الفطرية البسيطة، وترى الاسلام يدعو إلى حياة الفطرة والبساطة، وسمعنا الجمل أعلاه تترد في الأفواه ونسبوها إلى الرسول ﷺ أو إلى حكيم أو امام ومهما كان ؛ فإن هناك حقيقة لا يمكن انكارها. ان للطبيعة قوانين تعرف بعضها وسميناها بالقوانين الطبيعية من كيميائية وفيزيائية، كما ان هناك قوانين تشمل الحيوان والنبات والجماد، ونجهل اكثرها، وان هناك قوانين تخص كل جسم حي في حياته الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وهناك قوانين تشد اخرى تعاضدها أو تناقضها ، وان في كل جسم حي حكومة خاصة به كما والمثل: من عرف نفسه فقد عرف ربه. كانت تلك حقيقة ثابتة لذا نبحث فيها لنرى بعض الاسرار في ذلك، وقد بحثته في كتابي: الحكومة العالمية المثلى بحثاً مسهباً في هذا المورد، واني الآن وبغية الوصول إلى ما اتوخاه من تقريب الحقيقة لفكر القارئ الكريم ابحث بصورة موجزة في ذلك فاقول .

الانسان (ابدع حكومة عالمية في جسم الانسان)

فالبدن الانساني كحكومة عالمية قائمة بذاتها. افرادها الحجيرات وجماعاتها في الانسجة والعضلات وأعضاء البدن، ومنظماتها ذات تخصص كل

من فئة لها مميزاتها وخواصها واعمالها ومراكزها الثابتة، وكل منها يقوم بخدمة المجموع، والمجموع لخدمة الافراد تشدها رابطة مشتركة وصلة وثيقة وسير فطري طبيعي يدور في عالمها الجسمي ذات قوى بدنية ومعنوية يشد بعضها بعضاً لا ينقصها في حياتها شيء، فهي كاملة بديعة الاتقان بمنظماتها وصلاتها واعمالها ودفاعها وهجومها، وتدابيرها الوقائية وسعيها الدائب في إدامة الحياة الفردية والحياة الجماعية، والحجيرات في البدن الانساني تشابه الافراد في المجتمع البشري، وكما ان كل حجيرة لها أهميتها بالنسبة للجهاز الذي تعمل به فكذلك المرء له اهميته بالنسبة للمكانة التي يعمل بها. فحجيرة المخ والمخيخ، وحجيرة القلب والكبد والكلية تختلف أهمية عن بعضها، كما تقل عنها أهمية حجيرات أعضاء الحركة في الأطراف، وهكذا حجيرات اجهزة البصر والسمع والذوق، تقابلها حجيرات أقل أهمية ؛ تلك التي في حجيرات البشرة والانسجة الواقية في الجانب الوحشي من البدن الانماني، ورب مجموعة من حجيرات المخ أو المخيخ أو عضلة القلب والتنفس تبلغ من الاهمية بمكان تتوقف عليها ادامة الحياة في حين لا يمكن ذلك في الاطراف والزوائد، ومثل هذا نجده في المجتمع البشري بالنسبة لمكانتهم وقد احاطت الطبيعة كل عضو وما يحتويه من الحجيرات المهمة على قدر اهميتها بمناعة وحصون واقية لمكانتها ومركزها المهم في المجتمع القائم بها، لذاترى كيف صانت الطبيعة المخ بطبقات الشحوم والاغشية والعظم ومثله المخيخ ويليه القلب والغدد الصماء حتى بامكاننا ان نقدر أهمية كل عضو وما يحويه من حجيرات بدرجة الاهتمام والحفاوة والصيانة والوقاية التي أحاطت به الطبيعة هذا القسم، وتركت له الفرص الكاملة للقيام بأعماله بعيداً عن المخاطر والمزعجات. كماترى في النسوج الواقعة في الجانب الوحشي للبدن اخص منها العضلات فالبشرة بما تشمل من حجيرات أقل أهمية من الأولى، وفي تلك عبرة ضرورية رعايتها منا في المتشابهات من المجتمع الإنساني. ثم تخصص كل

حجيرة من العضو وكل عضو مكانه واهميته وتخصصه لما يقوم به من الأعـمال بالنسبة له ولعضوه من جهة أخرى والرابطة المشتركة بينه وبـين بـقية الاعـضاء الاخرى ودرجة مساعدة الواحدة للاخرى، وأي اختلال بسيط كيف تـهتم بـه المراكز الحساسة بدرجة فائقة بحيث تحدث تغييراً عاماً يعم الجسم لتلافي النقص مكيدة كلاً منها على قدرها من هذه المعونة من جهة والعناء والمشورة من جـهة أخرى.

هذا وليس ما تراه في الحجيرات في البدن الانساني إلّا وتجد له التـطبيق في المجتمع البشري.

فأفراد المجتمع البشري ينقسمون من حيث الاهمية إلى مجموعات كبيرة وصغيرة، عالمة وجاهلة، وفيها مختلف الطبقات والزمر والتخصص لكل منها مقام ودرجة في المجتمع الانساني، ولكل مكانه كما وجدنا ذلك في الحجيرات. وكما ان حجيرات انسجة الدماغ لا يمكن تعويضها بحجيرات انسجة عضلات الكـبد، وهذه مع انسجة المثانة وتلك بانسجة الجهاز العصبي كذلك لا يـمكن ذلك فـي المجتمع البشري، فان تعويض قسم من عضو على اثر صدمة لا بد ان يسد هذه الخلة بأنسجةٍ مشابهة، وبغير ذلك يرفضه العضو. وربما علا عليه بالفساد، وربما كان الاصلح بقاؤه وفيه بعض النقص وكان خيراً له من ان نعوضه بما يعود عليه وعلى بقية العضو بالفساد، فما للرأس يسد به الرأس، وما للأطراف يسد ويجبر به الاطراف، وإذا حصل غير ذلك فمعناه ارتباك خاص وعام وربّما تدهورٌ وخراب قد لا يمكن بعد ترميمه. وهذه عينها في المجتمع البشري فانه يكفي وضع فرد في غير محله لايجاد علة تختلف في درجة هذا الاختلاف من بسيط إلى عظيم قـد يكون فاحشاً على المجتمع ويُـدمِّره. ولقـد دلت التـجارب الطـبية والعـمليات الجراحية على صدق هذا القول، كما دلت الاوضاع الاجتماعية والعلمية على قيمة

ذلك. الاول في العالم الجسمي والثاني في العالم الاجتماعي، وما أكثر الشواهد الطبية والاجتماعية والعلمية حتى لتجد تدهور بل قل موت جسم لوضع فاسد في أحد اعضائه، ومثله من الناحية الاجتماعية تدهور مجتمع وانهياره على اثر وضع عضو في غير محله، وهذا الفساد والتدهور يعود لدرجة أهمية مركز هذا العضو في الجسمين سيان الانساني أو المجتمع البشري .

اليست هذه مقارنة صحيحة ومستدلة؟ ألسنا نعترف بها؟ وحيث ان الإصلاح في الجسم الانساني إذا ترك للطبيعة عنيت باصلاحه بشتى الطرق فما يجب دراسته واكتساب درس طبيعي للمجتمع الانساني درساً قوياً متينا عمليا لا يمكننا إلّا الاعتراف بسداده وضرورة تطبيقه .

اهمية أجهزة البدن

ربما إذا فقدت كلية في البدن عشنا بكلية واحدة أو عين واحدة وتحملنا هذا الفقدان. ولكن فقدان القلب سيقضي على الحياة واعظم منه المخ والمخيخ أو مراكز خاصة منها. فما هي المراكز المشابهة للقلب والمخ والمخيخ في جسم المجتمع البشري؟ ليس هناك قضاء بالشكل الاكمل في جسم المجتمع البشري كما هو في البدن الانساني إلّا اذا اعتبرنا القوى المعنوية، والاجتماعية، او تدهور الدولة واضمحلالها، أو القضاء على العلوم والفنون في الدولة بما فيها العلماء والحكماء والادباء وامثال ذلك .

وان القضاء على أي طبقة معناه القضاء على طبقة مشابهة في الجسم الانساني. فالقضاء على القلب في الجسم الانساني يناسبه القضاء على مجموعة من اجهزة المجتمع الانساني وضرورياته كمراكز المواصلات والمؤن ومصادر

الدفاع والمقاومة والتغذية والتهوية والمياه وما شاكل، وفي كل هذا نجد ان الجسم البشري لا يقضىٰ عليه تماماً مثل الجسم الانساني إلاّ بالقضاء على تمام آحاده؛ إلاّ إذا اعتبرنا الموت في كليهما انما هو موت معنوي وليس موتاً مادياً فحسب.

نتساءل هل بالامكان الاستفادة من انسجة غير مشابهة في غير محلها. وعدم التشابه هذا يختلف بُعداً، فقد يتقارب وقد يتباعد فأنسجة المخ بالنسبة لأنسجة القلب، وهذه بالنسبة لعضلات الحركة، وانسجة العضلات لأنسجة الاعصاب، وهذه بالنسبة لأنسجة الغدد الصماء. فان ترميم قسم لعضلة مشابهة لها ممكن، ولكن هل يمكننا وضع قسم من عضلة القلب لترميم عضلة الساعد أو الشفة، أو وضع قسم من عضلة الكلية لترميم قسم من الكبد. واما إذا ابتعدنا اكثر وقلنا: هل يمكننا الاستغناء عن عضلات الجسم مهما بلغت لترميم قسم من المخ أو المخيخ؟ ان هناك ما لا يمكن القول أبداً في الحال الحاضر في القبول بمبادلة هذه الاعضاء وكما قلنا فإن التغيير في اصلاح العضو قد يؤدي إلى افساده ودماره. ومثل هذه تماماً هي في المجتمعات البشرية المطلوب اصلاحها. فجعل الشيء في غير موضعه معناه إفساده، وحتى أحياناً بحكم الاضرار وضع عضلة شيخ مشابهة في عملية جراحية لترميم عضلة شاب، وان تشابهت من حيث النوع فلا تخلو من عيوب لأن عضلة الشيخ أقل عمراً واضعف طاقة من عضلة الشاب، وربما كان العكس أجدى، يعني وضع عضلة شاب محل عضلة شيخ أو قلب شاب محل قلب شيخ خير منه لقوة مقاومة عضلة الشاب وقابليته لحياة أطول.

وان مراعاة ذلك وتطبيقه في المقارنة بين الفرد البشري والمجموع البشري له آثاره القيمة وشأوه البالغ وهو درس بليغ في شتى نواحي الحياة يمكن الاستفادة منه لدرجات قصوى وبعيدة، وربما ادى إلى ابتكارات مهمة وعميقة.

انظر إلى حكمة الله في الطبيعة، ومثل هذا نجده في البشر طبيعة وغريزة في

بعض الموارد. فأي نقص في عضو ولو تناهى في الصغر، وأي اختلال فيه يترك اهتماماً وكدراً في كافة حجيرات واعضاء الجسم لا تنفك حتى ترميمه واعادة اصلاحه. واذا اردنا اصلاح عضو ما في البدن فانما نريد ان نعيد القرار والسعادة إلى جميع البدن المضطرب مما يجده في عضوه ويشاركه في آلامه، وهكذا نظرتنا للجماعة البشرية المشتركة بالحسّ والشعور.

ان البدن كله بما فيه على أهبة واستعداد وعلم بأدنى ألم وسرور يصيب أي جزء منه حتى القسم المعنوي، وعندئذ يثور لاصلاحه، وهذا الشعور حقيقة واقعية يلزم تطبيقها في المجتمع البشري.

وقد يصيب البدن داء أو عاهة أو شيء يفقده جانباً منه فتراه في حالة متهيجة لإعادته فان كان نقصاً لا بدّ لإكمال سعادته اعادة النقص إليه أو كان دخل فيه شيء فلا بدَّ من ازالة الشيء منه حتى يعود لاعتداله، وقد يوجد كلاهما: أي دخول شيء محل نسيج، أو ازاحته من محله، لذا ترى البدن يدوم اضطرابه حتى اعادة الشيء إلى محله ومثله الفسخ والرضّ الحاصل في المفصل، لذا تراه متورماً متألماً لا يقر له قرار وترى الجسم كله في اضطراب والم حتى إعادته لمحله. ولا ننسى ما يصيب ذلك من ضعف واعياء وانهاك لجميع البدن. وهذه عينها تحدث للمجتمع البشري في الحوادث المشابهة، وقد تطول هذه العلة على المرء حتى تراه وتشاهده وهو بائس منهك وليس فيه سوى اعادة الشيء لمحله أو ازالة الجسم الغريب عنه أو كلاهما ولكن لاضطراب شعب من اقصاه إلى ادناه وضع رجل في غير مركزه أو ادخال رجل في مركز غير مركزه وكلما كان هذا المركز مهما كانت الصدمة اعظم واقسىٰ.

وقد يسبب ذلك النقص أو الزيادة في الجسم عيوباً في جهات اخرى من البدن على مرور الزمان تحتاج إلى الاصلاح حتى إذا اصلح العيب الاول وله

مشابهات في جسم المجتمع البشرى، فإذا وفّقنا في ارجاع الشيء إلى اصـله أو اخراج الشيء الغريب منه كان من الضروري اصلاح الاختلالات الحاصلة على اثر الصدمة الواردة .

وهناك أمر بالغ الاهمية وهو تشخيص الداء أو الدواء وتشخيص العواقب والآثار التي شملته على مرور الايام والسنين، ومهمٌ جداً نوع العلاج في كل منها بعد التشخيص، وهو عينه في المجتمع البشري وكلما طال الامد صعب العلاج للآثار السيئة التي خلفتها المدة والانحرافات التي خلفتها .

ربما اعتاد البشر خلال المدد الماضية على عقارات مخدرة كـالمورفين لرفع المه وهذه نفسها تخلق فيه عاهات كَأداء حتى بـعد زوال أو اصـلاح الداء الاصلي كاعادة العضو المنفسخ إلى محله وزوال الالم، بيد انه بعد ذاك يضلُّ معتاداً على تناول المورفين المخدر وهذا ربما كان لا يقل شدة بل واشد عند الترك من نفس الصدمة الاصلية وتلك نفسها في المجتمع البشري .

ان البشر في مجتمعه لم يتوصل لدرجة صغيرة من الكمال المـخلوق فـي انسان، لا ولا حتى في أدنى الحيوانات والحشرات وبـحاجة للـبحث المسـتمر والجد للسلوك الطبيعي وللاستفادة من مكتوناته ومدخراته وكنوزه الثمينة التـي يحملها كل انسان لتطبيقها تطبيقاً حسناً. ومنها نشر الحقائق واتباع الحقائق والجد للوصول إلى الحقيقة حتى إذا شعر المجتمع بالالم جدّ في اصلاحه ووضع الدواء الطبيعي له، وان يعلم ان سروره الحقيقي وشقاءه الواقعي انما يتوقف على سعادة وشقاء مجموعه، كما في البدن الانساني، وان يكون كالبدن الانساني ليس فـيه كذب ولا رياء ولا خداع بل كلها حقيقة وكلها سرعة فائقة وأسرع من لمح البصر، هذا فيما يخص العلم بوقوع الحادث وفيما يخص علاجه. فانت إذا قربت ادنى حرارة أو آلة واخزة إلى ادنى حيوان انتقل حالاً وأحس بالشيء ووصلت الانباء

إلى مراكز الحس حقيقة صادقة عن الحرارة والوخزة، أو البرودة وعاد الانعكاس (رد الفعل) حالا للمّ الطرف ثم الشروع حالا بترميم ما خرب، هكذا يجب في المجتمع. هذه مقارنة تعرفنا حكمة الطبيعة واتقانها ومدى جهلنا، وأي جهل اعظم من ان نطلب السعادة عن طريق الشقاء.

وتمتاز الحجيرة عن بعضها بالنسبة للمركز الذي تشغله للمجتمع ولاهمية الوظيفة التي تؤديها، ويحافظ عليها وتصان بتلك النسبة. فحجيرات المخ تحاط ـ لاهمية وظيفتها ـ بقشرة شحمية وتليها اغشية وعظام وتختلف من حيث غذاؤها ومدة حياتها بالنسبة لحجيرات البشرة من حيث تلك الجهات وبقدر ما تسديه للجسم من خدمة يكون مقامها وشأنها وغذاؤها والمحافظة عليها أجلّ ومدة حياتها أطول ويقدم لها غذاء على قدر مجهودها.

هكذا تجد لمن يجب ان يناط به المركز الاعلى لقيادة الامة، وكيف يجب ان يحافظ على مركزه بنظر افلاطون: اعلم الامة، والذي تتمركز فيه اصالة السلامة، ومن تكون تربيته أرفع، ومن يكون قد مارس الإدارة واعتمدت عليه النخبة العالمية من الامة لا الرعاع.

وهل تجد غير عليٍّ عليه السلام فهو ـ رغم صغره ـ الأسبق للايمان والاتقى والاعلم والاشجع والاحلم والاعدل، والاحب لله ولرسوله، والاقرب لرسول الله و ... الخ.

وإذا اعدنا لحكومة الطبيعة في الجسم الانساني. وهي حقيقة ناصعة كوننا متى فقدنا عضواً فعلينا وضع عضو يحاكيه في محله ومن جنسه ويحمل نفسه صفاته، فمن هو اقرب من عليٍّ ليشغل محل محمد صلى الله عليه وآله؟ وقد اثبتت آية المباهلة انه نفس محمد، وآية الولاية له نفس صفة محمد، ومثلها الأحاديث. وقد صدّق الجميع انه باب علم رسول الله، وأعلم وأتقى الامة، وقد أوصى به رسول الله في

حديث الثقلين وحديث المنزلة والاحاديث الجمة الغفيرة التي قال فيها «علي مني وانا منه». لحمه لحمي ودمه دمي، وكم كرر قوله بلزوم اتباعه ان شئتم ان لا تضلوا؟ وكم قال انه أخي ووزيري؟ فهل هناك انسب من عليٍّ ليحل محل رسول الله مادة ومعنى؟ الم تنزل فيه كما نزلت في رسول الله آية الطهارة وآية المباهلة وآية الولاية؟ فقد كان رسول الله الوحيد بين قومه الذي تتزعزع بموته الامة وهذا ما نطقت به الآية **﴿وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم... ﴾** وتفادياً لهذا الانقلاب والانهيار إلى الضلال فقد دلّهم رسول الله وعيّن لهم السبيل: الذي إن تمسكوا به فلن يضلوا أبداً وهو التمسك بالثقلين، واتباع أخيه في حديث الثقلين وحديث المنزلة ويوم الدار وغيرها. فهل تعجب بعدها إذا وجدت امة محمد مضطربة، مشتتة، مستضعفة لا تستقر على حال؟ وهل ترجو فيها خيراً وقد بدأت بغصب منصب خليفته وآله الذين وجبت طاعتهم والصلاة عليهم تسع مرات في اليوم أي في كل تشهد؟ أو هل تعجب من انخذالها ونفس رسول الله واخوه ووصيه وخليفته يقتل مظلوما ويسب على المنابر بعد كل صلاة وعيد؟ وهل تعجب وذرية رسول الله يقتلون ويقطعون ويسلبون ويسبون ويسمُّون؟ وهل نستغرب، ويقتلون صحابة رسول الله بعد تعذيبهم؟ وهل نستغرب وتستباح مدينة رسول الله وتضرب كعبة المسلمين بالمنجنيق ويقتل فيها الآمنون؟ وهل نستغرب بعد ان تخرج لمحاربة خليفة رسول الله أم المؤمنين وتستبيح قتل مئات بل آلاف الصحابة حتى قبل شروع القتال؟ ألا تعجب ان يجلس مجلس رسول الله ويسمي نفسه خليفة من يستبيح حرامه ويحرّم حلاله؟ وما لا يحصى ولا يعد من المنكرات؟ ألا تعجب إذا رأيت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نفسه منكراً؟ ألا تعجب وأنت ترى وتسمع كيف تنسب فضائل عليٍّ وذرية رسول الله لأعدائه وتزيف وتحرف الحقائق وتنسب لأعدائهم فضائلهم وكراماتهم على رؤوس الاشهاد؟ ألا تعجب وترى مال الله

ورسوله والمسلمين يبذل في غير سبيل الله بل في سبيل المنكرات والموبقات؟ اتريد بعد هذا خيراً لامة، والمظالم تترى على محبيه ومحبي ذراريه وهم أهل السنة والكتاب؟ وأحق من الجميع بهذا الاسم وقد سمّوهم بالروافض لانهم رفضوا اعداء الله وأعداء رسوله وسموا شيعة لانهم شيعة محمد وآله؟ لا والله لن تدرك العز ولن تبلغ السلام إلاّ باتباع سنة محمد وآله واتباعهم واتباع محبيهم وصحابته المخلصين؛ اولئك الذين اتبعوا اوامر ونواهي الله ورسوله. وبالتالي رفض كل من غيّر وبدل نصوص القرآن وسنن رسول الله ومناهجه، وسَحق ومحق ما تركوه من مخلفاتهم المنكرة وبدعهم الضالة وسننهم الباطلة وعاداتهم المستهجنة. وقد اوضحت كل شيء لمن أُعطي المنطق الصائب والرأي الثاقب لمن هو طيات قلبه الايمان واليقين بحكمة رسول الله الاعظم ودين الاسلام المبين وقرآنه المجيد، واخلص لله ولرسوله ولم تأخذه فيهما لومة لائم، ولم تغلب عليه العصبية الجاهلية والنفس الامارة بالسوء والعادات المزرية التي خلفتها السنين والاحقاب على يد اعداء الرسول وآل الرسول من آل امية وآل مروان ومن أسند لهم ذلك الملك ومن سار على هداهم وهدى أئمة السوء والمنحرفين عن الصراط المستقيم.

في علم التربية

يهتم علماء التربية اليوم بانتخاب الافراد وهؤلاء الافراد يتمايزون في نواحٍ ثلاث بالنسبة لبقية الافراد.

١ ـ علم الوراثة، وقد اعتقدوا ان الصفات الخلقية والخُلقية تنتقل للابناء من الآباء والامهات بالتوارث كما تنتقل للابناء الصفات المكتسبة من الاجداد والآباء إلى ابنائهم، ومما ينتقل أيضاً: الامراض الاجتماعية وكثير من الطباع والاخلاق فترى على الاكثر في العوائل ان الصفات في الأخلاق الحميدة والفضائل

والمحاسن تنتقل إلى الابناء، كما تنتقل لهم التقاطيع والملامح الشكلية، وكثيراً ما نعرف الابناء بملامحهم وننسبهم إلى العائلة وطالما عرف الابناء بسلوكهم وسيماهم بالنسبة لآبائهم القريبين أو البعيدين، وكما تنتقل بعض المزايا الحسنة من حب الخير والبر والاحسان؛ تنتقل بعض المزايا السيئة كالشراسة والتعدي والاجحاف، كما ترى في بعضٍ انتقال العقول السليمة والاذواق الحميدة وكذلك انتقال الشذوذ الخلقية والاخلاقية كالسفه والجنون، لذا ترى في كثير من العائلات التي تبغي الزواج سواء لأولادهم أو لبناتهم يطلبون اقراناً سالمين من الشذوذ الموروث من آبائهم وأجدادهم وفي الغالب يبحثون عن سلامة العائلة ودرجة الافراد من حيث مستوى الفكر وعدم وجود عاهة نفسية أو روحية أو عقلية في افراد العائلة الخاطبة إذا كانت مخطوبة أو المخطوبة إذا كانت خاطبة؛ حذار انتقال تلك إلى ابنائهم.

٢ ـ التربية، وتشمل هذه التربية البيتية والتعاليم المدرسية من الام والأب والاجداد والاخوة والاقارب الذين يعيشون معهم، والتعليم من المعلمين وآرائهم ودرجة تأثير هؤلاء المربين والمعلمين على هؤلاء الناشئة في سلوكهم البيتي والاجتماعي، والصفات الاخلاقية والعادات الاجتماعية من حسنات وسيئات منتقلة للمتعلمين.

٣ ـ المحيط: وهو البيئة التي يقضي فيها هؤلاء الاطفال والصبيان والشباب بقية فراغهم في مختلف الجماعات كالاصدقاء ومحلات النزهة واللعب والاستمتاع، والمجالس والتجارة والاكتساب، والجيران والاماكن التي يمرون فيها في الذهاب والايام، والأصدقاء الذين يسرحون ويمرحون معهم، وأصدقاء آبائهم وبقية العائلة.

ونستطيع أخيراً أن نعرف الاشخاص بعد مرورهم في هذه الادوار من طراز

سلوكهم وآرائهم وأعمالهم وبيعهم وشرائهم ودرجة ثقافتهم ونوعها. وأعظم من ذلك نستطيع ان نقرر من نوع الوراثة والتربية والمحيط حياة الناشئة وسلوكها الادبي والاخلاقي والاجتماعي .

وشتان بين من نشأ في أحضان النزاهة والفضيلة وكرم الأخلاق، وتربى على يد مربي البشر وأسماهم خلقاً وأرفعهم مثلاً ذلك الصادق الامين محمد ﷺ، ومن أبوين موحّدين كريمين مثل علي بن أبي طالب ذلك الذي امتاز بايمانه واجداده ومكانته البيئية ومحيطه الجليل وتربيته الفذة على يد أرقى البشر وأصدقهم وأحكمهم وارفعهم نفساً واعظمهم خلقاً، مدينة العلم والحكمة الذي اختار له من اقرب الناس واشجعهم واطوعهم وأحبهم له ناصراً ومعيناً وأخاً ووزيراً ووصياً وخليفة فجعله باب علمه وحكمته، وجعل ذريته من ذريته وذرية صفيّته الزكية الطاهرة، بل جعله نفسه وأمين سره، ودرّبه على شؤون الخلافة في حياته في الحملات ؛ فكان القائد المبرز، وفي السلم خليفته عند تركه المدينة، وسفيره في تلاوة سورة براءة على أهل مكة وواليه على أهل اليمن وهاديهم ومعلمهم ومرشدهم الوحيد الذي كان مفخرة وعزاً للمسلمين، اينما وجهه فتح الله على يده، ناصر الله ورسوله وحصن المسلمين وركن الايمان، وقاهر الجبابرة، وقاتل الفجرة ومذل المشركين، يعسوب الدين وقائد الغر المحجلين، وحبيب الله ورسوله، الذي جعله نفس رسوله، وطهّره وزوجته وبنيه من الرجس، وانزل فيه الآيات البينات، وكرّم وجهه من أيٍّ رذيلة وخسة، وعصمه من أي ذلّة وخطيئة، فحطّم الاصنام، وذاد عن دينه ورسوله بالحسام. من مثله وقد نصبه علماً منذ صباه ولم يبلغ الحلم؟! من مثله في وراثته من آبائه وأجداده؟! ومن مثله في تربيته وقيامه وقعوده وتعليمه منذ الطفولة والصبا مع رسول الله خاتم النبيين الذي كان عونه ومدركه وفاديه بنفسه فهو حبيبه ومدربه!؟ من مثله يافعاً وشاباً وكهلاً. فهو أحكم الحكماء الذي نص عليه افلاطون ليتزعم جمهوريته، إذ هو نخبة النخبة بين

الأعوان والانصار والأقرباء الاطهار، وأبو السلالة الاطهار الابرار ؟

وهو في حكومة الطبيعة والفطرة البشرية والجسم الانساني نفس رسول الله من لحمه ودمه ونفسه وروحه وعلمه وحكمته وخصاله وصفاته. ووارثه ووصيه بما نزل به الوحي من الله ونطق به كتابه المجيد في سوره وآياته، وبما أبداه النبي الاكرم عنه فقال: «هو مني بمنزلة هارون من موسى» وذريته ذريته، وهو نفسه وأخوه وحبيبه وعيبة علمه وابو ذريته، وهو الذي قال عنه: «ستقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل» وهو الذي قال: «سلوني قبل ان تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله» وهو من حيث التربية والوراثة والمحيط نفس رسول الله ونفس منزلته، نفس الاباء ونفس الخلق والصفات والمكارم والامجاد، فقد امتدحه الله في كتابه كما مدح رسوله، واشاد به وطهّره من الرجس كرسول الله، وعبّر عنه في آية المباهلة بنفس رسول الله، وجعل له الولاية كرسول الله في آية الولاية، وجعله كرسول الله في غدير خم مولى كل مؤمن ومؤمنة ؛ من أحبه احبه الله ورسوله، ومن أبغضه أبغضه الله ورسوله وعاداه، ومن نصره نصره الله ورسوله ،وهو أحبُّ خلق الله لله في حديث الطير، وأخيراً هو صاحب المكرمات وأبو الفضائل، من لا يجاريه بعد رسول الله أحد قط.

ومن يستطيع أن يرمم مكان رسول الله ويسدد الثلم الذي أحدثه موت رسول الله إلّا هو وحده طبق حكم الحكماء ورأي العلماء والحقائق الصادقة والتجارب الناطقة، ليس سواه، فهل يجوز لمن نشأ على الشرك طفلاً وصبياً ويافعاً وشاباً وكهلاً وأتى ما أتاه القوم من المنكرات من الظلم والتعدي ووأد البنات ولعب القمار وشرب المسكرات وعبادة الأوثان، وتخلّق بأخلاق القوم واختلط بلحمه ودمه وجسمه وروحه، ومازج صفاته واخلاقه وهو لا يزال يميل للقوم المشركين وكان يشربها حتى فتح مكة، ويرثي قتلى بدر من المشركين ويقرب

الصلاة سكران، أيجوز له ان يكون خليفة لمحمد خاتم النبيين وسيد المرسلين، ودونه علي وعترته وهو لا يأبه بأوامر الله وسنن نبيه فيرغم وصي رسول الله على بيعته ويجلبه حاسر الرأس حافي القدمين مهدداً بالقتل ليبايعه قهراً وقسراً، وهو لا ينازعه خوف الفتنة، ولا يخاصمه حذر الشقاق سوى قوله أنا عبدالله وأخو رسول الله ليذكرهم بالحقائق عساهم يرعوون. ولكن هيهات وهم الذين يعرفون عصمة آل البيت وقد جمعوا الحطب لإحراق داره وفيها البتول بضعة رسول الله الصديقة الطاهرة وولدا رسول الله الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ولا يكتفون بذلك حتى يعصروها بين الباب والحائط ويسببوا اسقاط جنينها ويضربوها وبعدها يسلبوها نحلة أبيها فدكاً على خلاف حدود الله ورسوله ويقصون عترة رسول الله وكل هاشمي من ولاية كل شيء، ويأتون بأولاد الطلقاء والمشركين لولاية المسلمين. من يقبل بذلك والجميع يعلمون ذلك وبعدها يرجون أن يسلم جسم الامة والدين، ويسود الأمن والطمأنينة أركان الدولة.. كيف يكون ذلك وقد اختل الجسم ورمم المخ والمخيخ والقلب وأعظم أجهزة بدن أمة محمد بما يخالف ذلك الترميم ويناقض ذلك العضو. لهذا ترى جسم الامة مضطرباً تعمّهُ الآلام وتسوده الأمراض، منهك القوى، مفكك العرى لا يقرّ له قرار ولم يذق طعم السعادة، وكيف يكون ذلك وقد انتهجت الامة غير النهج وسلكت غير السبيل التي خطّها لها رسول الله الاكرم وقائدها الاعظم.

قال ابن أبي الحديد «إن علياً ﷺ كان أولى بالامر وأحقُّ لا على وجه النصرة، بل على وجه الأفضلية ؛ فإنه أفضل البشر بعد رسول الله وأحقُّ بالخلافة من جميع المسلمين» (ص٤٦ ج١ من شرح نهج البلاغة).

كان اخرج الشيخ سليمان الحنفي في الباب الاربعين من ينابيع المودة عن مناقب الخوارزمي، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في الباب الثاني من كفاية

الطالب، وكلاهما مسندان عن محمد بن منصور عن طريق الامام أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل مثل ما جاء لعلي بن أبي طالب».

لائــحة

ان أبابكر شغل محل رسول الله وكان شغله له شغلاً يطابق الموازين الشرعية وكانت له الاهلية لاسباب التالية:

١ ـ ان الامة أجمعت على خلافة أبي بكر وبايعته وقد قال رسول الله ﷺ «لا تجتمع امتي على ضلال أو على خطأ».

٢ ـ ان ابا بكر شيخ وعلي رغم توفر الشروط فيه فهو شاب.

٣ ـ لا تجتمع النبوة والملك في أهل بيت واحد كما قاله الخليفة الثاني عمر.

٤ ـ إنّ علياً والهاشميين وجميع الصحابة بايعوه طوعا، ولو كان غير محق فلماذا بايعوه؟

السقيفة ـ اللائحة الثانية

الجواب :

١ ـ الاجماع على خلافة أبي بكر

هل صح الاجماع؟[1] وهل يصح الاجماع بعد النصوص الاكيدة على خلافة علي من الله ورسوله ؟

من انتخب عمر؟ لماذا لم يترك أبو بكر ذلك لإجماع الامة؟ ومن انتخب عثمان؟ وكيف ساغ لعمر ان يعطي زمام الامة إلى نظر ستة افراد؟ وكيف ساغ له الامر بقتل المخالفين؟ .

ونبدأ بالسؤال الاول. فنقول: هل صح الاجماع على انتخاب أبي بكر؟ ونتسأل أولاً كيف بدأ الانتخاب؟ وكيف وقع الاختيار على أبي بكر دون غيره؟ وهل ان جميع الامة علمت بهذا الانتخاب فحضرت وشاركت فيه؟ أم ان صحابة رسول الله من المهاجرين والانصار والهاشميين كانوا حاضرين وانتخبوا أبا بكر؟

---

(١) لم يحصل إجماع وأقره الجميع راجع ص٤٥٧ ج٢ من تاريخ الطبري، وتصفّح صحاح مسلم والبخاري والفخر الرازي وقد حاج أبا بكر كبار الصحابة في ذلك مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وبريدة الاسلمي وخالد بن سعيد بن العاص وأبي الهيثم وحذيفة بن ثابت والانصاري وأبي بن كعب وسهل بن حنيف واخيه عثمان وبعدها كل من أبي ربيعة من المهاجرين والانصار سموهم بالروافض لأنهم رفضوا ابا بكر لانه لا يحق له ذلك والحق لعلي. راجع تاريخ البلاذري، وابن حجر العسقلاني .

ومن أين أتي ابو بكر وهو جندي محارب تحت إمرة شاب لم يبلغ العشرين من سنه هو اسامة بن زيد المرسل على رأس جيش المسلمين للحرب؟ ونتسأل أكثر لنوضح الامر، ألم يجهز رسول الله جيش أسامة بنفسه وحثه على السير حثيثاً قبل وصول خبره للاعداء؟ فلماذا تأخر الجيش حتى اضطر رسول الله إلى ان يلعن من تخلّف عن جيش اسامة قائلاً: «اللهم العن من تخلّف عن جيش اسامة»؟ ومن كان يضم الجيش من المهاجرين والانصار؟ الم يضم أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح والنخبة الباقية من المهاجرين والانصار؟ ولا بد لنا من الجواب المثبت. ان المتخلفين كيف تحملوا هذا اللعن وكيف تخلفوا رغم امر رسول الله في الاسراع للحملة؟ ما كانت غايتهم من هذا التأخير؟ احقاً انما تأخروا له هو تشوشهم على مرض رسول الله ام بسبب ان اميرهم شاب وهم يأنفون من هذه القيادة؟ وهل يسوغ لهم الاعتراض على رسول الله وقد جاء وخطبهم وأبان لهم انه لا ينطق عن الهوى ان هو إلّا وحي يوحى؟ وهو بعد في حال الصحة ورغم ذلك تخلّفوا وخلقوا الاعاذير حتى لعن رسول الله المتخلفين. ومما لا شك فيه ان أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح كانوا تحت إمرة أسامة وقد شملهم اللعن لتخلّفهم، فكيف يسوغ لمن لعنه رسول الله بل الله ان يتقلد زمام أمور المسلمين؟ واعظم من ذاك ما اعترض عليه أسامة نفسه يوم سمع ان أبا بكر نصبه عمر وأبو عبيدة خليفة، جاء واعترض قائلاً: إنكم تحت إمرتي بأمر رسول الله فكيف نصبتم من هو تحت إمرتي بأمر رسول الله أميراً عليّ؟ ولنترك ذلك ونعود لنرى كيف انتخب أبو بكر وقد كان خارج المدينة وقد دخل المدينة وذهب مع بني هاشم والصحابة المشغولين بتغسيل رسول الله وتجهيزه مع علي فأين هو والحضور في السقيفة، وإذا أجبنا على هذا ان عمر الذي كان يعلم بموت رسول الله ويعلم بغياب أبي بكر لماذا كان يتحدّى كل من يقول: مات رسول الله، ويهدده بالقتل بأن رسول الله لم

يمت، وأنه كموسى حينما ذهب إلى ربه وسيعود؟ فما حداه ان يأتي دار رسول الله وبلغت نظر أبي بكر وحده[1]؟ دون أي واحد آخر بان الانصار اجتمعوا لانتخاب امير منهم، وفي الطريق يستصحبون معهم أبا عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبـي حذيفة. أكان ذلك أمراً مدبراً؟ لقد ظهر من النتائج التي اعقبت ذلك في زمن أبي بكر وعمر ان الامر كان مدبّراً بين الأربعة تدبيراً أكيداً وبعيداً يوم قال عمر وهو يريد أن يحوك أمر الشورى حيث قال: لو كان احد الاثنين حاضرا لما اودعـها للشورى يريد بذلك ابا عبيدة أو سالما مولى أبي حذيفة ذينك اللذين اتفقا على اغتصاب الخلافة ودبرا المكيدة وجاءا بالفتنة الكبرى لقلبها ملوكية. وهكذاترى المكيدة والتدبير ومن قبلها المناصب العالية لأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة.

كما ظهر من التدابير المشتركة من أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة ومـن عاضدهم ان عائشة ألقت ليلتها الفتنة بين الأوس والخـزرج بـقولها للأوس إن: الخزرج يحوكون ويدبرون الامر لانتخاب خليفة منهم، وقالت للـخزرج مـثلها فجعلتهم يتنافسون ويبادرون في الصباح رغم مرض زعيم الخزرج إلى سقيفة بني ساعدة لانتخاب امير، وفي نفس الليلة تحرض بني هاشم لتجهيز وتغسيل وتكفين ودفن رسول الله وهي تدري ان الصحابة الموالين لآل بيت رسول الله سـوف لا يفارقونهم. وهكذا دبّروا الامر بليل فشغلوا الهاشميين والصـحابة الخـصوصيين المعارضين لهم برسول الله، وأوقعوا النزاع بين الأوس والخزرج وجـاءوا عـلى تدبير ومكيدة في وقت بلغ الحسد والحقد أعلاه بين الانصار، وأماط أبو بكر اللثام عن اول فتنة في الاسلام مشيداً بـالمهاجرين، واتـهم الامـراء والانـصار وهـم الوزراء، ومدّيده ليبايع أبا عبيدة أو عمر فبادر الاثنان لبيعته واعـقبها قـلة مـن الاوس حقداً على الخزرج وتلاها بقية الاوس، وخشية أن يحصل الاوس على

---

(١) تاريخ الطبري ص٥٦ ج٢.

الحظوة بادر قسم من الخزرج لمثل ذلك وكاد أن يقع الخصام بين الخزرج وعمر لولا مداخلة أبي بكر وسياسته، ثم مبادرتهم للخروج بعد الاطمئنان من عملهم، يستجلبون كل من يجدونه في الطريق وجلب من يعرفونه. وبعدها ارسال الرسل لمن يعرفون تارة بالاستعطاف واخرى بالتطميع واخرى بالتخويف والتهديد، وما يهمهم استعمال القوة والقسوة والظلم لكل من خالفهم أو ظنوا انه سوف يخالفهم، وهكذا نرى الفتك بمالك بن نويرة وقتله وافراد عشيرته ونهبهم وسلبهم والتعدّي على اعراضهم، وقد ثبت لعمر ذلك واراد اقامة الحد على خالد فنرى معارضة أبي بكر له، وعوض اقامة الحد عليه، وقد ثبت له ذلك، يسمي خالداً سيف الله، وقد قال له عمر: إنه قتل مسلماً، ونزا على زوجته. وقال في أبي بكر، إنه لج فيه شيطانه، وقد اثبتنا ذلك في هذا الكتاب، واعظم من ذلك إحاطة بيت فاطمة بضعة رسول الله والتي قال رسول الله فيها: إنها بضعة مني، من آذاها آذاني ومن آذاني آذىٰ الله تعالى، وان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مبينا.

نعم رغم كل ذلك فهم اغضبوها وارهبوها وامرضوها واسقطوا جنينها حتى ماتت وهي غضبى عليهم، وسلبوا نحلتها من أبيها التي ثبت غصبها منها بيد أبي بكر الذي ردّ كل دعاويها، وزيّف لها حديثاً ثبت كذبه. واعظم من ذلك جلب بعلها حاسر الرأس حافي القدمين قسراً إلى أبي بكر وهو يقول: انا عبدالله واخو رسول الله، مهددين اياه بالقتل أو يبايع، حتى القى نفسه على قبر رسول الله باكياً قائلاً «يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وهم الذين بايعوه قبل شهرين وهنأوه بالامامة والخلافة.

واهل انتهوا إلى هذا الامر وحسب، لا ابداً. لقد أرادوا قتله مرة أخرى يوم أوصى أبو بكر خالد بن الوليد أن يقتل علياً حينما يتشهّد أبو بكر في صلاته بيد أن

أبا بكر ندم وهو في الصلاة وتراه يتكلم قبل التشهد قائلاً ثلاث مرات:(لا يفعلن خالد ما امرته به) ثم ينهي صلاته فأصبحت تلك سنة لجواز التكلم في الصلاة لان خليفة رسول الله عمل ذلك، فانظر إلى المنكرات المتتالية، وبعدها ماذا؟ نعم اقصاء علي وآل بيت رسول الله عن توليه حتى شبراً واحداً، وتوليه ألدّ أعدائهم من الطلقاء ومن اولئك الذين وترهم عليٌّ في حربهم يوم كانوا مشركين ولا زالوا باطناً على شركهم وبغضهم لآل رسول الله والمؤمنين. ولم يكتفوا بهذا بل مهدوا لهم سبيل الملك والظلم، ويقص التاريخ لنا ما جنوا على آل بيت رسول الله من القتل والسبي والنهب لشيعتهم ومواليهم وصحابة رسول الله ومدينته وكعبته فتبّاً لهم؛ ولمن اسس اساس الظلم لآل بيت رسول الله، وأسقم الاسلام ودسّ فيه النفاق والشقاق والتفرقة والبغضاء والعداء، حتى أصبح الاسلام على ما هو عليه اليوم. إذ لو تصفحنا الانتخابات في العالم حتى الزائفة منها لم نجد مثل هذا الانتخاب قط ابداً بين ثلاثة أو اربعة والامة الاسلامية بما فيهم من الصحابة المقربين وآل بيت الرسالة والجيش الذي هو على أبواب المدينة بما يجمعه من المهاجرين والانصار، الجميع في غفلة عنه رغم قربهم منه. وعمر هو الذي جاء دار رسول الله وجميع بني هاشم ونخبة الصحابة مجتمعون فيه فلم يخبر أحداً منهم ولم يخبر باقي أهل المدينة وبعدها التظاهر في الطرق والاسواق لجلب العامة وغيرهم لمبايعة أبي بكر. وهل كانت المدينة سوى مدينة من مدن الحجاز واليمن والجزيرة العربية والجميع في غفلة عن هذا، النظر إلى هذا التحدي وكيف استنكر الجميع ذلك، الجيش وأميره اسامة والزبير وطلحة وباقي الصحابة. وبنو هاشم الذين كانوا قائمين بتجهيز رسول الله، واستغراب أبي سفيان العائد بالاموال التي جلبها من مكة وحواليها، وكيف حرّض بني هاشم للقيام حتى اعطيت له تلك الاموال رشوة، كما وأعطيت له الوعود بحصةٍ من الملك وذلك ما كان، أيُّ انتخاب هذا الذي اجمعت عليه الامة بالقهر والخديعة والرشوة والمكر والفتك. وان صح الاجتماع

وهم يطلبون رجاء الامة، فلماذا عهد أبو بكر لعمر وهو في مرض موته لدرجة الاغماء دون أن يستشير أي أحد في ذلك؟ هذا رغم معارضة صريحة من بعضهم وذلك كاعتراض طلحة يوم خاطب أبا بكر قائلاً «ماذا تقول لربّك إذا سألك وأنت تولّي على امة محمد فظاً غليظاً» واما الشورى ففيها الفضيحة والاعتداء الفاضح الذي سيأتي في محله.

وقد احلوا حرام الله وحرموا حلاله وجعلوها سنة. كما عطلوا سنن رسول الله واحاديثه حتى نسيت بحجة ان عندنا القرآن. كلمة حق يراد بها باطل. وكيف يتركون سنن الله ورسوله واحاديث رسول الله تثبت وتسجل وكلها تخالف امارتهم وتناقض اعمالهم؟ فلا بدّ من منعها حتى نسيانها وموت المحدثين والحفاظ كي يمكن تزييف وتعديل وتغيير ما يشاءون وتهيئة الوسائل لأعداء آل بيت رسول الله لذلك، وهكذا كان حيث ترى اعمالهم المنكرة تصبح منهجاً وسنناً كأنها من الله ومن رسوله، وتنسب لهم من الكرامات ما تتبرأ منهم بل أبعد عنهم بعد السماء عن الارض.

٢ـ أبو بكر اكبر سناً

أما الثانية وهي ان أبا بكر أكبر سناً، فلماذا أمر عليه اسامة الذي هو اصغر من علي ولم يبلغ العشرين؟ ولماذا لم نجده ولا مرة واحدة يؤمَّر على جيش أو على مدينة رسول الله بينما يترك علياً محل رسول الله في المدينة ويقول له رسول الله: لا ينبغي أن نتركها إلّا وأنا أو أنت فيها[١] ولا ننسى ارساله لليمن ونصبه علياً وصياً وخليفة يوم الدار ويوم غدير خم، وهل تجد مثل تلك لأبي بكر وغيره؟

(١) في غزوة تبوك امر علياً عليها خليفة بعده لان المنافقين ارادوا القيام قائلاً «انت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي».

وإذا كان السن هو المناط فإن ابا قحافة أكبر من ابنه سناً وهناك كثير في المسلمين وفي الصحابة من هو أكبر سناً من أبي بكر، سيأتي ذكرهم فيما يلي، هذا إذا قلت ان العلم والحنكة والسابقة والحسب والتقوى والشجاعة والتضحية والخلق السامي والبر والاحسان كلها لا تساوي السن.

فقد بعث النبي وعمر أبي بكر ٣٨ سنة، وأسلم وعمره ٤٥ سنة، في حين ان علياً منذ البعثة وهو صبي صلّى مع رسول الله سبع سنين قبل ان يسلم أبو بكر ومدة اسلام أبي بكر هي ثماني عشرة سنة لم يذكر خلالها له كرامة غير السن كي يحتج بها، حتى انه لم يذكر انه أبدى شجاعة أو اصاب أحداً في احدى الحروب، ولهذاترى البعض يحتجون بهذه المنقصة فيجعلونها له فضيلة بأن علياً وتر أكثر القوم وأبو بكر لم يتر أحداً، ولهذا رضيه القوم. فانظر إلى هذا المنطق المفلوج وتكرر أن أبا بكر مرت عليه ٤٥ سنة وهو مشرك يسرح فيما يتخبط فيه غيره من مشركي قريش، ورغم انه اسلم بعد هذا فقد كانت تكتنفه عادات الجاهلية الظاهرية والباطنية فنراه يحضر نوادي الخمرة والقمار، ورغم ان القرآن صرح بأن الخمرة إثم فكان أبو بكر وعمر يشربانها ويسكران حتى نزلت الآية الثانية من عدم الصلاة في حالة السكر حتى يعلموا ما يقولون، وكان أبو بكر وعمر يحضران ناديهم للشرب وهم جماعة مرَّ ذكرهم، ويعودان منها وفي الآية الاخيرة التي حرم بها الخمر كانوا قد شربوها وسكروا حتى دخل عليهم الصحابي ونهاهم وقال: انها حرمت، فأجاب عمر انتهينا انتهينا، وكان أبو بكر هو الذي اغضب رسول الله حينما شربها ورثىٰ قتلى قريش في معركة بدر حتى اغضب رسول الله، ويوم قال عمر: انتهينا انتهينا كانت بعد فتح مكة وفيها يظهر ان القوم استمروا على شربها ولم يتركها عمر، واستعمل النبيذ حتى زمن خلافته وكان مدمناً عليها ورغم انه كان يقيم الحد على غيره فهو يجيزها لنفسه باعتبارها لا تسكره لانه اعتادها، واحيانا

يخففها بالماء فانظر التناقض في اعمالهم من اقامة الحد على غيرهم واستباحتها لانفسهم، وترى التظاهر وحب الذات يبلغ اقصاه حينما يجدد أبو بكر الحد على ابنه عبدالرحمن وهو الذي شهد عمرو بن العاص وإليه أنه أقام الحد عليه فيطلب إرساله على قتب من مصر إلى المدينة وهو مريض ويجدد الحد عليه فيموت فيه. راجع شكاية عبدالرحمن في موسوعتنا في الجزء الخاص بعمر.

واما سن أبي بكر فقد كان عند وفاته ٦٣ سنة وابوه حي ومن حيث السن احق منه، وهناك جماعة كبيرة من المسلمين هم اكبر منه سناً واشرف حسباً منهم العباس عم النبي، ونوفل عم النبي، وهو اكبر من العباس، واماثات بن قيس بن شيبان الكندي. ويقال: إنه عاش ثلاثمئة وعشرين سنة، وأحد بن ابد الخوض كما جاء في ج١ ص٦٣ من الاصابة، وانس بن مدرك، أبو سفيان الخثعمي؛ الاصابة ج٢ ص٧٣، وجود بن قيس المرادي ج١ ص٢٣٥ الاصابة، وحسّان بن ثابت الانصاري ص٣٢٦ منه، وحكيم بن حزام الاسدي ابن أخي خديجة زوجة رسول الله ﷺ ٣٤٥ منه وحنيفة بن صبير بن بكر التجمل ٣٥٨ منه، وحويطب بن عبد العزّى العامري ص٣٦٤ منه، وحيدر بن معاوية العامري (ص٣٦٥) منه، وجنابة بن كعب العب، ص٤٦٣ منه، وخويلد بن قرة المدني ص٤٦٥ منه، وربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب وكان أسنَّ من ابن عمه رسول الله ﷺ ص٥٠٦ منه، وسعيد بن يربوع القرش المخزومي ج٢ ص٥٢ الاصابة، وسلمة اللمي وأبو عبدالله سلمان الفارسي ج٢ ص٦٢ الاصابة، وأبو سفيان الاموي ج٢ ص٢٧٥ منه، وحرمة بن انس ابو قيس الاوس ص١٨٣ منه، وحرمة بن مالك الانصاري ص١٨٣ منه، وطارق بن المرقع الكناني ص٢٢١ منه، والطفيل بن زيد الحارثي ص٢٢٤ منه، وعاصم بن عدي العجلاني ص٢٤٦، والعباس بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ ص٢٧١ منه، وعبدالله بن الحارث بن امية ص٢٩١، وعدي بن هاشم

الطائي ص٤٦٨ منه وعدي بن وداع الدوس ص ٤٧٢ منه، وعمر بن المسبح ج٣ ص١٦ الاصابة، ومفتالة بن زيد العدواني ص ٢١٤، وقبات بن أشيم ص ٢٢١، ومردة بن نفاثة السلولي ص ٢٣١ منه، ولبيد بن ربيعة بن عامر الطلابي الجعفري ص٣٢٦ منه، واللجاج الغطفاني ص٣٢٨ منه، والمشوغر بن ربيع بن كعب ص٤٩٢، ومعاوية بن ثور البكاني ج١ ص١٥٦ الاصابة، ومنقذ بن عمرو الانصاري، اسد الغابة، والنابغة الجودي ج٣ ص٥٣٨ الاصابة، ونوفل بن الحرث بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ وغيرهم. كما تجد تراجمهم في المعارف لابن قتيبة ومعجم شعراء المرزباني، واستيعاب ابي عمر، وأسد الغابة لابن الأثير، وتاريخ ابن كثير، واصابة ابن حجر، ومرآة جنان اليافعي وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي .

فهل ترى بعد هذا فضلاً لسن أبي بكر لتسنُّمه الخلافة وحجته هو وغيره بالأفضلية لأنه أسنُّ .

٣ـ واما كلمة عمر بأن النبوة والملك لا يجتمعان

في أهل بيت واحد فما هو إلّا حسداً وحقد، ومن أين جاء بها، وقد قال الله في الآية ٥٧ من سورة النساء ﴿**ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيما**﴾ فنجد بموجب هذه الآية ان استدلال عمر باطل وحسد ومكر، ثم أليست الخلافة جزءاً من النبوة ومن مستلزماتها منطقاً؟ وكيف أجمعت عليه الامة بعد عثمان؟ وكيف ناقض عمر قوله وأدخل علياً في الشورى؟ وما قولهم في حديث الثقلين، وغدير خم وآية الولاية، والاحاديث الجمة المسندة، وحديث سفينة نوح وحديث المنزلة ؟

وقد قال رسول الله ﷺ «ستكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي

بن أبي طالب انه اول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو معي في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل» رواه البلخي الحنفي باب ١٦ من ينابيع المودة وأبو حيدر أحمد بن عبدالله الشافعي امام الحرم الشريف عن فردوس الديلمي، والحمداني الشافعي في المودة السادسة من مودة القربى، والحافظ في الامالي، والكنجي في الباب ٤٤ من كفاية الطالب، وثلاثة احاديث متشابهة المعنى مع اختلاف اللفظ عن ابن عباس وأبي ليلى الغفاري وأبو ذر الغفاري.

واشار رسول الله لعلي قائلاً: «هذا أول من آمن بي وأول من يصافحني يوم القيامة وهو الصديق الاكبر وهذا فاروق هذه الامة يفرق بين الحق والباطل». أخرجه محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، والطبري، والبيهقي في السنن، ونور الدين المالكي في الفصول المهمة، والحاكم في المستدرك وأبو نُعَيْم في الحلية، وابن عساكر في تاريخه، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، والطبراني في الأوسط، ومحب الدين في الرياض، والحمويني في الفرائد، والسيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس وسلمان وأبي ذر وحذيفة.

كما نقل الكنجي في الباب ٤٩ في كفاية الطالب الحديث هكذا: «وهو يعسوب المؤمنين وهو بابي الذي منه اوتي منه وهو خليفتي من بعدي».

وقال ﷺ: «يا معشر الانصار ألا أدلّكم على ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً؟ قالوا بلى يا رسول الله، فقال: هذا عليّ فأحبّوه بحبي، فاكرموه بكرامتي فان جبرائيل امرني بالذي قلت لكم من الله عزّوجلّ» أخرجه الحافظ أبو نعيم ج ١ ص٦٣ باسناده عن رسول الله ﷺ.

وهاك حديث رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر قائلاً: «يا عمار! إذا سلك الناس كلهم وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك وادي عليّ وخلّ عن الناس، يا عمار!

علي لا يردك عن الهدى ولا يدلُّك على ردى. يا عـمار! طـاعة عـليٍّ طـاعتي وطاعتي طاعة الله». أخرجه الحافظ أبو نعيم في الحلية، وابن طلحة في مطالب السؤول، والبلاذري في تاريخه، والبلخي الحنفي في ينابيع المودة باب ٤٣، وعن الحمويني ومير سيد علي الهمداني الشافعي في المودة الخامسة من مودة القربى، والديلمي في الفردوس نقلاً عن ابي أيوب الانصاري حينما اعترضوا عليه لماذا تركت أبا بكر واخذت جانب علي.

ونعود لنورد أن علياً الذي بايعه بالولاية في غدير خم وجمع غفير من اجل الصحابة مثل الزبير وطلحة وسلمان الفارسي وأبـي ذر الغـفاري والمـقداد بـن الاسود الكندي وعمار بن ياسر وخالد بن سعيد بن العاص، وبريدة بن الاسلمي وأُبي بن كعب، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهيثم ابن التيهان، وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وابي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله الانصاري وحذيفة بن اليمان، وسعد بن عبادة، وقيس بن سعد، وعبدالله بن عباس، وزيد بن ارقم، والبراء بن عازب هؤلاء وطائفة الخزرج وسمُّوا بالروافض ذكرهم ابن حجر العسقلاني، والبلاذري في تاريخه، ومحمد في روضة الصفا وابن عبد البـر فـي الاستيعاب وغيرهم، كما امتنع عليٌّ وبنو هاشم عن البيعة وأجبروهم على البيعة وهددوهم بالقتل، وقد ثبت ان بيعة علي وثم تهديده جرى بـعد وفـاة الصـديقة الطاهرة بضعة رسول الله كما ذكر ذلك البخاري ص٣٧ ج٣ من حججه في باب غزوة خيبر، ومسلم بن الحجاج القشيري ص ١٥٤ ج ٥ من حججه أيضاً في باب قول النبي: لا نورث. كما نقل عبدالله بن مسلم بن قتيبة الديـنوري ص ١٤ عـن الامامة والسياسة قوله: «فلم يبايع عليٌّ كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها» غير ان بعضاً قال في وفاة فاطمة ﷺ إنّما ماتت بعد ٧٥ يوماً من وفاة ابيها ومنهم ابن قتيبة والاغلب قالوا إنها توفيت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها حيث بايع عليٌّ وبنو هاشم، وهكذا قال المسـعودي فـي مـروج الذهب ج١ ص ٤١٤ (ولم

يبايعه احد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة) وممّن روى بيعة علي بعد ستة أشهر من الثقات ابراهيم بن سعد الثقفي، كما ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، كما نقل ابن أبي الحديد ص١٨ ج٢ لشرح النهج عن الزهري عن عائشة قولها: «فلم يبايعه علي ستة أشهر ولا أحد من بني هاشم حتى بايعه عليٌّ» وأيد ذلك أحمد بن اعثم الكوفي الشافعي في الفتوح، والحميدي في الجمع بين الصحيحين عن نافع عن الزهري. ولم يبايع عليٌّ إلّا قسراً وبعد ان هددوه مراراً ومعها هجومهم على داره وفي الدار فاطمة والحسن والحسين والزبير وجمع من الصحابة، وقد امر أبو بكر عمر وخالد بن الوليد وجماعة بجلبهم للبيعة فجمع الحطب على باب الدار وهددهم بالإحراق ومنهم من قال: انه أشعل النار، وثبت انه ضغط الزهراء بين الباب والجدار حتى أسقطت محسناً. أما الذين رووا الأولى وهو جمع الحطب وتهديدهم بالاحراق واخذ عليٌّ حاسر الرأس حافي القدمين ومن معه إلى أبي بكر فهم: البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي المتوفى سنة ٢٧٩ هجري في تاريخه، وعز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي، ومحمد بن جرير الطبري، وابن خرابة في «الغرر» عن زيد بن اسلم، وابن عبد ربه ص٦٣ ج٣ في العقد الفريد، وابن أبي الحديد المعتزلي ص ١٣٤ ج ١١ شرح نهج البلاغة طبع مصر عن كتاب السقيفة للجوهري حول سقيفة بني ساعدة وقد شرحها شرحاً مسهباً وفيها محاجّة عليٌّ وفاطمة حول أحقيّتهما بالأمر ومطالبتهما لمبايعة علي، وأن علياً رغم التهديد لم يبايع وعاد ولازم الدار، كما أخرج ذلك محمد بن عبدالله بن مسلم بن قتيبة بن عمر الباهلي الدينوري ص١٣ ج١ في كتابه: تاريخ الخلفاء الراشدين ودولة بني امية المعروف بالإمامة والسياسة طبع مصر. وقد أسهب في بحثه ومما قال: «ان ابا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليٌّ كرّم الله وجهه، فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليٌّ فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له:

يا أبا حفص! إن فيها فاطمة، فقال: وان فخرجوا فبايعوا إلّا «علياً». وقيل: إن فاطمة خرجت وصرخت يا أبة يا رسول الله! ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة وهي باكية وعندما سمع القوم صوتها وبكاءها عادوا سوى عمر ومعه جماعة وأخذوا علياً قهراً إلى أبي بكر وطلبوا منه البيعة فقال: وان لم ابايع! فقالوا: إذاً والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك. وكل ذلك بمرأى من أبي بكر وهو ساكت لا يتكلم. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فأجاب مادامت فاطمة في الوجود فإني لا أكرهه فعاد عليٌّ إلى قبر رسول الله باكياً والقى نفسه على القبر وقال: «يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وكانت فاطمة تدعو عليهما في كل صلاة حتى ماتت وهي غضبى عليهما» واما اشبه ذلك اليوم بهذه الايام حينما تجتمع جماعة من الانتهازيين لسلب حرية دولة واخذ زمام الامور بيدهم ويرغمون الناس بعد التسلط على الحكم للخضوع ويقتلون بالشبهة والظن.

كما اخرج ذلك أحمد بن عبدالعزيز الجوهري وهو ثقة في كتاب السقيفة ونقل عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١ ص١٩ طبع مصر وخلاصة قولهم تأييد ما مرَّ وان اجتماع الصحابة في دار عليٍّ كان احتجاجاً على أبي بكر وعمر، وانَّ البيعة كانت بدون مشورة الصحابة، واخرجه الجوهري عن سلمة بن عبد الرحمن، وروى ذلك أبو وليد محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحنفي في كتاب «روضة المناظرة في أخبار الاوائل والأواخر» في شرح السقيفة. كما اخرجه الطبري ص٤٣٣ ج٣ في تاريخه، والمؤرخ المعروف ابن شحنة ص١١٢ ج١١ حاشية كامل ابن الاثير حول قصة السقيفة.

واما ما يعود لهجوم عمر واضرامه النار واجهاضه فاطمة ﷺ فقد اورده جماعة من أجلّة العلماء المعترف بهم من السنة والشيعة كأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي صاحب مروج الذهب في كتابه: اثبات الوصية ومـمّا قال:

«فهجموا عليه واحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى اسقطت محسناً». كما اخرج ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ص ٣١٢ ج٣ عندما نقلت لاستاذي أبي جعفر النقيب شيخ المعتزلة عندما اخبروا رسول الله أنّ هبّار بن اسود حمل على هودج زينب بنت رسول الله وان زينب اسقطت جنينها خوفاً؛ أهدر رسول الله دمه لهذا. قال أبو جعفر: «لو كان رسول الله حيّاً لأباح دم من روع فاطمة حتى القت ذا بطنها» وكانت زينب بنت رسول الله زوجة ابن خالتها ابي العاص بن الربيع بن عبدالعزّى حيث أُسِرَ في معركة بدر وافتدته، ومما افتدته به قلادتها وطلب منه رسول الله بعد ان سمح له بالعودة أن يرسل زينب إليه لانها لا تحل له فأرسلها مع زيد بن حارثة الذي عينه رسول الله، فتصدّى لها أبو سفيان وجماعة معه وهجم عليها هبار وروّعها برمحه حتى اسقطت. فاذا كان تأثر رسول الله من أجل زينب لهذه الدرجة فماذا كان يعمل من اجل سيدة النساء حبيبته فاطمة التي قال عنها: انها بضعة مني من احبها فقد احبني ومن ابغضها فقد ابغضني. كما نقل صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في الوافي بالوفيات ضمن حرف الألف كلمات وعقائد ابراهيم بن سيّار بن هاني البصري المعروف بالنظام المعتزلي إلى ان قال النظام: «إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت المحسن من بطنها»، وهكذا تجد مما اخرجه البلاذري والطبري وابن خزاية وابن عبد ربه والجوهري والمسعودي والنظام وابن أبي الحديد وابن قتيبة وابن شحنة والحافظ ابراهيم وغيرهم تثبت ان علياً وبني هاشم واخص الصحابة انما بايعوا بعد التهديد وبعد اجبارهم قسراً، وأن أبا بكر وعمر بالغا بالظلم والقسر لأخذ البيعة.

رد اللائحة: لقد حاول البعض تبرئة الصحابة المخالفين لحدود الله ورسوله فاوردوا خبراً أسندوه إلى رسول الله وهو :

رد الورد: «اصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» وقد رأينا مخالفة سعد بن عبادة وجماعة من الخزرج لأبي بكر وعمر. ومثله علي والهاشميون وجماعة من الصحابة، ولا ننسى بيعة طلحة والزبير لعليٍّ ثم نكثهما البيعة ومحاربتهما اياه في حرب الجمل وقتلهما الالوف بل عشرات الالوف ظلماً وعدواناً، ولا نـنسى قيام معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة على عليٍّ واثارة حروب صفين وغيرها .

في الصحابة ظالم ومظلوم وصالح وطالح

أبو بكر وعمر في نادي الخمرة

ولا ننسى فتك معاوية بن ابي سفيان بصحابة رسول الله وقتلهم، هؤلاء جميعاً وهم نجوم اذاً بمن نقتدي؟ وهل يجوز لنا إلّا الانضمام إلى جهة واحدة وقتال الآخرين؟ وهل يجوز ان نقول ان الفريقين الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول على حق؟ هذا ما لا يقوله من أعطي شمةً من المنطق وذرة من العقل، ثم نعود إلى من روى الحديث هذا فنرى القاضي عياض ص ٩١ ج ٢ من شرح الشفاء الذي نقل هذا الحديث يقول: اورده الدارقطني في الفضائل، وابن عبدالبر عن طريقه وقال: انه لاعبرة باسناد هذا الحديث. كما نقل عن عبدالحميد في مسنده عن عبدالله بن عمر أن البزاز ينكر هذا الحديث وكما قال البيهقي: رغم شهرة الخبر فإن اسناده ضعيفة اذ ان في اسناده الحارث بن غضبين مجهول الحال، وحمزة بن أبي حمزة النصيري كذّاب. كما قال ابن حزم إنه حديث موضوع وباطل وكذب.

نعم اننا نقبل الحديث من الصحابة المتقين الذي ساروا طبق حدود الله ورسوله، ولا نقبل الصحابة على علّاتهم، ونشاهد المنكرات والموبقات من كثير منهم ونجعلهم قدوة لنا دون رعاية اعمالهم ان ذلك ما لا يقبله العقل السليم ألاترى ان جماعة الصحابة رغم نزول الآيات في ذم الخمر شربوها في نواديهم، راجع ص ٣٠ ج ١٠ من فتح الباري لابن حجر حيث روى ان أبا طلحة زيد بن

سهل أحدث نادياً للشرب في داره ودعا عشرة من الصحابة لمجلسه هذا والجميع عاقروها وشربوها، ورثى أبو بكر مشركي قريش المقتولين في معركة بدر وكان هذا المجلس يضمُّ:

١ ـ أبا بكر بن أبي قحافة.
٢ ـ عمر بن الخطاب.
٣ ـ أبا عبيدة بن الجراح.
٤ ـ أُبي بن كعب.
٥ ـ سهل بن بيضاء.
٦ ـ أبا أيوب الانصاري.
٧ ـ أبا طلحة (وهو صاحب الدعوة وصاحب الدار).
٨ ـ أبا دجانة (سماك بن خرشه).
٩ ـ أبا بكر بن شغوب.
١٠ ـ أنس بن مالك وكان الساقي وعمره ١٨ سنة.

كما نقل عن البيهقي ص٢٩ ج٨ في سننه عن انس نفسه انه قال: إنّي كنت اصغر الجميع سناً وكنت الساقي. وقد نقل هذا الخبر أهم رجال الصحاح وهم:

١ ـ محمد بن إسماعيل البخاري في تفسيره آية الخمر في سورة المائدة في صحيحه.
٢ ـ ومسلم بن حجاج في كتاب الأشربة باب تحريم الخمر في صحيحه.
٣ ـ والامام أحمد بن حنبل ص١٨١ ـ ٢٢٧ ج٣ من مسنده.
٤ ـ ابن كثير ص٩٣ و ٩٤ ج٢ في تفسيره.
٥ ـ جلال الدين السيوطي ص٣٢١ في الدر المنثور.
٦ ـ الطبري ص٢٤ ج٧ في تفسيره.

٧ـ ابن حجر العسقلاني ص ٢٢٠ ج ٤ في الاصابة وص ٣٠ ج ١ فتح الباري .
٨ ـ بدر الدين الحنفي ص ٨٤ ج ١٠ عمدة القاري، والبيهقي ص٢٨٦ و ٢٩٠ في سننه .

وقد روى البزاز وابن حجر وابن مردويه أن أبا بكر شرب الخمر ورثى قتلى بدر وغضب رسول الله واراد ضربه بما في يده فقال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله. وأقسم أن لا يشربها، وعندها نزلت آخر آية التحريم وهي الآية ٩٠ من سورة المائدة **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** .

ينقضون العهد ويولُّون الدبر

ولقد ثبت أن أبا بكر وعمر نقضا البيعة والعهد الذي أخذه عليهما الله ورسوله كراراً وخالفا الآيات الوارة فيه :

﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها﴾ الآية ٩١ من سورة النحل. كما جاءت الآية ٢٥ من سورة الرعد وهي: **﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾** فيظهر أنَّ نقض العهد من كبائر الذنوب خصوصاً من صحابي لرسول الله .

ذلك النقض للبيعة التي أخذت منهما في غدير خم وقد مر تفصيله في شرح موضوع الامام علي عليه السلام وفيها بايعوا علياً وهنأوه واشهد عليهم رسول الله الله عزَّ وجلَّ وشهد على عمر جبرئيل حين قال له لا ينقضها إلّا منافق وسنرى مثلها ما عاهدوا عليه الله ان يجاهدوا الكفار ولا يولون الادبار وكل منهم ولّي دبره في خيبر وأحد وحنين ويتوقّون الدخول في المعركة اخص منهم أبا بكر وعمر

وطلحة وقد اتخذ أبو بكر من سنه وأمور أخَر تخلصاً من الحرب للدخول في عريش رسول الله[1] تخلصاً من القتال في بدر ناسياً ان مقام الرسالة لا يساويه مقام آخر، وان بقاء رسول الله انما هو احياء الاسلام ولا اثر في قتله أو قتل صحابي آخر غيره ونسوا حين انهزموا في المعارك المارة اعلاه في خيبر واحد وحنين ما انزلت من آياته البينات ومنها:

﴿ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾[2]. ولم يذكر لنا التاريخ أي تضحية بذلوها في أية حرب أو رأي صائب قدموه كما اشار الصحابي سلمان الفارسي في حرب الخندق من حفر الخندق وقد برهن عمر رغم عدم مساعداته في الرأي والعمل انه كان كثيراً من الاحيان يثير غضب رسول الله لشكوكه المتوالية، كما اعترض على رسول الله في صلح الحديبية، وكان مبعث ذلك الاعتراض انما هي شكوكه في النبوة كما جاهر بها، وكما اعترض على رسول الله بقوله: انك وعدتنا بفتح مكة ولم نفتحها فأجابه: هل عينت وقتاً؟ فقال: لا، فقال: سوف نفتحها .

ونسي هو وصاحبه ان أفعال واقوال رسول الله انما هي من وحي الله وان رسول الله ما قال شيئاً إلّا وصدق بقوله كما نزلت الآية ١١٩ من سورة التوبة: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** وقد صرح المفسرون ان الصادقين انما هو رسول الله وعلي، ومن المفسرين والحفاظ من قال انما الصادقون هم رسول الله وعلي والأئمة وعترتهم. هكذا قال الامام التغلبي، وجلال الدين السيوطي، في المسند والحافظ أبو نعيم فيما نزل من القرآن في علي، والخطيب الخوارزمي في المناقب والشيخ سليمان البلخي الحنفي في الباب ٣٩

---

(١) راجع عيون الاثر ج١ ص٢٠٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٦ .

من ينابيع المودة والحمويني ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في الباب ٦ من كفاية الطالب كما نقل الجميع من تاريخ محدث الشام .

اثبات الغدير ونقضهم له

ونعود لاثبات نقضهم في حديث الغدير مسنداً إلى النصوص بالاضافة إلى ما مر والذي اتفق عليه الشيعة والسنة انه يوم ثمانية عشر من ذي الحجة في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة عند العودة من مكة في غدير خم حيث دعي المغادرون واوقف الباقون بأمر رسول الله فكان الجمع بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ الف نفر كما رواه الامام التغلبي في تفسيره، وسبط ابن الجوزي في التذكرة وغيرهما فصعد رسول الله ﷺ على اقتاب الابل، وخطب خطبة طويلة وأسهب فيها في مدح علي، وسرد كثيراً من الآيات الواردة فيه معرّفا إياهم مقامه السامي عند الله ثم قال :

معاشر الناس! الست اولى بكم من انفسكم اشارة للآية ﴿النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم﴾ قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. وعندئذ رفع يديه ودعى اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ثم أمر ان تنصب لعلي خيمة وامر علياً عليه السلام ان يجلس فيها، وامر الجمع كلهم أن يأتوا ويبايعوا علياً، واخبرهم انما انا مأمور من الله أن آخذ البيعة لعلي. فأول من بايع ذلك اليوم علياً عمر ثم أبو بكر ثم عثمان ثم طلحة ثم الزبير وكانوا يبايعون ثلاثة أيام متوالية وقد اخرج واثبت ذلك أجل علماء العامة من السنة والجماعة منهم :

١ ـ الحافظ أبو عبدالرحمن احمد بن علي النسائي في الخصائص العلوية والسنن .

٢ ـ شهاب الدين أحمد بن حجر المكي في الصواعق المحرقة، وكتاب المنح الملكية على الخصوص ص ٢٥ الباب الاول من الصواعق وقد قال: انه حديث صحيح لا مرية فيه وقد اخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد وطرقه كثيرة جداً.

٣ ـ الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيشابوري في المستدرك .

٤ ـ محمد بن يزيد الحافظ ابن ماجة القزويني في السنن .

٥ ـ الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير مفاتيح الغيب .

٦ ـ الامام الثعلبي في تفسير كشف البيان .

٧ ـ النيشابوري في اسباب النزول .

٨ ـ محمد بن جرير الطبري في التفسير الكبير.

٩ ـ أبو نعيم فيما نزل من القرآن في علي في حلية الأولياء .

١٠ ـ محمد بن اسماعيل البخاري ص ٣٧٥ ج ١ في أول تاريخه .

١١ ـ مسلم بن الحجاج النيشابوري ص ٣٢٥ ج ٢ في صحيحه .

١٢ ـ أبو داود السجستاني في السنن .

١٣ ـ محمد بن عيسى الترمذي في السنن .

١٤ ـ ابن عقدة في كتاب الولاية .

١٥ ـ ابن كثير في تاريخه .

١٦ ـ الامام احمد بن حنبل ص ٢٨١ و ٣٧١ ج ٤ من مسنده .

١٧ ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي في سر العالمين .

١٨ ـ ابن عبد البر في الاستيعاب .

١٩ ـ ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول .

٢٠ ـ المغازلي في المناقب .

٢١ ـ الصباغ في الفصول المهمة ص ٢٤ .

٢٢ ـ حسين بن سعود البغوي في مصابيح السنة .

٢٣ ـ أخطب خوارزم في المناقب .

٢٤ ـ مجد الدين بن الاثير في جامع الاصول .

٢٥ ـ البلخي الحنفي في ينابيع المودة باب ٤ .

٢٦ ـ الطبراني في الاوسط .

٢٧ ـ الجزري ابن الاثير في جامع الاصول .

٢٨ ـ سبط ابن الجوزي ص١٧ من التذكرة .

٢٩ ـ ابن عبدربه في العقد الفريد .

٣٠ ـ العلامة السمهوري في جواهر العقدين .

٣١ ـ ابن تيمية في منهاج السنة .

٣٢ ـ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري وتهذيب التهذيب .

٣٣ ـ جار الله الزمخشري في ربيع الابرار .

٣٤ ـ السجستاني في كتاب الدراية .

٣٥ ـ الحسكاني في دعاة الهدى .

٣٦ ـ رزين بن معاوية العبدري في الجمع بين الصحاح الستة .

٣٧ ـ الامام الفخر الرازي في كتاب الاربعين وقد قال: اجمعت الامة على هذا الحديث .

٣٨ ـ المقبلي في الاحاديث المتواترة .

٣٩ ـ السيوطي في تاريخ الخلفاء .

٤٠ ـ الهمداني في مودة القربى .

٤١ ـ أبو الفتح النفطوي في الخصائص العلوية .

٤٢ ـ الخواجه بارشا في فصل الخطاب .

٤٣ ـ نظام الدين النيشابوري في تفسير غرائب القرآن .

٤٤ ـ السيد شريف الحنفي الجرجاني في شرح المواقف .

٤٥ ـ أبو الخير الدمشقي في أسنى المطالب .

٤٦ ـ عبدالرؤوف المناوي في فيض القدير .

٤٧ ـ النووي في تهذيب الاسماء واللغات .

٤٨ ـ الحمويني في الفرائد .

٤٩ ـ روزبهان في ابطال الباطل .

٥٠ ـ الشريف في السراج المنير .

٥١ ـ الشهرستاني في الملل والنحل .

٥٢ ـ الخطيب البغدادي في تاريخه .

٥٣ ـ ابن عساكر في التاريخ الكبير .

٥٤ ـ ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

٥٥ ـ السمناني، علاء الدولة في العروة لأهل الخلوة والجلوة .

٥٦ ـ المتقي الهندي في كنز العمال .

٥٧ ـ ابن خلدون في مقدمة تاريخه.

وإذا ما راجعت ما ذكرناه في الغدير تجد أكثر مما ذكرناه مفصلاً كما مر في كتابنا الأول في الامام علي من الموسوعة هذه .

وقد وضع الطبري كتاباً مستقلاً في الغدير باسم كتاب الولاية وروى عن ٧٥ طريقاً، ولابن عقدة أيضاً كتاب الولاية اخرجه عن طريق ١٢٥ صحابياً مع تحقيقات وافية، كما لابن الحداد الحافظ أبي القاسم الحسكاني كتاب الولاية شرح الغدير مفصلاً مع نزول الآيات .

واظهر الصحابي عمر بن الخطاب اكثر الصحابة اهتماماً وفرحاً وأخذ بيد علي وقال له: «بخٍ بخٍ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة» وهذا

حديث مسلم ومتواتر عند الفريقين اخص منهم المير سيد علي الهمداني الشافعي ذكره في المودة الخامسة من كتابه مودة القربى، ونقل جماعة من الصحابة عن عمر انه قال: نصب رسول الله علياً علماً. وعرفه بعدها مولى وقال ﷺ بعد الدعاء: «اللهم أنت شهيدي عليهم».

كلمة حجة الاسلام الغزالي

وبالوقت نفسه كان شاب جميل صبيح الوجه تفوح منه نكهة طيبة قال لي: «لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلّا منافق فاحذر ان تحله فأخبرت رسول الله عن الشاب وعن صديقه فقال ﷺ: انه ليس من ولد آدم، لكنه جبرئيل اراد أن يؤكد عليكم ماقلته في علي ؏» بعد هذا كله؛ أيسوغ لأحد ـ أخص أبا بكر وعمر ـ ان ينقض هذا العهد ولم يمض عليه سوى شهرين، وبعدها صب المصائب على عليٍّ وآل البيت. وهاك كلمة حجة الاسلام الغزالي أبي حامد محمد بن محمد، ونص ما اورده في كتابه «سر العالمين» قال:

«لكن اسفرت الحجة وجهها، واجمع الجماهير على متن الحديث عن خطبته في يوم غدير خم باتفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقال عمر: بخ بخ لك يا أبا الحسن؛ لقد اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ـ فهذا تسليم ورضا وتحكيم ـ ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرياسة، وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في قعقعة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول وفتح الامصار سقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الاول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون»[1] ولما مات رسول الله قال قبل وفاته:

---

(١) الغدير، حجة الاسلام الاميني، ٣٩٢/١ ط. دار الكتاب العربي. لبنان نقلاً عن كتاب «سرّ العالمين» للغزّالي، ص ٩.

ائتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم اشكال الامر وأذكر لكم من المستحق لها بعدي قال عمر: «دعوا الرجل فانه ليهجر وقيل يهذي فاذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص فقد تم إلىٰ الاجماع وهذا منقوض ايضاً فان العباس وأولاده وعلياً وزوجته وأولاده لم يحضروا حلقة البيعة، وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجي ثم خالفهم الانصار».

ولقد كانت كلمة الحجة الغزالي ثقيلة جداً على بعض المتعصبين والنواصب فحاولوا بشتى الوسائل محوها، ومنها ان كتاب سر العالمين ليس للغزالي ولكنه ثبت ثبوتاً أكيداً وأيّده ابرز علماء ومحدثي العامة منهم يوسف سبط ابن الجوزي البحاثة المدقق في نقل الرواية والاحاديث والاسانيد وفي غاية الاحتياط في الكتابة، وفي الوقت نفسه متعصب في أمر الجماعة ومع هذا تراه في ص٣٦ من كتابه تذكرة خواص الامة استشهد بكتاب سر العالمين ونقل نفس العبارات التي ذكرناها اعلاه وصدَّقها دون ابداء شيء.

ولقد ثبت ان كثيراً من علماء العامة يعرفون كثيراً من الحقائق بيد أنهم يخشون بيانها خوف المعترضين بتحريك العوام ولقد سبق مثل ذلك ان بعض العلماء الاعلام المنصفين من أهل السنة اظهروا بعض الحقائق فلاقوا الامرين من المتعصبين على يد القوم فكانت عاقبة أمرهم القتل والهتك والتشريد نذكر منهم الحافظ ابن عقدة أبو العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمداني. وقد وثقه الذهبي واليافعي وقالوا: انه يحفظ ثلاثمائة الف حديث مع اسانيدها وكان ثقة وصادقاً. بيد أنه كان ينطق عن حقائق عن الشيخين في القرن الثالث والدولة سياستها تناقض ذلك والعامة مأخوذون على امرهم. ورغم كونه من ابرز علماء العامة فقد اتهموه بالرافضية وقد قال عنه الذهبي والرافعي وابن كثير ان هذا الشيخ كان يجلس في جامع براثا ويحدث الناس بمثالب الشيخين ولذا تركت رواياته وإلّا

فلا كلام لاحد في صدقه وثقته. كما امتدحه الخطيب البغدادي في تاريخه بيد انه بعد مدحه قال انه كان خرّج مثالب الشيخين وكان رافضياً. وهكذا ترى كيف يتصدى العامة حتى لعلمائهم الاكابر مثل حجة الاسلام الغزالي وابن عقدة والنسائي ويصمونهم بالرافضية لمحض انهم يريدون بيان الحقائق ويقولون الحق ومن هؤلاء العلماء الاعلام المؤرخ المعروف الطبري في القرن الثالث وهو في الحقيقة مفخرة العلم والادب ولما مات في سن الثمانين دفنوه ليلاً في داره لمنع دلوع خطر، ومثله قتل النسائي في الشام وهو أحد ائمة الصحاح لأنه ما إن سمع سب وشتم أمير المؤمنين عليٍّ على المنابر حتى انبرى لتوضيح بعض الحقائق فصعد المنبر وابان بعض فضائل علي واظهر بعض الحقائق، فهجموا عليه وأوجعوه ضرباً وبعدها مات على اثر صدماته.

واما نقض الصحابة للعهد واخص منهم أبا بكر وعمر في خيبر واحد والحديبية وحنين وقد نزلت الآيات بوجوب عدم الفرار واخذ رسول الله العهود والمواثيق عليهم اخص عمر في الحديبية التي اعترض فيها على الصلح فحاربوا وهربوا ولم يقف دون فرارهم[1] وصد المشركين سوى علي وعادوا واعتذروا في كل مرة وكرروها والآية تقول:

﴿ومن يولّهم يومئذ دبره إلّا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.

ولتوضيح ذلك يستطيع القارئ الكريم ان يراجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٤٥٤ و٤٦٢ ومنه جواب الزبيري على اعتراض أبي المعالي الجويني فيما يخص الصحابة الذي نقله أبو جعفر النقيب ليرى كيف ان الصحابة تكفر وتفسق وتلعن وتسب بعضها بعضاً وما نقله ابن أبي الحديد حول صلح

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص ٣٨٩ و ٣٩٠.

الحديبية وآثاره السيئة على الصحابة الذين فروا، وأخص منهم عمر وكيف ان المنقذ الوحيد لهم من يد المشركين كان عليّاً.

وقد ثبت ان السقيفة كانت فتنة كبرى ومظالم تلتها مظالم إلى اليوم وانها لم يكن فيها لا صفة إجماعية ولا بعض اجماعية، بل قامت على اكتاف أفرادٍ رجلاً ونساءً لا يجاوزون العشرة من مكر وخداع وتلاها قتل وجور وسلب ونهب وسبي وكلما يتصوره المرء من اتباع المظالم يتلوها الغصب، الغصب المتكرر في العصور والاحقاب.

احتجاج فاطمة ﷺ

ويلي القسر قسر متكرر بدأ باجبار علي وبني هاشم والصحابة المقربين على البيعة وغصب نحلة الزهراء الطاهرة فدك وما تلا ذلك من الاعتراضات من علي وفاطمة وابنيها وصحابتهم. وها انا اقدم نبذة من خطبة الزهراء ﷺ التي خطبتها على أثر غصبهم منصب الخلافة وحقها وبعدها اعمالهم القسر والظلم وهي تذكرهم بأعمال بعلها المجيدة وأعمالهم وما كانوا عليه قبل الاسلام حيث تقول «نبذة من خطبتها»:

«وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الاقدام، تشربون الطرق وتقتاتون القِدَّ أذلة خاسئين تخافون ان يتخطّكم الناس من حولكم فانقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد اللتيا والتي وبعد ان مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب. كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، ومجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله ﷺ، سيد أولياء الله مشمراً

ناصحاً، مجداً كادحاً، وانتم في رفاهية من العيش وادعون، فاكهون آمنون» (تعني الهيئة الحاكمة) فانظر إلى هذه المناظرة الحقيقية الناصعة وهيهات ان تجد مثل هذه المناظرة بل مثل هذه الحقيقة الناصعة من السابقة والاخلاص، والتقوى والقرابة، والثقة من رسول الله، والقدرة والقوة، والتضحية المتناهية التي وجدتها عند علي ﷺ وعلى نقيضها عندهم ؛ فمن أحقّ منه بالخلافة؟ ومن احق منه بالامامة ؟

وثم خطابها للسلطة الحاكمة: «تتربصون بنا الدوائر وتتوكّفون الاخبار». وهي تعني تآمرهم على آل البيت، وقد مرّ بنا التدابير التي اتخذوها قبل وبعد بعثة اسامة ولعن رسول الله المتخلفين، وموقف عمر من طلب رسول الله القلم والقرطاس، وبعدها ليلة ويوم السقيفة. ثم تراها تسترسل في خطبتها لائمة إيّاهم على تحدّيهم ونقضهم العهد وأثر نقضهم، ومنذرةً لهم عاقبة فعلهم :

«فوسعتم غير إبلكم، وأوردتم غير مشربكم هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا، وان جهنم لمحيطة بالكافرين. أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء القعب دما عبيطاً وذعافاً مبيداً هناك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الاولون ثم طيبوا عن دنياكم نفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم وسطوة معتدٍ غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فياحسرتا لكُم» وهكذا تعلن الزهراء ﷺ وتفضح خططهم وتفند دعواهم، أنَّ ما عملوه خوف الفتنة إنّما هو الفتنة بعينها، ثم تعلن ارتدادهم بقولها: «إنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين» وتعلن استبدادهم وبعده خسرانهم ومنقلبهم، وقد اقامت الحجة واثبتت غصبهم لحقوق آل البيت غاياتهم الوضيعة ونتائجهم المريعة، وما سيلقونه يوم الجزاء من مركز العدالة الإلهية والقضاء .

المقايسة بين عهد رسول الله وعهدهم

عهد رسول الله، عهد القرآن ونزوله، عهد الدعوة الى المنطق السليم والفكرة الحرة الطليقة، والعهد الذي ضرب فيه الضربة القاصمة على أيدي المشركين والظالمين والتعصبات القومية والجهر بالسوء والفسق، والعهد الذي قال فيه القرآن كلمته العظمى وأقام فيه المقياس لرفع قيمة الاشخاص امام الله امام الجامعة البشرية حيث قال جلّ وعلا: ﴿ان اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ .

هناك تساوى فيه الخلائق أجمعين ومحا فيه الاسلام كل الآثار الجاهلية من بغض وحقد وحسد وسلطة وعبودية وخضوع لأيّ سلطة وفرد سوى الله ومن نصبه الله، وكانت القيم للانسان على قدر تقواه، تلك التقوى التي وضعها الله في قرآنه المجيد. ومن جهة اخرى كان للسابقين للدعوة الاسلامية القربى والمقام الأجل حين قال: ﴿والسابقون السابقون اولئك المقربون﴾ وبعدها على قدر عمل الخير والمعروف ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ .

وانتقلت المقاييس من الصفات المادية إلى المعنويات فلاترى قيمة للغني على الفقير امام القضاء، ولا تجد قيمة لزعماء الجاهلية على المستضعفين منهم في العهد الجاهلي ولا تجد فضلاً لأبيض على أسود، ولا لعربي على عجمي، ولا لقريب على بعيد ولا لرجل على امرأة ولا ولاء الجميع متساوون امام العدالة ولهم الحق في الدفاع عن انفسهم واموالهم، والكل متى قالوا كلمة الشهادة: الشهادة

بالوحدانية والنبوة ؛ فهم في امان الله. نعم قضى الاسلام على جميع العادات والاخلاق والمنازعات والتعصبات والفروق الجاهلية، كما قضى على جميع الانظمة والقواعد والأحقاد والمشاحنات والمطالبات المالية والدموية والعرقية وكلما كان من عرف ونواميس الجاهلية، واقام مقاييس إنسانية معنوية منطقية فطرية، وحدوداً إلهيّة جاء بها القرآن الكريم، وسنّها النبي العظيم، تقوم جميعها على الدليل والبرهان، فلا ظلم ولا اعتداء، ولا هتك ولا تعدٍّ لمقاصد شخصية وفوارق ذاتية وانانية، فلا حدّ إلّا بنصٍّ، ولا تغريم إلّا بجرم خالف فيه الفرد شرع الله وشرع رسوله، ولا اجتهاد امام النص، ولا اجتهاد في كلمة إلّا من بالغٍ عاقلٍ عالمٍ عادلٍ مؤمن مذكّر طاهر المولد هو رسول الله أو من نص عليه.

فيه رفع الله قيمة النفس الانسانية فقال: ﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنّما قتل الناس جميعاً﴾ ذلك العهد الذي جعل فيه لمكارم الاخلاق والبر والاحسان المقام الجليل في كل شيء فقال: ﴿واما اليتيم فلا تقهر * واما السائل فلا تنهر * واما بنعمة ربك فحدّث﴾. ومن هو السائل؟ نعم كل سائل سواء اكان عن مال أو طريق أو حديث أو أيّ طلب آخر، وفيه امتدح اكرام المسكين واليتيم والأسير فقال: ﴿ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ وفيه مئات وألوف من القواعد والاصول الانسانية في جميع المجالات الاجتماعية والاخلاقية العامة والخاصة. وفيه رفع شأن العلم فقال: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾؟ وقد حذّر فيه من التعدي على حدود الله ورسوله حين قال ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾ وفيه تهذيب الاخلاق وتهذيب النفس والاصغاء إلى وحي العقل السليم ﴿فبشّر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب﴾[1]. وقوله في

---

(١) سورة الزمر، الآية ١٧ ـ ١٨.

صفات المؤمنين في تهذيب النفس والاصول الاخلاقية الرفيعة: ﴿**والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما**﴾[1] ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾[2]، وهل استطيع ان ادرج ما جاء به القرآن والرسول الاكرم حتي بصورة مجملة في هذه الوريقات وهو الهادي، والقدوة والبشير والنذير، ولا يساويه في سلوكه لإتمام دينه إلاّ من هو نفسه في آية المباهلة، ومن زكّاه الله معه في آية الطهارة حينما قال في الأولى ﴿**وأنفسنا وانفسكم**﴾ فكان بذلك يقصد نفسه الطاهرة الزكية ونفس علي، وحقاً انه نفسه، ولطالما قال وقد مرّ في فصله ان رسول الله طالما عبّر عن ذلك، وقال عن علي: «لحمه لحمي ودمه دمي، من احبه احبني ومن أبغضه ابغضني، ومن اطاعه اطاعني» أحبُّ خلقِ الله لله ورسوله واحبهم لله ورسوله والذي قرنت ولايته في آية الولاية بولاية الله ورسوله: ﴿**انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[3]. فكان علياً، وهو الذي نزلت فيه آية الابلاغ ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾[4] وفيه نزلت آية اكمال الدين ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**﴾[5] وكلتاهما نزلتا يوم الغدير يوم نصبه علما، وفي فضله وعلو منزلته وجلال قدره نزلت الآيات البالغات وفيه وفي آله نزلت: ﴿**قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى**﴾[6] وهم اولو الامر الذين

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٢.
(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٣.
(٣) سورة المائدة، الآية ٥٥.
(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.
(٥) سورة المائدة، الآية ٣.
(٦) سورة الشورى، الآية ٢٣.

فرض الله طاعتهم في الآية ﴿اطيعوا الله ورسوله واولي الامر منكم ...﴾.

ذلك هو العصر الذهبي للانسانية الذي وضعت فيه مجمل الاصول والنصوص الانسانية والاجتماعية، ونزل فيه القرآن والسنن النبوية والعصر الذي قال فيه لعلي: «إني قاتلت على تنزيل القرآن كما تقاتل على تأويله»، وفيه قال «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، وفيه نصب علياً منذ صباه علماً، وطلب اطاعته يوم الدار، واستمرت هذه الوصية والخلافة في كل مناسبة كان يبلغ بها فقال له: «انت مني بمنزلة هارون من موسى» كما قال للصحابة: «إن علياً مني بمنزلة هارون من موسى إلّا انه لا نبيّ بعدي»، وقال عنه وعن ذريته: «ان مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»، وفي غدير خم نصبه علما وفي خيبر اشاد به ويحبه لله ويحب الله له. ومثله في الطائر المشوي. ولطالما وصى الصحابة فرادى وجماعات على اتباعه، وقال: «مبغض علي منافق وفاسق وكافر» في روايات عديدة ومن طرق عديدة وفيه قال «انه يعسوب الدين وولي المؤمنين وقائد الغر المحجّلين» و...و...الخ وفيه وفي ذريته قال: «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» وهكذاترى ان رسول الله في حياته أقام وأشاد في القرآن والسنن وهداهم بعده واوضح السبيل باتباع عليٍّ وذريته، وقد حذّرهم التفرقة والارتداد، وصرح بأن هناك من يرتد بعد موته، وصرح انهم يظلمون عليّاً وأهل بيته ؛ وحذّر من ذلك وأوصى باتّباع عليٍّ، وقد أيّد وأكدّ ذلك مراراً وكراراً بالفاظ متعددة وبالمعنى نفسه.

وبعد هذا كله فماذا أراد الله ورسوله بهذه التوصيات؟ بهذه الاوامر والنواهي؟ وقد ذكرنا شيئاً في عهد الرسول الاكرم، والجميع يعلم كيف كان القوم قبل الاسلام اذلّاء ضعفاء، وكيف عزّوا وبرزوا في عهده، ويكفينا ان نستعيد خطبة سيدة النساء فاطمة الزهراء على المهاجرين والانصار وعلى نساء الصحابة بعد

موت أبيها حيث ذكّرتهم بما كانوا عليه من الخسة والاذلال، وكيف اصبحوا بفضل ابيها وابن عمها، وأعادت على مسامعهم اعماله الجبارة التي لولاها لما قامت للاسلام قائمة، وذكرتهم بتوصياته وذكّرتهم بما يلحقهم في الخسران إن تمادوا في غيهم وانقلابهم. ولكن هيهات هيهات (والذي خبث لا يخرج إلّا نكدا).

والطـينة السـوداء مـن لؤمـها   هـيهات تـبيضُّ سـجاياها

وقد قعد لهم الشيطان واغواهم وأزلهم عن الصراط المستقيم، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وقالوا: إنهم عملوا ذلك خوف الفتنة؛ فأجابتهم ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين. وقد حذرتهم عاقبة الامر في الدنيا وفي الآخرة، وإذا كان القوم قد غرتهم ظواهر الامر وكانوا مأخوذين على امرهم لجهلهم ولضعفهم فقد ظهرت النتائج وتحققت الاسباب، وجاهروا وصرحوا بكل ما خالفوا فيه رسول الله بل خالفوا الله. وها أني اسرد ثانية ما بدأوا فيه وما إليه انتهوا، وبعدها اقول آهٍ وألف آه لو سارت الامور على عهد رسول الله ولو أصغوا إلى أوامر ونواهي رسول الله؛ لعمت السعادة البشر، ولأكلوا من فوق رؤوسهم الطير ومن تحت ارجلهم على حد قول الزهراء الطاهرة وزوجها الكريم وأبيها العظيم. وهذه نتيجة اعمالهم منذ مرض سيد المرسلين وخاتمهم وهو الذي اخبرهم بمرض موته في حجة الوداع وانه قد دُعِيَ فأجاب وأنها آخر حجة حجها وتلك خطبته العصماء في غدير خم واقامة علي علماً لهم، ومنذ بدء الدعوة الاسلامية وعلي ظلّه، وهو في كل فرصة ومناسبة يجاهر بخلافته من بعده وانه وصيه وأخوه وخليفته وحبيبه ومقر علمه، وامامهم وأميرهم وهاديهم من بعده، وكم حذرهم من التخلف عنه بالضلال، وانه مقياس المؤمن والمنافق والمسلم والكافر، وإذا بهم عصبة من الرجال يتقدمهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، ومن النساء عائشة وحفصة يترقبون الفرص ويتحينون الظروف في داخل بيت رسول

الله وفي الخارج وقد برهن رسول الله كراراً ومراراً على تخلفهم وفرارهم في أشد الوقائع والحروب، انهم لا خير في شجاعتهم ولكنهم في السلم ذوو ألسنة حداد، الا تكفينا بدر وأحد والاحزاب والحديبية وخيبر وحنين، فرارهم ولواذهم مرة بالعريش واخرى برؤوس الجبال وثالثة سبب اندحار جميع الجيش في خيبر وفي كل مرة كان عليّ هو العاصم والمنقذ حتى تراهم في صلح الحديبية قد قام عمر وقد ازبدت شدقاه انهم يريدون الحرب وان المصالحة ذلة لهم وقد بدأ يعترض على رسول الله ويشكك في رسالته فأذن لهم بالحرب بعد ان بيّن لهم ضعفهم، فإذا بهم جميعاً أدبروا والاعداء وراءهم يتعقبونهم ورسول الله يشاهد ذلك فيقول لعلي: ردَّ القوم فسلَّ حسامه فما ابصر المشركون علياً إلاّ وعادوا، ويوم الخندق وقد برز اليهم عمرو بن عبد ود العامري بعد ان عبر الخندق وكان وحده يكفي ليقضي عليهم لولا أبو الحسن، وقد رد عليٌّ القوم بضربته التي قضت على الحرب واندحر به الشرك فكانت ضربته تساوي عبادة الثقلين، ويوم حنين إذ بلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنون كان عليٌّ وحده الذابّ وعمه العباس اللازم بزمام فرس النبي وثلاثة أو خمسة آخرون من بني هاشم يحيطون برسول الله حتى شاء الله ان ينصرهم ويبرهن على ضعفهم، وفي كل مرة يبرهن رسول الله على ضعفهم ويبرهنون بالاعتراف على جهلهم، وتراهم في آخر جولة يؤمر عليهم شاباً لم يبلغ العشرين من العمر وهو اسامة ليبرهن على قلة حنكتهم وتدبيرهم، واعترضوا وأصروا ؛ فخطبهم ولعن من تأخر عن جيش اسامة، وقد ظهر فيما بعد انها كانت مدبرة من حزب من الرجال والنساء النساء تراقب بيت رسول الله وحاله وتتجسس للرجال وتدس لهم الاخبار بين الفينة والفينة، ورغم لعن رسول الله لمن تأخر فقد تأخروا ورسول الله لا تخفى عليه نواياهم ومكائدهم ويدري بانقلابهم فاراد ان يبرهن على سوء نواياهم حينما اراد دواة وبياضاً ليكتب لهم عهدا لن يضلوا بعده ابداً، هنا كشّر الشيطان عن وجهه المملوء بالحقد

والحسد والمكيدة والخيانة واطلق كلمة اراد بها باطلاً على لسان أحد تلك العصبة المتآمرة كلمته التي القى بها الفتنة وكان هو وبضعة افراد على أهبة الاستعداد لتنفيذ مؤامرتهم فقال ان الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله وما كاد يقولها حتى تلقفها اعوانه واحدثوا ضوضاء باحوا بها عن اغراضهم كما صرح بعدها عمر في زمن خلافته لابن عباس قائلاً: انما اراد رسول الله ان يكتب عهداً كتابة إلى علي فمنعته. لقد كان رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، لا يفرق عليه القول في حال الصحة والمرض لأنه انما ينطق عن الله وانما خالفوا الله في اوامره ونواهييه وقد ضلّوا طريق الهداية والصراط المستقيم. فهل هجر رسول الله عندما اراد أن لا يضلوا ام هجر أبو بكر حينما اراد كتابة العهد فاغمي عليه حتى اتم العهد عثمان لعمر فكان جزاؤه ان كتب عمر له العهد باسم الشورى وقدمها لقمة سائغة لبني امية حينما ثبّت اقدامهم منذ عهد أبي بكر بتولية أبي بكر لابناء أبي سفيان في أرض الشام، ولابن النابغة في مصر ولأزنئ ثقيف، المغيرة بن شعبة واضرابهم ؛ في حين قد منع الحديث بقوله: عندنا كتاب الله.

نعم اراد بها ترك الحديث بل ترك سنن رسول الله وفضائل ذريته والاحاديث النازلة فيهم وما جاء في علي من الوصايا والفضائل وما يمكن ان يفضح خططهم، لأن رسول الله قد أوضح كل شيء بعده وعمر هو الذي اعترض على خالد في قتله مالك بن نويرة وافراد عشيرته المسلمين ونزوه على زوجته وثبت له ذلك وطلب حدّه فكانت التتيجة أن يعطي أبو بكر خالداً وساماً: انه اسد الله، وفي الوقت نفسه ثبت له ان مالكاً وجماعته كانوا مسلمين وعلى هذا الاساس اراد اعطاء الدية لأخيه، وهكذا يلعبون بمقدرات الاسلام وهو الذي باعتراف عمر ان بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها فأثبت بطلان خلافة أبي بكر وجميع اعماله، وهو الذي قال عن رسول الله: انه يهجر بيد انه يثبت بعدها خلافته

بعهد أبي بكر الذي هو نفسه فند بيعته[١] وقال: فلتة وقى الله المسلمين شرها، ولا ننسى ان ابا بكر هو الذي اعترف بقصوره فقال: أقيلوني بيعتكم فلست بخيركم، وهو يعترف أن هناك من هو افضل منه، وهو الذي اعترض عليه الصحابة على لسان الصحابي والذي هو على حد قولهم من الصحابة والمقربين[٢] ومن العشرة المبشرة فيقول لأبي بكر: ماذا تقول لربك إذا لقيته وأنت تخلّف عليهم فظاً غليظاً؟ وأبو بكر وعمر اللذين يعجزان عن حل المشاكل وأسئلة اليهود والنصارى فيحلها لهم علي ويعترفان بفضله ومكانته ومع هذا يغتصبان مجلسه في الخلافة، أليس عمر الذي قال مراراً وفي عدة طرق وبالفاظ مختلفة: لولا عليٌّ لهلك عمر، و: عقمت النساء أن يلدن مثل أبي الحسن و: لا أبقاني الله بعد علي، وقد مر ذكر ذلك، وهو الذي اعترف بأنَّ علياً مولاه، يقصد به يوم الغدير وقد مر ذكر ذلك بأسانيده، وهو الذي اعترف بحديث: ان مبغض علي منافق، وقد مر ذكر ذلك بأسانيده وهو الذي اعترف بأنه لو وليها أبو الحسن لأقامهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم، وبألفاظ مختلفة ونفس المعنى حتى قال له ابنه عبدالله: ما يمنعك ان تستخلفه؟ فيجيه عمر: لا أريد أن اتحملها حيّاً وميتاً. فكيف أعطاها لعثمان وهو الذي قال له. إنه سيولّيها بني امية وانهم سيتصرفون في رقاب الناس وأموالهم حتى يثوروا عليه ويقتلوه، بيد أنه مطمئن من مكانة معاوية فقد قال: انه كسرى العرب وقد هدد به رجال الشورى عندما قال: لا تتنازعوا فان معاوية وعمر بن العاص لكم بالمرصاد، وكيف حق له تعيين الشورى، وهو الذي تنبأ بكل ذلك وهو يعرف ان بني أمية أولاد الطلقاء ولم يعطهم حقاً من الولاية حينما قال: ان الحق للبدريين وبعدهم للأُحديين وبعدهم من يليهم، فكيف لم يعط علياً وآل بيت رسول الله وهم السابقون؟ وعليٌّ (الذي له أعظم القتلى ما لجيش المسلمين في

(١) وما بني على الباطل باطل.

(٢) يعني طلحة بن عبدالله ابن عم أبي بكر.

الجهود من بدر وأحد وله كل السهم في حرب الخندق بقتله عمرو بن عبد ود، وله الكل في خيبر ،وله النصيب الأوفى في حنين وغيرها) ليس له أيُّ نصيب رغم جهوده العظمى في زمن رسول الله وأبي بكر وزمن عمر حتى قال: لولا علي لهلك عمر هذا يحرم وهو الذي قال: لو وليها الأصلع لأقامكم على المحجة البيضاء. كيف ساغ له ان يحرمه حتى من حقه في فدك والخمس وإذا به يقدمها عمداً ومع سبق الاصرار لبني امية وقد تنبأ بأعمالهم، وإذا بعثمان يتصرف في بيت المال ورقاب المسلمين كما يأتي ذكره، ويولّي عليهم من يصلّي بالمسلمين سكران ويثبت جرمه، وإذا بالمسلمين يهرعون إليه ويفزعون من كل حدب وصوب، وإذا به لا يرضى ويجبر ويخون ويقتل، وإذا بمعاوية وعمرو بن العاص تصدق فيه نبوءات عمر وحروبه مع خليفة رسول الله بالنص وأمير المؤمنين بالانتخاب الجمعي الحقيقي وإذا بمعاوية يستولي على الحكم، وإذا به يفعل ما يشاء بأموال المسلمين ورقاب المسلمين بما فيهم قتل الصحابة وعترة رسول الله، وإذا به يبتدع سب خليفة رسول الله (نصاً وانتخاباً بالإجماع) بعد كل صلاة وفي كل عيد، وإذا به وبخلفائه من بعده يسخرون من احكام الله وحدوده وسنن رسوله، وإذا الظلم والتعدي والجور والقتل والغارة والهدم واستباحة مدينة رسول الله وبيت الله الحرام، وأعراض المسلمين مستباحة لهم، وإذا بهم يبدلون الحقائق ويزيفون ويغيّرون ويضعون مئات الالوف من الاحاديث والروايات الكاذبة عن رسول الله لآل امية وشيعتهم، ولأبي بكر وعمر وعثمان، وينسبون لهم الفضائل والكرامات، وفيها يبدلون ما جاء لرسول الله وذريته واخيه وخليفته بما يشوه سمعتهم وفضائلهم، وقد ثبت رغم ذلك التحريف والتزييف، ولكن لا زال التعصب الاعمى والجهل المطبق يعمُّ القوم والعلماء والكتّاب يعرفون ذلك ورغم علمهم غلبت عليهم الشهوة وأعمت بصيرتهم، وتغلّب عليهم الباطل واتبعوا كل شيطان مريد ولو اصغوا لنداء الحق واستغاثة المظلومين ولو انهم استمعوا القول فاتبعوا أحسنه؛

لهداهم الله إلى الصراط المستقيم. وعجبا منهم وهم يدّعون الاسلام ويعلمون ان رسولهم خير الرسل وذريته خير الذراري، ووصيه عليّاً خير الأوصياء ذلك الذي قام الاسلام بسيفه ذلك الفاتح المنصور في كل واقعة. مفخرة الاسلام، ومعجزته في الحرب والسلم الذي نزلت فيه الآيات البينات، وفاضت فضائله وكراماته، ذلك الذي على حد قول افلاطون لأصالته، لحكمته، لعلمه، لسابقته، لتجاربه، لتضحياته، لاخلاصه، لتقواه، لبره واحسانه، وللنصوص الإلهية والنبوية النازلة علي ولايته وامامته كان على الامة اتباعه، ذلك الذي ما دنسته الجاهلية والشرك، ذلك الذي حطم الأوثان. ويلكم كيف تحكمون.. أهذا يقارن بمن امضى حياته اكثرها في الجاهلية والشرك والدنس وكاد للإسلام والمسلمين ولله ولرسوله؟ وان خفي على من كان في صدر الاسلام فلا يخفى علينا وعلى جميع الحاضرين وكل العالمين. واني لاعود العقل والتجربة والمقاييس العقلية والادبية حينما يقول .

الكلام صفة المتكلم. والعمل صفة العامل، واوضاع الدولة صفة المسيطر، والنتائج الحاصلة هي نتيجة البذور، فمن زرع لا يحصد إلّا ما زرع، وعلى قدر ما سقى وحرث وتعب. وهيهات ان يجنى السكر من الحنظل، فمن ولّى آل امية وابن النابغة (عمرو بن العاص) والمغيرة بن شعبة الفاجر الزاني، وقرّب خالداً قاتل المسلمين الزاني بالمحصنة وسمّاه سيف الاسلام؟ ومن قرّب الكفرة والمنافقين والطلقاء والفاسقين، وأبعد خيرة آل البيت والصحابة المقربين، ومن بدأ يتحدّى حدود الله وسنن نبيه، وكانت نتيجة أعماله التفرقة والشقاق والضعف ؟

ايها القارئ الكريم من هيأ الملك لآل امية وآل مروان؟ ومن جاء به؟ اليست مكيدة؟ وقد علمنا ان ليس هناك انتخاب إلّا انتخاب مصطنع أم كان أبو بكر وعمر وعثمان تقدموا على عليّ لعلمهم وحكمتهم وقدرتهم الادارية وتجاربهم واصالتهم وسابقيتهم على حد قول افلاطون؟ ام تقدموا على عليّ

باعتبار القانون الطبيعي لمماثلته ومجانسته جسماً وروحاً لرسول الله كما يـرمم القلب بالقلب والكلية بالكلية أو عضلة مماثلة مكان عضلة فمن كان أحق بالامر؟ أعليّ أم هؤلاء؟ الم نعرف من القرآن من سورة المباهلة ان علياً نفس رسول الله؟ ومن سورة الطهارة قوله تعالى ﴿**انما يريد الله ليذهب عـنكم الرجس أهـل البـيت ويطهركم تطهيرا**﴾ أنهما كليهما طاهران قد اذهب الله عـنهما الرجس، وكـلاهما أحب خلق الله إلى الله، وكلاهما حسب آية الولاية لهم حـق الولايـة؟ ألم يـقل رسول الله في الأحاديث المتواترة: إن علياً له مقام هارون من موسى، ألم يكن عليٌّ وعترته سفن النجاة؟ ألم يكن علي باب مدينة علم رسول الله؟ ألم يقل رسول الله: ان لحمه لحمي ودمه دمي؟ ألم يأتِ بحديث الثقلين حيث قال: «إني تـارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»؟ ألم يقل ان تبع علياً اهتدى ومن ابتعد عنه هوى؟

فأيُّ حدود الله وسنن رسوله واوامره ونواهيه في علي واهـل بـيته رغـم وصاياه الكثيرة اتبعوا؟، ألم يقل: عدو علي ومبغضه كافر؟ وفـي روايـة أخـرى منافق، وفي إخرى فاسق، وهذه الروايات مسندة واكيدة فإذا جعلنا ذلك مقياساً وقاعدة وقد قاموا بخلاف ذلك فماذا نحكم عليهم بعد هذا وقـد وجـدنا نـتيجة اعمالهم حتى اليوم وما فيه وعليه الإسلام بسبب تـلك الفـتنة الكـبرى؟، وانـي لأتساءل: إذا لم تقم تلك الفتنة الكبرى ويغصب حق عليّ وذرية رسول الله هل تولى عثمان وآل معيط وآل امية وآل مروان بن الحكم؟ أكـانت تـقوم حـرب الجمل؟ أكانت تقوم حرب صفين والنهروان والحروب الطواحن الاخرى داخل الامة الاسلامية، والمجازر في زمن مـعاوية، واسـتئصال شأفـة آل رسـول الله وشيعته، وقتل الصحابة المقربين، وسب علي وآل البيت؟ إذا لم يغتصب حق علي وآل البيت أكان فتك يزيد بآل بيت رسول الله في كربلاء؟ وقتل عترة آل رسول

الله والصحابة البررة وإحراق خيامه وسلب ذراريه وارامله وتسييرهم، سبايا من كربلاء إلى الكوفة ثم إلى الشام كأنهم هم المعتدون والمشركون؟ لو لم يغتصبوا الحكم هل كان بإمكان يزيد ان يقوم بإباحة مدينة رسول الله اياماً واستحلال قتل الناس وهتك اعراض المدينة وهدمها وسلبها؟ أضربت مكة المكرمة وهي كعبتهم وقبلتهم؟ وبعدها اعمال مروان بن الحكم طريد رسول الله يجلس على منبر رسول الله ويصبح خليفته، وبعده عبد الملك ابنه وعماله كالحجاج وغيرهم وقتلهم المؤمنين ومحبي آل رسول الله، وبعده اولاده كالوليد ذلك الفاجر الذي مزق القرآن؟ ألم يكن قيام بني العباس والفتك بآل امية وبعدهم بالعلويين نتيجة لذلك الغصب الاول من قِبَل أبي بكر وعمر وعثمان؟ الم تكن هذه التفرقات والمشاكسات والمخالفات وقيام المذاهب المتعددة والفرق المختلفة في الاسلام إلّا بسبب سوء ادارة الدولة بعد ذلك الغصب والفتنة الكبرى؟، حقاً ان (الذي خبث لا يخرج إلّا نكدا)، وحقاً ان اول ظلم في الإسلام كان ذلك الذي بذر بذرة الظلم فأعطى نتيجتها على مر الاحقاب الشقاق والنفاق والظلم والفساد.

ونعود لنقول: لو سار القوم على عهد رسول الله، وساروا طبق أوامر الله ورسوله، واتبعوا حدود الله وآياته النازلة في علي، واتبعوا نفس رسول الله، واتبعوا من طهّره الله من الرجس هو وزوجته وأولاده وجدهم على حد سواء، واتبعوا من له حق الولاية بعد رسول الله بحكم القرآن في آية الولاية، واتبعوا أولي الأمر وهم محمد وعلي وآل محمد واتبعوا سنن رسول الله في علي وعترته كما جاء في حديث المنزلة وحديث الثقلين وحديث السفينة ويوم الدار وحديث يوم الغدير، والآيات النازلات فيه في حق علي، ولو أنهم لم ينقضوا ولايته وبيعته في ذلك اليوم العصيب الذي اشهد به رسول الله عليهم الله فقال: أنت شهيدي عليهم، وقال: اللهم أشهد أني أبلغت، وشهد جبرئيل على بيعة عمر وحذّره من المخالفة وقال له: لا ينقضها إلّا منافق، ولو أنهم لم يتخلفوا عن جيش أسامة، ولو ان عمر وجماعته لم يكيدوا للإسلام، ولم يعارض عمر يوم طلب رسول الله الدواة والبياض فقال أن الرجل (يعني رسول الله) ليهجر، ولو أنهم لم يتدبروا الفتنة ولم يقوموا بها في سقيفة بني ساعدة، ولو انهم وهم يعرفون الحق اتبعوه وأيدوا علياً واستمروا على بيعته ولم يعادوه ولم يغتصبوا فدك من الزهراء بعد غصبهم مقام الخلافة، ولو أنّهم لم يصروا على المخالفة والعداوة وبصورة مستمرة، ولو انهم لم يبعدوا الصالحين عن الولايات ويرسلوا الظالمين من أعداء رسول الله أمثال بني أمية وخالد وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، نعم لو انهم اتبعوا من كان يقيمهم

على المحجة البيضاء والصراط المستقيم ؛ لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت ارجلهم، ولو أنهم اتبعوا كتاب الله وسنة نبيه ولم يمنعوا نشر أحاديث رسول الله وسننه الصحيحة منذ البدء ؛ لما عمّت الاكاذيب والموضوعات المزيفات تلك التي وضعها شيعتهم والتي هيأوها لهم بعد منع الحديث، ولو انهم قصدوا بالفتح تعميم العدالة والحكمة والعلم والمساواة؛ لما فتكوا بأهل العلم من الصحابة وأبعدوهم ولما امر عمر ولاته بإحراق كتب العلم والآداب والفلسفة والفنون نتائج ادمغة المفكرين من العلماء والأدباء والفنانين والكتاب خلال آلاف السنين في الاسكندرية وبلاد الروم وبلاد الفرس ؛ لجهل الخليفة بمقام العلم وجهل عماله ؛ لأنّ الناس على دين ملوكهم. وماذا يعمل عليٌّ ولا أمر لمن لا يطاع؛ هذا وهم يعلمون مقامه العلمي وفضله، ولكن الأنانية والحسد والحقد والغيرة كل هذه تمنعهم من مشورته في أكثر الأوقات، ولطالما شاوروه في أمور اعيتهم الحيلة عندما وجه لهم اليهود والمسيحيون اسئلة، وأعيتهم الحيلة أو اضطروا لمشورته أو حضر مجلسهم وعدّل المعوج من اعمالهم ويشهد على صحة ذلك ما قاله عمر كراراً ومرارا: (لولا علي لهلك عمر) وهل عرفوا له حقه ومقامه العلمي؟ وهل آن لهم ان يسألوه وهو يعلن لهم: سلوني قبل أن تفقدوني. ويقول: هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله؟ وهو يوضح لهم أنه أعلم بالسماء من الارض، وأنه يعلم تأويل القرآن وكل آية وفيما نزلت ويعلم متشابهه ومحكمه، وقد وجدوا من علمه انه لم يردّ سائلاً إلّا أعلمه على قدر إدراكه. وقد برهنت اقواله واعماله على الحقائق وقدرته العظيمة. وهذا نهج البلاغة وما فيه شاهد على مقامه العلمي والادبي، كما شهدت أعماله، وأين منه من يُسأل عن القدر ويعجز من جوابه[1] فيتحامل على السائل ويهدده حتى لا يتجرأ غيره على السؤال وهو يدري فحوى

(١) راجع كتاب أبي بكر هنا في موسوعتنا وكيف هدد السائل عن القدر.

الآية ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾، ذلك هو أبو بكر، واما عمر[1] فكان عندما يعييه الجواب يهوي على السائل بالسب والضرب، وحتى حبس سائلاً عن آية قرآنية بعد ان اوجعه ضرباً وهو من اشراف قومه، ثم كان يخرجه كل يوم ويأمر بضربه ثم نفاه إلى عامله وامره بضربه وعدم قبول شهادته حتى مات، وسيأتي تفصيل ذلك في اعمال عمر وقد عجز أبو بكر عن تفسير الكلالة ولم يعرف معنى الأبّ في الآية (وفاكهة وأبا) وهو القائل: اقيلوني فلست بخيركم.

وكلاهما عجزا عن تفسير اكثر ما سُئلا عنه وقد كان عمر يعجز عن الاجابة عن أكثر الاشياء، وكانت اكثر اعماله واحكامه تخالف الشريعة، وكان يضطر في أكثر الاحيان للاعتراف بعجزه حتى امام النساء حتى قال: (حتّى النساء افقه منك يا عمر).

فمن كانت سابقته تلك أكثرها مشركاً وفي الحروب ليس له أثره وفي العلم كذلك، واعماله متناقضة؛ أيساوي من اجمعت على افضليته الامة، ونص عليه الله ورسوله، ولم يسبق زمن رسول الله وبعده ان يطعن فيه حتى عمر الذي قال فيه مراراً: لولا علي لهلك عمر. وقال فيه: لو وليها الاصلع لسلك بكم السبيل، ونراه في نهج البلاغة كيف ينتخب ولاته وكيف يدربهم وكيف يوصيهم وكيف يكون قدوة لغيره حتى اعترف به ألدُّ أعدائه. وسيأتيك ما صرح به معاوية وعمرو بن العاص، وقد رأينا كيف امتدحه القرآن ورسول الله وعمر، وكيف كانت سيرته في جميع حياته، وقد قلنا: ان الناس على دين ملوكهم. وقد رأيناه كيف امتنع من تعيين معاوية بل من ابقائه والياً على الشام عندما اشار عليه ابن عمه عبدالله بن عباس فابى ان يُبقيَ مثل معاوية ولو يوماً واحداً من قبله، وكيف يرضى علي أن يولّيَ فاجراً فاسقاً منافقاً أمثال معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة واضرابهم؟

(١) راجع كتاب عمر من موسوعتنا لترى كيف قابل السائل عن متشابه القرآن.

وقد رأيتم كيف اجتمع اقطاب الغش والفجور ضدّه. وقد رأيناه كيف تـغلب فـي حرب الجمل وكاد يتغلب على معاوية لولا أن ضربه أشقى الاشقياء ابن مـلجم، وقد رأيناه من قبل كيف قام الاسلام بسيفه ورأيه وكـيف كـان عـضداً وسـاعداً لرسول الله وذاباً عنه ولم نجد له نكسة طول مدة حياته زمن رسول الله سيان منها عندما كان معه في الحروب أو تلك التي سيرها وحده. منها يوم استخلفه فـي المدينة، ومنها يوم تركه في مكة ليؤدّيَ دينه ويرد الامانات ويقضي اوامره، ومنها تسييره إلى اليمن في حين قد خاب غيره، ومنها نصبه أمير لواء في خيبر، نعم وفي جميعها كان النصر معه، وأما بعد وفاة رسول الله وقد كان رسول الله ﷺ أعلمه بوقوع الفتن، وامره ﷺ بعدم القيام المسلح، وأمره ﷺ بالصبر والتجلد مـهما جاروا عليه ومهما تجاوزوا الحدَّ في الفتنة والجور والتعدّي، وكأنهم علموا بتلك الوصية فقالوا لبعضهم: إن الرّجل موصى، وإلّا فمن كان يجسر على التعدي على حريمه وهو أبيُّ الضيم فيحرق باب بيته، ويكسر ضلع عقيلته الزهراء سيدة نساء العالمين، ويسقط جنينها؟ ومن كان يستطيع ان يقوده جبراً من داره إلى أبي بكر حاسر الرأس حافي القدمين وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، ويـجبره عـلى البيعة لابي بكر وهو أميره الذي بايعه هو وعمر وغيرهما وهنأوه بـالخلافة مـن قبل؟ ومن كان يستطيع بدون دليل ان يغصب نحلة فاطمة ؟

ولو لم تستمر العجلة العظيمة التي حركها رسول الله للفتح وبعث في نفوس العرب القدرة الروحية والايمان بالفتوح وما انزل الله مـن الآيـات وبشّـر فـيها الصابرين وهدد فـيها المـتخلفين والفـارّين، ورأى العـرب بأُمّ اعـينهم الفـتوح المستمرة في زمن رسول الله بما يبدونه من تضحية لما سارت تلك العجلة بتلك السرعة في الشرق والغرب ففتحوا بلاد كسرى وقيصر، واستولوا على حضاراتهم الواسعة. فما كانت نتيجتهم وماذا استفادوا وافادوا. ونحن نـعلم ان هـذه البـلاد المفتوحة كانت مليئة بالحضارات القـديمة والعـلوم والفـنون والحكـمة، وفـيها

الحضارة والمدنية، وفيها المكتبات المليئة بالكتب، وعندها الانظمة والدوائر المنظمة، وعندها اصول الحياة الاجتماعية والصناعات والفنون، وعندهم المؤسسات التعليمية والمنشآت الفنية والاسلام جاءهم بقوة الايمان والوحدانية وتوحيد الكلمة والمساواة، والعدالة والأخلاق السامية، والمباني الانسانية وحقوق الانسان التي جمعها بآية واحدة أسندتها آيات اخرى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبث الفضائل والبر والاحسان والرأفة والاخوة والاصلاح، واتباع اصول المنطق الصحيح والعقل السليم في مسالكهم ومناهجهم، وان يكون الخلفاء والقادة قدوة صالحة للرعايا، وبغيتهم الخدمة العامة للفرد والمجتمع، وخلق روح الوئام وبث روح الاصلاح والسلام، وتربية الصغار والكبار على مكارم الاخلاق والدين الحنيف، والابتعاد عن الاغراض الشخصية والاحقاد النفسية والاعتداء على الانفس والاموال إلاّ في حدود كتاب الله وسنة رسوله، ترغيب اهل العلم والايمان وذوي المنطق السليم والعقل الصائب وأهل البر والاحسان واستقطابهم، وابعاد أهل النفاق والفسق والفجور وشل ايديهم عن بث الفساد، وترويج المعرفة والعلم والحكمة والعمل الصالح المثمر، والقول الفصل العدل، وتقريب الصلحاء وابعاد الطلحاء، وتولية القضاة الذين امر بحكمهم الشرع الاسلامي المستكملين العقل والعلم والايمان والعدالة واصالة الاعراق، وان لا نبتعد لحظة من مشورة العقل والعقلاء.

فهل تجد بعد رسول الله أي دولة اتبعت ذلك إلاّ في عهد علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين اعلم العلماء، واعدل القضاة واحكم الحكماء، واقضى الفقهاء، واتقى الناس بعد رسول الله، وازكاهم واسبقهم ايمانا، واشجعهم في جنب الله، وانصفهم وابرّهم واكثرهم اخلاصا ورأفة على الضعفاء، وهو بعد رسول الله لم يزل ـ مع ما يحمله من القوة الجسمية والروحية والعلمية ـ شاباً لو ولي الخلافة كيف كان ينصب القضاة، والولاة، وكيف كان يبث العدالة والمساواة الحقيقية وكيف كان

يحفظ مقام العلم والعلماء، والحكمة والحكماء، والايمان والمؤمنين، وكيف كان يقوم طوال حياته المديدة الطويلة بما يجلب للانسانية من السعادة ويشملها بالخيرات الروحية والجسمية، وكيف كان يبث العلم والعمل، وان شئت فعد إلى نهج البلاغة لترى آراءه الاجتماعية وقضاءه وسياسته، وعد الى عهد مالك ورسائله إلى عمّاله وبنيه، وخطبه العظيمة، ثم عد إلى عمله لتراه عاملاً ومزارعاً وقاضياً ووالياً ومحارباً ومجاهداً يواسي الفقير واليتيم والاسير لوجه الله فهو يريد ان يعيش كعيشة أقلّ افراد حكومته ليتحسس بأذواقهم واحساسهم، ويوصي بذلك عماله، ويتساوى عنده القويُّ والضعيف، والفقير والغني، والابيض والاسود، ولا يفرق بين الافراد ساعة العدالة من أية ملة ومذهب ودين ولون وجنس، ولا يصرف بيت المال إلاّ بالعدل والانصاف وإلى اقصى ما امر به الله ورسوله، وهكذا كان ولاته فَمَنْ مثله؟ وكيف كانت في عهده المديد لو ساعد الحظ الامة وتولى الأمر؟ وكيف كان يسود السلام والوئام والخير الكرة الارضية؟ وكيف كان يعم الوفاق العالم؟ وكيف لا يعم ونحن نرى تأخر الاسلام انما كان بسبب عدم اتباع الشرع وحدود الله فنرى اختلاف امراء بني أمية في الغرب يوقف تقدمهم في اوربا، واختلافات بني العباس والتفرقة وعدم تمسكهم بالاصول تؤخرهم في الشرق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تجد في زمن عمر كيف يحكم الخليفة بإحراق الكتب في الاسكندرية وبلاد فارس فيعيد البشر آلاف السنين القهقرى، إذ قد أحرق نتائج أفكار فحول العلماء والحكماء والادباء والفنيين من جهة، ومن جهة أخرى أوقف المعارف الاسلامية بوقف الحديث ومنعه، ثم الدرس بيد أبناء الطلقاء والمنافقين اولئك الذين لمّا يدخل الايمان في نفوسهم، وكيف يستطيع غير ذلك وقد قضى اكثر حياته مشركا ولم تكن له اثرة في العلم والحكمة والشجاعة والتقوى والسابقة والاصالة البيتية، وفاقد الشيء كيف يعطيه!، فكيف تريد ان يعم العلم والعدل والحق والمعرفة والتقوى والاصالة إلاّ ممن يحملها ويعيرها وزناً،

فهل يرجى من امثال اولئك الامراء بعد السقيفة خير؟ هل يرجى غير هذه النتائج السائدة الى اليوم؟ واننا لا نستطيع ابداً ان نقبل النتائج الحـاصلة للـمسلمين إلاّ لتخلفهم منذ يوم السقيفة واغتصاب الحكم من أهله .

اننا جميعاً نقدر اعمال الرسول، ونعرف حق المعرفة بما أوصى بـه ونـعير اهمية لعليٍّ وأهل بيت رسول الله، بيدَ أن الموضوعات والاكاذيب والمزيفات التي وضعت في زمن بني امية لا زالت تخالجنا رغم انها تنافي الواقع، وتريد بعد هذا ان نوفق بين علي وأبي بكر وعمر وعثمان، وتريد ان نـقول: ان الزهـراء حـين طالبت بفدك قالت حقاً وفي عين الوقت نقول ان أبا بكر قال حقاً واجتهد صدقاً، وتريد أيضاً أن نوفق بين قول عمر في خالد: إنه قتل مسلماً ونزا عـلى زوجـته، وقول أبي بكر: انه اجتهد وأخطأ واعطاه وسام سيف الله، وتـريد أن نـوفق بـين حكمة عمر يوم قام بفتنته الاولى حـين طـلب رسـول الله وهـو مـريض الدواة والبياض ليكتب للامة عهداً لن يضلوا من بعده فقال ان الرجل ليهجر، وعهد أبي بكر في مرض موته إلى عمر. ونراكم تتناسون غدير خم وقد ورد فيه من التواتر اكثر مما ورد في القرآن، ونراكم تتجاهلون فضائل علي وكـرامـاته واوامـر الله ورسوله في ولايته على المؤمنين وتخبطون خبط عشواء للربط بينهما وبين اعمال الخلفاء الراشدين المزيفة الموضوعة في زمن بني امية، وتراكم تتجاهلون حديث المنزلة وحديث الثقلين وحديث سفينة نوح واحاديث الغدير، وتتجاهلون آيات المباهلة والطهارة والولاية ومئات الآيات الاخرى في علي وولايته وتـريدون سد ما يمليه عليكم العقل لاتباع علي وآل محمد فيعود عليكم الشيطان والنفس الامارة وتحرفكم عن الصراط المستقيم، الم يقل الله في كـتابه ﴿فـبشّر عـباد * الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه﴾ و﴿هل يسـتوي الذيـن يـعلمون والذيـن لايعلمون﴾ و ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع امّن لا يهدّي إلاّ أن يهدى﴾؟ وهل يسـتوي السـابقون مـع المـتأخرين؟ هـل يسـتوي المـجاهدون والمكـافحون

والثابتون والذابون والفائزون مع الهاربين والمدبرين؟ هل يستوي أحبّاء الله مع أعدائه؟ هل يستوي من اطاع الله ورسوله وأقام حدوده وسننه هو ومن اوقف حدوده وبدّل نصوصه؟! مالكم كيف تحكمون! هل يستوي من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويوقر العلماء والحكماء والمؤمنين، ويبعد أعداء الله والمنافقين مع من يعمل العكس والضد؟! وان انكرت فالتاريخ اعظم شاهد على ما نقول. وبعد! لو كانت الخلافة بعد رسول الله بيد أهلها لسادت السعادة ولكان العالم اليوم وحدة اسلامية سعيدة وكانت الارض جناناً واماناً.

لقد شاهدتم سيرة علي زمن رسول الله وزمن الخلفاء الراشدين فوجدتموه حقّاً الصديق العادل التقي المخلص لله ولرسوله، ووجدتم سيرته زمن خلافته ورأيتم عماله كيف كانوا من خيرة القوم ونخبة النخبة، ورأيتم اقواله المقرونة بأفعاله، ويقظته، ووصاياه المأثورة. وها أني اقدم نبذة منها ادناه دالة على عدالته وانصافه وبره وألطافه حيث قال لولاته «فأنصفوا الناس من انفسكم، واصبروا بحوائجهم، فانكم خزان الرعية، ووكلاء الأمّة، وسفراء الأئمة، ولا تحشمُوا احداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعُنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا عبداً، ولا تضربن احداً سوطاً لمكان درهم»[1] وتجده أدناه كيف يدبر ويدير ويربي ولاته وعماله ويراعيهم ويراقبهم حيث يقول لولاته: «ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم اختباراً ولاتولهم محاباة وأثره فإنّهما جِمَاعٌ من شُعَبِ الجور والخيانة وتَوَخَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكثر اخلاقاً، وأصحُّ أعراضا، وأقلُّ في المطامع إشراقاً، وابلغ في عواقب الامور نظراً، ثم أسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم،

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٥١ / تنظيم صبحي الصالح / ٤٢٥.

وحجة عليهم ان خالفوا امرك أو ثلموا امانتك، ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم، فإنَّ تعاهدك في السر لأُمورهم حَدْوَةٌ لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية»[1].

وقد أوصى بالناس خيراً بعدم كشف معايبهم بل القيام باصلاحها وسترها حيث بلغ بوصيته اياهم قوله: «وليكن ابعد رعيتك منك وأشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس، فان في الناس عيوبا الوالي أحقُّ من سترها، فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها، فانما عليك تطهير ما ظهر منها» ترى كيف يحرص على ادق المعاني والاخلاق السامية التي جاء بها الاسلام، ويربي ولاته وعمّاله عليها، ويقدم لهم أدق النصائح والآراء الحكيمة، ويقودهم إلى النهج القويم من الابتعاد عن مواقع الضعف والخيانة ومصادر الشرور والفجور فيقول: «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الامور، ولا حريصاً يُزَيِّن لك الشره بالجور؛ فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله». ونراه يوصي بالابتعاد عن الاشرار الآثمين والظلمة وعدم الاستعانة بهم على ادارة الامور. «ان شرّ وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام، فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الأثمة، وإخوان الظلمة، وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم» واما زهده فحدث عنه ولا حرج.

ولابد لنا قبل ان نبحث في الغصب ان نعرف المغصوب ونثبت ملكيته ودلائل الملكية، ونوع التعدي وعلته، وعدم مشروعية الغاصب ودلائل الغصب، والآثار المترتبة على هذا الغصب.

فما هي فدك؟ وبعد تصفح ص٣٤٣ ج٦ من معجم البلدان لياقوت الحموي

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم ٥٣ / صبحي الصالح / ٤٣٥.

وتاريخ احمد بن يحيى البلاذري البغدادي المتوفى سنة ٢٧٩، وابن ابي الحديد المعتزلي ج ٤ ص٧٨ في شرح نهج البلاغة طبع مصر نقلاً عن أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، ومحمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير، وغيرهم من مؤرخي ومحدثي أهل السنة والعامة، نجد ما خلاصته انه بعد فتح قلاع خيبر جاء اكابر رجالات ومالكي فدك والعوالي (وهي سبع قرى تحد بعضها بعضاً تقع في سفوح جبال المدينة حتى سيف البحر وهي مشهورة بكثرة النخيل والغلة، وسيعة ممتدة يمكن معرفة سعتها من حدودها حيث يقع أحد حدودها بجبل أحد قرب المدينة المنورة، والحد الثاني بالعريش والثالث بسيف البحر والرابع بحومة دومة الجندل) جاءوا إلى رسول الله ﷺ واقروا مع عقد صلح على ان يكون نصف فدك لرسول الله ونصفه الآخر لهم. وبعد عودته ﷺ إلى المدينة المنورة نزل جبرئيل عن الله بالآية ٢٨ من سورة بني اسرائيل وهي ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾ ففكر رسول الله ﷺ في من هم ذوو القربى، وما هو حقهم فجاء جبرئيل ثانية وقال: ان الله عزَّ وجلَّ يأمرك أنِ ادفع فدكا إلى فاطمة. فأرسل إلى فاطمة وقال «ان الله امرني ان ادفع إليك فدكا». لذا قدمها لها في تلك الجلسة وايد المفسرون ذلك امثال الامام أحمد الثعلبي في تفسير كشف البيان، وجلال الدين السيوطي في تفسيره الجلد الثاني عن الحافظ ابن مردويه أحمد بن موسى المفسر المعروف المتوفى سنة ٣٥٢ عن أبي سعيد الخدري، والحاكم أبي القاسم الحسكاني وابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي الفقيه الشافعي في التاريخ، والشيخ سليمان البلخي الحنفي في الباب ٣٩ من ينابيع المودة عن تفسير الثعلبي، وجمع الفوائد وعيون الاخبار بقولهم: لما نزلت: «﴿وآت ذا القربى حقه﴾ دعا النبي ﷺ فاطمة فاعطاها فدكاً الكبير» فكانت فدك في تصرفها في زمان حياة رسول الله وكانت توجرها هي نفسها في زمن حياته ﷺ، وكانوا يقدمون لها مال الاجارة في ثلاثة أقساط، وكانت ؑ تأخذ

منه ما يكفيها وولديها الحسنين لليلة واحدة وتقسم الباقي بين فقراء بني هاشم، وما زاد تقسمه على سائر الفقراء والمساكـين بـراً واحسـاناً مـنها، وبمجرد أن مات ﷺ ذهب عمال الخليفة واغتصبوا الملك من فاطمة الزهراء ومنعوها مـن التصرف وتملكوه. وقد ذكرت اعلاه من ذكر الآية المارة وامر الله الرسول لاعطاء فدك إلى ابنته الحبيبة ولم يكن هؤلاء وحدهم من ايد تلك الآية وامر الله في ذلك، بل ان ذلك خرج من حد التواتر، وايد ذلك الحـافظ ابـن مـردويه والواقـدي، والحاكم في تفاسيرهم وفي تواريخهم، وجلال الدين السيوطي ص١٧٧ ج ٤ في الدر المنثور، والمولى علي المتقي الحنفي في كنز العمال، وما كتبه في الحـاشية المختصرة من مسند الامام احمد بن حنبل في مسألة صـلة الرحـم عـن كـتاب الاخلاق، وابن أبي الحديد في الجلد ٤ من نهج البلاغة من طرق مـختلفة غـير طريق أبي سعيد الخدري، كلهم نقلوا انه عندما نزلت الآية الشريفة: اعطى رسول الله ﷺ فدكا إلى فاطمة بضعته وأم العترة الطاهرة فاطمة الزهراء ﷺ.

وقد غصبها أبو بكر وعمر بعد غصبهما الخلافة تأييداً لغصبهما الأول وتقوية لهما دون دليل واثبات سوى ما جاء به أبو بكر ﷺ من حديث اختلقه وافتراه ولم يُقم عليه (البينة)، وهو الغاصب والحاكم والمدعي، وقد اثبتت الزهراء والحوادث التي تلتها ظلمه وغصبه لها ولعترتها.

فماذا افترى واختلق تأييداً لغصبه هذا؟ وهل تخفى الحقائق وأي حـقيقة أوضح من هذه؟ ولمن؟ ومتى؟ ايستطيع أبو بكر مهما اوتي من قدرة وسلطة ان يثبت أمراً اختلقه وما انزل الله به من سلطان امام بضعة رسول الله التي حاكت أباها نزاهة وفصاحة وشجاعة. اذ تخاطبه بخطبتها العصماء وكلماتها المستدلة الرنـانة امام المهاجرين والانصار فتطالبه وتسأله بأيِّ حدٍّ من حدود الله وأية سـنة مـن سنن نبيه قام بذلك الغصب المنكر والعداوة الواضحة؛ فيقول لهـا: «انـي سـمعت

رسول الله يقول: نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة». ولو درى ان كلمته هذه سينكشف زيفها وانها مجعولة لما قالها ابداً، ولاختلق بعض ما يبرر ساحته التي يحاول ان يبرقعها ببرقع من القدسية، ولقال على أقل تقدير: انا لا اورث ولم يقل نحن معاشر الانبياء، وهنا برهن على قلة علمه بالقرآن الذي فيه الآيات البينات على توريث الأنبياء أولادهم وذويهم. وقد نقل خطبة الزهراء واستدلالها العظيم المحدث المتبحر أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري الموثق من أكثر علماء السنة مثل ابن أبي الحديد ص٧٨ ج ٤ أسانيد خطبة الزهراء، بنهج البلاغة بانه متقٍ ورع محدث أخرجه في كتاب السقيفة. وابن الاثير في النهاية، والمسعودي في اخبار الزمان والاوسط، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٤ ص٧٨ عن الجوهري، كما وفي كتاب السقيفة وفدك من طرق واسانيد مختلفة عن آل البيت. وفي ص٦٣ عن عائشة أم المؤمنين، وص ٩٤ عن محمد بن عمران المرزباني عن آل البيت وغيرهم عن علماء السنة والجماعة يذكر فيها محاجة الزهراء مع أبي بكر في المسجد امام المسلمين ومنهم المهاجرون والانصار بدرجة افحمتهم جميعاً حتى اضطروا للضوضاء. ومما استدلت به من الآيات القرآنية قوله تعالى:

١ ـ ﴿وورث سليمان داود﴾[(١)].

٢ ـ ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[(٢)].

٣ ـ ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وانت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى﴾[(٣)].

---

(١) سورة النحل، الآية ١٦.
(٢) سورة مريم، الآية ٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان ٨٩ ـ ٩٠.

وآنذاك قالت ﷺ: «يا ابن قحافة! أفي كتاب الله أن ترث اباك ولا ارث أبي! لقد جئت شيئاً فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟»

٤ ـ ألم يقل الله في قرآنه المجيد: ﴿واولو الارحام بعضهم اولى ببعض﴾[1].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾[2].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت ان ترك خير الوصية للوالدين والاقربين حقاً على المتقين﴾[3].

حتى قالت: «أفخصّكم بآية اخرج أبي منها؟ أم انتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي[4]؟» وهل استطاع أبو بكر وعمر واتباعهما امام هذه الادلة والبراهين القوية القطعية الداحضة على حقها وتعدّيهم على حدود الله وسنن نبيه أن ينبسوا ببنت شفة؟ أو يدلوا بدليل سوى انحراف إلى انحرافهم؟ والتمسك الاعمى بباطلهم، فأيُّ دليل يدحض الآيات القرآنية؟ وهل تستطيع رواية افتضح جعلها ووضعها يريد بها ذو القوة سلب حق جاءت به النصوص القرآنية دون نص أو سنة أو علم أهل بيت رسوله وصحابته المقربين، وإذ رأتهم تمادوا في طغيانهم واصروا على عنادهم تأثرت شاكية وقالت: «كسرتم قلبي وسلبتم حقي واني لأُحاكمنكم يوم القيامة في محكمة العدل الالهية والله واسع قدير على اخذ حقي ـ قائلة ـ فنعم الحكم الله، والزعيم محمد ﷺ، والموعد القيامة، وعند الساعة

---

(١) سورة الانفال، الآية ٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية ١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٦.

(٤) واني لاعجب من هذه الرواية المختلقة كيف أسرَّها النبي لأبي بكر وحده ولم يذكرها لوصيه وأخيه وخليفته وحبيبه وبضعته الطاهرة وصحابته وزوجاته وهو لا يخفى عليه كيف تنقلب بعده الاوضاع. ان القارئ الكريم لا أشك انه معي سوف ينقم من هذا التعرض الشائن لرسول الله وعترته.

يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم» .

لقد قاموا تجاه بضعة رسول الله وعترته ووصيه وخليفته بما يستنكره العقل السليم والوجدان الحي، وحقيق ان يستنكر، وحقيق ان يكون ذلك في حكم المستحيل بعد ان علم الكل ان رسول الله يقول: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وبعد ان قرأ الآية المباركة ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً﴾ وكيف يقبل أي مسلم ان امثال أبي بكر وعمر ومن تبعهما اولئك الذين هم اقرب صحابة رسول الله واولئك الذين سمعوا من رسول الله كراراً يقول «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا» وقد ثبت بالتواتر ذلك كما مر وهم الذين حضروا يوم غدير خم وبايعوا علياً بالولاية والامامة، وهم الذين سمعو آية الولاية في علي، وسمعوا آية التطهير في علي وبنيه وزوجته الطاهرة، وهم الذين يعرفون آية المباهلة فيهم فكيف يقبل ذو وجدان ان يخالفوا كل ذلك ويسلبوا حقوقهم ويعتدوا على حدود الله وسنن نبيه؟ وهل يعمل ذلك إلّا كافر او مرتد او منافق أو فاسق؟[1]

نعم لقد ثبت بصورة متواترة رغم كل ذلك ان أبا بكر وعمر ومن تبعهما عملوا كل ذلك، وبما كان لديهم من حول وطول ارادوا ان يبرهنوا خلاف ذلك ويحرفوا الحقيقة عن مجاريها ويقيموا الاباطيل مكانها ولم يقصروا ابداً في ذلك هم ومن تولاهم بارادتهم بعدهم، ورغم كل المحاولات فقد جاءت دون خلاف

---

(١) ترى كيف ناقض أبو بكر قوله حينما كتب كتابه لفاطمة على رد فدك فمزقه عمر، اخرج ذلك سبط ابن الجوزي في السيرة الحلبية ٣٩١/٣، وكيف جاز للخليفة رد فك إن كان واثقا من صحة خبره .

اعمالهم المنكرة المخالفة للنصوص، فبماذا تحكم عليهم، ولا استطيع القول لمن اراد تبرئتهم إلّا وقد شمله ما شملهم من العقاب لأنهم ساروا نفس مسير الظلم الذي سار غليه من أسس اساسه. اليس أبو بكر وعمر هما اللذان خالفا نص الوصاية وصاية رسول الله في علي كما مر في موارد متواترة وغصبا منصب الخلافة وغصبا فدكا، وامام الحجج الداحضة يصعد أبو بكر منبر رسول الله ويسب وصي رسول الله وبضعته الطاهرة بقوله: (ثعلب يستشهد بذيله) يقصد علياً وفاطمة وسيرد ذلك مفصلاً. وللاختصار ارجو من القارئ الكريم ان يرجع لما كتبه ابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي ص٨ ج ٤ في شرح نهج البلاغة في تلك العبارات المهينة التي وجهها أبو بكر على منبر رسول الله لعلي وفاطمة ليقابل بها بقوته قوة استدلالهم لانه عجز امام المنطق فعاد للقوة والقسر.

لقد قام علي ﷺ بعد ان نزلت فاطمة، وبعد خطبتها العصماء، وخاطب أبا بكر قائلاً: «لماذا سلبت حق فاطمة من ميراث ابيها بالرغم من أنهما كانت مالكة لذلك في حياة أبيها» وعوض أن يجيب على سؤاله حوّر ذلك تحويراً أخرجه عن حقيقته وقال: ان فدكا هي للمسلمين فإن كان لها شاهد فلتقدمه فإن كان ملكها فأعطيها اياها وإلّا احرمها. فقال علي ﷺ «اتحكم فينا بغير ما تحكم في المسلمين؟ الم يقل رسول الله ﷺ البينة على من ادعى واليمين على من انكر» أي ان المدعي هو أبو بكر وعليه ان يقيم البينة لا فاطمة التي هي المتصرفة، فاطمة الطاهرة المنزهة في آية التطهير: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ وقال علي ﷺ: لو ان شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً بها، قال اقيم عليها الحد كسائر النساء. قال علي ﷺ كنت إذاً عند الله من الكافرين لانك رددت شهادة الله لها بالطهارة حيث قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾. ألم تنزل فينا هذه الآية؟ فاجاب: بلى،

فقال: ان الله يشهد بطهارتها وبعد هذا تدّعي بمال بيدها وتردها وتقبل شهادة أعرابي بوّال على عقبيه؟! قال علي ذلك وعاد إلى بيته، فقامت ضجة في الناس يصدقون فيها علياً وفاطمة.

أبو بكر يهجو علياً وفاطمة

عندما وجد أبو بكر الضجة والانتقاد بعد ذهاب علي قام وصعد المنبر وقال متحمساً: «أيها الناس! ما هذه الضوضاء وهذا الصخب؟ انما قام علي كما رأيتم لأنا رددنا شهادته. ثم حمل على علي خليفة رسول الله والذي قال عنه ﷺ انه الفاروق والصديق الاعظم، وإنه إمام الغر المحجّلين وقدوة المتقين وذلك الذي أشاد بذكره القرآن في آياته ورسول الله في أحاديثه، ولي المسلمين بعد رسول الله، ذلك الذي قام بحد سيفه الاسلام في كل واقعة قامت بين المشركين والمسلمين. كان علي هو الفيصل الأوحد لفوز المسلمين واندحار المشركين، ولم يكن لأبي بكر وعمر أثر يذكر بل العكس، كانا في مقدمة الهاربين في خيبر وبدر واحد والخندق وحنين وغيرها ولم تذكر لهم آراء أو اعمالٌ علمية أو قضائية ولطالما كانا مثار تأثر رسول الله ﷺ في الحديبية وبعثة أسامة وفي مرض موته وغيرها، واليوم ينقضان البيعة التي اخذها رسول الله بأمر الله منهما لعلي ويسلبانه حقه وحق بضعة رسول الله ذينك الطاهرين من الارجاس، نعم بعد هذاترى أبا بكر يصعد منبر رسول الله ويهاجم الرجل الأول في الإسلام وبضعة رسول الله الصادقة المصدقة الطاهرة ويقول:

«إنما هو ثعالة شد ذنبه، مُربٌّ لكل فتنة» هو الذي يقول: كروها جذعة بعدما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال احب اهلها إليها

البغيّ[1] يعني ان فاطمة ثعلبة شاهدها علي. وبالتالي يتهم علياً بأنه طالب فتنة ويريك الفتنة الكبيرة صغيرة ويرغب الناس ويحرضهم على الفتن والفساد. يطلب المعونة من الضعفاء والنساء كام طحال. وأم طحال امرأة زانية في الجاهلية وكانت ترغب ان يزني اقرباؤها. في هذا راجع ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة .

لقد رأيت ما ورد في فضائل وكرامات علي على لسان القرآن ورسول الله وأعماله الجبارة في الإسلام وشجاعته وعلمه وبره واحسانه هذا علي يَصِمُهُ أبو بكر بهذا عوض ان يرد دلائله وبراهينه التي عجز عنها. من المؤسف يا أبا بكر ليتك تفوهت بكلمة امام رسول الله في علي لرأيته اخرجك من صف الصحابة ولقد خرجت على الله ورسوله ان كنت خرجت على عليٍّ، علي ذلك الفاروق بين المؤمن والمنافق، يعسوب الدين، نفس رسول الله واخيه ووزيره ووصيه وزوج بضعته وأبي عترته، قرين القرآن .

انت يا أبا بكر تغصب منصب الخلافة وتسلب حق العترة الطاهرة وحريٌّ بك أن تقول ما تشاء: ألست الذي أودعت الخلافة إلى ألدّ أعداء الإسلام من أمثال الامويين أُولئك الذين مزقوا الاسلام طوائف وفرقاً واوقعوه في الشقاق والنفاق ؟

وبعد هذا يحرفون الكلمة ويشوهون الحقائق ولا عتب على الجهال بل العتب على من يدّعي العلم والحكمة والعقل والسداد أن لا يفرق بين الحق والباطل، ويماطل، وحتى متى؟ وهل أن علينا أن نترك الحقائق التاريخية دون ان نمحصها، ونترك الباطل يغلب الحق والحق مغلوب الباطل، ونرى بأُم أعيننا أنّ المسلمين ما يزالون مخدوعين ويتفشى بينهم الافك والاباطيل. ويرضون بغير ما امر الله ونهي عنه! أهذا صاحب رسول الله حقاً يقوم بعده بما قام ويبدل احكامه

(١) شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ٢١٥/١٦، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي بقم، ط ٢، ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم .

وَيَتَضِمَ من قام على عاتقه الاسلام بما يخجل منه جبين الانسانية؟! أبو بكر هذا الذي صاحب رسول الله ويعرف علياً ويعرف أن مبغضه منافق ومحبه مؤمن بل يعرف أن عدوَّ علي كافر أكان يؤمن بالله ورسوله ثم يسدد كلامه ذلك إلى علي وعترته ويلح في العداء حتى يموت. أنشدكم بالله لولا أبو بكـر وعـمر أكـانت الويلاتَ على آل رسول الله؟ وهل قام بنوا امية بمظالمهم؟ وهل تفرق الاسـلام شذر مذر؟ وهل خلقت المذاهب في جسم الامة؟ أنشدكم بالله لو انهم ساندوا علياً كما اراد الله ورسوله، وكما بايعوه يوم غدير خم، كيف سار بالاسلام والمسلمين؟ الم تكن راياته اليوم تخفق على العالم أجمع؟ الم يَسُدْ الاسلام كدين واحد وعمت المساواة طبقات البشر؟ اننا لم نكن ذلك الزمان وقد مضى عليه الف واربعمائة سنة ولكن لنعد إلى صدر الاسلام ونرى اعمالهم هو وولاته ونقيسها مع اوامـر الله ورسوله فالناس على دين ملوكهم وهذه نتيجة طبيعية وامامنا النتائج الحـاصلة فلندرسها ونغير ونتبع من جديد ما أمر به الله ورسوله، ونتبع احكـام الله وسـنن رسوله، ونميز الخبيث من الطيب فنتبع الطيب ونرمي بالخبيث عرض الحائط، ولا تغلب علينا الوقائع المزيفة ان نترك الحق ونتبع الباطل ونـتبع قـول الله ﴿فـبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هـم أولو الالباب﴾ .

وعندنا الـميزان العـقلي والارادة، ونـحن احـرار فـي افكـارنا واعـمالنا واختيارنا فلنتَّبع الأحسن ونترك الخبيث، نعرفه من اتباعه حـدود الله وأعـماله ونتائجها ولنترك ما اعتدنا عليه من تلك التي شبنا عـليها دون رعـاية مـنطقية، واعتدنا عليه دون بصيرة كمن اعتاد على مواد وأخلاق اردته في الهوّة، ويعز عليه تركها، فيخلق لنفسه معاذير ما أنزل الله بها من سلطان، اذن ما الفرق بين ذي اللب ذي الارادة والبصيرة وغيره؟ واين الحكمة وطريق الرشاد؟ وقد هدانا الله بالعقل والسداد. فعلينا تعديل المعوج والصبر والثبات حتى ندرك الحقيقة والواقع والحق

والانصاف سواء ما كان منها في الماضي والحاضر، وان لا تقبل ظلماً مضى ولا قسراً يأتي سواء على الغير أو النفس، على القريب أو البعيد، وان تكون الحرية الفكرية والجسمية أقصى مرامنا، وكما نهواها لأنفسنا نريدها لبني جارتنا. ولا تتغلب علينا روح الاجتماع وصخب الخطباء وولولة المتكلمين فنحيد عن الطريق السوي، وان نسير في الطريق المستقيم. نعم ولطالما تغلبت العاطفة وشوهت الحقائق امام المطامع وامام غريزة التفوق، وإنّي أقول لك: ان الذين جاءوا بعد رسول الله كانوا رجال سياسة، ولكي يبلغوا ويتفوقوا ـ والملك عقيم ـ ما كان لهم إلّا تحطيم ما يعيقهم، وحيث انهم جاءوا على خلاف ما اراد الله ورسوله، فاول حجر عثرة امامهم هم العترة وعلى رأسهم عليٌّ فكان عليهم تحطيمهم إلى الابد، فبذلوا قصارى جهودهم المادية والمعنوية كي يحرفوا الناس عن سيرهم، واني لا استشهد بما كتبه علماء الشيعة والامامية وحسب بل المنصفون من علماء السنة والجماعة امثال ابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٨٠ حيث يقول: «لقد تعجبت من كلام أبي بكر فسألت استاذي أبا يحيى النقيب جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري، قلت له: هل عنى وكنّى الخليفة في كلامه هذا؟ فقال: لم تكن كناية وتعريض بل هي الصراحة في الكلام. قلت: إذا كانت صراحة ما كنت أسأل. فضحك، وقال: لعلي بن أبي طالب. قلت: هذا الكلام كله؟ قال: نعم. انه الملك يا بني» فاعتبروا يا أولي الابصار.

أصحيح أنَّ هذه التهم وهذه الكلمات البذيئة والوقيحة لعلي المرتضى وفاطمة الزهراء؟ أصحيح أنها صدرت من ابي بكر؟ أعلي ثعالة والزهراء ذنبه وعلي أم طحال الزانية ؟

فالجواب نعم، وصدر أعظم من ذلك وأعظم يوم أمر خالداً بقتله وبدّل فكرته في الصلاة، وقبل التشهد قال «لا يفعلن خالد ما أمرته به»، ويوم أبعد بني

هاشم عن الملك، ويوم قرّب بني امية، ويوم عهد إلى عمر بالخلافة، وقبلها عهد إلى اولاد أبي سفيان بولاية الشام، وأقرّ ملكهم بتقريب عثمان وولاية بني امية على الشام، لم يكن ذلك عداء لله ولرسوله وللاسلام وهو وخليفته عمر والجميع يثبتون أن لو وليها عليٌّ لأقامهم على الصراط المستقيم.

فإذن ان أبا بكر وعمر انما طلبا ملكاً لا دينا ووثقاه بما يدوم لهما ملكاً لا ليدوم الدين وتبقى السنة وتحفظ الشريعة. واني لأُبرهن على ذلك، ألم يقل رسول الله ﷺ: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار، وأبو بكر يوجه لعلي الفتن. ألم يقل رسول الله في علي وفاطمة[1]: «من آذاهما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وقال: «من آذىَ علياً فقد آذاني»، وأعظم من هذا ما ورد بصورة متواترة في كتب السنة والجماعة قوله ﷺ: «من سبَّ علياً فقد سبني ومن سبني فقد سبَّ الله». اخرج محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في اول الباب العاشر من كفاية الطالب حديثاً مفصلاً عن ابن عباس مسنداً نقله امام جمع من أهل الشام الذين كانوا يلعنون ويسبون علياً قال: «سمعت من رسول الله ﷺ قال لعلي: من سبّك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه الله على منخريه في النار»، وقد نقل الكنجي في عنوان الباب العاشر هكذا: «الباب العاشر في كفر من سبَّ علياً» وأول من سب علياً وفاطمة انما كان أبو بكر كما مر ذكره، كما أخرج الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٢١ وقد مر ذكر فضائل علي في هذا الكتاب.

ورغم ما مر فقد رأى أبو بكر ان حجته داحضة، وانه افلج امام الادلة القاطعة التي أوردتها فاطمة الزهراء وبعلها عليٌّ، ورأى كيف ان المسلمين وأخصُّ منهم الصحابة وجهوا له النقد والتعرض، ولم يفده ما وجّه لعلي وفاطمة من السب والقدح فأراد ان يعيد فدكاً وبهذا برهن على صحة اقوال علي وفاطمة واعماله

---

(١) راجع جزأي الامام علي لموسوعتنا.

المخالفة، بيد ان عمر اخذ الكتاب الذي كتبه أبو بكر لرد فدك ومزقه وقد تظاهر أبو بكر انه بكى وتأثر كما جاء في السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الشافعي في ص٣٩١ ج٣، وما جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. واني أرى ان في هذا تلاعباً ومراءات اعظم من الاول فمن هو الخليفة؟ اهو أبو بكر أم عمر؟ وكيف يفعل ذلك عمر مع الخليفة ويمزق الكتاب؟ أحسب أبو بكر ان فدكاً حق واعترف بنحلتها لا يزال مصراً بيد أنه اراد ان يسكت المسلمين ويلقيها على عاتق عمر؟ لعمري انها لَلُعْبَةٌ لم تكن لتستند إلّا على القوة والمكيدة والخداع، وماذا يفعل عليٌّ وهو الموصى بالصبر؟ وترى عمر في زمن خلافته يعيد فدكا لعلي والعباس. وهنا علينا ان نتساءل ان كان أبو بكر قد اعتبر فدكاً فيئاً للمسلمين، فما الذي دعا عمر لردها؟ اليس هذا تناقضاً بين الخليفتين وان عمر بعمله كذّب أبا بكر في روايته وكان عليه ان يعيد ما سلب من منافعها ـ خلال المدة التي سلبت ـ إلى أصحابها[1].

تواريخ رد فدك: ولقد اخرج العلامة السمهوري المؤرخ والمحدث المعروف في المدينة المنورة المتوفى ٩١١ هجرية فيما كتبه عن تاريخ المدينة، وكذا ياقوت الحموي الرومي ابن عبدالله في معجم البلدان ما مر اعلاه وان فدكاً استعيدت بعد ذلك في زمن الامويين؛ اعادها الخليفة عمر بن عبدالعزيز كما ذكره السمهوري وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ص٨١ ج ٤ عن ابي بكر الجوهري ونقل هذه العبارة: «كانت أول ظلامة ردها» وبعده استعادها يزيد بن عبدالملك وبقيت بيد الامويين حتى خلافة العباسيين حيث أعادها الخليفة العباسي الاول ـ الملقب بالسفاح ـ لبني فاطمة، واستعادها أبو جعفر المنصور منهم، وأعادها لهم الخليفة المهدي العباسي، واسترجعها موسى الهادي العباسي، واعادها الخليفة العباسي المأمون حيث كتب الى قثم بن جعفر عامله في المدينة

---

(١) ثم نراها في خلافة عثمان تهدى لمروان بن الحكم.

المنورة ما يلي: «انه كان رسول الله ﷺ اعطى ابنته فاطمة رضي الله عنها فدكاً وتصدّق عليها بها وان ذلك كان امراً ظاهراً معروفاً عند آله عليه الصلوات والسلام» ولقد انشد الشاعر المعروف دعبل الخزاعي قصيدة آنذاك اولها :

اصبح وجه الزمان قد ضحكا   بـرد مأمـون هـاشم فـدكا

وقد كانت فدك نحلة لفاطمة وفي تصرفها وسلبت منها وخلافاً للشرع طلب منها شهوداً لذا طالبته باعتبارها ارثاً وبرهنت واستدلت على ذلك .

ولقد ثبت ان فاطمة ﷺ طالبت برد فدك باعتبارها نحلة وانها متصرفة فيها فلما عارضها التجأت للمطالبة بها باعتبارها ارثا. واخرج ذلك اكابر علماء السنة والجماعة منهم علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في ص٣٩ من كتابه السيرة الحلبية كما أخرج ذلك الامام فخر الرازي في تفسيره الكبير ضمن ادعاء فاطمة ﷺ، وكذا ياقوت الحموي في معجم البلدان، وابن أبي الحديد في ص٨٠ ج٤ لنهج البلاغة عن أبي بكر الجوهري، وابن حجر في النهاية صفحة ٢١ من الصواعق المحرقة عند كلامه في الشبهة السابعة من شبهات رفضه حيث قال: انها ادّعت انها نحلة وقدمت شهوداً؛ ردها أبو بكر فغضبت وقالت: سوف لا اكلمك بعدها. وهكذا كان فقد ماتت وهي غضبى على أبي بكر وعمر، كما أوصت ان لا يصلي أحد منهما عليها ولا يحضر جنازتها، فصلى عليها عمها العباس ودفنت ليلاً، وحسب قول الامامية صلّى عليها عليٌّ ﷺ .

رد اللائحة الأولى

لا شك في أن فاطمة الزهراء كانت متأثرة، بيد أننا لا نستطيع ان نعتبر ان أبا بكر مقصر في عمله، وذلك انه طلب على ادعائها نحلة شهوداً (رجلين أو رجلاً وامرأتين أو أربع نسوة) فلم تأتِ بهم ولذا رد طلبها .

اللائحة الثانية

طلب الشهود من بضعة رسول الله وام العترة الطاهرة التي زكاها الله من الدنس وأباها وبعلها وبنيها كان كقاعدة عامة تخالف القواعد القانونية والشرعية، فقد كان ثابتاً للجميع تصرفها، وكان هو المدّعي للخلاف فكان عليه وهو المدعي إقامة البينة والشهود. وهنا ظهر الغرض المقرون بالجهل .

ثم ان قضية الشهادة العامة لا ينكرها احد وهي باقية على عموميتها والقاعدة المسلمة انه ما من عامٍّ إلّا وقد خص هنا من الممكن الاستثناء والرجوع للتخصص .

فالقاعدة العامة توجب تقديم شاهدين في الدعوى بيد انه ثبت في الصحاح المعتبرة خبر أن خزيمة بن ثابت حينما شهد لرسول الله ﷺ مقابل رجل عربي في قضية بيع فرس كان ادعى على رسول الله فقبلت شهادته كشاهدين عادلين، وسماه رسول الله ذو الشهادتين. فإذا قبلنا شهادة صحابي مثل خزيمة قامت مقام شهادتين لشاهدين عادلين؛ كيف لا تقبل شهادة من زكّاه الله في قرآنه المجيد وطهّره من الدنس، ولقّبه خاتم الانبياء بالصدّيق الأعظم والفاروق، وقال فيه: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار» وغير ذلك من الاحاديث التي تدل على انه نفس رسول الله في كل شيء وفيه نزلت ثلاث مئة آية وقد نزلت غير ذلك في محمد ﷺ وعلي ؑ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[1]. وقد قدمت فاطمة الزهراء وهي الطاهرة المصدقة شهوداً وهم عليٌّ وأم أيمن والحسن والحسين فرفضهم أبو بكر مع ثبوت تصرفها قبل هذا، ومع ثبوت ان البينة على المدّعي وهو أبو بكر فانظر التخلفات عن حدود الشرع المتكررة، وقد ثبت ان علياً وعترته من الصدّيقين حسب ما فسر الآية اعلاه أشهر مفسري علماء السنة والجماعة أمثال الامام الثعلبي في تفسير كشف البيان، وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور؛ عن ابن عباس حبر الامة، والحافظ أبي سعيد عبدالملك بن محمد الخركوشي في كتاب شرف المصطفى عن الاصمعي والحافظ أبي نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء روى: «ان رسول الله ﷺ قال عن الآية هو محمد وعلي ؑ» وقال الشيخ سليمان الحنفي في الباب ٣٩ من ينابيع المودة ص ١١٩ طبع اسطنبول عن الموفق بن احمد الخوارزمي، والحافظ أبو نعيم الاصبهاني الحمويني عن ابن عباس رووا ان الصادقين في هذه الآية محمد ﷺ وأهل بيته (وهم علي وفاطمة والحسن والحسين) كما روى شيخ الاسلام إبراهيم

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٠.

بن محمد الحمويني وهو من أجلة علماء السنة في فرائد السمطين، والامام محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في الباب ٦٢ من كفاية الطالب. ومحدث الشام في تاريخه باسناد صحيح ان (مع الصادقين أي مع علي بن أبي طالب) والآية ٣٤ من سورة الزمر وهي ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ فالذي جاء بالصدق هو محمد ﷺ والذي صدّق به عليٌّ ﷺ. راجع الدر المنثور لجلال الدين السيوطي، ومناقب الحافظ ابن مردويه، وحلية الأولياء للحافظ أبي نعيم وكفاية الطالب باب ٦٢ لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي، وتاريخ ابن عساكر نقلوا عن أهل التفسير عن ابن عباس ومجاهد ان (الذي جاء بالصدق محمد ﷺ والذي صدق به هو عليٌّ ﷺ).

والآية ١٩ من سورة الحديد ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم﴾ نزلت في شأن علي ﷺ كما جاء في مسند الامام أحمد بن حنبل وما من القرآن في علي عن الحافظ أبي نعيم الاصفهاني: أن علياً من الصدّيقين.

الآية ٦٩ من سورة النساء ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا﴾ القصد من الصديقين علياً ﷺ عن اكابر علماء أهل السنة منهم الامام فخر الرازي في تفسيره الكبير، والامام الثعلبي في كشف البيان، وجلال الدين السيوطي في الدر المنثور، والامام أحمد في المسند، وابن شيرويه في الفردوس، وابن أبي الحديد (ص ٤٥٢) ج٢ لشرح نهج البلاغة، وابن المغازلي الشافعي في المناقب، وابن حجر المكي في الحديث الثلاثين من الاربعين حديثاً التي نقلها في الصواعق المحرقة في فضائل علي عن البخاري عن ابن عباس باستثناء جملة في آخر الرواية ان رسول الله ﷺ قال: «الصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار

صاحب يشّي وعلي بن أبي طالب وهو افضلهم» .

كما روى ذلك بلفظ مقارب البلخي الحنفي في الباب ٤٢ من ينابيع المودة، وجاء في مسند احمد وذكر أبو نعيم وابن المغازلي وأخطب خوارزم في مناقبه وابن حجر المكي في الصواعق الحديث ٣١، والكنجي في كفاية الطالب الباب ٢٤، ومحدث الشام. هنا تجد عادةً التعصب، كيف يستولي على العلم والوجدان وبعد ان تعرفوا علياً ومقامه وكيف غصبوا منصبه ونقضوا بيعته وغصبوا آل بيته وخالفوا الله ورسوله، اليوم يطلبون منه ومن زوجته البينة فيما يجب فيه عليهم البينة ويحرمونها ثم يصرون في الخصام والعداء ولا يهمهم ابداً ما يظهر من تناقضهم في الاخذ والاعطاء والاعتراف العملي. وبعد كل هذاتري عقلاء القوم رغم شهادتهم بأعمال هؤلاء يريدون خلق المعاذير لهم واعطاءهم عذراً ينقذهم وكأنهم وكلاء الدفاع عن الظالمين من وكلاء اليوم لا يراعون في ذلك إلّا ولا ذمة ولا يريدون إلّا ما دلت عليه التجارب وبرهن على خلافهم التاريخ ووقائعه، كأنهم نسوا لابل يتناسون علي مع الحق والقرآن والحق مع علي يدور معه حيث دار! إن نَسِيتَ فتصفَّح ج ٤ ص ٣٢١ تاريخ الخطيب البغدادي، ومناقب ابن مردويه، وفردوس الديلمي ومجمع الزوائد للهيثمي ص٢٣٦ ج٧، والامامة والسياسة ج ١ ص٦٨ لابن قتيبة، ومستدرك الحاكم ج٣ ص ١٢٤، ومسند أحمد، واوسط الطبراني، ومناقب الخطيب الخوارزمي، وتفسير فخر الرازي ج ١ ص١١١، وجامع الصغير ج ٢ ص ٧٤ و ٧٥ و ١٤٠ لابن حجر المكي، والفصل الثاني من الباب التاسع للحديث ٢١ من الصواعق المحرقة لابن حجر في فضائل علي، والباب ٢٠ لينابيع المودة، وفرائد الحمويني، وربيع الابرار للزمخشري، والباب ٦٥ ص ١٨٥ من ينابيع المودة، وص١١٦ لتاريخ الخلفاء، وص٣٥٨ ج ٤ لفيض القدير، والفردوس مناقب السبطين، الحديث ٤٤، وص٢٨٣ باب ٥٦ الفصل

الثاني للصواعق عن ام سلمة والكنجي في كفاية الطالب عن ام سـلمة وعـائشة ومحمد بن أبي بكر عن رسول الله انهم رووا انه قال: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض» ومنهم من نقل هذه العبارة: «الحق لن يزال مع علي وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا»، وعن ابن حجر ص٧٧ في الصواعق آخر الفصل الثاني من الباب التاسع نقل ان رسول الله ﷺ قـال فـي مرض موته: «اني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، ثم أخذ بيد عـلي فرفعها وقال: «هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عـليَّ الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما» كما نقل الجميع: «عليٌّ مع الحق والحق مع عليٍّ يدور معه حيث دار».

والان تعال معي لأتلو عليك حديث سبط ابن الجوزي ص٢٠ في تذكرة خواص الامة ضمن حديث الغدير نقل ان رسول الله ﷺ قال «وادر الحق معه حيثما دار وكيفما دار». وآنذاك ابدى رأيه وقال: فيه دليل على انه ما جرىٰ خلاف بين علي ﷺ وأحد من الصحابة إلاّ والحق مع علي ﷺ. ألا تعجب بعد هذا إلى قول أبي بكر حينما شبه علياً وزوجته الطاهرة بالثعلب وذيله، وحينما شبه عـلياً بأم طحال الزانية! فانصف بالله عليك وانت ترى هذه الأسانيد ألم تحقق الآية ﴿ومـا محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً﴾ وما هو الانقلاب أهو غير هذا؟ ومن انقلب؟ أليس من اتهم نفس رسول الله (علياً) وعترته وخالفهم وظلمهم وغصب حقهم؟ تلك شواهد منكم وعليكم فماذا بعد الحق إلاّ الضلال.؟؟

عزيزي القارئ الكريم! ان كنت بعد لم تقتنع فإني اريد ان تقتنع مضافاً إلى ما مر ومن نفس المصادر السابقة وغيرها من كتب السنة والجماعة وبـروايـات مختلفة ان رسول الله ﷺ قال: من اطاع علياً فقد أطاعني، ومن أطـاعني فـقد

أطاع الله، ومن أنكر علياً فقد انكرني ومن انكرني فقد انكر الله.ونقل أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني في الملل والنحل أنَّ رسول الله ﷺ قال «لقد كان علي على الحق في جميع أقواله يدور الحق معه حيث دار» .

أيها القارئ الكريم، بعد مطالعة هذه الاخبار في كتبكم المعتبرة أليس الرد والانكار وتوجيه الاهانة إلّا على الله ورسوله؟ ألم تكن هي التخلف عن الحق والحقيقة. أليس أن المؤيد الموفق ابن احمد الخوارزمي في المناقب، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة رووا عن رسول الله ﷺ انه قال وصرّح «من اكرم علياً فقد أكرمني ومن اكرمني فقد أكرم الله ومن اهان علياً فقد أهانني ومن أهانني فقد اهان الله» بعد هذا تعالوا نحكم طبق الشرع والقانون والوجدان، ونتخذ حديث رسول الله مقياساً وميزاناً لحديثنا ؛ ذلك الحديث الذي نقله اعلم علماء السنة وكل الفرق الاسلامية وعندها نعرف من انقلب على عقبيه وخالف الله ورسوله، واهان الله ورسوله واغضب الله ورسوله، وما جزاء من يعمل ذلك ومن علم بذلك ولم ينكره، واتبع سبيل الظالمين، أعوذ بالله من غضب الله ورسوله وممن لعنه الله ورسوله وأعد له عذاباً أليماً .

عبارة مستظرفة ومستدلّة

واليك عبارة مستظرفة نقلها ابن أبي الحديد في ج ٤ ص ١٠٥ في شرح نهج البلاغة نقلها عن علي بن الفاروق أحد اساتذة ذلك العصر في غربي بغداد حيث سأله حول موضوع فدك «اكانت فاطمة صادقة؟ قال نعم. فقلت إذا كان ذلك فلماذا لم يعطها الخليفة فدكاً؟ فتبسّم (مع انه لم يكنْ من أهل المزاح) واجاب جواباً ظريفاً ومستحسناً خلاصته قوله : انه إذا أعطاها فدكاً لمجرد ادعائها كانت تعود له بعد يوم مطالبة إيّاه بالخلافة التي اغتصبها من زوجها، وعندها كان عليه

لزاماً ان يسلم الحق إلى أهله لأنه قد صدّقها» انتهى[1].

فالحقيقة واضحة وإن الحق مع فاطمة، وإنـهم غـصبوها، وسـبقها غـصب منصب الخلافة، وتتابعت المظالم إلى هذا اليوم على اثر ذلك الظلم ألاترى ان أبا بكر كان يتصرف بمال المسلمين تصرف المالك بدون شاهد ودليل وبينة.

ومنها ان جابراً ادعى أنّ رسول الله وعده أن يعطيه من مال البحرين فاعطاه الفاً وخمسماية دينار من بيت المال دون ان يطلب منه بينة على ذلك. فقد اخرج سيف الاسلام الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في فتح الباري في شرح صحيح البخاري في باب من يكفل عن ميت دينا فقال: «ان هذا الخبر فيه دلالة على قبول خبر العدل من الصحابة ولو جرّ ذلك نفعاً لنفسه؛ لأن أبا بكر لم يلتمس من جابر شاهداً على صحة دعواه».

وقد نقل نفس الخبر البخاري في صحيحه بصورة مبسوطة في بـاب مـن يكفل عن ميت دَيناً، في كتاب الخمس في باب ما قطع النبي من البحرين. قال لما ورد مال البحرين أقام أبو بكر منادياً يقول: كل من وعده رسـول الله ﷺ أوله طلب منه يأتي ويأخذه فأتى جابر وقال إنّ رسول الله ﷺ وعدني أن يعطيني من مال البحرين عندما تفتح البحرين وتصبح بيد المسلمين فأعطاه بدون طلب بينة وشاهد ألفاً وخمسمائة دينار كما أخرج ذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء. واني أسأل القارئ الكريم ان يجيبني جواباً منطقياً وشرعياً ووجدانياً كيف جاز له ان يعطي ذلك بدون بينة ويمتنع عن اعطاء الزهراء بضعة رسول الله التي نزلت فـيها وفي بعلها آية الطهارة إذ يطلب البينة، والبينة عليه، ثم يمتنع ويردها وبعلها؟ الم يكن في عمله ذلك مبغضاً الم يكن مغرضاً؟ ما هي العلة؟ من العجب أن يـطلب البينة على شيء مسلم في تصرفها فيه ويعطي شيئاً من مال المسلمين بدون بينة لا

---

(١) تجد القصة كاملة في احتجاج الطبرسي ﷺ ٩١/١، الهامش.

يراعي الله ورسوله ومن صدقه الله ورسوله، ومن كان غضبه غضب الله ورسوله، ومن كانت بضعة من رسول الله وكان نفس رسول الله يسلب حقه ويطلب منه البينة ثمَّ يتصرف بمال المسلمين وارواحهم تصرف المالك بدون دليل وبرهان .

وإذا راجعنا صحيح البخاري واجلة علماء السنة وفقهائهم وجدناهم يقبلون خبر الصحابي العدل ولو جرَّ نفعاً لنفسه سوى علي وفاطمة وكأنهما وما تقدم فيهما من الفضائل والكرامات لا يساويان كلاهما صحابياً واحداً! الم يكن في ذلك نكاية وغرض خاص. أيعمل ذلك مسلم سمع كلام الله فيهم واحاديث رسول الله عنهم وعن منزلتهم الرفيعة بالذات دون جميع الصحابة ؟

طبعا لا يمكن الجواب بالايجاب هذا والمصاب قريب، والجرح لما يندمل، وآل بيت رسول الله أهل الحق لا زالوا في أشد الأسى على فقدهم خاتم الانبياء، فما جزاء من يحادد الله ورسوله وأهل بيته الذين أوصى بهم في القرآن: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾، وقوله ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا» لبئسما عملوا ولبئسما يلقون عند الله من أشد الجزاء بما حادّوا الله ورسوله وانقلبوا بعد اسلامهم. ولقد كذب أبو بكر نفسه حينما اراد رد فدك ولقد كذبه بعده عمر، وعمر بن عبدالعزيز، والسفاح والمهدي والمأمون؛ خلفاء بني العباس وقد قال رسول الله «من كذب علي متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار» .

وان كان جابر من الصحابة الصادقين المقربين لذا لم يكذبه أبو بكر فهلا كان احرى به ان يصدق علياً ذلك الصديق! هذا وان فاطمة ؏ هي المتصرفة وهو المدعي الذي عليه البينة .

اخرج الشيخان البخاري ومسلم في ترجمة الزهراء عن الاصابة وغيرها عن المسوّر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: فاطمة بضعة مني

يؤذيني من آذاها ويريبني ما رابها». وجاء في كتاب الشرف المؤبد للشيخ يوسف النبهاني في الزهراء عن البخاري بسنده عن رسول الله ﷺ انه قال: «فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها» وقال النبهاني في رواية: «فمن أغضبها أغضبني» كما جاء في الجامع الصغير: فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها. واخرج ابن قتيبة في اوائل كتابه الامامة والسياسة، وغيره من أهل السير والاخبار أنَّ الزهراء ناشدت أبا بكر وعمر قائلة: «نشدتكما الله تعالى ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى ابنتي فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني قالا: نعم، سمعناه من رسول الله»[1].

وأخرج أئمة الحديث منهم الامام احمد عن أبي هريرة ص٤٤٢ ج٢ من مسنده. نظر النبي إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال ﷺ: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم» كماجاء المعنى نفسه في مستدرك الحاكم وكبير الطبراني والترمذي وجاء في مسند الامام أحمد ج١ ص١٠١ مناقب أخرى ومنها ما نقلها الكاتب الشهير عباس محمود العقاد باسناده في كتابه عبقرية محمد تحت عنوان «النبي والامام والصحابة» وقد ورد في الزهراء ﷺ وفي شأنها القدسي أنها تعدل مريم.

فاطمة سيدة نساء العالمين

كما ورد في نصوص صريحة نشير إلى بعضها منها ما جاء في الاستيعاب لابن عبدالبر في ترجمة الزهراء ﷺ انها سيدة نساء العالمين وذلك ما حدثه رسول الله إياها. بل هي افضل كما ذكر ذلك جماعة من محققي أهل السنة

---

(١) الامامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري ٣١/١، منشورات الشريف الرضي / قم.

والجماعة كالتقي السبكي، وجلال الدين السيوطي، وبدر الدين الزركشي، وتقي الدين المقريزي، وابن أبي داود، والمناوي، مما نقله عنهم العلامة النبهاني في فضائل الزهراء ص٥٩ من كتابه «الشرف المؤبد». وقد صرح بذلك السيد أحمد دحلان مفتي الشافعية في سيرته النبوية حول تزويج فاطمة من علي ﷺ، كما اخرجه الامام أحمد ج١ ص٢٩٣ من مسنده ورواه أبو داود في ترجمة خديجة. وما اخرجه البخاري في ج٤ من صحيحه ص٦٤ ومسلم ج٢ في باب فضائل فاطمة من صحيحه. وجاء في صحيح الترمذي، وصاحب الجمع بين الصحيحين، وصاحب الجمع بين الصحاح الستة، والامام أحمد ص ٢٨٢ ج٦ من مسنده، وطبقات ابن سعد ج٢، والبخاري في ج٤ من آخر ورقة من كتاب الاستئذان عن عائشة انها سيدة نساء العالمين، بشَّرها بذلك رسول الله.

وهل يخفى على أبي بكر وبعده عمر مقام الزهراء وقد نزل فيها وفي أبيها وبعلها وبنيها ربع القرآن والآيات البينات فمن شك فليراجع التفاسير واخص منها آية المباهلة وآية التطهير وسورة الدهر وآية: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى﴾ . وغيرها وبعد هذا كله يسلبها حقها ويغصب حق زوجها وبنيها ويمنعهم حقهم على خلاف كتاب الله وسنة رسوله. وكيف يقبل دعواها ودعوى زوجها وأم أيمن وهو يعرف حق اليقين انما غصب ما هو اعظم من ذلك وهي الخلافة. ومنصب علي نفس رسول الله وأخي رسول الله ووصيه وبابه ووزيره.

أسانيد آية التطهير

عد إلى كتاب الله وقول رسوله في علي ومثله فاطمة الطاهرة من الدنس في آية التطهير والمباهلة وما روي عن عائشة أم المؤمنين حيث قالت: «ما رأيت احداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها» أخرجه الحافظ أبو نعيم في ص٤٢ من كتابه

حلية الأولياء. آية التطهير ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾. فقد أثبتت الروايات ولحن الخطاب بالتذكير الذي يخص بـها مـحمداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين. وقد حاول بـعض النواصب والمـغرضين ان ينسبوا ذلك لزوجات النبي ونسبوا ان صيغة المخاطب مذكر وليست بمؤنث وان فاطمة جاءت مع أبيها وزوجها وبنيها لذا غلب على الآية صيغة المـذكر وممّن روى ذلك ابن حجر المكي المتعصب ضد أهل البيت ومع ذلك فقد قال في تفسير هذه الاية في الصواعق المحرقة: إن اكثر المفسرين يعتقدون ان هذه الآية نزلت في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين. ومن المسلم به أن الآية لا تشمل زوجات النبي. وقد ورد في صحيح مسلم وجامع الاصول ان الحصين بن سمرة سأل زيد بن ارقم: هل ان نساء النبي من أهل البيت فقال زيد: لا والله، فالمرأة تكون مـع زوجها وعندما يطلقها تعود لبيت أبيها وتلتحق بقومها وتنفصل بتاتاً عن زوجها، والحقيقة هي أنّ أهل بيته إنما هم ارحامه أولئك الذين تحرم عليهم الصدقة واينما ذهبوا فهم لا ينفصلون عنه. وقد اجمعت الاحاديث على ان الآية تـخصُّ عـلياً وفاطمة والحسن والحسين فقط. وقد أيد ذلك الامام الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، والامام فخر الرازي ص٧٨٣ ج٦ في تـفسيره الكـبير، وجـلال الديـن السـيوطي ص١٩٩ ج ٥ مـن الدر المـنثور وص٢٦٤ ج ٢ الخـصائص الكـبرى والنيشابوري ج٣ في تفسيره، والامام عبدالرزاق الرسـعني فـي تـفسير رمـوز الكنوز، وابن حجر العسقلاني ص٢٠٧ ج ٤ من الاصابة، وابن عساكـر ص ٢٠٤ و٢٠٦ ج ٤ من تاريخه، والامام أحمد بن حنبل ص٣٣١ ج ١ من مسنده. كما جاء في الرياض النضرة ص١٨٨ لمحب الدين الطبري، وصحيح مسلم بـن حـجاج ص٣٣١ ج ٢ وص ١٣٠ ج٧، وكتاب الشرف المؤبد (ص ١٠) للـنبهاني، وكـفاية الطالب باب ١٠٠ لمحمد بن يوسف الكنجي الشافعي، ونقل ستّة أخبار مسـندة،

وينابيع المودة باب ٣٣ للشيخ سليمان البلخي الحنفي عن صحيح مسلم، وشواهد الحاكم عن عائشة أم المؤمنين، وعشرة اخبار عن الترمذي والحاكم علاء الدولة السمناني والبيهقي والطبراني واحمد بن حنبل، وابن ابي شيبة وابن منذر، وابن سعد، والحافظ الزرندي، والحافظ ابن مردويه عن أم المؤمنين أم سلمة وعمر بن أبي سلمة «ربيب النبي»، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، ووائلة بن الاسقع، وأبو سعيد الخدري ؛ كلهم نقلوا أن هذه الآية جاءت في شأن الخمسة أهل الكساء (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) وأيد ذلك ابن حجر المكي المتعصب في ص ٨٥ و٨٦ في الصواعق المحرقة من طرق سبعة، وأيد واعترف بأنه انما نزلت الآية في حق هؤلاء الخمسة فقط، ومثله ماذكره المحقق المحجة السيد أبو بكر بن شهاب الدين العلوي ص ١٤ إلى ١٩ من كتاب «رشفة الصادي من بحر فضائل النبي الهادي» طبع مصر سنة ١٣٠٣ في الباب الأول عن الترمذي والامام أحمد ومسلم بن حجاج وابن جرير وابن منذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي وابن أبي حاتم والطبراني وابن أبي شيبة والعلامة السمهوري يؤيد انما نزلت فقط في الخمسة أهل الكساء اعلاه ويزيد ويستدل ان جميع عترة الرسالة التي تحرم عليهم الصدقة إلى يوم القيامة تشملهم هذه الآية. وبالتالي أيدت تلك الجمع بين الصحاح الستة عن الموطأ لمالك بن أنس الاصبحي وصحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود السجستاني والترمذي وجامع الاصول وغيرهم سوى افراد أغواهم الشيطان، وحادوا عن الصراط السوي، وحملوا بغض العترة فحاولوا خلق ووضع من يضعف ذلك بالتزييف والتحريف، وحتي مر ذكر من ذكر تفسير ذلك بصورة مختصرة ، ومنهم بصورة مبسوطة مع اختلاف في الالفاظ .

حديث الكساء

فقد نقل عن أم المؤمنين ام سلمة أنها قالت، إن رسول الله ﷺ كان في بيتي فأتت فاطمة بصحفة له بظرف فيه حريرة وكان جالساً في صفة وهو مقرّ نومه وإلى قدميه وكنت أنا أصلي في الحجرة فقال ﷺ لفاطمة اذهبي وائتيني بزوجك وأولادك معك، وما هي إلاّ هنيهة حتى جاءت مع علي والحسنين ﵈ وبدأوا يأكلون الحريرة. في تلك الحال نزل جبرائيل وقرأ هذه الآية عليه ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ آنذاك جرّ رسول الله الكساء عليهم جميعاً وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة فأدخلت رأسي داخل الكساء وقلت أنا معكم يا رسول الله؟ فقال: إنك على خير وقصد أنها مع كونها ليست من أهل البيت فهي على خير.

ولقد أراد أبو بكر بغصبه فدكاً أن يبعد عنهم كل صديق وحميم ومن كانوا يتصدقون عليهم من خيرات فدك ويلهيهم بفقرهم وفاقتهم عن الدخول في المطالبة بحقهم المغصوب ولم يكن عمله هذا فحسب، بل قام بأعمال لا تعدُّ ولا تحصى من الجور والظلم وسلب حقهم الذي فرضه الله لهم، ومن ذلك منعه الخمس عن العترة الطاهرة الذي جعله الله فرضاً من فروض الدين لهم.

منعه الخمس عن آل البيت

وجاء بعد غصب منصب الخلافة وسلب فدك من عترة رسول الله ومضايقتهم أن سلبوهم حقهم الشرعي الذي فرضه لهم القرآن بعد أن حرَّم عليهم الزكاة والصدقات، وقد أقرّ ذلك وتأكد بإجماع جمهور الامة كما جاء في الآية ٤٢ من سورة الانفال ﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ وقد أراد الله بعد تحريم الصدقات على عترة الرسول أن يحل لهم جانباً آخر يمتازون به لتبقى عترة محمد في رفاه من الناحية الاقتصادية إلى يوم القيامة، ولكن ومع الاسف الشديد ان أبا بكر وعمر ومن تبعهما واعقبهما حرموهم من الخمس، وحيث إنهم مع هذا التحريم لا تحل عليهم الصدقات فقد حرموا منها نهائياً فأصبحوا دون غيرهم في أشد الضيق والعسرة ووجهوا ذلك بقولهم إن الخمس يجب أن يصرف في وجوه أخرى ففي البدء قالوا: يجب أن يصرف الخمس في التجهيزات الحربية وشراء الأسلحة ولوازم الحرب وبهذه الصورة حرموهم من الخمس حتى يومنا هذا.

قال الامام محمد بن ادريس الشافعي في ص٦٦ في كتاب الام: «واما آل محمد الذين جعل لهم الخمس عوضاً عن الصدقة فلا يعطون من الصدقات المفروضات شيئاً قل أو كثر لا يحل لهم أن يأخذوها ولا يجزى عمن يعطيهموها إذا عرفهم. إلى ان قال: وليس منعهم حقهم في الخمس يحل لهم ما حرم عليهم من الصدقة» .

تقسيم الخمس

وقد نزلت آية الخمس وباتفاق جمهور المفسرين كان نزولها لمساعدة ذراري واقارب رسول الله وتنفق لاحتياجاتهم، فينظر الفقهاء الامامية اليوم تقسيمه إلى ستة أقسام ثلاث سهام لله وللرسول ولذي القربى فهي تعطى للامام، وبعده يعطى لنائب الامام وهو أعلم علماء الفقه والاصول الجامع لشروط العلم والعدالة والتقوى والذكورة والبلوغ؛ ليصرفه في مصالح المسلمين حسب رأيه وصلاحه، وأما الأسهم الثلاثة الباقية فهي تخص الايتام والمحتاجين وأبناء السبيل من الهاشميين من عترة الرسول الاكرم ﷺ بيد أنه ومع شديد الأسف

نرى جماعة السنة والجماعة سلبوا هذا الحق من العترة الطاهرة وقد اعترف بذلك أكابر علماء السنة والجماعة وفقهائهم كجلال الدين السيوطي في ج٣ من الدر المنثور، والطبري والامام الثعالبي في تفسير الكشف والبيان، وجار الله الزمخشري في الكشاف، والكوشجي في شرح التجريد، والنسائي في كتاب الفيء وغيرهم يقرون ويعترفون بأن ما تعمله الامامية اليوم كان جارياً في زمن رسول الله ﷺ بيد أن أبا بكر وعمر ومن تبعهم استفادوا منها بعده لمقاصدهم واغراضهم الخاصة. ولقد كان هذا نصاً إلهيّاً اتبعه رسول الله عملاً وسار عليه، وما كان لكائن من كان ان يخالف النص باجتهاده ورأيه أبداً مهما بلغ الأمر، وإذا صح الاضطرار يوماً ما ؛ فما هو المسوّغ لاتباعه ومنعه عن العترة الطاهرة؟ وعلى من تقع هذه اللائمة لمخالفة نص القرآن؟ وما جزاء من عمل ويعمل ذلك؟ أكان يصح لأبي بكر وعمر مع ما تعلم أن زمانهما من ناحية الرفاه الاقتصادي كان أحسن من زمن رسول الله ان يحرما مستحقي العترة من أي معونة ولا يعتبراهم حتىٰ كغيرهم من افراد المسلمين؟! كيف توجه ذلك أيها القارئ الكريم إذا حكمت عقلك ودينك ووجدانك؟ أليس ذلك نكاية وبغضاً لعترة رسول الله في كل زمان ومكان؟ لا يمكن توجيه غير ذلك. فما جزاء من ابتدع ذلك وأمر به ومن سار عليه واتبعه ؟

أولاد علي من فاطمة عليها السلام أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته

إن أولاد علي من فاطمة ﷺ هم أولاد رسول الله وقد ثبت ذلك بآيات قرآنية وروايات ثابتة عن رسول الله منها الآية ٨٤ والآية ٨٥ من سورة الأنعام: **﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين﴾** وقوله عيسى، وعيسى ليس له أب وقد أصبح من ذرية إبراهيم من أمه مريم بنت عمران، وقد استشهد الإمام فخر الرازي ص ١٢٤ ج ٤ في تفسيره الكبير مشيراً إلى الآية أعلاه قائلاً: إنها تدل على أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ؛ لأن الله في هذه الآية أثبت أن عيسى من ذرية إبراهيم (ولم يكن لعيسى أب) وهذا الانتساب جاء من طرف الام .

وأقوى دليل على ذلك هي آية المباهلة وهي الآية ٦١ من سورة آل عمران قوله تعالى: **﴿فمن حاجّك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾** وقد أثبتنا فيما مر بإجماع علماء الامامية وأعلم علماء أهل السنة والجماعة أن المراد من هذه الآية إنما هم الخمسة أهل الكساء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. فأبناؤنا هما الحسن والحسين أبناء محمد وعليّ، ويؤيد ذلك أنفسنا هم محمد وعلي فعلي نفس محمد ومحمد نفس علي، ولطالما

صرح رسول الله كما مر: «عليٌّ مني وأنا من علي» وقال: «لحمه لحمي ولحمي لحمه» وقد استدل بذلك أجلة علماء السنة والجماعة مثل ابن أبي الحديد الشافعي المعتزلي في شرح نهج البلاغة، والامام أبي بكر الرازي في تفسيره بأن الحسن والحسين أولاد رسول الله ؛كما ذكر أنَّ عيسى طبق الآية المارة من ذرية إبراهيم وقد أصبح من ذريته من أمه مريم العذراء .

وقد أخرج الامام محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في كفاية الطالب، وابن حجر المكي ص ٧٤ و٤٣ في الصواعق المحرقة عن الطبراني عن جابر بن عبدالله الانصاري، والخطيب الخوارزمي في مناقبه عن ابن عباس وكلاهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ان الله عزَّ وجلَّ جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب» .

كما أخرج الخطيب الخوارزمي في مناقبه، والمير السيد علي الهمداني في كتابه مودة القربى، والامام أحمد بن حنبل امام المذهب الحنبلي في مسنده، والشيخ سليمان الحنفي البلخي في ينابيع المودة وهم من فحول علماء السنة ومع مختصر وتغيير في الالفاظ. ان رسول الله ﷺ قال: «ابناي هذان ريحانتان من الدنيا ابناي هذان امامان قاما أو قعدا» وهو يشير بذلك للحسن والحسين. وَلَدَيْ علي من فاطمة أولاد رسول الله وعترته .

ولقد أورد الشيخ سليمان الحنفي في الباب ٥٧ من كتابه ينابيع المودة حول هذا الموضوع أحاديث كثيرة من طرق مختلفة من أعاظم علماء السنة والجماعة كالطبراني، والحافظ عبدالعزيز، وابن أبي شيبة، والخطيب البغدادي، والحاكم، والبيهقي، والطبري، بألفاظ وعبارات مختلفة أن الحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ .

وأيد أولئك المتعصبين والمناوئين لأهل البيت، ما أخرجه في آخر هذا

الباب عن أبي صالح، والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر، وأبي نعيم والطبري، وابن حجر المكي ص ١١٢ في الصواعق المحرقة، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في نهاية الفصل الأول بعد المئة باب من: كفاية الطالب والطبري في ترجمة أحوال الامام الحسن بن علي نقلوا عن عمر بن الخطاب قوله :

«إني سمعت رسول الله يقول: كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي، وكل بني أنثىٰ عصبتهم لأبيهم ما خلا بني فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم»، كما نقل هذا الحديث الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي في كتاب «الاتحاف بحب الاشراف» نقل هذا الحديث عن البيهقي، والدارقطني، عن عبدالله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب حين تزوج أم كلثوم، كما نقله جلال الدين السيوطي في كتاب إحياء الميت بفضائل أهل البيت عن الطبراني في الأوسط عن عمر بن الخطاب والسيد أبو بكر ابن سيد شهاب الدين العلوي في ص ٣٩ باب ٣ إلى ص ٤٢ من «رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي» طبع اعلامية مصر سنة ١٢٠٣ حيث نقل واثبت أن أولاد فاطمة ﷺ أولاد رسول الله ﷺ .

وهناك من يستدل بشعر شاعر جاهلي قيل في الجاهلية وهو :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

قاله الشاعر في زمان كان العرب يئدون بناتهم حيّاتٍ وهذا القول كفر ومخالف لما مر من الآيات والروايات ومجهول الحال، وهو من العصبيات الجاهلية التي قضى عليها الإسلام ومحاها. وقد رد ذلك وأثبت خلافه الامام محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في الفصل الاول بعد المئة من كتابه كفاية الطالب .

منع تدوين الحديث

لماذا منع تدوين الحديث؟ من منعه؟ أليست السنة هي التي تفصّل المجمل من القرآن كما جاء في أكثر النصوص الواجبة من صلاة وصوم وخمس وزكاة وحج وجهاد وكافة ما ورد في الفقه عن الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث ...الخ، والحدود وما يتبعها وتوضيح المنهج وغيرها ؟

أليست السنة هي الاصول والقواعد التي أمر بها ونهى عنها رسول الله وعمل بها وكتب منها إلى من أرسله إلى المدن والاقطار النائية، والوصايا الادارية والاخلاقية التي حث عليها أو التي طلب الانتهاء من إتيانها؟ أليست أقرب العهود إلى رسول الله هي أصدقها وخصوصاً وأن الصحابة أحياء؟، ألم تنزل آية التبليغ وإكمال الدين في غدير خم ونصب رسول الله علياً للولاية بعده وأمر بتهنئته رجلاً ونساء، وطلب من الحضور كما مر وهم بين مئة ألف إلى أكثر من ٢٠٠ ألف أن يبلغ الحاضر الغائب؟ ألم تنزل أكثر من ثلاثمائة آية في علي ولكل منها حديث كآية الولاية وآية التطهير (الكساء) وآية التبليغ وآية إكمال الدين في يوم الغدير وكثير من الآيات الأخرى لكل منها حديث يلزم تدوينه؟ كم حديث لرسول الله في عليٍّ وفي أهل بيته تلك التي ذكرنا بعضها بأسانيدها وكم هناك من الاحاديث كلٌّ منها له صلة بآيات قرآنية، ولكل آية قرآنية رواية وحديث صحيح يلزم معرفته لمعرفة فيم نزلت ليدرك منها المسلمون الحقائق التاريخية والهدف الذي جاءت من أجله.

أليس الواقع أن رسول الله إنما منع الكذب والتحريف في الحديث ومنع الدس والالحاق والوضع وهذا هو المعقول والمقبول منطقياً فقال ﷺ: «من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار» لأن الكذب على رسول الله إنما هو الكذب على الله، ولا يعمل ذلك إلّا كافر لا يؤمن بالله ورسوله، وحتى لو لم يسمع ذلك من رسول الله فإنما سمع الآيات. إن الله عزّ وجلّ قال عن رسوله: **﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلّا وحيٌ يوحى﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**[2].

أي امرئٍ له ذرة من العقل ويرضى أن رسول الله يأمر وينهى ويحدّث بما يهدي فيه الامة ثم ينهى عن تسجيل حقيقة ذلك ويمنعه؟! أليس منع التدوين في زمن الشيخين أبي بكر وعمر وزمن عثمان هو الذي سبب فيما بعد ضياع الحقائق؟ فعلى من يقع وبال ضياع الحقائق؟ وأشرار الدسّ والتمويه والوضع والكذب على الله ورسوله!؟؟ والوضع والأكاذيب والدس من المنافقين وأعداء الاسلام من الأديان في المذاهب الاخرى؟، ألم يجدر بأبي بكر وبعده عمر أن يجمعا الصحابة المؤمنين وهما يعرفانهم حق المعرفة ويضبطون الروايات والاحاديث النبوية؟ ليت شعري هل يخطر على بال ذي لب بأن رسول الله منع تسجيل الحديث وقد علمنا أن أبا بكر حسب رواية عائشة كان قد جمع خمسمئة حديث، وعمر أراد تدوين الحديث واستشار الصحابة وأيدوه على ذلك ثم عدل عن ذلك فما هي حجته؟ وسار على سيرتهم في المنع عثمان وفتحوا الطريق بذلك لآل أبي سفيان وآل مروان والخوارج والنواصب وأعداء الاسلام لوضع ودس وتحريف ما شاءوا فعلى من تلقى تبعة هذه الجرائم؟ كيف يمنع أبو بكر وعمر تدوين الحديث وهما

---

(١) سورة النجم، الآية ٣ ـ ٤.

(٢) سورة الحشر، الآية ٧.

بحاجة لتفسير القرآن وأُصول الاحكام والفقه وتفصيل المجمل ولا يمكن ذلك إلاّ بتدوين الحديث. كيف كانوا لا يقبلون الحديث الواحد أحياناً ويقبلونه أخرى؟ وكيف أجاز لنفسه أبو بكر أن يروي عن رسول الله الحديث في قضية فدك وهو المدَّعي على ذلك يأتي برواية يريد أن ينقض بها نصاً قرآنياً في الارث فيظهر له ولغيره خلاف ذلك بدليل اعادة فدك في زمن عمر ثم في زمن عمر بن عبد العزيز وفي ازمنة متعددة تكرر فيه الغصب والاعادة وكيف كان يفسر الآيات القرآنية في المواريث في الجدّة وغيرها وبجنبه وصي رسول الله ووليه وأعلم الامة وباب مدينة علم رسول الله فلم يستفته على من تقع تبعة هذا التضارب في الروايات وهذا الوضع والدس والتلاعب؟ ألم يكن من يومه مقصوداً حتى تخفىٰ الحقيقة الواقعية من غصب الخلافة والروايات الواردة فيها في علي وعترته من بعده وما أنزل في فضائلهم من الآيات؟ ولو تثبت لثبت تحديهم حدود الله ورسوله وقد كان ذلك، وترى في هذا أن أصح الروايات والاحاديث والاصول إنما هي عند الشيعة التي امتازت عن المذاهب الاخرى بالروايات عن رسول الله وعلي وعترته الطاهرة الذين طهرهم الله من الدنس والرجس بشهادة كلام الله المجيد، ونقلوا الاحاديث والروايات نسلاً عن نسل حتى أدلوا بها إلى المؤمنين ذوي العلم والتقوى فسجلوها واضحة جلية، ولقد حق لمخالفيهم أن يطعنوا بها لأنها تهدم كيانهم من القواعد، وتفضح أباطيلهم، ولقد عرف بعض كتاب أهل السنة والجماعة أكثر حقيقتها فمالوا بكلهم وبعضهم فنالوا ما نالوا من جماعتهم من التنكيل والقسوة حتى القتل، وأما الذين دخلوا في التشيُّع وأندمجوا فيه فقد كفَّروهم وخلقوا لهم العيوب والذنوب التي لا تكفر. وإذا ما راجعت حافظ المغرب ابن عبدالله والبيهقي في المدخل عرفت أن عمر اراد ان يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك ـ ورواية البيهقي فاستشار فأشاروا عليه أن يكتبها ـ أخرج ذلك محمود أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» ص٤٣ الطبعة

الثانية، ثم عدل عمر بقوله: إني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً. واذا كان حقاً يريد أن لا يشيب كتاب الله لكان عليه أن يكتب تلك التي لها صلة بالكتاب وتفسيره حتى لا يبقى هو ومن بعده في ضلال يضربون اخماساً باسداس في تفاسيرهم؟ وكيف يكتب ذلك في تفسير القرآن وفيه ما فيه من الحجج الداحضة عن ولاية علي وحقوقه المضاعة المغتصبة وحقوق أهل بيته، وفيها فضائله وفضائلهم تلك التي ليس لهم فيها حصة ما، بل سوف تعود عليهم بالويل والثبور، والخزي، ثم هذه الرواية تنفي من روى أنَّ رسول الله منع من تدوين الحديث والسنة. وعن العلامة محمود أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» عن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب في الامصار من كان عنده شيء فليمحه. نعم لأنه رأى ذلك ممّا لا يتفق والخلافة والمجلس الذي سلبه من آل بيت رسول الله، ولم يكتفِ بذلك بل حرّج على أتقى وأعدل واعلم الصحابة ومنعهم من الخروج من المدينة كي لا يرووا شيئاً، وهددهم وخوفهم قسراً، وقد نسبوا إلى عليٍّ منع تدوين الحديث وهذا ينطبق عليه نفس الذي طبقناه على ما رووا عن رسول الله بمنع الحديث. نعم إنما منعوا الكذب والاحاديث الموضوعة، وعليٌّ أعلم الامة بالأحاديث وصحتها، وكان يعلم ما يريده القوم فأراد بتر ذلك الدس وتلك الاكاذيب.

وقول ابن عباس هنا يؤيد ما قلناه، فقد قال: «كنا نكتب العلم ولا نكتبه. أي لا نأذن لأحد أن يكتبه عنا». عن محمود أبو ريّة ص٤٥ من كتابه «أضواء على السنة المحمدية» الطبعة الثانية كما قال في ص٤٦ وقد ذكروا ان نهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه إنما كان لخوفه من اختلاط الحديث بالقرآن، وهو سبب لا يقتنع به عاقل عالم، ولا يقبله محقق دارس اللهم إلّا إذا جعلنا الاحاديث من جنس القرآن في البلاغة، وأن أسلوبها من الاعجاز كأسلوبه، وهذا ما لا يقره أحد حتى

ولا الذين جاءوا بهذا الرأي؟ إذ معناه ابطال معجزة القـرآن وهـدم أصـوله مـن القواعد. هذا على أن الاحاديث لو كانت قد كتبت فانما ذلك على أنها أحاديث للنبي ﷺ وبين الحديث والقرآن ولا ريب فروق كثيرة يعرفها كل من له بصيرة بالبلاغة وذوق في البيان. ومن ثَمَّ كانت تؤثر على هذه الصفة وإذا كتبها الصحابة بعد انتقاله إلى الرفيق الاعلى ووزعوا منها نسخا على الانصار كما فعلوا بالقرآن فيكون ذلك على أنها أحاديث يتلقاها المسلمون على أنها كلام النبي ويظل أمرها على ذلك جيلاً بعد جيل فلا يدخلها الشوب ولا يعتريها التغيير، ولا ينالها الوضع على أن هذا السبب الذي يتشبثون به قد زال بعد أن كتب القرآن في عهد أبي بكر على ما رووه، وبعد أن كتب مرة أخرى في عهد عثمان ووزعت منه نسخ عـلى الامصار وأصبح من العسير بل من المستحيل أن يزيدوا على القرآن حرفاً واحداً. وما لهم يذهبون إلى اختراع الاسباب وابتداع العلل وعنه أيضاً أنه روى الدارمي وأبو داود وابن ماجة عن رسول الله ﷺ: ألا وأني أوتيت الكتاب ومثله مـعه، وفي رواية أخرى: الا أني اوتيت القرآن ومثله معه .

وهنا يجب أن نعجب من قول عمر عندما طلب النبي ﷺ وهو يحتضر أن يكتب للناس كتاباً لن يضلوا بعده فقال عمر: حسبنا كتاب الله. وهل صح ذلك من عمر وقد بدل كثيراً من نصوص القرآن ولتستطيع أن تلم بذلك راجع كتاب النص والاجتهاد للعلامة الامام السيد عبدالحسين شرف الديـن. وروى الذهـبي فـي تذكرة الحفاظ عن شعبة عن سعيد بن ابراهيم عن أبيه أن عمر حبس ابن مسعود وأبا الدرداء و أبا مسعود الانصاري فقال: «قد أكثرتم الحديث عـن رسـول الله، وكان قد حبسهم في المدينة ثم أطلقهم عثمان». جاء ذلك في ص٧ ج ١ وص١٢٣ من «تاريخ التشـريع الاسـلامي» و ص١٦١ كـتاب «تـمهيد لتـاريخ الفـلسفة الاسلامية» .

وانظر أبا بكر وهو يجهل قضية بسيطة ويأبى أن يسأل أعلم الامة عنها فتراه يجتهد وبعدها يفتي على رأي المغيرة الزاني والمعروف بالغش وإلى جانبه الصحابة الثقات وعلى رأسهم ابن عباس ودونه وصي رسول الله وباب مدينة علمه علي بن ابي طالب، ويبقى في تردده في كثير من المسائل حتى الموت ومنها ما اخرجه ض ٥٤ العلامة محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية وقال: روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت أبا بكر ملتمسة أن تورث فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال: كان رسول الله يعطيها السدس، فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه بها أبو بكر. فأين هذا ممن يسأل الناس قائلاً: «أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني» ويطلب منهم أن يسألوه عن القرآن وعما في الارض والسماء وهو يشير إلى صدره قائلاً: هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله كما مر ذكر ذلك.

ان رسول الله يمنع الكذب عليه

روى مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة، والدارقطني والحاكم في المدخل، والبخاري عن ربعي بن خراش قال سمعت علياً يقول: قال النبي: «لا تكذبوا عليّ فإنّ من كذب عليّ فليلج النار» وقال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث يؤيده رواية مسلم عن طريق غندر عن شعبة بلفظ «ليلج النار». وروى أحمد والدارمي وابن ماجة وآخرون من حديث أبي قتادة عن النبي أنه قال: «إياكم وكثرة الحديث عني فمن قال عني فلا يقولن إلاّ حقّاً وصدقاً. فمن قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار».

أخرج العلامة محمود أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» ص٦٣ و ٦٤ وقال: «قال السمعاني: من كذب في خبر واحد على رسول الله ﷺ وجب إسقاط ما تقدم من حديثه» (عن ج ١ ص ١٤ تقريب النووي).

وقال أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي وأبو بكر الصيرفي: «لا تقبل رواية من كذب في أحاديث رسول الله ﷺ وإن تاب عن الكذب بعد ذلك» وقد جاء ذلك في ص١١١ في اختصار علوم الحديث. وقال ابن حجر العسقلاني: اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ لأنه من الكبائر حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك. وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه وجهل من قال من الكرامية وبعض المتزهدة «إن الكذب على النبي

يجوز فيما يتعلق بتقوية أمر الدين وطريقة أهل السنة والترغيب والترهيب، وأعلنوا الوعيد في حق من كذب عليه لا في الكذب له، وهو اعتلال باطل لأن المراد بالوعيد من نقل عنه الكذب سواء كان له أو عليه والدين بحمد الله كامل غير محتاج إلى تقويته بالكذب حقاً» (جاء ذلك في ص٣٨٩ من فتح الباري).

فترى عقلاً ومنطقاً وما جاء في الاخبار إنما منع رسول الله الكذب والتحريف ولم يمنع الأحاديث والسنن الصحيحة لأنه إنما قالها لتروى عنه وتبقى بعده وعند علماء الشيعة رغم ما كانوا فيه من جور السلطة في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ومنعوهم من تدوين الحقيقة فقد ثبت أن أخبارهم جاءت مستندة مؤيدة متسلسلة عن رسول الله وعلي وعترته نسلاً بعد نسل، وعندهم أن أول من دوّن الحديث إنما هو أبو رافع مولى رسول الله واسمه أسلم. كان للعباس بن عبدالمطلب فوهبه لرسول الله ﷺ وهو الذي عمل منبر رسول الله ﷺ من أثل الغابة، وكانت سلمى مولاة رسول الله عند أبي رافع فولدت له عبدالله بن أبي رافع كاتب علي ﷺ وقيل: إن لأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا وإنه أقدم كتاب في ترتيب الحديث حيث جمعه في الابواب جاء ذلك في ص٢٧ و٢٨ من كتاب «الشيعة وفنون الاسلام» لمؤلفه السيد حسن الصدر، طبع مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٣١ هجرية. وجاء في المطالعات والمراجعات والردود للعلامة الحجة محمد حسين آل كاشف الغطاء: إن أول من دون الحديث ابن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخازنه على بيت المال وقال: «بل الحق أن أول من دونه هو نفس أمير المؤمنين علي ﷺ كما يدل عليه خبر الصحيفة في الصحيحين».

ومن مجموع مامرَّ فإن تدوين الحديث كان يلي في الاهمية والضرورة تدوين القرآن الكريم، وكما ان القرآن بتدوينه والاهتمام به خلص من التشتت

والتفرقة والاختلاف والتحريف والاكاذيب والوضع ؛ هكذا كان الاهتمام بالحديث له نفس الميزة في ضبطه لو ضبط وعدم ادخال أو إخراج أو وضع شيء فيه. وغير منطقي أبداً القول بمنع ذلك عن رسول الله طالما هو كان في أكثر الموارد وأهمها كالغدير يطلب أن يكون الحاضر شاهداً وراوياً للغائب، والعذر بأن القرآن يكفينا، أو أن الاحاديث تلهينا عن القرآن، أو أي شيء آخر فانما هي اعذار، والقصد من ورائها منع ظهور الحقيقة، وهي أقوال واوامر الله على لسان رسوله، وأحاديث الرسول ونواهيه في اتباع ما أراده، وخالفوه فيه لمقاصدهم السياسية من تولية علي وعترته والصالحين من الصحابة، وإبعاد أولئك المنافقين والطلقاء ومن يكنّ عداء وحقداً وحسداً لمحمد وآله من الولاية والامارة والامامة التي حث عليها رسول الله، وأكدها مراراً في فضل عليه ومنصبه للوصاية والخلافة والولاية والامامة بعده، وما ورد في هذا، وفضائل ذريته اولئك الذين طهرهم الله وبرأهم من الرجس في آية التطهير، وعليٌّ الذي نصبه الله وأعلن اسمه بعد اسمه واسم نبيه في آية الولاية، وامتدحه وذريته في آيات كثيرة من القرآن، وكان الحديث ضرورة لا يمكن الاستغناء عنه أبداً لتفصيل الموجز من آيات القرآن ومغازيه وتأويله، والوقائع والحوادث المهمة التي نزلت، وفي جميع الواجبات التي فرضها الله والحدود التي أقرها، والنواهي التي أجملها الله في كتابه العزيز وإنّي لا أرى فرقاً بين من وضع وكذب في الحديث، ومن منع وأرهب من أراد تدوين ذلك. ولا يغير الله ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم وكفى بالله حسيباً.

النصوص القرآنية والسنة بوجوب الحديث

وبعد كل ما مر سأسرد لقارئي الكريم ما ورد عن الله ورسوله في الحديث والسنة:

ـ قال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى ...﴾ قال الجصاص: إن الحديث عن رسول الله من البينات والهدى الذي أنزله تعالى. وإليك الاحاديث الواردة في مسند الامام أحمد إمام الحنابلة، ومسند الطيالسي، والترغيب والترهيب للمنذري، وكنز العمال كتاب العلم، ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، وإحياء العلوم للغزالي، وكتاب العلم لابي عمر لترى فيها ما جاء عن رسول الله ﷺ:

ـ «اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس» هذا ما أخرجه الطيالسي والرامهرمزي والخطيب ابن النجار.

آخر ـ «رحم الله امرأ سمع مني حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره»، أخرجه ابن حبان.

آخر ـ «رحم الله امرأ سمع منا حديثاً فوعاه ثم بلغه من هو أوعى منه». أخرجه ابن عساكر.

آخر ـ قال ﷺ: «رحمة الله على خلفائي، قيل من خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها الناس». أخرجه أبو نصر في الإبانة، وابن

عساكر والمنذري في الترغيب .

آخر ـ قال ﷺ: «نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلّغه غيره». أخرجه المنذري .

آخر ـ وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر مرفوعا عنه ﷺ: «علم لا يقال به ككنز لا ينفق منه» كما أخرج القضاعي مثله عن ابن مسعود مرفوعاً .

آخر ـ أخرجه المنذري والطيالسي والطبراني عن أبي هريرة مرفوعا: «مثل الذي يتعلّم العلم ثم لا يحدّث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه» .

آخر ـ أخرجه الطبراني وابن عدي عن ابن مسعود مرفوعا عنه ﷺ قوله: «ايما رجل آتاه الله علما فكتمه ، ألجمهُ الله يوم القيامة بلجام من نار» .

وأي علم أحسن من أحاديث النبي وسننه. ومثله رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجة .

آخر ـ اخرجه ابن النظيف وابن الجزري عن أبي هريرة مرفوعا عنه ﷺ: «ما أتى الله تعالى عالماً علماً إلّا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتمه» .

آخر ـ أخرجه ابن ماجة والمنذري عن أبي سعيد مرفوعاً عنه ﷺ: «من كتم علماً ممّا ينفع به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» .

كما أخرج نفس المعنى بألفاظ متفاوتة كل من أبي خيثمة في العلم وأبي نصر في الابانة، وابن الجوزي في الملل ،وابن حبّان والحاكم والمنذري والطبراني في الكبير، وابن عدي في الكامل والسجزي والخطيب وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في تفسير الشوكاني ج ١ ص ٣٧٥ .

تلك جميعها نبذة عن وصايا وأوامر رسول الله في نشر السنة والحديث فترى أيها القارئ الكريم وأنت تقيس برأيك الصائب ومنطقك السليم كيف جرَّ

منع تدوين الحديث والسنة الوبال على المسلمين، فترى آل أمية وآل مـروان يدسّون ما شاءوا ويدونون ما طاب لهم وهم لا يهمهم من أمر الدين ما يهمهم من امر دنياهم، وهؤلاء ما جاء بهم سوى الخليفة الاول والثاني وهؤلاء مـا نـصبهم سوى الخلفاء الثلاثة، وترى من فحوى أعمالهم وأقوالهم أنها كلها كـانت عـمداً وقصداً لاطراء ذكرهم ولاخماد ذكر آل محمد وعليٍّ وما جرّ ذلك من الوبال على المسلمين من اخفاء الحقائق من جهة، وبث الكذب والنفاق على الامة من جهة أُخرى فحسبهم الله على نواياهم وافعالهم.

صبر عليّ على غصب الغاصبين لمنصب الخلافة

مهما بلغ عليٌّ من الشجاعة والتدبير والحزم والحكمة والايمان والاخلاص فهو بشر لا يخرج عن طاقته البشرية من جهة، وهو مقيد بأوامر الله ورسوله ونواهيهم من جهة أخرى، ولقد تحمل صبراً وتحمل فوق ما يستطيع أن يتحمله بشر من الصدمات الروحية تلك التي أفصح عنها بمرور الزمان وأخص منها في عهد خلافته، وأخص منها في خطبته الشقشقية الشهيرة التي ستأتي نبذ منها فيما بعد. ولقد حاول أبو بكر وعمر طمس الحقائق التي نزلت في ولاية علي ووصايته وما نزل فيه ؛ بما لديهم من حول وقوة وبيدهم القدرة والسطوة فقربوا أعوانهم، والناس على دين ملوكهم، وأعطوهم المناصب والقدرة، وأبعدوا أولياء الله من آل البيت وبني هاشم، والنخبة من الصحابة الموالين لآل البيت وحجروا عليهم حتى الحديث والرواية وابداء الرأي مما يخالف آراءهم وأفكارهم ومنعوهم من الخروج إلى خارج المدينة كما منعوا أعوانهم من التحدث واعلان الرواية وكلما مر الزمان ازدادوا ثباتاً وضعف آل البيت وأعوانهم، وقتل الصحابة وتفرّقوا، وكثرت الحوادث الجديدة، وزادت الفتوح والوقائع، وتباعدت العهود، وبدأ النسيان يستولي على الماضي ودخل في الاسلام عناصر جديدة من المنافقين واعداء الاسلام من الطلقاء، ومن اولئك الذين لعنهم رسول الله وأهدر دماءهم من بني امية وآل معيط وابن العاص والمغيرة بن شعبة وأشباههم، وهم يتحينون الفرص للوقيعة أكثر فأكثر، والطيور على امثالها تقع، فقد جاء أبو بكر بعمر

وآل امية وجاء عمر بآل أمية وابن العاص والمغيرة وأمثالهم، وجاء عثمان بآل أمية وآل معيط وكل من طرده رسول الله وأقصاه وحذّر منه .

مات رسول الله بعد أن هيأ بعث أسامة وأمره بالإسراع إلى الحرب، فامتنع جماعة وحرَّضوا البقية على الامتناع عن السير حتى اضطر رسول الله إلى ان يلعن من تأخر وكان في الجيش تحت إمرة أسامة الصحابة من المهاجرين والانصار بينهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة أولئك الذين تغلبوا على أمر السقيفة وأوقعوا اول فتنة في الاسلام، والثلاثة بدأوا بالانتخاب الذي لا مثيل له في العالم وأرغموا الامة على قبوله ولم يكن آنذاك من له القدرة مثل عليٍّ على القضاء عليه بحد سيفه وشجاعته واتجاه الانظار إليه، بيد أنّ وصية سبقت من رسول الله له بالصبر وعدم القتال إذا من غلبت عليهم الشهوة في السلطة، وما حداه لذلك إلّا دافع الايمان وحفظ بيضة الاسلام كما ظهر بعد ذلك من أقوالهم وأفعالهم، وما كان يخفى ذلك على رسول الله ووصيه، ومن طرف آخر ما أوقعوه من الفتنة بين الاوس والخزرج، وهناك المنافقون في المدينة وخارجها بالمرصاد، والطلقاء ممن لم يدخل الايمان في نفوسهم يظهرون الاسلام ويبطنون الشرك حواليهم يترقبون ويتحينون الفرص للوقيعة، ومن كل جهة باقي المشركين الذين لما يسلموا من الاعراب، ويتخلل ذلك اليهود والنصارى ألد اعداء الاسلام، وفي الاطراف أفراد ممن ادعوا النبوة والتف حولهم جماعات من أعوانهم، والمدينة تغلي في الداخل والعالم الاسلامي الذي لما يتلقى التعليمات الكافية، ورغم ذلك فألد أعداء الاسلام بل وقل جماعات من المهاجرين والانصار الحاملين للحسد الشديد على علّي لما آتاه الله من المعجزات، وعداء قريش له لما وترهم وأرغم أنوفهم في وقائعه وحروبه، وقتل رجالاتهم وأبطالهم بحد سيفه، والحسد والحقد كل تلك هيأت الظروف وجرتها العصبية التي قامت في السقيفة وتجرأت . على منصب الخلافة وهي عالمة من الناحية السياسية بكل ذلك فهي كما حرضت هؤلاء على

الاصرار والعناد في غوايتهم نفسها حذرت علياً نفسه أن يمتنع من الدخول بحرب أهلية، وأن يسايرهم ويصبر ويتحمل كل تصرفاتهم. ولا شك في أن قلة العدة المؤمنة والمخلصين له وللاسلام أدّى إلى تركه القيام محافظة وحرصاً على الاسلام أن لا يدخل في حرب، وهو أبو الحروب وما كان هذا بدعاً من الأولياء وحتى الأنبياء الذين كانوا يخافون قومهم ويسألون الله العون. فهذا شيخ الرسل نوح وقد أعياه قومه فتوجه إلى الله قائلاً وداعياً الآية ١٠ سورة ٥٤ (القمر) **﴿فدعا ربه أنّي مغلوب فانتصر﴾** والآية ٤٨ من سورة مريم قول خليل الله إبراهيم لأبيه آزر عندما يئس من عونه: **﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي...﴾** وقد فسرها الامام الرازي هنا ص ٨٠٩ ج ٥ من تفسيره الكبير بأن الاعتزال هنا إنما هو التباعد عنهم والمراد: أني أفارقكم في المكان وافارقكم في طريقتكم.

والآية ٢١ من سورة القصص قصة فرار موسىٰ من آل فرعون وقوله تعالى: **﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجني من القوم الظالمين﴾**. والآية ١٥٠ من سورة الاعراف عندما ترك موسى قومه وخلف فيهم أخاه هارون وطلب منهم أن يطيعوه في غيابه. فأغواهم السامري فاتبعوه واتخذوا العجل يعبدونه حتى إذا عاد موسى ورأى ما رأى والآية: **﴿وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾** وقد شبه رسول الله علياً بهارون إذ قال له: «انت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي».

وترى علياً بعد تغلب القوم يوم هجموا على داره (وفيها فاطمة بضعة رسول الله وأولاده الحسن والحسين ريحانتا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة أولئك الذين خصهم الله بالطهارة من الرجس في القرآن وأحداث ضغط الزهراء بين الحائط والباب حتى أسقطت محسناً وقد مر ذكره بسنده) وأخذوا علياً حاسر الرأس حافي القدمين وهو يقول: «أنا عبدالله وأخو رسوله» وهددوه بالقتل كي

يبايع فجاءت الزهراء باكية معولة وخلصته فذهب إلى قبر رسول الله ووقع عليه باكياً قائلاً: «أخي إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وفي رواية «يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني» وقد مر ذلك بأسانيده.

ولا ننسى كيف أن رسول الله تحمّل وصبر عندما كان في مكة أمام المشركين وقدرتهم، وغايته بهذا الصبر والتحمل الوصول إلى أهدافه، وما أوصى به رسول الله علياً[1] بالصبر والتحمل، وما صرح به عليٌّ حينما رأى سيدة النساء وقد رأت القوم يجورون عليهم ويعملون ما مرّ وعليٌّ صابر لا يقابلهم وهو ذلك الضيغم المعهود، فوجهت له خطابها وقالت:

«اشتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل، هذا ابن أبي قحافة يبتزُّني نحلة أبي وبلغة ابنيّ... إلى أن قالت: لقد أجهر في خصامي والفتيه ألد في كلامي... الخ» وهو خطاب طويل. فسكت حتى أتمت خطبتها فأجابها بكلمة بليغة قصيرة (وخير الكلام ما قل ودل) قال لها: تعلمين أني لم آلُ جهداً لإقامة هذا الدين، فهل تريدين إبقاء هذا الدين المبين قائماً واسم أبيك يذكر في كل أذان؟ فاجابت: منتهى أمنيتي ذلك، فأجابها: إذاً لا بد لك من الصبر فقد أوصاني بذلك أبوك خاتم المرسلين ﷺ. إني لأعلم أن الصبر أولى وإلّا فبامكاني سحق الأعداء واخذ حقي لكن اعلمي أنه لا يبقى بعد ذلك ذكر للاسلام لذا فاصبري على هضم حقك ولك في الآخرة أجر الصابرين. وقد صبروا ولكم أظهر تلك الحقائق كلما سنحت له الظروف. وهاك نبذة من خطبته التي خطبها حينما علم أن طلحة والزبير نكثا بيعته وذهبا إلى البصرة: «فان

---

(١) «يا علي إنك تبتلى بعدي فلا تقاتلن» جاء في كنوز الدقائق للمناوي ص١٨٨ كما أبلغ رسول الله علياً أن الامة تغدر به راجع مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤٠ و١٤٢، وراجع تفصيله في كتابنا في علي في الفصل: (علي وصي رسول الله).

الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه ﷺ قلنا نحن أهل بيته وعصبته وورثته وعترته وأولياؤه واحق خلائق الله به، لا نُنازع حقه وسلطانه فبينما نحن كذلك إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا وولوه غيرنا فبكت لذلك والله العيون والقلوب منا جميعاً، وخشنت والله الصدور وأيم الله لولا مخافة الفرقة في المسلمين أن يعودوا إلى الكفر ويعود الدين لكنا قد غيّرنا ذلك ما استطعنا وقد وَلِيَ ذلك ولاة ومضوا لسبيلهم ورد الله الأمر إليّ وقد بايعاني[1] وقد نهضا إلى البصرة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم» أخرج ذلك إبراهيم بن محمد الثقفي، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، وعلي بن محمد الهمداني وكلهم من ثقات وعلماء السنة والجماعة المبرزين، وخطب علي ﷺ على الناس حين ذهابه إلى البصرة ومما قال: «ان الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالإسلام والدين» أخرجه علماء مبرزون من أهل السنة والجماعة في مقدمتهم الكلبي وابن أبي الحديد، فنرى في الأولى وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، وهو الذي يميل معه الحق اينما مال؛ كيف يحمل على من سلب منصب الخلافة منه ومن عترة رسول الله بقوله: «إذ نفر المنافقون فانتزعوا سلطان نبينا منا» وأبان فيه أنَّ حرصه على الاسلام من التفرقة والانهيار هو الذي سبب صبره، وأبان تأثره وتأثر آل رسول الله، وما قعد إلّا حفظاً للدين واخلاصاً له وهنا يظهر لك قول الأفّاكين: إنه بايع أبا بكر وعمر طوعا ورضاء ولم يجبروه. كيف لم يجبروه وهو يقسم بالله: «فبكت لذلك والله العيون والقلوب منا جميعاً وخشنت والله الصدور» .

وذكر ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٦٤ في شرح نهج البلاغة رسالة أرسلها

---

(١) يعني طلحة والزبير .

علي ﷺ مع مالك الأشتر إلى أهل مصر حيث قال فيها: «فان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين، ومهيمنا على المرسلين فلما مضى ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوهُ عنّي من بعده، فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، وكما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتَنَهْنَهَ». واليك نبذة من خطبة عليٍّ حينما فتحت مصر بيد الاعداء وقتل فيها محمد بن ابي بكر وفيها يشير أمير المؤمنين إلى من يوجّه لعليٍّ ﷺ الحرص على الخلافة فيجيبه، وفي ذلك يفند مزاعمهم وتعدّياتهم على حقوق الامة وحقوقه التي وضعها الله ورسوله عليها حيث يقول المتجرئ عليه: «إنك على هذا الأمر ياابن أبي طالب لحريص؛ فقلتُ: بل أنتم والله لأحرصُ وأبعد، وأنا أخصُّ وأقرب، وإنّما طلبت حقّاً لي وانتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه. فلما قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين، هبَّ كأنه بهت لا يدري ما يجيبني بها». ومن يقصد بالقوم الظالمين؟ ألم يقصد من بدأ وتجرأ على منصب الخلافة والولاية منذ توفي رسول الله ﷺ ومن تابعهم وساعدهم على ذلك حتىٰ تفرق المسلمون وتناحروا وتقاتلوا وجاهر الطلقاء وطريدو رسول الله للاعتداء على المؤمنين والصحابة واستباحة حدود الله. ذلك ما أخرجه ابن أبي الحديد ص ٣٥ ج ٢ في شرح نهج البلاغة. ولقد أثبت عليٌّ أمير المؤمنين منذ وفاة رسول الله عدم رضاه عن غصب الخلافة، وأرغامه على البيعة هو وبني هاشم، وما قاساه هو وزوجته الكريمة بضعة رسول الله حتى ماتت وهي غضبى على أبي بكر وعمر،

ويرهن كلما سنحت له الفرصة على غصبهم مـقام الخـلافة والولايـة، وأعـظمها اعتراضاً على الغاصبين والهاضمين لحقه هي خطبته الشقشقية التي فضح بها جميع أعمالهم بصراحة، فلم يجدوا مناصاً من تكذيبه وهو الصديق الاعظم والفـاروق الأكبر بشهادة رسول الله، وهو الطاهر المبرّأ من أيّ دنس في آية التطهير. هنا وجم الخصوم ولم يستطيعوا سوى نفي هذه الخطبة وتكذيب أنها صـدرت مـن مـقام الوصاية ومن الامام عليٍّ، ونسبوها لغيره، فلم يـجد المـؤرخـون والرادون إلى اثبات اسانيدها الصحيحة غير الاعتراف امام الحـق فـاعترفوا بـذنبهم فسـحقاً لاصحاب السعير. واليك نبذة من الخطبة العصماء الشقشقية :

«أما والله لقد تقمصها فلان (ابن أبي قحافة) وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إليَّ الطير، فسدلت دونـها ثـوباً وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئي بين ان اصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى. أرى تراثي نهباً حتى مضى الأول (أبو بكر) لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده ...الخ» وقد كان القوم يريدون التظاهر بأن علياً كان راضياً بعمل الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ولكن هيهات وتراه في الكلمة الاولى التي القاها يعبر عن الذين اغتصبوا الخلافة منه بالمنافقين وبعدها بالظالمين ويصرح بهذا الغصب الفظيع وما قاساه من البدء إلى النهاية ويفضح فيما ابان سوء نياتهم ورداءة اعمالهم وتـعدياتهم عـلى حدود الله وحدود رسوله. ومن الغريب أنَّ أناساً تمادوا في الظلم واتباع الظالمين وقد بان لهم الحق واطلعوا على الواقع، وان القوم منذ مات رسول الله ـ كما جاهر سيد الأوصياء علي عليه السلام ـ بعد غصبهم منصب الخلافة لم يألوا جهداً لتثبيت أقدامهم وتظاهرهم في أعمالهم وصبغتها بصبغة الدين، وهم في كل يوم وكل لحظة انـما يتلقّون اللعنات المتتالية فيما أتوه من ظلم وقتل ونهب واحـراق وسـبي وهـتك

وحجر على أهل الحق وحبس المؤمنين، واطلاق أيـدي الظـلمة والخـونة مـن الطلقاء ومن المنافقين ومنهم آل أمية وأشياعهم وأتباعهم.

وحينما وجدوا أنّ كلمات وخطب الامام عـليٍّ ﷺ قـد فـضحتهم بـدأوا بالدفاع ونسبتها لغيره فنسبوها للسيد الرضي وهذا ما زادهم فضيحة أكـثر إذ ان الأسانيد التي درجت فيه والكتب التي دونت فيها كانت قبل ولادة السيد الرضي وولادة أبيه كما شرح ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج. ونقله عن الشيخ أبي عبدالله بن أحمد المعروف بابن خشاب الذي وجد هذه الخطبة في كتب دونت قبل ولادة السيد الرضي بمئتي عام.

كما حدث العالم المحقق والفيلسوف المتبحر في شرح نـهج البـلاغة أنـه شاهد هذه الخطبة الشقشقية في محلين أحدهما بكتابة الوزير ابن فرات وتاريخها ستين سنة قبل ولادة السيد الرضي، والأخرى في كتاب الانصاف لأبي جعفر بن قبة تلميذ أبي القاسم الكعبي أحد شيوخ المعتزلة المتوفى قبل ولادة السيد الرضي.

ويكفي للاستدلال على كذب من أراد أبطالها ما ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص٥٦١ ج٢ ويذكر فيها الخطبة مفصلة يبرهن بها الامام أمـير المؤمنين ويستدل على حقه منذ اليوم الأول، ووصايته وكيف غصبوا ذلك، مع ذكر الغاصبين.

أولو الأمر

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ وقوله: ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ .

خلق الانسان حرا ببدنه وأفكاره وأمواله ومسلكه وسيرته حرية مطلقة لا يقيده إلّا بقدر أن لا يتعدى على حقوق الآخرين .

والانسان خلق حراً لا يخضع خضوع العبودية لبشر مثله ولأي فرد مهما عظم، ولا يجوز له أن يقيد حريته هذه التي أعطاه الله اياها بالقيود والعبودية لفرد أو عادة أو خلق إلّا تلك التي حدّدها له الله ومن أمّره الله عليه وأوجب عليه طاعته مع الاعتقاد بأن الله لا يريد في أمره ونهيه للبشر إلّا الخير للبشر وربطهم برابطة المحبة والمودة والاخاء وذلك ما تعنيه الآيتان الشريفتان المارتان في آية الاطاعة وآية الولاية ولا يقصد بها الخنوع والخضوع لكل سلطان قاهر جبار. والاطاعة المفروضة لله ولرسوله ولأولي الأمر ليست مجرد الاطاعة الظاهرية وحسب وانما هي الاطاعة الظاهرية والباطنية، واتباع أوامر ونواهي أولي الامر سرّاً وعلانية فهي حسب العقيدة الدينية عند ذوي الايمان انما هي شريعة وفرض على افراد البشر لله العالم الحي القيوم الواقف على السرائر وصاحب يوم الجزاء

الذي يعاقب العاصيين، ويثيب المطيعين والمحسنين ؛ اولئك الذين أطاعوا الله بما ارسله لهم على لسان رسله وأولي الأمر منهم كما جاء في آية الولاية.

تلك عقيدة المسلمين الحقيقيين أن يطيعوا الله ويطيعوا رسوله ويطيعوا أولي الامر الذين نصبهم الله ورسوله فحسب، وأن تكون الاطاعة اطاعة ظاهرية وباطنية مقرونة بالايمان الباطني.

وأما أهل السنة والجماعة فيختلفون عن الفرقة الاسلامية الحقة في تفسير أولي الأمر، فهم يعتبرون كل سلطة تقلدت زمام الامور سواء كانت عادلة أو جائرة أو مسلمة حقاً أو غير ذلك فهي يطلق عليها أولي الامر ويجب اطاعة أوامرها مهما جاهرت بالفسق والفجور والظلم والعدوان، ويكفي أن يكون لهم السلطان والقوة الظاهرية باعتبار أنهم أولو الأمر فيجب اطاعتهم. ونحن نعلم حق العلم ان السلاطين والأمراء والملوك سواءٌ منهم من تغلب بالقوة والدسيسة على الملك أو اولئك الذين جاءوا بحكم الانتخاب ونرى بأم أعيننا الانتخابات المزيفة القائمة واغراء أكثرية الشعب بالمكر والحيلة والاكراه لاستعبادهم، هذا ما نجده في أكثر الامم والشعوب المتحضرة. فكيف بالشعوب المتأخرة والجاهلة، وهذا يدلنا على أن الإجماع لم تتحقق فيه الغاية أبداً، وكثيراً ما نرى الناخبين الذين وضعوا ثقتهم في فرد خانهم ذلك الرجاء، وعرفوا أن المنتخب إنما أظهر لهم غير ما كان يبطن، وترى أن الأنبياء وحدهم هم نخبة البشر الصادقون لأن الله انتخبهم وجنّدوا كل قواهم الظاهرية والباطنية لخدمة أمتهم، ولذا فالله وحده الواقف على البواطن وحقائق الأمور، وهو وحده كما أرسل الرسل فسوف يعيّن بعدهم من يتولى زمام الأمور في الأمة ولا يترك عباده سدى بعد ارسال رسله وأخص منهم خاتم الأنبياء، فلا بد أن يكون قد أمر رسوله أن يعين بعده وصياً وخليفة، وإن هذا الخليفة مأمور من الله ورسوله بتطبيق أحكام كتابه وسنة نبيه، وتفسير وتأويل

آيات الكتاب لهم عند الضرورة، وقد وجدنا الخلفاء من أبي بكر وعمر كيف حاروا في التفسير وكيف أن علياً كرر عليهم قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني»، وكيف كانوا دائماً يخطئون في الحكم وكثير ما صوبها لهم علي عندما استشاروه، وكم قال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر، وكرر ذلك بالفاظ مختلفة. ولا نجد تفسيراً واحداً لعليٍّ أخطأ فيه، بل كان محوراً لاصلاح أخطاء الجميع. هذا الذي نزلت فيه الآيات وأخص منها آية الولاية والطهارة وإكمال الدين وغيرها. وهذا ما تقول به الشيعة ولا ترضى بسواه .

هذا وإن ولي الأمر في كل زمان انما هو واحد لا يتعدد في حين أن السلاطين يختلفون في الشعوب ويختلفون في الأمر والنهي والاحكام حسب رغبتهم وشهواتهم ومقتضيات مقاصدهم وأغراضهم، ولا يرضى بذلك الاسلام ولا نبي الاسلام ومن أنزل الاسلام، فالله واحد وخاتم الأنبياء واحد ودينه لا يتغير، وهو وحده، والبشر تتلاعب بهم الأهواء فلا يتركهم سدى لذا قال ﷺ: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا»، وقال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح»، وقال ﷺ: «عليٌّ مني بمنزلة هارون من موسى»[1] وقال وفي كل مناسبة أوصى بعلي وعترته: أولئك الصديقين العالمين المتقين المنزهين الطاهرين من الرجس دون سواهم والناس بحاجة إلى من يهديهم ويقودهم إلى الصراط المستقيم ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾؟ ويلكم كيف تحكمون؟

كم وجدنا بين الخلفاء والامراء والسلاطين المسلمين فجّار ظالمين سفّاكين ساروا على غير حدود الله ورسوله، وقتلوا ونهبوا وظلموا دون بينة ودون رعاية أحكام الله وسنن نبيه، وبدلوا أوامر الله ورسوله، وقتلوا العلماء والصحابة

---

(١) راجع مصادر الحديث في ص٤١ من هذا الكتاب .

والمثقفين من المؤمنين وهتكوا حرمتهم، كيف يوجب الله إطاعة هؤلاء؛ وأعمالهم كلها تخالف الدين الاسلامي؟! فهل يسوغ لنا أن نقبل عقلا ومنطقا أولي الأمر من بين الظالمين الفاسقين الجائرين والمنافقين؟ لا أحسب مسلماً عرف الدين الاسلامي وحقيقته يرضى بذلك ويستسيغه.

فأولو الأمر يجب أن يكونوا ذوي كفاءة وعدالة وهداة وعدولاً وأئمة مرشدين يستنار برأيهم وهداهم، رحمة للبشر لا نقمة عليه، ادلاء على البر والاحسان منزهين ذلك ما يؤمن به المسلمون الحقيقيون، وذلك ما يقول به شيعة محمد وعترته الذين عناهم رسول الله وقال: انهم معه في الجنة، وإن أولي الأمر هم الذين يحملون خلق النبوة ونزاهتها وطهرها. وقد أيد القرآن ذلك في آيات كثيرة أخرى منها الآية ٦ من سورة الاحزاب قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾. وقوله تعالى في الآية ١١٩ من سورة التوبة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. وقوله تعالى في الآية ٧ من سورة الرعد: ﴿انما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ وقوله تعالى في الآية ١٥٣ من سورة الانعام: ﴿وانَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وقوله تعالى في الآية ١٨١ من سورة الاعراف: ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾، وقوله تعالى في الآية ١٠٣ من سورة آل عمران: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ وقوله تعالى في الآية ٣٣ من سورة الاحزاب: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾، وقوله تعالى الآيتين ٣٣ و ٣٤ من السورة ٣ (آل عمران): ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾.

والآية ٣٢ من سورة فاطر ﴿ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾،

والآية ٣٥ من سورة النور ﴿الله نور السموات والارض مثل نـوره كـمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ وهناك آيات كثيرة اخرى نزلت في علي وآل بيت رسول الله. تـجد ذلك واضحاً في تفاسير المفسرين كالطبري والنيشابوري والواحـدي، وجـلال الدين السيوطي والزمخشري والامام الثعلبي، وتفسير الامام الرازي وفي الكتب الصحاح: البخاري وسلم، وسنن أبي داود والجمع بـين الصـحيحين للـحميدي، وفرائد السمطين للحمويني ومسند أحمد بن حنبل وصواعق ابن حجر، وشـرف المصطفى للخركوشي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحـديد، وحـلية أبـي نـعيم وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني أبي القاسم، واستيعاب ابن عبد البر، وسقيفة الجوهري، وينابيع المودة للخواجة كلان الحنفي، ومودة القربى للهمداني، وما نزل من القرآن في عليٍّ للاصفهاني، ومطالب السؤول لابن طلحة، ونهاية ابن الاثير، وكفاية الكنجي، ونزول القرآن في أمير المؤمنين لأبي بكـر الشـيرازي، ورشـفة الصادي للسيد أبي بكر بن شهاب الدين العلوي، وأخص منهم الامام أحمد بـن حنبل في مسنده. والخطيب الخوارزمي في مناقبه، والحافظ أبا نعيم فيما نزل من القرآن في علي ؛ رووا أن رسول الله ﷺ قال: «نزل ربع القرآن فينا أهل البيت»، كما نقل الحافظ أبو نعيم فيما نزل من القرآن في عليّ، والامام أحمد بن حنبل في مسنده والواحدي في أسباب النزول ومحمد بن طلحة في مطالب السؤول وابن عساكر، ومحدث الشام في تاريخه، والحافظ أبو بكر الشيرازي في نزول القرآن في أمير المؤمنين، ومحمد بن يوسف الكنجي الشافعي في الباب ٦٢ من كـفاية الطالب، والخواجة كلان سليمان البلخي الحنفي في الباب ٤٢ من ينابيع المـودة عن الطبراني عن ابن عباس حبر الامة انه قال: نزلت في علي أكثر من ثلاثمئة آية في مدحه. وقد ثبت نقلاً وعقلاً أن إطاعة الأمر مقرونة باطاعة الله ورسوله. وعليه

يجب أن يكونوا معصومين كما أدلى بذلك الامام الفخر الرازي في تفسيره: «إن قيل إن أولي الأمر ليسوا معصومين فهو جمع بين النقيضين وعليه اذن يشترط في أولي الأمر النصر من الله ورسوله وأن يكونوا مطهرين من الرجس، وأن يكونوا إلى جنب ذلك أعلم وأتقى وأفضل وأورع وأكمل من في الارض كي تجتمع فيهم عدا صفة الرسالة جميع صفات الرسول الأعظم لهداية وارشاد الامة. وقد ورد كل ذلك في علي والأئمة الاثني عشر من بنيه، ونص على ذلك رسول الله ﷺ».

روى الشيخ سليمان البلخي الحنفي في ص ٤٤٥ من ينابيع المودة ضمن الباب ٧٧، وشيخ الاسلام الحسيني في فرائد السمطين عن ابن عباس أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»، وعن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ وضع يده على كتف الحسين عليه السلام وقال: «إنه الامام ابن الامام واخو الامام وتسعة من صلبه أئمة أبرار وأمناء معصومون»، وعن زيد بن ثابت نقل عنه ﷺ: «إنه يخرج من صلب الحسين أئمة أبرار أمناء معصومون قوامون بالقسط».

وعن عمران بن حصين أنه روى أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «أنت وارث علمي، وأنت الإمام والخليفة بعدي، تعلّم الناس ما لا يعلمون، وأنت أبو سبطيّ وزوج ابنتي، ومن ذريتكم العترة الأئمة المعصومون» وقد نقلنا ما جاء في عليّ وعترته من الاحاديث الكثيرة كأحاديث الثقلين وأحاديث المنزلة وأحاديث السقيفة، وعن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، وفي كتاب سير الصحابة عن حذيفة بن أسيد؛ أن رسول الله بعد أن خطب خطبة مفصلة بعد الحمد والثناء لله قال:

«اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي إن تمسكتم بهما فقد نجوتم».

وأضاف الطبراني قوله ﷺ: «فلا تقدّموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلّموهم فانهم أعلم منكم».

وقد أثبت أجلة علماء السنة والجماعة في كتبهم وأسانيدهم عن رسول الله ﷺ أن المقصود من أولي الأمر المقرونة طاعتهم بطاعتي ومعصيتهم بمعصيتي هم عليٌّ وبنوه المعصومون بعد رسول الله. روى ذلك شيخ الاسلام ابو اسحق الحمويني ابراهيم بن محمد في فرائد السمطين وعيسى بن يوسف الهمداني ومحمد بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقادات، والخواجة كلان الشيخ سليمان البلخي الحنفي في الباب ٣٨ من ينابيع المودة التي خصها بهذه الآية قال:

ان هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليٌّ ﷺ حين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة. وقال له ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى».

شكوى مالك بن نويرة وقبيلته

سهم أصاب وراميه بذي سلم   من في العراق لقد أبعدت مرماك

وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

لقد ثبت أن مالك بن نويرة وافراد قبيلته كانوا مسلمين يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة، ويقيمون حدود الله حسب كتاب الله وسنة رسوله، وثبت أن رسول الله ﷺ ائتمنه في الجباية وجمع المال، وقرّبه إليه كما سيأتي ذكر ذلك، ولم يكن هناك سوى أمر واحد هو العلم السائد بين قبائل العرب والذي عم الجزيرة العربية على الخصوص بعد غدير خم؛ ذلك اليوم المشهود الذي أعلن فيه رسول الله قبيل وفاته بشهرين أنّه دعي ويجيب، وأقام علياً بعده خليفة[1] واماما ووصيا كما امر الله في آية التبليغ: ﴿**يا أيُّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ فأخذ بيد عليٍّ وصعد على أقتاب الابل حتى بان بياض ابطيهما وقال ما قال كما مر، واستشهدهم من هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: الله ورسوله، وبعد خطبته المعروفة قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله». وبعدها أقام له خيمة خاصة وطلب من القوم رجالاً ونساء أن يهنئوه بولايته وامامته، وممّن هنأه أبو بكر وعمر، كما طلب من الحفل العظيم أن يبلغ

---

(١) راجع موسعتنا الغدير في الجزء الأوّل والثاني من علي «يوم غدير خم بأسانيده».

الحاضر منهم الغائب وهكذا كان. لذاترى المسلمين بعد انتشارهم وبث ما وقع ثبت لديهم أن الخليفة بعد رسول الله إنما هو عليٌّ وعترته من بعده كما سمعوا من رسول الله ﷺ حديث الثقلين: «اني مخلّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا». وإذا بهم بعد هذا تنتشر الأخبار بحادثة السقيفة وانتخاب أبي بكر خليفة ؛ ذلك الذي لم تكن له في حياة رسول الله أية سابقة تذكر من هذا الوجه، ولم يكن له فضل على بقية الصحابة من المهاجرين والأنصار، ولم تكن له ميزة تؤهله لتسنُّم هذا المنصب الذي قد أيقنوا أنه أسند إلى ابن عمه وزوج بضعته وأبي عترته، صاحب الفضائل والكرامات عند الله وعند رسوله، ولم يكن ابن نويرة بالبعيد عن هذه الحوادث أو الذي يجهلها وهو سيد من سادات العرب الذي وثق به رسول الله وقرّبه واتمنه على الاموال، وهو بعد ذلك سيد من سادات قومه وهذا ما دعاه كما دعا غيره للتأمل والحيطة فيمن قد خلف رسول الله، ومن هو الذي ستقر له العرب بهذه الامامة، ولم يكن مالك بن نويرة ـ الذي خالجه هذا الفكر وانتظر ـ ليعرف إلى من تحمل الأموال والزكاة، وهذه لم ترق للهيئة والحزب الذي سيطر على الحكم بتلك الكيفية التي ذكرها في الفتنة الكبرى (السقيفة) فهم الذين اغتصبوا أكبر مسند في العالم من صاحبه، وجاءوا لإحراق بيته وفيه بضعة الرسول وعترته، وفيه علي أخو رسول الله وخليفته الذي نص عليه ووصيه وقائد الغر المحجلين، وأضرموا النار وعصروا الزهراء الطاهرة بين الحائط والباب حتى أسقطت محسناً، وأخذوا علياً حاسر الرأس حافي القدمين قهراً وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله، وكادوا أن يقتلوه لولا الزهراء التي جاءت بثلة من نساء القوم وانقذته من القتل. هذا مالك يأبى دفع الزكاة إلى الحزب المجتري على صاحب الخلافة الحقة، وهؤلاء اليوم بيدهم الحل والعقد بعد أن رأوا علياً صابراً محتسباً لم يجرد في وجوههم السيف ولم يقاتلهم وهم يعلمون أن علة سكوته هي أنه لا يريد ذلك إلّا حرصاً منه على بيضة الاسلام من التضعضع

في هذا الوقت العصيب الدقيق وعلمهم بوصية رسول الله له بعدم المقابلة واستعمال القوة وقد اخبره بقيام هذه الفتنة. فإذا كان فعلهم ذلك مع عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فماذا ترجو ان يقابلوا به مالكاً، ولم يخف عليهم الامر بحقيقته بان في مثل هذا الموارد لا يسمح لهم سوى استمرار القوة وعدم السماح للاقوال والاعتراض وإلّا فشا ضعفهم واشهر كيدهم وحقدهم ومطامعهم متمثلين قول الشاعر:

اضـرب حـديداً حـامياً　　　لا خـير فـيه إن بـرد

وهكذا تراهم يولون الأمر لبثّ الأمر إلى أقسىٰ أفرادهم وأنصارهم قسرا من أمثال خالد بن الوليد وضرار بن الازود زميل خالد بن الوليد فيقوم كل واحد منهما بفجائع تقشعر منها جلود من لهم ذرة من الدين والوجدان، وقاما بأعمال ضد المسلمين العزل مما تشمئز النفوس ويأباه ذوو العقول.

وأي شيء في الدنيا تجزع منه النفوس، وتدمى منه القلوب؟ هل هناك طامة أعظم من التعرض للاعراض، ورزية أهول من القتل، وفادحة أفدح من النهب والسلب، وكارثة أشر من السبي، ومصيبة أفدح من البهتان بعد كل ذلك؟ فكيف إذا اجتمعت جميعها في مسلمين ومؤمنين بالله يُقتلون ويُنهبون ويُسبَون وتهتك أعراضهم وتُيتّمُ أطفالهم ويُعتدى على أعراضهم وتشتت أفرادهم؟! وأخرى أشد وأفجع يحرقون أحياءً وهم مسلمون.

وها أني أسوق بعض ما جرى على أثر الفتنة الكبرى بعد السقيفة بأمر أبي بكر وبعلمه واصراره وبصورة مكررة تخالف الشرع من كتاب الله وسنة نبيه، والوجدان والعدالة الانسانية، وسوف نسوق نبذاً منها وبعدها نضعها على طاولة الشرح وترى فيها الجاني من الآمر والمأمور والمعتدي والمعتدى عليه ودرجة هذه الجناية.

أخرج الطبري أن أبا بكر قال في عهده إلى جيوشه أن إذا غشيتم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم: ما الذي نقموا؟ وان لم تسمعوا أذاناً فشنوا الغارة واقتلوا وأحرقوا... وكان ممن شهد لمالك بالاسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي، وقد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها، وكان يحدث أنه لما غشوا القوم راعوهم تحت جنح الليل فاخذ القوم السلاح. قال: فقلنا إنا المسلمون فقالوا ونحن المسلمون. قلنا: فما بال السلاح معكم؟ قالوا لنا: فما بال السلاح معكم؟ قلنا: فان كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح. قال: فوضعوه. ثم صلينا وصلوا وكان خالد يعتذر في قتله: انه قال وهو يراجعه ما إخال صاحبكم إلاّ وقد كان يقول كذا وكذا. قال: أو ما تعده لك صاحباً؟! ثم قدمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه.

فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: «عدوُّ الله عدا على امرئٍ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته» وأقبل خالد بن الوليد قافلا حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهما فلما أن دخل المسجد قام اليه عمر وانتزع الاسهم عن رأسه فحطمها ثم قال: ارئاء؟! قتلت امرأً مسلماً ثم نزوت على امرأته. والله لأرجمنك بأحجارك وخالد بن الوليد لا يكلمه ولا يظن إلّا أن رأي أبي بكر على مثل رأي عمر فيه؛ حتى دخل على أبي بكر، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر واعتذر إليه فعذره أبو بكر وصفح عنه ما كان في حربه تلك. قال: فخرج خالد حين رضي عنه أبو بكر؛ وعمر جالس في المسجد فقال خالد: هلم إلي يا ابن أم شملة. قال فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فلم يكلمه ودخل بيته.

وقال سويد: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وإن أهل العسكر اثفوا برؤوسهم القدور فما منهم رأس إلاّ وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا فان

القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره، وقىٰ الشعرُ البشرة حرها أن يبلغ منها ذلك. وقال ابن شهاب: «إن مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس فلما قتل أمر خالد برأسه فنصب اثفية لقدر فنضج ما فيها قبل أن تخلص النار إلى شؤون رأسه» .

وجاء في تاريخ أبي الفداء كان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الانصاري حاضرين مع خالد في حملته، فكلّما خالداً في أمره فكره كلامهما، فقال مالك: يا خالد! إبعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا، فقال خالد: لا أقالني الله إن أقلتك، وتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه .

فقال عمر لأبي بكر : ان سيفُ خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك، فقال: يا عمر! تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد فاني لا أشيم سيفاً سله الله على الكافرين...

وفي الطبري: وقال عروة: قدم أخو مالك متمّم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ويطلب إليه في سبيهم، فكتب له بردّ السبي، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله وقال: إن في سيفه رهقا، فقال: لا يا عمر! لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين. وروى ثابت ان خالداً رأى امرأة مالك وكانت فائقة في الجمال فقال مالك بعد ذلك لامرأته قتلتِني. يعني سأقتل من أجلك. أخرجه الطبري ٣ ص٢٤١ وابن الاثير في تاريخه ٣ ص١٤٩، وأسد الغابة ٤ ص ٢٩٥، وابن عساكر في تاريخه ٥ ص١٠٥ ـ ١١٢، وخزانة الأدب ١ ص٢٣٧، وفي تاريخ ابن كثير ٦ ص٢٢١، وتاريخ الخميس ٢ ص٢٣٣، والاصابة ١ ص٤١٤ وج٣ ص٣٥٧.

وقال الزمخشري وابن الاثير وأبو الفداء الزبيدي: ان مالك بن نويرة رضي الله عنه قال لامرأته يوم قتله خالد بن الوليد: أقتلتني، أي عرضتني بحسن وجهك للقتل لوجوب الدفع عنك، وكان جميلة حسناء فدخل بها خالد بعد قتله مالكاً فأنكر ذلك عبدالله بن عمر وقيل فيه :

أفي الحق أنا لم تجفّ دماؤنا
وهذا عروسا باليمامة خالد

أخرج الأخير الفائق ٢ ص ١٥٤، والنهاية ٣ ص ٢٥٧، وتاريخ أبي الفداء ص ١٥٨، وتاريخ الخميس ٨ ص ٧٥.

وفي تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ٧ ص ١٦٥: أمر خالد ضراراً بضرب عنق مالك فالتفت إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني، وكانت في غاية الجمال وفي ذلك يقول أبو نمير السعدي:

ألا قل لحي أوطئوا بالسنابك
تطاول هذا الليل من بعد مالك

قضى خالد بغياً عليه لعرسه
وكان له فيها هوىً قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف
عنان الهوى عنها ولا متمالك

واصبح ذا أهلٍ وأصبح مالك
إلى غير أهل هالكاً في الهوالك[1]

فلما بلغ ذلك أبا بكر وعمر قال عمر لأبي بكر: ان خالداً قد زنى فأجلده. قال أبو بكر: لا. لأنه تأول فأخطأ. قال: فإنه قتل مسلماً فاقتله. قال: لا. إنه تأوّل فأخطأ. ثم قال: يا عمر! ما كنت لأغمد سيفاً سله الله عليهم ورثى مالكاً اخوه متمم بقصائد عديدة وهذا التفصيل ذكره أبو الفداء أيضاً في تاريخه ١ ص ١٥٨، لذا جاء في المعنى في تاريخ الخميس ٢ ص ٢٣٤، كما جاء نفس المعنى في شرح المواقف وأضاف قول عمر لخالد «لئن وليت الأمر لاقيدنّك به».

وفي تاريخ ابن عساكر ١١٢/٥ قال عمر: اني ما عتبت على خالد إلاّ في تقدُّمه وما كان يصنع في المال، وكان خالد إذا صار إليه شيء قسمه في أهل الغنى

---

(١) معالم المدرستين: للسيد مرتضى العسكري ٨٣/٢ نقلاً عن: وفيات الاعيان لابن خلّكان: ٦٧/٥، فوات الوفيات: ٦٢٦/٢ ـ ٦٢٧، تاريخ أبي الفداء: ص ١٨٥، وتاريخ ابن شحنة: ١١٤/١١ بهامش ابن الأثير. وفي معالم المدرستين ٨٣/٢: أن قائل الأبيات أبو زهير السعدي.

ولم يرفع إلى أبي بكر حسابه، وكان فيه تقدم على أبي بكر، يفعل الاشياء التي لا يراها أبو بكر، وأقدم على مثل مالك بن نويرة ونكح امرأته، وصالح أهل اليمامة ونكح ابنة مجاعة بن مرارة، فكره ذلك ابو بكر وعرض الدية على متمم بن نويرة وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك ولم ير أن يعزله. وكان عمر ينكر هذا أو شبهه في خالد، ومن أعمال خالد ما جاء في الاستيعاب ١/١٥٣ وهو في صحيح الأثر على حد قول أبي عمر.

قال حدثني أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال ابن اسحق: بعث رسول الله فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزوجل ولم يأمرهم بقتال وكان ممن بعث خالد بن الوليد وأمره ان يسير بأسفل تهامة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة بن عامر فلما رآه القوم أخذوا السلاح فقال خالد ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا.

قال، حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له حجدم (في الاصابة جحدم في ١ ص٢٢٧، وجذيم بن الحارث في ١ ص٢١٨ والصحيح هو الأول): ويلكم يا بني جذيمة! انه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الأسار، وما بعد الأسار إلاّ ضرب الاعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه فقالوا: يا حجدم أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهمّ إنّي أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد».

قال ابن هشام: قال ابن اسحاق: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب

رضوان الله عليه، فقال: يا علي أُخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال حتى أنه ليدي لهم ميلغة الكلب (الميلغة خشبة تحفر ليلغ فيها الكلب) وإذ لم يبق شيء من دم ولا مال إلّا وداه وبقيت معه بقية من المال، قال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤد لكم؟ قالوا: «لا». قال: فإني اعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله ممّا لا يعلم ولا تعلمون، ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. فقال: أصبت وأحسنت. قال: ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة فاتحاً شاهراً يديه حتى أنه ليرى ما تحت منكبيه يقول: «اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد». قالها ثلاث مرات. ودفاعاً عن خالد وضعوا له ما يلي :

ومما ذكر عن مالك وبني يربوع وفعل خالد فيهم انه كان مع خالد عبدالله بن عمر وابو قتادة وكانا شهدا أنهم أذنوا واقاموا وصلوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شيء وجعلت تزداد بردا فامر خالد منادياً فنادى: أدفئوا أسراكم. وكانت في لغة كنانة: القتل، فظن القوم انه اراد القتل ولم يرد إلّا الدفء، فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً وسمع خالد الداعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، وتزوج خالد ام تميم امرأة مالك، فقال أبو قتادة «هذا عملك»؟ فزبره خالد فغضب ومضى، وفي تاريخ أبي الفداء، كان عبدالله بن عمر وأبو قتادة الانصاري حاضرين فكلما خالداً في أمره فكره كلامهما. فقال مالك: يا خالد! ابعثنا إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا. فقال خالد: «لا أقالني الله إن أقلتك، ويتقدم إلى ضرار بن الأزور بضرب عنقه» .

شهادة أبي بكر على خالد

وإذا ما راجعت تاريخ الطبري ٣ ص ٢٥٤ وتاريخ الخميس ٣ ص٣٤٣ ظهرت لك حقيقة حاول كثير من الجناة المفرطين أخفاءها ؛ وهي كتاب أبي بكر إلى خالد وفيه قوله :

«لعمري يا ابن أم خالد: انك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومئتي رجل من المسلمين لم يَجِفَّ بعد» كتب إليه لما قال خالد لمجاعة: زوجني ابنتك، فقال له مجاعة: مهلاً! إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك قال: أيُّها الرجل زوجنِي فزوجه، فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه كتاباً فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: «هذا عمل الأعيسر» يعني عمر بن الخطاب .

وقبل ان أحاكم: القوم على فعلهم، أقدم للقارئ الكريم المناقشة والمحاكمة على هذه وهي احدى الكوارث بل هي إحدى ألوف الكوارث والمظالم التي جرت وضاعت على يد الغاصبين. أولئك الذين أسسوا الظلم والجور خلافاً لحكم الله ورسوله فاني أقدم من كلام الله من أوامره ونواهيه في مثل هذه الموارد من الآيات الكريمة ومن سننه نبذاً .

فقد جاء في القتل في سورة المائدة الآية ٣٢ ﴿ومن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً﴾، وفي سورة النساء الآية ٩٣ قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولَعَنَهُ وأعدَّ له

عذاباً عظيماً﴾ .

وقال تعالى في كتابه الكريم ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلّا بالحق...﴾ .

وقد قلت إن مالكاً مسلم مؤمن عاشر النبي الأعظم وأحسن صحبته واستعمله ﷺ على صدقات قومه، وقد عد من أشراف الجاهلية والاسلام ومن أرداف الملوك. فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة وصدّق رسول الله وأطاعه وأذن وأقام الصلاة هو وقومه وأعلنوا اسلامهم، وشهد على ذلك كما مر عبدالله بن عمر وأبو قتادة، وهما اللذان منعا خالداً، كما ثبت ذلك عند عمر وأبي بكر أنه مسلم قُتل مظلوماً وكيداً وعمداً تجد ذلك في فحوى المحاورات وأحاديث عمر وأجوبة أبي بكر وخالد نفسه. وبعد ذلك القتل الفظيع الذي يؤكد قصد خالد بأنه نزا على امرأته في الليلة نفسها وذلك لا يجوز حتى لو كان ارتد إذ لا بد من الزام العدة فعمله هذا مضافاً للقتل زناً وبهتان وقد قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ سورة ١٧ الآية ٣٢.

وقال عزّ من قائل: ﴿ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهان﴾ (سورة الفرقان الآية ٦٨ ـ ٦٩) وقوله تعالى في السورة ١٧ الأعراف الآية ٣٣ فيما يخص البغي: ﴿قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق﴾ .

لهذا نرى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب طلب حد خالد من أبي بكر بالزنا طبقا للآية الكريمة ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة...﴾ السورة ٢٤ النور، الآية ٢ كما طلب فيه القصاص بالقتل بعد عزله من منصبه. وقد تعدى وتجاوز القتل إلى إحراق الرؤوس وسبي النساء والأطفال قال الله تعالى: ﴿الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا﴾ سورة الاحزاب الآية ٥٨. وكيف جاز له ارتكاب تلك

الجرائم وقد أذّنوا وصلّوا ووضعوا السلاح وأسلموا وقد قال الله عزَّ وجـلَّ ﴿ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً﴾. وقال سبحانه: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ السورة ٢٦ الآية ٢٢٧، وهل هناك ظلم وبغي وأذىً أفضح مما قاموا به؟، ماذا يجيب خالد على كل هذه الاسئلة وحسبه أنه يقول إنـهم كـفروا ولكنهم ألم يؤذنوا ويصلوا وآمنوا وقالوا إننا مسلمون. على أنهم باعتراف الجميع واخص منهم عمر وأبا بكر أنهم لم يرتدوا ولكن لنفرض أنهم ارتدوا وعادوا وإني لاذكر الآيتين التاليتين وترى أين فرض الله عـليهم القـتل والإحـراق والسـبي والتعرض لأعراضهم ﴿كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد ايمانهم...﴾ ﴿إلّا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم﴾ السورة الثالثة، الآيتان ٨٦ و ٨٩ وقوله تعالى ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفرالله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ السورة ٤ الآية ١١٠.

ألم يحذر الله المسلمين ألّا يعملوا شيئاً قبل أن يتحققوا من حـقيقة الأمـر وذلك في جميع الامور والتعرضات فكيف في أشدها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا عـلىٰ مـا فعلتم نادمين﴾ الآية ٦ من السورة ٤٩.

فويل لمن اجترح الآثام والكبائر ثم رمى عن نفسه تلك تخلصاً فقد جاء بإثم عظيم قال تعالى ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمِ به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ السورة ٤ والآية ١١٢. كيف يستطيع الأفراد الذين امروا بعمل المنكر ومن عمله ومن رضي به ومن أباحه ومن هيأه وأعان عليه شركاء الاثم والجناية كلهم. إن استطاعوا أن يتخلصوا به أمام الناس كيف بهم يوم الحساب، ﴿يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ الآية ٢٤ من السورة ٢٤ ولا شك وأن الناس على دين ملوكهم وكما جاء في الآية الكريمة: ﴿وإن الظـالمين

بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ الآية ١٩ من السورة ٤٥.

فترى القوم بين غاصب مسند الخلافة ظلما ويقيم سلطته فرضا وظلما، ويسند أوامره إلى من يطيعه ويعينه على هذا التعدي قسراً وظلما، ويفتك بالأحرار ويكيل لهم البهتان بالردة والخروج عن الدين وعمل المنكرات ظلماً وكذبا وجورا فيقتلهم ويتعرض لأعراضهم وأموالهم وأنفسهم عدواناً، فهو ومن أرسله وأمره وأعانه وأباح له ذلك وامتدحه بعد معرفة كل ذلك شركاء في الإثم والخيانة والفسق. **﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله﴾** (الآية ٥٠ من السورة ٢٨) وقد قال الله سبحانه وتعالى **﴿والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾**. الاية ١٠ من السورة ٣٥ فترى القوم من غصب إلى قتل إلى إحراق إلى سبي إلى هتك واعتداء على أعراض المسلمين ثم كيلهم البهتان والكذب لهم ووصمهم بالكفر والفسق والفجور. **﴿أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾** (الآية ٤٥ من السورة ١٦). وبالتالي **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾** و**﴿... الفاسقون﴾** و**﴿ الكافرون﴾** (في ثلاث آيات) ويلهم من غاصبين آمرين بالمنكر فاتكين بالمسلمين زورا وبهتانا وظلماً وعدوانا، ويل لمن أجاز لهم كل هذه الأعمال، وويل لمن أمرهم وبعدها شجعهم وأثنى عليهم فأعاد الكرة بعد الكرة على المسلمين المؤمنين قتلاً واحراقاً، وقد وعى الآيات القرآنية. هاك ما قاله رسول الله ﷺ «لا يحل دم رجل يشهد أن لا إله إلاّ الله واني رسول الله إلاّ بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة». صحيح البخاري ١٠ ص٦٣، كتاب المحاربين، باب قول الله تعالى: النفس بالنفس، وصحيح مسلم ٢ ص٣٧، والديات لابن أبي عاصم الضحاك ص١٠، وسنن أبي دواد ٢ ص٢١٩، وسنن ابن ماجة ٢ ص١١٠ ومصباح السنة ٢ ص٥٠،

ومشكاة المصابيح ص٢٩١، وقوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلّا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد اسلامه، أو زنى بعد احصانه، أو قتل نفساً بغير نفس». جاء في الديات لابن أبي عاصم الضحاك ص٩، وسنن ابن ماجة ٢ ص١١٠، وسنن البيهقي ٨ ص٨٩، وقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله، فإذا قالوها منعوا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله» صحيح مسلم ١ ص٣٠، والديات لابن أبي عاصم الضحاك ص١٧ و١٨، وسنن ابن ماجة ٢ ص٤٥٧، وخصائص النسائي ص٧، وسنن البيهقي ٨ ص١٩ و١٩٦.

فمن أين جاءوا بهذه الشريعة الفظيعة أن من توقف عن امتناع الزكاة حكم عليه بأشد العقوبات المفروضة على الكفرة الفجرة الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا فساداً في الارض من قتل واحراق ودعارة وسبي وهتك وأسر، بل وأشد من ذلك الإحراق وهتك الاعراض والاعتداء الفظيع على النواميس، من أمر بذلك؟ وكيف حق له ذلك؟ ومن باشر؟ من هو المقصر الحقيقي ومن هو الجاني؟ بعد أن ثبت أن كل ذلك جزءاً وكلاً مخالف للشريعة الاسلامية وتعدٍّ على حدود الله في كتابه الكريم كما مر في الآيات والسور وتعدٍّ على سنة رسول الله ﷺ كما ذكرنا ذلك أعلاه، ونحن نعلم أن الشريعة الاسلامية هي أسهل وأرأف وأعمق وأحكم الشرائع السماوية وغير السماوية وقد راعت حقوق الفرد والجماعة كما جاء في الكتاب والسنة. في قوله تعالى: ﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم﴾ السورة ٨، الآية ٦١، وقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون﴾ (الانعام الآية ١٦٠).

فترى في الآية الأولى كيف أوصى الله بالسلم والابتعاد عن الحرب رفقا ورحمة منه، وفي الآية الثانية كيف عرّف البر والاحسان فأعطى من جاء بالحسنة

عشرة أمثالها. وقد امتدح الله نبيه بالرفق والتساهل والرحمة حيث قال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ الآية ١٥٩ من السورة ٣، ولا ننسى كيف غضب رسول الله ﷺ على خالد حينما قتل جماعة دون مشورته وتبرأ إلى الله من فعله مراراً، وانظر كيف يبشر الله الذين يدرؤون بالحسنة السيئة بمضاعفة الحسنة بقوله عزّ وجلّ: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ سورة الرعد الآية ٢٢، وقوله تعالى ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ الآية ٢١٩ من السورة ٢، فكيف بمن يسعى فساداً في الارض ويشيع بين المؤمنين الفساد ويبادر بكبائر الاثم والعدوان: ﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ الآية ١٩ و٢٤ من السورة ٢٤.

ألم يكن المسلمون جميعاً إخوة ولا يجوز التعرض لمؤمن إلّا بقدر اساءته؟ وان حصل سوء تفاهم أو ما اشبه ذلك فيجب قبل كل شيء اصلاح ذلك، فقد قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾. الآية ١٠ من السورة ٤٩ كما جاءت الآية ٣٢ من السورة الخامسة.

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ فماذا عمل مالك بن نويرة وصحبه؟ أقتلوا نفساً أم قاموا بفساد في الارض؟ وهم وعلى رأسهم مالك صاحب رسول الله؟ ما هو ذنبه؟ ما هي جريمته؟ أية سيئة تستحق هذا النكال وهذه الكارثة الفظيعة والله تعالى يقول: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾.

ولكن ياقارئي الكريم علينا ان نتمثل بقول الشاعر:

إلى الماء يسعى من يغصُّ بلقمةٍ　　　إلى أين يسعى من يغصُّ بماءِ

فممن هي الشكوى والاعتداء؟ يبدأ بغصب منصب الولاية ووصي رسول الله وغصبه بضعة رسول الله وعترته. الم تقع الجناية منذ الساعة الأولى على أعز خلق الله الطاهرين المنزهين من الرجس؟ فهذا الغاصب اليوم بيده الحل والعقد والأمر والنهي كان ذلك عمله بامام المسلمين بل إمامه وأميره. نعم، هكذا انقلب الامر وأصبحت الأمور بيد غير أهلها وطبق المثل:

يقولون ان الملح يصلح فاسداً　　　فما حيلتي ياقوم إن فسد الملح

فإذا كان ذلك فعل من تقمّص رداء الخلافة غصباً ونصب نفسه عَلَماً فلا بِدْعَ أن ترى انصاره وشيعته هذه فعالهم والناس على دين ملوكهم، نعم إذا رأيت الحطب والنار تضطرم على باب رسول الله لإحراق بيت علي وفاطمة والحسنين وهم فيها، ويساق أبو الحسن حاسر الرأس حافي القدمين مهدداً بالقتل إلاّ أن يبايع وبعدها بايع ويطلب قتله فلا عجب أن ترى مالك بن نويرة وصحبه قتلى وتضرم النار رؤوسهم، ونساؤهم وأطفالهم سبايا، وأموالهم تسلب وينزو خالد على زوجته.

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا　　　فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

فلمن الشكوى؟ وبمن الرجاء وبمن يعتصم المستضعفون؟

﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ الآية ٥٠ من السورة ٢٨، ولكن الله بالمرصاد ﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلاّ بما كنتم تكسبون﴾ الآية ٥٢ من السورة ١٠، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾ الآية ٢٢٧ من السورة ٢٦.

هل تشك بعد هذا بكفر من لم يحكم بما أمر الله وآياته وقد نص عليه الله؟

وأي كفر أعظم من أن ترى الكفر ظاهراً في مخالفة أحكام الله وسنن نبيه بعد أن سمع وقرأ كتاب الله وهو يقول: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون﴾** ومن ينكر أن الظالم لا يولّي غير الظالم، والغاصب لا يولّي غير الغاصب إذ بعضهم أولياء بعض، وكيفما تكونوا يولَّ عليكم وقد قال الله: **﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾** الآية ١٩ من السورة ٤٥.

المسؤولية الجنائية

على عاتق من تقع مسؤولية هذه المظالم وقد ثبتت كما مرت بأسـانيدها واعترف بها السيد والمسود. إني الآن بعدما ذكرت الأسانيد كاملة حول قـضية وقعت بعد وفاة خاتم الأنبياء على جماعات من المسلمين فيهم من صحابة رسول الله الذين ائتمنهم على صدقات قومهم وفي مقدمتهم مالك بن نـويرة وهـو مـن اشراف الجاهلية ومن أشراف الاسلام ثبت أنه وقومه كانوا مسلمين: أذَّنوا وصلَّوا واعترفوا أنهم مسلمون ولم يظهر منهم خلاف سوى تأخير في أداة الزكاة، وما كان ذلك إلّا وهو باعتبارهم من المسلمين الذين حضروا محضر رسول الله وعـرفوا كباقي المسلمين وصايا رسول الله وسنته التي كان يكررها فـي عـليٍّ وعـترته وأخص منها يوم غدير خم ذلك المشهد الكبير الذي حضره بصورة متوسطة نحو من مائة وخمسين ألفاً جعلهم جميعاً شهوداً على ذلك، وطلب من الحاضر أن يخبر الغائب بولاية عليٍّ وامامته وخلافته من بعده، وقد ثبت كل ذلك بالتواتر الذي لا يمكن انكاره. هؤلاء القوم وغيرهم حق لهم وهم بصفتهم مسلمين ومؤمنين وعلى رأسهم الصحابي الأمين مالك بن نويرة وهو يعلم ما أمر الله به يوم غدير خم في آية التبليغ وآية الاكمال بنصب عليٍّ خليفة بعد رسول الله الكريم، ورأى بأم عينيه تهنئة الرجال والنساء المهاجرين والانصار، البعيد منهم والقريب لعليٍّ بـالولاية، وعرفوا ممن هنأه أبا بكر وعمر، وهم يعلمون أن علياً كان له المقام الأول دائماً في زمن رسول الله حتى إذا غاب رسول الله فانما يكون بعده عليٌّ، ولا بد أنه سمع كما

سمع باقي الصحابة والمسلمين بآية الولاية والطهارة وأحاديث المنزلة والثقلين والسفينة وغيرها المارّ ذكرها، ووصايا رسول الله في عليٍّ وفضائله، كل ذلك ممّا لم يكن لغيره من الصحابة، وما أبو بكر وعمر إلّا كباقي المسلمين حتى في أقرب وقت من وفاة رسول الله إلّا كباقي الجنود في جيش رسول الله في بعثة موته التي أمرّ على الجيش أسامة بن زيد ولم يذكر أن علياً ولي عليه في واقعة واحدة وما كان فيها بعد رسول الله إلّا أميراً. وكل مسلم محارب وغير محارب ومنهم مالك وقبيلته سمعوا وعرفوا منزلة علي في الوقائع وشجاعته وتضحيته، وحب رسول الله له وكل منهم يعرف أنه أعلم الصحابة، وطالما كرر رسول الله بألفاظ مختلفة «أنا مدينة العلم وعلي بابها» ويعرفون سبقته للاسلام وانه ربيب رسول الله وزوج بضعته وأبو عترته، كل هذا لا يخفى على مالك وأمثاله، وبعد هذا كله يداهم بوفاة رسول الله ﷺ. وإذا به يسمع أن جماعة على رأسهم ابو بكر يعلن الخلافة ويعرف أن علياً صاحب الحق المغتصب مقهور، كل هذه وهو ذو عقيدة راسخة رغم كونه حديث الاسلام أو غير حديثه.

أيها القارئ العزيز لو كنت أنت في محله ماذا كنت تعمل؟ هل كان يجب عليك أن تقدم الزكاة لكل من يأتي وأنت تعرف خليفة رسول الله الذي نصبه بأمر الله. لا أحسبك إذا كنت مؤمناً حقاً ومخلصاً للاسلام إلّا واتبعت نفس عمل مالك بن نويرة، تتريث حتى ترى الأمر وتتجلى الحوادث عمن يتولى هذا الامر وهكذا عمل مالك بن نويرة وصحبه وقبيلته، وماذا عمل مالك سوى أنه أخّر الزكاة على حد قولهم، وما هو جزاء من لم يجمع الزكاة وقد ثبت أنه أعاد الزكاة لقومه حتى ينجلي الموقف فهو لم يستولِ عليها ويختلسها حتى يقال له مختلس، هذا عمل ابن نويرة، وهذا خالد ليس وحده بل معه عبدالله بن عمر وأبو قتادة وهما شاهدان على عمله. وياله من عمل ما أفضعه! يقتل المسلمين وعلى رأسهم الصحابي المؤمن ليعتدي على عرضه وناموسه ثم يجعل رأسه اثفية المواقد ويزني بنفس

الليلة بزوجته قسراً بعلم من عبدالله بن عمر وأبي قتادة اللذين منعاه ونهرهما، ولا يكتفي بقتل مالك بعد مكره إياه. بل يقتل رجاله بغياً وهم جميعاً مسلمون، ويسلب أموالهم ويسبي نساءهم وذراريهم، وجميع هذا ثبت عليه عند الخليفة الثاني عمر ثبوتاً تاماً، كما اعترف هو نفسه عندما قال له عمر بذلك فلم ينكر ولم يدافع عن نفسه. كما ثبت ذلك عند أبي بكر بشهادة عمر وأبي قتادة وعبدالله بن عمر وغيرهم حتى أمر بردّ السبايا ودفع الدية، وقد عرف أن خالد بن الوليد عمل ذلك غدراً فقتل مالكاً والمسلمين من أصحابه وثبت أنه زنى فأمره بطلاق زوجة مالك، وثبت أنه سبى النساء والأطفال ظلماً ولهذا أعادهم. وثبت لهم أن الرجال المقتولين كانوا مؤمنين ومسلمين فدفع ديتهم. كل هذا ثبت له على خالد وقبل ذلك كان يعلم أن خالداً غدر في زمن رسول الله، وأن رسول الله تبرّأ إلى الله من عمله، على أن ذلك العمل الذي عمله خالد كان مع غير مسلمين وكيف أن رسول الله غضب عليه ونهره ودفع الدية عن جميع المقتولين بِيَدِ علي ﷺ كما مر، فكيف وكل ذلك بعلم أبي بكر! والدليل على أن أبا بكر يعلم تمام العلم بأعمال خالد وتعدّياته عمداً بالقتل والزنى ما ذكرناه عن الكتاب المار الذكر بأسانيده الذي أرسله أبو بكر إلى خالد وأثبت فيه أنه قتل ألفاً ومئتي مسلم وعمل ما عمل ورغم كل ذلك لم يظهر له أدنى تأثر وامتعاض، بل أعطاه وساماً ولقباً ظل يتابع خالداً بقوله سيف الله فاذاً كان أبو بكر يرسل خالداً متعمداً ليفعل ذلك دون رحمة ولا شفقة علي شرط أن يعمل ذلك مع مخالفيه من موالي علي وعترته وأنصاره، ولم يجزع إلّا عندما تجاوز ذلك إلى شيعته هو فرد عليه بتلك الرسالة واعترف بعلمه ودرايته بجرائمه بقوله: «يا ابن أم خالد! إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومئتي رجل من المسلمين لم يجفّ بعد» كتبه إليه لما قال خالد لمجاعة «زوجني ابنتك. فقال له مجاعة: مهلاً إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك. قال: أيها الرجل! زوجني فزوجه فبلغ ذلك أبا بكر فكتب إليه الكتاب فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: هذا

عمل الاعيسر يعني عمر بن الخطاب». أخرجه الطبري في تـاريخه ٣ ص ٢٥٤، كما جاء في تاريخ الخميس ٣ ـ ٣٤٣، فلم يكن خالد وحده الذي كان يقوم بهذه المنكرات فإذا راجعنا تاريخ ابن عسـاكـر ٧ ص ٣١، وخـزانـة الادب ٢ ص ٨، والاصابة ٢ص ٩ نرى أن ضرار بن الأزور زميل خالد بن الوليد ومن على شاكلته وشريكه في الجرائم يشن الغارة بأمر أبي بكر على حي من بني أسد فيأخذ امرأة جميلة فيطؤها بهبة من أصحابه ثم يذكر ذلك لخالد فيقول له «قد طيبتها لك» .

فنحن الآن امام مجموعة من الجرائم ابتداءً بعلم وأمرٍ من الخليفة الأول أبي بكر إلى عماله هي كما مر بهتان وقتل وغارة وسلب وسبي وزنا ضـد مسـلمين وصحابيين مع سبق الاصرار والعمد من الخليفة أبي بكر بشهادة عمر بن الخطاب وقوله في أبي بكر عندما يمتنع عن إقامة الحد على الفاعلين: «إن أبا بكر لجَّ فيه شيطانه» وقد مرّ ذلك بأسانيده. ويزيد أبو بكر بأن يعطي خالداً وسام الفخر ويلقبه بسيف الله وهو يعلم أنه قتل ١٢٠٠ مسلم عمداً كما مر ذكره .

خالد بن الوليد يتعمد قتل مالك وصحبه للوقيعة به ظلماً والنزو على زوجته بنفس الليلة، جرمان كلٌّ منهما يستحق فيه الحد ثم القتل في الدنيا، وفي الآخرة عذاب الخلد .

ونحن إذا تصفحنا التاريخ وسير الأمراء والملوك والفاتحين نراهـم عـلى قسمين: منهم من انتصروا في حياتهم ودام الانتصار لخلفائهم وخلفاء خـلفائهم لزمان بعيد لم يجسر المؤرخون على ذكر جرائمهم إلاّ ما ندر وبصورة مـصغرة، وأغلبها اندثرت مع الزمن أو جاءت مشوهة مقرونة بأعذار ومصحوبة بما يصبغ أعمالهم المنكرة بصبغة من القدسية والإجلال، وكل أمر مخالف يخلقون له عللاً تبرئ ساحتهم من سيئاتهم، وبالعكس صبغتها بصبغة مـحقة لهـم ومـنكرة عـلى خصومهم، هذا في قبائح أعمالهم، وأما في محاسنها فتبالغ في تـمجيدها حـتى

تصل بها مدارج المعاجز وخوارق العادة فتصنع من النقطة غديراً، ومن القبة جملاً لا سيما إذا جاء من بعدهم من اعتنق نفس المبدأ وحمل ذات العقيدة أو كان يهمه الامر كأبيه أو شريكه في السلوك والهدف.

وأما إذا انخذل واندحر ووقع الأمر بيد خصومه وأعدائه فلا تجد كرامة أو فضيلة له إلّا وأصبحت شعوذة ورذيلة، وكل حسنة أصبحت سيئة، وما كانت غلطة صغيرة؛ خلقت منها جرائم ومساوئ عظيمة ووصم بما تشمئز منه النفوس وتذعر منه العقول.

وأقربها إلينا الحرب العالمية الثانية، وكيف برز فيها رجلها هتلر وبلغ مصاف الدهاة وخلقت له في حياته الأساطير في شجاعته وتقدمه وسطوته وحكمته هو وأعوانه وشعبه؛ فكانوا مطمح العالم وسادته وقادته، تلهج بذكرهم الألسن وتطنب بأعمالهم، وخلقت منهم أبطالاً عجزت عن وصفها الأقلام، وذهلت لسطوتها الأعلام، وبالغت في تعظيم صغائرها وتمجيد معايبها.

حتى إذا نكبت وغلبت وثقلت خصومها، واندحرت بعد الانتصار، وتخاذلت بعد الافتخار، وتقهقرت بعد تقدمها أفل نجمها الساطع، وانطمست اعلامها الزاهية؛ عادت أمجادها ذميمة، ومحاسنها رميمة، حيث ساد النِدُّ واندحر الود. وهكذا التاريخ أكثره على هذه الشاكلة كثيراً ما تطمس فيه الحقائق، وتشوه الوقائع، ويعاب المظلوم إذا اندحر، ويرفع الظالم إذا ظهر، إلّا إذا فحصناها بعين البصيرة، ودققناها بحسن سريرة، وأزلنا ما يخامرها من شوائب وينوبها من نوائب. هكذا كانت وقائع صدر الاسلام بعد وفاة رسول الله سيد الرسل ﷺ؛ سلب منصب الخلافة، والناس رغم أنهم جديدو العهد بالإسلام عرفوا كثيراً عن وصايا رسول الله في علي وعترته. ومن لم يهمه أن يسلب ذلك الحق البارز، والمنصب السامي، ويخالف حدود الله وسنن رسوله يهون عليه كل شيء بعد هذا،

ولا يهمه إلّا بلوغ هدفه مهما كثرت المجازر، واستحلت المنكرات، والظالمون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف. ويعدلون عن الصراط المستقيم إلى الضلالة والجهالة وانّنا إذا فحصنا تقدم الاسلام في زمن رسوله وتقدمه بعده وانخذاله فيما بعد، ووضعنا الأمور والقضايا التاريخية على طاولة التشريح، وفحصناها فحصاً دقيقاً، واعدنا مركباتها إلى موادها الاولية وحقائقها الاصلية؛ لوجدنا ان القوم حادوا بعد رسول الله عن الصراط المستقيم السوي، وأصروا على هذا الانحراف حتى اصبح عادة ومنهاجاً للقوم إلّا النخبة القليلة الذين استقاموا.

تعيّرنا أنّا قليل عديدنا ... فقلت لها إنّ الكرام قليل

ولقد ثبت لنا ونحن نبحث في المسؤولية الجنائية أن المسؤول عن القتل الفجيع لمالك بن نويرة وصحبه والأعمال المنكرة من النهب والسلب وسبي ذويه والنزو على زوجته انما هو الغاصب الأول. الغاصب لمصدر الخلافة من صاحبها الأصلي، والانحراف عن الصراط المستقيم الذي أمر باتباعه الله ورسوله، وإن جميع تلك المظالم بدأت يوم السقيفة ولم يكن بُدٌّ بعد هذا الغصب إلّا الظلم والقسر والجور على ذويه وشيعتهم ومواليهم، وقمع كل من تحدّثه نفسه على القول والفعل بالعودة للحق، أو الاعتراض في هذا، والأمر جليٌّ واضح لكل ذي عينين إن حقق ودقق، وهيهات أن تخفى الحقيقة، وهل يجوز لمن قام بتلك المظالم أن يقول ويعترف بظلمه؟ هيهات فلا بد وأن يقول: إنما قمنا بذلك باسم الردة ولكن:

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ ... وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

والحق يعلو ولا يعلى عليه، والعاقبة للمتقين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وهذه شكوى مالك بن نويرة في يوم الجزاء

مالك ـ إلهي! يا من لا تخفى عليك خافية في الارض ولا في السماء! يا غياث كل مظلوم ونكال كل ظالم! لقد هديتنا بمحمد الصادق الأمين فوجدناك أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك، ولقد بلغتنا على لسان رسولك وعرفتنا في مواقف عديدة وكثيرة؛ وصيّ رسولك وأخاه وخليفته من بعده وعترته الطاهرة، فقد عرّفت علياً لنا في آياتك المحكمات في آية الولاية أنه وليك بعد رسول الله وذلك يوم تصدق بخاتمه وهو راكع، فقلت:

﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾، وطهّرت علياً مع رسولك وزوجته فاطمة بضعة رسولك وولديه الحسن والحسين سبطي رسول الله وريحانتيه من الرجس والدنس في آية التطهير فقلت: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾** وأمرت رسولك يوم غدير خم في آية التبليغ في ذلك اليوم المشهود والحر المحرق الذي بلغ فيه المسلمون ما ينوف على المئة والخمسين الفا يعلن خلافة عليٍّ وامامته وإطاعته بعده، وأن يخبر الشاهد الغائب، وتشهد أنه بلَّغ وأعلن وقال بعد خطبة كبيرة أشهد عليها القوم حيث قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» ثم نُصِبَت له خيمة وأمَّ القومُ رجالاً ونساء لتهنئته، ثم أنزلت آية الإكمال بعد أن كنت أنزلت آية التبليغ وهما

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ .

والاخرى بعد التبليغ:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ ولقد أنزلت في عليٍّ ما ينوف على ثلاث مئة آية في مدحه وفضله، وفي رسول الله وعترته أنزلت ربع القرآن (ومرت أسانيدها جميعاً). ونشهد أن رسول الله نصب علياً وعترته أعلاماً للهدى في غير موقف واحد، فقد نصبه خليفة وهو لما يبلغ الحلم في يوم الدار وقال فيه: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي». وقال فيه: «إنه امام المتقين وقائد الغر المحجّلين»وقال فيه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وقال فيه وفي عترته: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» وقال فيه وفي عترته: «أن مثل عترتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تأخر عنها غرق». وقال في عليٍّ وعترته وأتباعه في كل محفل ومناسبة ما نصبه علماً وخليفة بحيث لا يستطيع كل قريب وبعيد أن يلتمس عذراً بأنه غير عالم ؛ فكيف بالصحابة القريبين. ولقد سمعنا بنصرة عليٍّ للاسلام في الحروب وفي الوقائع الاخرى، وكل صغيرة وكبيرة ومعضلة ما كانت تُحَلُّ إلاّ على يد عليٍّ ونحن جميعاً سمعنا ورأينا تلك الكرامات والفضائل لعليٍّ دون سواه؛ فعليٌّ وحده بعد رسول الله الخليفة والامام والهادي لهذه الامة الجامع لجميع الصفات المؤهلة عقلاً ونقلاً، ومما قاله رسول الله ﷺ يوم غدير خم: إنه دُعي وإنه سيجيب قريبا وهو سبب نزول آية التبليغ والاكمال. وإني لأشهد أن أبـ بكروعمر حضرا يوم غدير خم وسلّما على عليٍّ وهنآه على الخلافة والموالاة، كلٌّ يقول: «بخٍ بخٍ لك يا عليٌّ لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة» وقد كنا نترقب في القريب العاجل بعد النبي ﷺ أن تعود إلى عليّ الخلافة ونطيعه فهو

الخليفة والامام المطاع بدون منازع .

ولكن مع أشد الأسف ما كاد الناعي ينعي رسول الله حتى سمعنا خبراً أقضّ مضاجعنا، وهزّ قلوبنا ترحا ؛ أن أفراداً اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة من المهاجرين لا يتجاوز عددهم الخمسة، وتنازعوا مع الانصار وألقوا بينهم الفتنة، وانتخبوا أبا بكر خليفة، هذا ولم يكن من المهاجرين وكثير من الانصار وباقي المسلمين في المدينة وأقربهم إلى رسول الله ولا جيش أسامة القريب من المدينة ولا بني هاشم وقلة قليلة من الصحابة المشغولين بغسل رسول الله، حاضرين في السقيفة ومشاركين في هذا الانتخاب، بل كانوا كلهم غائبين عن السقيفة فكيف جرى هذا الانتخاب وجميع المسلمين في البقاع والاصقاع والمدن الاخرى لا علم لهم به، وبعدها سمعنا أن جماعات كبيرة أكرهوا على البيعة أو أغفلوا، ونحن نعرف حق اليقين أن علياً هو الخليفة، وأنه في نزاع مع الغاصبين؛ نزاع لا بحد السيف بل هو الاعتراض على هذا العمل المنكر وبالمنطق السليم، هذا ونحن في دهشة وحيرة وكنت قد جمعت مقداراً من أموال الصدقات التي أمرني رسول الله بجمعها، وحرصاً على حقوق المسلمين أعدتها لهم حتى نعرف لمن تنتهي عاقبة الأمور، وإذا بخالد ورجاله وفيهم عبدالله بن عمر وأبو قتادة ورجالهم مدججون بالسلاح، وكنا نحن أيضاً مسلمين فقالوا نحن مسلمون فقلنا ونحن مسلمون فأذّنوا فأذّنا، وصلّوا وصلّينا معهم، فطلبوا منا وضع السلاح فوضعناه ونحن على أمان ؛ وإذا بخالد يأمر رجاله بشد أكتافنا، وإذا بخالد يتعرض لنسائنا وبالأخص إلى زوجتي وقد وجدته وأنا زوجها ينظرها بنظرات أنبأتني عن سوء الطوية وقد هددني بالقتل فعلمت أنه فاعل ذلك معي ومع صحبي، وكل بغيته أن يتعرض لعرضي وزوجتي، فأشرت له بذلك وقلت لها إنها قتلتني بجمالها، فنهاه أبو قتادة وعبدالله بن عمر فنهرهما، فقتلني ظلماً وكيداً، وقتل أصحابي، وأنت أعلم بما

صنعه بعدي مع النساء والاطفال، وبما استباح من المحرمات في أنفسنا وأموالنا وأعراضنا. إلهي وربي إني أشكو إليك منه وممن سلطه علينا ظلماً وعدوانا. إلهي إني أشكو إليك ما قاسيناه منه ومن رجاله من الأذى والتعذيب والتحقير والاهانة دون ذنب أذنبناه. إلهي وربي اشكو إليك مما دهاني من هذا الظالم ومن سلّطه عليّ من الجزع والهول والنكاية، وأنا أرى تهديده لي بالقتل، وزوجتي وما أصابها من الرعب، ونساء قبيلتي من الهول، وأطفالي من الصدمة في حياتي وبعد قتلي، إلهي أنت تعلم أني أخلصت لك بالتوحيد ولرسولك بالنبوة ولوليك ووصيّ رسولك بالتصديق وهؤلاء الغاصبون أعرف أنهم جاءوا وحادوا عن جادة الحق وخالفوا أوامرك وتعدّوا حدودك وضلّوا بخصامهم وكيدهم لأوليائك علي وعترته عن جادة الصواب ورضيت بما أصابني يا إلهي صبراً على قضاك وطلباً لرضاك ورعاية لدينك وحفاظاً على سنتك، إلهي فعذبهم عذاباً اليماً وخذ بحقي وحق من ظلموه وعذبوه وغصبوه وتعرضوا له، بحق المؤمنين من المسلمين القتلى، وبحق النساء الثكلى، والسبايا المنهوبين المشردين، والاطفال المروعين، اللهم يا نكال الظالمين ومهلك الغاصبين ومبيد الجبابرة المعاندين، اللهم إني استشهد برسولك رسول الهدى محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وبعليٍّ المرتضى الصدّيق الاعظم والفاروق الاكبر خليفة رسولك ووصيه وأخيه بأني شهدت أن لا إله إلّا الله وان محمداً رسول الله وأن علياً وليك وخليفة رسولك، وأني تبرأت من عدوك وعدوهم، وأن ما أصابني اخلاصاً لدينك وولاية لأوليائك واعراضاً عن أعدائك وخصوم أحبائك، وستشهد على أعمالهم المنكرة السنتهم وأيديهم وأرجلهم يا رب العالمين، اللهم فاحشرهم مع أعدائك واحشرني مع احبائك وأوصيائك محمد وآله الطيبين الطاهرين يا أرحم الراحمين.

شكوى المؤلفة قلوبهم من أبي بكر وعمر

قال الله عزَّ من قائل ﴿إنما الصدقات للفقراء والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (الآية ٦٠ من سورة التوبة).

فنرى أن الصدقات إنما هي ثمانية أقسام طبق نص الآية القرآنية وقد نصت الآية هذه على المؤلفة قلوبهم وجعلتهم في الرديف الرابع بعد الفقراء والمساكين والعاملين عليها وهذا نص لم ينسخ أبداً لا بنص ولا بغيره، وقد سار عليه رسول الله في حياته ولم يشر إليه باشارة ليضعفه أو يقع فيه ما يمكن ان يحدث شكاً فيه بعده للخلفاء، وهذا السهم كان يعطي منه لأشراف العرب الذين لم يسلموا بعد ليقربهم فيسلموا. أو كان يعطي منه لمن أسلموا ولكن لمّا يدخل الايمان في قلوبهم فهو يريد بذلك أن يؤلف قلوبهم بالعطاء كأبي سفيان وابنه معاوية وعباس بن مرداس وعتيبة بن حصن والاقرع بن حابس وامثالهم، ومن المؤلفة قلوبهم من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم من رجال العرب وبهذا يرجو اسلامهم وعلى أقل تقدير يأمن شرهم وشر تحريضهم، ويأمل انضمامهم إليه ضد الكفار.

هؤلاء المؤلفة قلوبهم جاءوا أبا بكر يطالبونه بحقهم فأمضى لهم ذلك بيد أن عمر صدَّهم ومنعهم، ووافقه على ذلك أبو بكر، ودعوى عمر أن الله أعز الاسلام ولا حاجة لنصرتكم فكأنَّ الله ورسوله قد غاب عنهما ما عرفه عمر، وأنه يفرض

على الأمة نصوصاً وأحكاما دونها نصوص القرآن، فهل كان لعمر ولأبي بكر أو غيرهما مخالفة نص قرآني صريح. وإنك لتجد ذلك لفظاً ومعنى في كتاب الجوهرة النيّرة على مختصر القدوري في الفقه الحنفي ص ١٦٤ ج ٢ كما ورد في غير ذلك حول مناقب الخليفتين ولفظه كما يلي: لما ولى أبو بكر جاء (المؤلفة قلوبهم) لاستيفاء سهمهم هذا جريا على عادتهم مع رسول الله ﷺ، فوافق أبو بكر وكتب لهم كتاباً إلى عمر، وعندما قدّموا له كتاب أبي بكر مزّقه وقال: «لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم، فان أسلمتم وإلاّ فالسيف بيننا وبينكم»، فرجعوا إلى أبي بكر فقالوا له: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله. وأمضى ما فعله عمر. وقد أول بعض الكتّاب المعاصرين كالدواليبي في كتابه «أصول الفقه» أن أبا بكر وعمر وجدا مصلحة المسلمين تقتضي ذلك. ولكننا نتساءل: هل يجوز لنا الاجتهاد في موارد النص الصريح ودون أن يكون في ذلك أية اشارة إلى مثل تلك المصالح، فقد رأينا أن صوم شهر رمضان في القرآن فرض على كل مسلم، بيد أن الله عزَّ وجلَّ أشار في كتابه الكريم بقوله ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾، كما أوجب القصر للصلاة وأشار ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيبا...﴾ فكان الله في أمثال تلك أبعد الحرج، وفتح لنا باباً نتّقي به الحرج فهل أشار مثل ذلك في الزكاة في حين أنه عزَّ وجلَّ قال في محكم كتابه المجيد في ثلاث آيات في احداها ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ وفي أخرىٰ هم الفاسقون وفي أخرى هم الظالمون.

فكيف جاز لهما أن يغيرا حكم الله الصريح بدعوى المصلحة في حين أننا نرى اليوم ومنذ القديم كانت الدول ولا تزال تصرف قسماً من ميزانيتها في سبيل الدعاية السياسية والاقتصادية بين الافراد والجماعات وحتى الدول القريبة والبعيدة بغية تثبيت مصالحها، وهل كان حقاً أن الاسلام كان في غنى عن ذلك،

وكم كان لذلك الصرف وتلك السهام من الآثار العظيمة لو بقيت تصرف في سبيل ذلك، وربما أشاد من اراد الاطناب بحكمة الخليفتين ونسب لهما بذلك العظمة بأن الاسلام أصبح عزيزاً وانها كلمة تقال بيد أنها اضرّت بالاسلام، وكم وقع مثل ذلك التباني بين الخليفتين، وكم أوّل ويؤول من الكتّاب والشعراء مساوئهم حسنات دون المقارنة وتمحيص الحقائق، وقد نقل ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر لشرح النهج ص ١٠ من المجلد الثالث، كما نقل العسقلاني في اصابته ما يلي: «جاء عتيبة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا له :

ان عندنا ارضاً سبخةً ليس فيها كلأ ولا منفعة وإن رأيت ان تقطعناها لعل الله ينفع بها بعد اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله: ما تقولون؟ فقالوا لا بأس فكتب لهما كتابا فانطلقا إلى عمر ليشهد لهما فيه فأخذه منهما ثم تفل فيه فمحاه، وتذمرا وقالا له مقالة سيئة ثم ذهبا إلى أبي بكر متذمرين، وقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟! فقال: بل هو .

وجاء عمر حتى وقف على أبي بكر وهو مغضب، فقال أخبرني عن هذه الارض التي اقطعتها هذين أهي لك خاصة أم بين المسلمين؟! فقال: بل بين المسلمين. فقال: ما حملك على أن تخصَّ بها هذين؟ قال: استشرت الذين حولي فقال: أوكُلُّ المسلمين وسعتهم مشورة ورضيٌ؟ فقال أبو بكر: فقد كنت قلت لك انك أقوى على هذا الامر مني لكنّك غلبتني» .

فانظر إلى هذا الحوار وتعال معي إلى حوار قبله حول ما عمله خالد مع مالك بن نويرة وقد ثبت أنه قتل مسلماً وأنه نزا على زوجته ؛ كيف قابلها بها أبو بكر عمر وردّه رغم ثبوته، ثم نتسائل عن مشورة المسلمين وهل صح أن يستشير أبو بكر المسلمين جميعاً في مسائله الكبيرة والصغيرة وأخص منها هذه التافهة التي ثبت نفعها للمسلمين فهي سبخة لا تنتج، وباقطاعه اياهما فقد أنتج شيئاً، وقبله

استشار عمر برأيه فما منعه في موافقة عمر فهل انه حقاً وجد أن رضاء المسلمين جميعا واجب عليه حتى يقدم على ذلك، وعندها نتساءل ايها أعظم عند الله والمسلمين هذه الارض السبخة أم منصب الخلافة التي لم يحضرها سوى بضعة أنفار هم من حزبه ومن تآمر معهم ليلاً من الاوس ضد الخزرج، وقد كان حتى في السقيفة الاكثرية من المخالفين، ورأينا كيف أرغم بني هاشم وأنصارهم على البيعة؛ فأين كان عمر وأبو بكر عن جلب رضا المسلمين في أعظم مشاكلهم؟ هذا إذا أغضينا عن أوامر الله ورسوله في ولاية الامر، والنصوص الماضية المحكمة في عليٍّ وذرية رسول الله. وما أكثر ما خالفا نصوص القرآن اجتهاداً منهما في مصالح مرسلة لم يقم على ذلك دليل أو برهان، وخالفته جميع المذاهب الاسلامية من المذاهب السنية والشيعية على الاطلاق[1].

ورغم ذلك يحاول من غلبت عليهم العصبية والحب والبغض توجيه السيئة إلى حسنة، ولكنهم انما يبرهنون بذلك على حد القول الأدبي والفقهي «حدث المرء بما لا يليق فان صدق فلا عقل له» وما أكثر ما استدل بها الكتاب والشعراء على مساوئ عملت فعدّوها في مصاف المناقب، كما بعث شاعر النيل بقصيدته العصماء التي برهنت على جهله وتعصُّبه الأعمى ومناوأته للإسلام ونبيه وآل بيته حيث قال:

وقــولةٌ لعـليٍّ قــالها عــمر ... أكــرم بســامعها أعظم بـملقيها
حـرَّقت دارك لا أبـقي عـليك بـها ... ان لم تبايع وبنت المصطفى فـيها
ما كـان غـير أبـي حـفص بـقائلها ... أمــام فــارس عـدنان وحـاميها

ماذا أراد أن يستدل بها الشاعر؟! أبمقام علي وهو الذي قال فيه الله في كتابه الكريم في آية الطهارة فطهره من الرجس، وآية الولاية وخصّه الله دون

---

(١) راجع النص والاجتهاد، والفصول المهمة للعلامة السيد عبدالحسين شرف الدين.

غيره بالولاية بقوله تعالى: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾؟.

أم ما جاء فيه في سورة هل أتى؟ أم آية الإبلاغ وإكمال الدين يوم غدير خم وغيرها؟. أم قوله ﷺ: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار»[1].

قال ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» أم لما بلغ فيه بالولاية والوصاية وكل مناسبة. أم قوله: «لا يبغض علي إلّا منافق» وفي أخرى «إلّا كافر». وفي بضعته الزهراء: «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»، وقول الله تعالى: ﴿والذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ورسوله وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً﴾. راجع بذلك ما جاء في علي وآل محمد كتابنا الاول والثاني في عليٍّ ؑ.

أم أراد الشاعر أن يعظم عمر بعد أن أثبت بغضه وعدوانه وتعدّيه على امامه ووصيٍّ رسول الله، واحراق بيت الزهراء وفيها بضعته والحسنان سيدا شباب أهل الجنة؟ أم أراد أن يثبت هو نفسه علمه وخصومته لأهل البيت وتعصبه الجاهلي.

أعوذ بالله مِمَّن أعمىٰ الله بصيرته وأضله عن السبيل.

قال تعالى: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جنهم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم﴾ سورة ٩ آية ٦٣ ﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله إنّهم ساء ما كانوا يعملون﴾ سورة ٩ الآية ٩.

---

(١) راجع الكتاب الرابع من موسوعتنا في عمر.

سورة النازعات

﴿وإذا جاءت الطامة الكبرى (٣٤) يوم يتذكر الانسان ما سعى (٣٥) وبُرِّزت الجحيم لمن يرى(٣٦) فاما من طغى (٣٧) وآثر الحياة الدنيا (٣٨) فان الجحيم هـو المأوى (٣٩) واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى(٤٠) فان الجـنة هـي المأوى (٤١)﴾ .

أم أراد أن يبرهن على جهله أنه بعمله ذلك انما حادَّ الله ورسوله وخالفهما في نصوص القرآن وسنن النبي كما جاء في الآيات المحكمة: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ .

وقوله تعالى: ﴿من يحادد الله ورسوله...﴾ وقوله تعالى سورة المـائدة ٤٤ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون﴾. سورة المائدة ٤٥ ﴿ومـن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون﴾. سورة المائدة ٤٧ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾. وهل بعد الحق إلاّ الضلال؟ مالكم كيف تحكمون ؟

المصادر

١ ـ أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص الرازي الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠.
٢ ـ الاصابة لابن حجر .
٣ ـ الأموال لأبي عبيد .
٤ ـ الامامة والسياسة لابن قتيبة .
٥ ـ اعلام الموقعين لابن القيم .
٦ ـ الاتقان للسيوطي .
٧ ـ الاستيعاب لابن عبدالبر .
٨ ـ اسد الغابة .
٩ ـ اعجاز القرآن .
١٠ ـ الامتناع للمقريزي .
١١ ـ الايضاح للفضل بن شاذان .
١٢ ـ ارشاد الساري للقسطلاني.
١٣ ـ أغاني الاصفهاني
١٤ ـ الاحداث لأبي الحسن المدائني .
١٥ ـ أخبار الزمان للمسعودي .
١٦ ـ الاتحاف بحب الاشراف للشيخ عبدالله محمد بن عامر الشبراوي الشافعي .
١٧ ـ أحياء الميت بفضائل أهل البيت لجلال الدين السيوطي .

١٨ ـ أضواء على السنة المحمدية للعلامة محمود أبو رية .
١٩ ـ اختصار علوم الحديث .
٢٠ ـ بداية المجتهد .
٢١ ـ تاريخ الطبري .
٢٢ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي .
٢٣ ـ تاريخ الخطيب .
٢٤ ـ تاريخ ابن كثير .
٢٥ ـ تاريخ الخميس للديار بكري .
٢٦ ـ تاريخ ابن عساكر .
٢٧ ـ تاريخ نفطويه ابن عرفة .
٢٨ ـ تاريخ ابن مردويه .
٢٩ ـ تاريخ المدينة للعلامة السمهوري .
٣٠ ـ تاريخ محدث الشام .
٣١ ـ تاريخ التشريع الاسلامي .
٣٢ ـ تاريخ أبي الفداء .
٣٣ ـ تاريخ ابن الاثير .
٣٤ ـ تاريخ ابن شحنة: بهامش الكامل .
٣٥ ـ تفسير الطبري .
٣٦ ـ تفسير ابن الاثير .
٣٧ ـ تفسير القرطبي.
٣٨ ـ تفسير الخازن .
٣٩ ـ التفسير الكبير لفخر الدين الرازي .
٤٠ ـ التفسير الشفي بهامش الرازي .

٤١ ـ تفسير ابن جزي الكلبي .
٤٢ ـ تفسير كشف البيان لعبدالملك بن أحمد الثعالبي .
٤٣ ـ تفسير الدر المنثور لجلال الدين السيوطي .
٤٤ ـ تفسير النيشابوري .
٤٥ ـ تفسير الواحدي .
٤٦ ـ تفسير الزمخشري .
٤٧ ـ تهذيب التهذيب .
٤٨ ـ تذكرة الحفاظ .
٤٩ ـ التهذيب الكامل .
٥٠ ـ تيسير الوصول .
٥١ ـ تاج العروس .
٥٢ ـ تذكرة خواص الامة لسبط ابن الجوزي الحنفي .
٥٣ ـ تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية .
٥٤ ـ جامع السيوطي الكبير والصغير .
٥٥ ـ جامع الترمذي للحافظ أبي عيسى .
٥٦ ـ الجامع الصغير لابن حجر المكي .
٥٧ ـ جامع الاصول .
٥٨ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني .
٥٩ ـ خصائص النسائي .
٦٠ ـ خلاصة كتاب العثمانية .
٦١ ـ خميس القاضي المالكي .
٦٢ ـ خلاصة الخزرجي .
٦٣ ـ خزانة الأدب .

٦٤ـ درر الزرندي .
٦٥ـ الديات لابن أبي عاصم الضحاك .
٦٦ـ ذخائر العقبى .
٦٧ـ رد أبي بكر الاسكافي على رسالة العثمانية للجاحظ .
٦٨ـ الرياض النضرة .
٦٩ـ رسائل الجاحظ .
٧٠ـ ربيع الابرار للزمخشري .
٧١ـ رموز الكنوز تفسير الامام عبدالرزاق الرسعني .
٧٢ـ رشفة الصادي من بحر فضائل النبي الهادي لابن عبدالرحمن العلوي الحسيني .
٧٣ـ رسالة الاعتقاد لمحمد بن مؤمن الشيرازي .
٧٤ـ زين الفتى للحافظ العاصمي .
٧٥ـ سنن البيهقي .
٧٦ـ سنن الدارمي .
٧٧ـ سنن ابي داود .
٧٨ـ سنن ابن ماجة .
٧٩ـ سنن السجستاني .
٨٠ـ سيرة ابن هشام .
٨١ـ السيرة الحلبية لعلي بن ابراهيم الحلبي .
٨٢ـ سفر السعادة للفيروزآبادي .
٨٣ـ السقيفة لابي بكر الجوهري .
٨٤ـ السيرة النبوية للسيد احمد زيني دحلان .
٨٥ـ سير الصحابة .
٨٦ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

٨٧ ـ شرح مسلم للنووي .

٨٨ ـ شذرات الذهب .

٨٩ ـ شرح المواقف للقاضي عضد الايجي .

٩٠ ـ الشفاء للقاضي عياض الشافعي .

٩١ ـ شرح مختصر الاندلسي للذهبي .

٩٢ ـ شرح المواهب للزرقاني المالكي .

٩٣ ـ شرح صحيح البخاري .

٩٤ ـ شرح التجريد للقوشجي .

٩٥ ـ شرح المصطفى للحافظ عبد الملك بن محمد الخركوشي .

٩٦ ـ الشرف المؤبد للشيخ يوسف النبهاني .

٩٧ ـ الشيعة وفنون الاسلام للسيد حسن الصدر .

٩٨ ـ شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم .

٩٩ ـ صحيح البخاري .

١٠٠ ـ صحيح مسلم .

١٠١ ـ الصواعق المحرقة لابن حجر المكي .

١٠٢ ـ صفوة الصفوة لابن الجوزي .

١٠٣ ـ صحيح الترمذي .

١٠٤ ـ طبقات الحفاظ .

١٠٥ ـ طبقات ابن سعد .

١٠٦ ـ طوالع الانوار للبيضاوي .

١٠٧ ـ طرح التثريب .

١٠٨ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه .

١٠٩ ـ عمدة القاري للعيني .

١١٠ ـ عبقرية محمد للاستاذ عباس محمود العقاد .
١١١ ـ الغدير للعلامة الشيخ عبدالحسين الاميني .
١١٢ ـ فتح الباري لابن حجر .
١١٣ ـ الفِصَلُ لابن حزم .
١١٤ ـ فتح المتعال للمغربي المالكي .
١١٥ ـ فتوح البلدان لياقوت الحموي .
١١٦ ـ فرائد السمطين لشيخ الاسلام الحمويني .
١١٧ ـ الفيء للنسائي .
١١٨ ـ القرآن الكريم .
١١٩ ـ الكشاف لجار الله الزمخشري .
١٢٠ ـ كنز العمال للمتقي الهندي .
١٢١ ـ كشف الخفا للعجلوني .
١٢٢ ـ كامل الجزري .
١٢٣ ـ كفاية الكنجي .
١٢٤ ـ كنوز دقائق المناوي .
١٢٥ ـ اللآلئ المصنوعة للسيوطي .
١٢٦ ـ مسند أحمد بن حنبل .
١٢٧ ـ مجمع الزوائد للهيثمي .
١٢٨ ـ الملل والنحل للشهرستاني .
١٢٩ ـ مروج الذهب للمسعودي .
١٣٠ ـ مقدمة أصول التفسير لابن تيمية .
١٣١ ـ موطأ مالك بن أنس .
١٣٢ ـ مصابيح السنة .

١٣٣ ـ مشكاة الخطيب .

١٣٤ ـ المجتنى لابن دريد .

١٣٥ ـ منهاج السنة لابن تيمية .

١٣٦ ـ ميزان الاعتدال .

١٣٧ ـ مستدرك الحاكم .

١٣٨ ـ المواقف للقاضي عضد الايجي .

١٣٩ ـ المنتظم لابن الجوزي .

١٤٠ ـ مشكل الآثار للطحاوي .

١٤١ ـ مقتل الخوارزمي .

١٤٢ ـ مطالب السؤول لابن طلحة .

١٤٣ ـ مرآة الجنان .

١٤٤ ـ المواهب اللدنية .

١٤٥ ـ مرقاة الوصول للدمشقي .

١٤٦ ـ معجم الطبراني .

١٤٧ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي .

١٤٨ ـ المناقب لابن المغازلي .

١٤٩ ـ المناقب لأخطب خطباء خوارزم .

١٥٠ ـ مودة القربى لمير سيد علي الهمداني .

١٥١ ـ المطالعات والمراجعات والردود لمحمد حسين آل كاشف الغطاء .

١٥٢ ـ نوادر الاصول للترمذي .

١٥٣ ـ نهج البلاغة .

١٥٤ ـ نثر اللآلئ للآلوسي .

١٥٥ ـ النص والاجتهاد للعلامة شرف الدين .

١٥٦ ـ نزول القرآن في أمير المؤمنين لابي بكر الشيرازي .

١٥٧ ـ وسيلة المقال للمكي .

١٥٨ ـ هامش ارشاد القسطلاني .

١٥٩ ـ ينابيع المودة للشيخ سليمان القندوزي البلخي الحنفي .

محتويات الكتاب